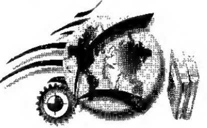
# ثقيف

## ودورها في التاريخ العربي الإسلامي حتى أواخر العصر الأموي

تأليف

الدكتور عاطف عباس حمودي القيسي

منشورات
محمد علي بيضون
لنشر كتب السنة والجماعة
دار الكتب العلمية
بيروت - لبنان





الطبعة الأولى
٢٠٠٣ م - ١٤٢٤ هـ

دار الكتب العلمية
بيروت - لبنان

رمل الظريف - شارع البحتري - بناية ملكارت
الإدارة العامة: عرمون - القبة - مبنى دار الكتب العلمية
هاتف وفاكس: ٨٠٤٨١٠/١١/١٢/١٣ (٥ ٩٦١+)
صندوق بريد: ٩٤٢٤ - ١١ بيروت - لبنان

Dar Al-Kotob Al-ilmiyah
Beirut - Lebanon
Raml Al-Zarif, Bohtory Str., Melkart Bldg. 1st Floor
Head office
Aramoun - Dar Al-Kotob Al-ilmiyah Bldg.
Tel & Fax: (+961 5) 804810 / 11 / 12 / 13
P.O.Box: 11-9424 Beirut - Lebanon

Dar Al-Kutub Al-ilmiyah
Beyrouth - Liban
Raml Al-Zarif, Rue Bohtory, Imm. Melkart, 1er Étage
Administration général
Aramoun - Imm. Dar Al-Kotob Al-ilmiyah
Tel & Fax: (+961 5) 804810 / 11 / 12 / 13
P.P: 11-9424 Beyrouth - Liban

ISBN 2-7451-3672-0
90000>
9 782745 136725

http://www.al-ilmiyah.com/

e-mail: sales@al-ilmiyah.com
info@al-ilmiyah.com
baydoun@al-ilmiyah.com

# الإهـــداء

إلى اليد الكريمة التي علّمتني معنى الصبر على المكاره. . .

وكانت خير عون لي في رحلتي مع الحياة مُوَجِّهةً وموثِّبةً نحو ذرىٰ المستقبل. . .

والدتي العزيزة. . .

وإلى مَن كان لها فضل المؤازرة في تذليل الصعوبات ومواصلة العون بروح الإخلاص والمودّة. . .

زوجتي الغالية. . .

عاطف



# المقدمة
# ونطاق تحليل المصادر



بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الحمد لله ربّ العالمين، والصلاة والسلام على سيّدنا ونبيّنا وشفعينا محمد خير الأنام، وعلى آله وصحبه الغرر الميامين، ومَن سار على هديهم إلى يوم الدين.

إن في انصرافنا لدراسة دور قبيلة ثقيف، خلال عصر الرسالة حتى نهاية العصر الأموي، يختزن أكثر من دافع، ويحوي أكثر من محفّز، كان يدفعني للنهوض بأعباء هذه المهمة، منها:

إن هذه الدراسة هي إتمام لما قمت به في مرحلة الماجستير، حيث تناولت دراسة إقليم سجستان، منذ الفتح العربي الإسلامي حتى منتصف القرن الثالث الهجري. وبالتأكيد أن جزءًا من زمن الدراسة كانت ضمن العصر الأموي وقد صادفتني الكثير من الروايات والأحداث التاريخية خلال هذا العصر، ظلت تلازمني وتشدني باستمرار وتدفعني إلى محاولة الغور في جوانب هذا العصر دون غيره من عصور الدولة العربية الإسلامية.

ومن الدوافع الأخرى، أن التاريخ الأموي كتب في حقب لاحقة وبهذا فقد لحقت به الكثير من التشويهات والمبالغات التي جعلت هذا العصر وكأنه منفصل عن العصر الذي سبقه (العصر الراشدي)، فرأيت أن أمحّص جزءًا من ذلك التاريخ لعلّي أقف على بعض الحقائق المعنيّة بدراستي.

كذلك إن بعض رجالات ثقيف قد تمّت دراستهم، في دراسات منفصلة، وكأن كل واحد منهم حدثًا تاريخيًا قائمًا بذاته. فرأيت أن أقف عند قبيلة ثقيف، وأحاول أن أُقدّم عنها وعن رجالاتها دراسة واحدة أتناول فيها كافّة أنشطة الحياة التي برع فيها رجالات هذه القبيلة وبهذا سوف يظهر أثر ثقيف وإسهامات أبنائها في التاريخ العربي الإسلامي بشكل متميّز.

ومن الجدير بالإشارة إليه أنه من النادر ألّا تصادف الباحث بعض الصعوبات التي تواجهه أثناء إعداد بحثه. وبحثنا هذا لا يخرج عن هذا الإطار، فقد واجهت الباحث جملة من الصعوبات ومنها:

أن هناك دراسة قدّمها باحث في جامعة أخرى تناول دور قبيلة ثقيف منذ حقبة ما قبل الإسلام حتى نهاية العصر الراشدي، فكان لزامًا عليّ أن أضع منهجية خاصة ببحثي لكي لا يكون هناك تكرار في الموضوع. وأعتقد أني استطعت أن أهتدي إلى ذلك.

كذلك أن بعض رجالات ثقيف قد تمّت دراستهم من باحثين آخرين في دراسات مستقلة، فكان عليّ أن أقرأ تلك الدراسات قراءات نقدية متفحّصة وبالتالي أحاول ضغط تلك الدراسات في دراسة مستقلة واحدة، فضلًا عن الأمور الجديدة التي برزت في البحث فكانت عملية التمحيص والغربلة ليست باليسيرة، كما أن إغفالها أو تجاهلها قد تشكّل مأخذًا سلبيًا على الدراسة التي نحن بصددها.

إن هذه الدراسة قد استنبطت من المصادر والمراجع العربية بشكل خاص لأن ما يهمنا هو إبراز الدور الإيجابي خلال تلك الحقبة الزمنية، فكانت عملية اختيار الروايات صعبة، لأن أغلبيتها كانت مبهمة، وفيها بعض المبالغات.

وبما أن حقبة الدراسة لم تكن قصيرة، بل شملت قرابة قرن ونصف، وهذه الحقبة حوت الكثير من الأحداث التاريخية المهمة، والتناقضات العسيرة، فكان من الضروري أن نلمّ بها كل ما استطعنا إلى ذلك سبيلًا.

وبعد فإني لم أدّخر جهدًا في إعداد هذه الدراسة المتواضعة، وقد تطلّب ذلك مني وقتًا طويلًا، وجهدًا مضنيًا، ولا أدّعي أني قد بلغت الكمال في هذا البحث لأنه صعب المنال، وأن الكمال لله وحده، وكل ما أرجوه أن أكون قد وُفِّقت في عرض المادة وتقديمها بالصورة المطلوبة.

وهذه إلمامة بسيطة بموضوع بحثنا الذي تناول دراسة قبيلة ثقيف، ودورها في التاريخ العربي الإسلامي حتى أواخر العصر الأموي، حيث ضم البحث تمهيدًا إلى جانب خمسة فصول.

تناولنا في التمهيد التعريف باسم الطائف، وموقعها، وما اشتهرت به، كذلك أشرنا إلى العلاقة التي ربطت بين ثقيف والطائف، بحيث أصبحا اسمين لمسمًّى واحد

لحدٍّ ما. وكذلك تناولنا أهم بطون ثقيف، ونتيجة الصراع ما بين الأحلاف وبني مالك، وتطرقنا إلى نسب ثقيف، وكيف اختلف النسابون في ذلك، وعرّجنا على ديانة ثقيف، وموقع اللات عند القبائل العربية آنذاك. وقد أشرنا إلى انتشار ديانة التوحيد عند بعض أفراد قبيلة ثقيف، وكذلك أشرنا إلى العلاقة التي تربط الطائف ومكة وبعض المناطق الأخرى.

أما الفصل الأول، فتناول بيان أثر الثقفيين في صدر الإسلام، فتناولنا خروج الرسول ﷺ إلى الطائف في محاولة منه لنشر الإسلام خارج مكة، وأشرنا إلى غزوة حنين حيث انتصر الإسلام وانهزمت هوازن وثقيف. وسلطنا الضوء على إسلام قبيلة ثقيف بعد أن أرسلت وفدًا لإعلان ذلك. وقد أثبتت ثقيف صدق إيمانها بالدين الإسلامي، حيث تجلى ذلك في موقفها من الردة، وكذلك إسهامها في حروب التحرير والفتوح. وقد تطرقنا إلى نسب زياد الذي عرف بالتاريخ بـ (زياد ابن أبيه) أو (زياد بن أبي سفيان) حيث أشرنا إلى ثقفيته من حيث المولد، والمنشأ، والتربية ومن خلال استقرائنا للنصوص تولدت لدينا القناعة الكافية لما ذهبنا إليه في تحديد نسبه. ثم استعرضنا موقف ثقيف من الصراع السياسي الذي ألمّ بالأمة بعد استشهاد الخليفة الراشد عثمان بن عفان رضي الله عنه.

وتناولنا في الفصل الثاني الثقفيين ودورهم الإداري والسياسي في العصر الأموي، حيث سلّطنا الضوء على آداريّ ثقيف، أمثال المغيرة بن شعبة، وزياد بن عبيد الثقفي، وعبيد الله بن زياد، والحجاج بن يوسف الثقفي. وكيف استطاع هؤلاء النهوض بالمسؤولية الملقاة على عاتقهم، سواء من الناحية السياسية أو الإدارية. حيث استطاعوا القضاء على كافة الاضطرابات الداخلية التي حصلت في الأقاليم التابعة لهم. كذلك أشرنا إلى أثرهم في القضاء على الحركات التي استهدفت السلطة الأموية، أمثال حركة عبد الله بن الزبير، وحركة عبد الرحمٰن بن الأشعث تلك الحركة التي اهتزت لها أبواب العاصمة دمشق حيث استطاع الحجاج الثقفي القضاء عليها.

وفي الفصل الثالث أشرنا إلى أهم الحركات التي أسهم بها الثقفيون ضد الدولة الأموية أمثال حركة المختار بن أبي عبيد الثقفي، وحركة مطرف بن المغيرة بن شعبة الثقفي، وتوصلنا إلى كونهما حركات فردية، ولا يمكن أن نعم ذلك على كل ثقيف لأن القبيلة حافظت على مسارها في دعم وإسناد وحدة الدولة العربية الإسلامية وكيانها.

وانصبّت دراسة الجهد العسكري للثقفيين خلال العصر الأموي في الفصل الرابع، على إبراز الدور القيادي لرجالات ثقيف، من خلال استعراض مسيرة بعض ولاتهم، وأعمالهم الجليلة في خدمة الأمة والعقيدة والذين يمثلون في الوقت نفسه قادة عسكريين بارزين تولوا إعداد الحملات العسكرية وتجهيزها بكل ما تحتاج إليه. وبالتالي متابعة سير هذه الحملات. وقد أشرنا إلى توسع الدولة العربية الإسلامية في عهودهم، كذلك تناولنا بروز بعض القادة العسكريين أمثال محمد بن القاسم الثقفي حيث واصل هذا القائد الثقفي فتوحاته حتى وصل السند. وسلطنا الضوء على بعض السمات العسكرية للقادة الثقفيين.

وتناولنا في الفصل الخامس اسهامات الثقفيين الطبية والأدبية والفقهية، فظهر منهم أطباء، وشعراء، ومحدثون ممن كان لهم إسهاماتهم في هذه المجالات. وقد تناولنا قسمًا منهم في الدراسة لنبين إسهاماتهم في المجالات التي برعوا فيها، وانتشر ذكرهم لتميزهم في إجادتها.

وأنهينا بحثنا هذا بخاتمة مركّزة أوجزنا فيها خلاصة ما توصلنا إليه من نتائج وتخريجات وتحليلات، استنبطناها من خلال النصوص التي وردت في مصادرنا الأولية مُحاوِلين أن نكون في أحكامنا بعيدين عن الميل والهوى واضعين نصب أعيننا أن تكون الحقيقة هدفنا ولا شيء غير الحقيقة... والله من وراء القصد.

في تحليلنا للمصادر سوف نقف عند أهمها بحيث نركز على التي أمدت بحثنا بمعلومات مهمة، وأسهمت في إخراجه بهذه الصورة التي هو عليها. والحق أن المصادر التاريخية قد أمدتنا بمعلومات غزيرة عن الموضوع، وأنها أسهبت في ذكر الروايات والأخبار التي تتصل ببعض المواضيع والمفاصل الخاصة بالبحث. في حين ضنت علينا في بعض الفقرات الأخرى.

أما المصادر الجغرافية فإني لم أعول عليها كثيرًا لأني لم أتطرق في هذه الدراسة إلى جوانب جغرافية إلا بالشيء القليل الذي يغني البحث. ولهذا كانت الفائدة منها قليلة ومحدودة.

وأمدّتنا كتب الطبقات والرجال بمعلومات قيّمة عند بحثنا للناحية العلمية والفكرية في ثقيف، وأهم المصادر التي اعتمدنا عليها هي:

(كتاب المغازي) للواقدي (ت ٢٠٧ هـ) وهو من الكتب التاريخية المهمة المتخصصة بمعالجة غزوات الرسول ﷺ. ولا أغالي إذا قلت إنه ينفرد بأحداث

تاريخية لا نجدها في الكتب التاريخية الأخرى، وعن موضوعنا ساق لنا الواقدي رواية تاريخية عن استعمال الرسول ﷺ للدبابة والمنجنيق في حصاره للطائف، وهذه أسلحة تستعمل لأول مرة وتساءل الواقدي عن مصدر هذه الأسلحة ولكنه أجاب عن ذلك بأن الطفيل بن عمرو هو الذي زوده بها، وهذا يقودنا إلى الاعتقاد أن العرب كانت تعرف هذه الأسلحة سابقًا، وأنها كانت تحصل عليها من هذه الجهة أو تلك.

كذلك زوّدنا برواية تاريخية بيّن فيها لهفة المغيرة بن شعبة الثقفي عندما جاء أبناء قومه لإعلان إسلامهم. حيث دخل على الرسول ﷺ وطلب منه أن يعطيهم ويميزهم ويكتب لهم كتابًا فاستجاب الرسول ﷺ لطلب المغيرة بن شعبة الثقفي، أما معلوماته الأخرى فهي تقريبًا متوازنة مع الروايات التاريخية التي وردت في المصادر الأخرى.

أما (السيرة النبوية) لابن هشام (٢١٨ هـ)؛ فهي مصدر لا بد لكل باحث في تاريخ صدر الإسلام من الرجوع إليه، وقدم (ابن هشام) صورة متكاملة عن ثقيف، خاصة قبل الإسلام، وعهد الرسول ﷺ. ولهذا يمكنني القول، أن معلوماته جاءت مفصلة ودقيقة، لأنها تناولت موقف ثقيف من الإسلام، منذ ظهوره حتى اعتناقهم له. وقد أشار (ابن هشام) إلى أن المغيرة بن شعبة كان قد أعلن إسلامه قبل وفد ثقيف، وكان بجانب الرسول ﷺ في صلح الحديبية عام ٦ هـ/ ٦٢٧ م.

وأشار (ابن هشام) إلى مكانة ثقيف عند الرسول ﷺ، فعندما لم يستطع إخضاعهم بالحصار فكّه عنهم، ودعا عليهم بقوله: أللهم أهد ثقيفًا وأت بهم، وهذا يدل على أن رسول الله ﷺ، كان حريصًا على كسب هذه القبيلة إلى جانبه.

ويمثّل كتاب ابن سعد (٢٣٠ هـ) (الطبقات الكبرى) واحدًا من الكتب التاريخية المهمة، وكذلك من كتب الرجال. وقد أشار (ابن سعد) إلى أن إيمان ثقيف بالإسلام جاء عن قناعة راسخة، حيث أشار المغيرة بن شعبة إلى ذلك بقوله: لا أعلم قومًا من العرب، بني أب، ولا قبيلة كانوا أصح إسلامًا منهم. وهو قول يؤكد أن ثقيف كانت مع الإسلام قلبًا وقالبًا. وكذلك زودنا بتراجم لرجال وفد ثقيف، الذين قدموا على الرسول ﷺ معلنين إسلامهم. وفضلًا عن ذلك احتوى (كتاب الطبقات الكبرى) على قائمة من رجالات ثقيف الذين كانوا أصحاب الرسول ﷺ وكذلك التابعين، وأتباع التابعين الذين نزلوا الأمصار وأسهموا في نشر الإسلام وعقيدته، وحدثوا بسيرة الرسول ﷺ وصحبه الميامين، كما أشار (ابن سعد) إلى بعض النساء الثقفيات ممن حدثن عن زوجات الرسول ﷺ.

وبعد (تاريخ خليفة بن خياط) (ت ٢٤٠ هـ) من الكتب التاريخية ذات الروايات المقتضبة، بحيث لا تكاد تفي بالغرض المطلوب أحيانًا. إن الباحث في التاريخ لا يمكن أن يعول على تاريخ خليفة بن خياط كثيرًا، لأنه لا يعطي تفصيلات للحدث التاريخي، وإنما يعطي موجزًا لأول الحدث وآخره، وهذا في ظني يجعل الباحث في وضع مربك، لأن الباحث بحاجة إلى تفصيلات معينة في بعض الروايات لكي يتسنى له أن يعطي رأيه فيها.

وفي موضوع بحثنا عن ثقيف لم نجد أحداثًا تاريخية انفرد بها عن المؤرخين الآخرين بل على العكس فإن الأحداث التاريخية التي يشير إليها كان يذكرها بشكل مقتضب في حين نجدها عند غيره بتفصيلات دقيقة ووافية جدًا، فعند حديثه عن حركة المختار الثقفي يشير إلى سيطرة المختار على الكوفة، ومن ثم مقتله فيها. والشيء نفسه، نجده عند تناوله حركة ابن الأشعث إذ يعطي روايات مقتضبة جدًا لا تكاد تفي بالغرض المطلوب، وبهذا لا نستطيع أن نكون صورة كاملة عن الأحداث التاريخية. وهكذا عن باقي الأمثلة الخاصة بالموضوع، وعليه يمكنني القول إن تاريخ خليفة بن خياط يمكن أن يفيدنا في موضوع بحثنا بأنه يرسم لنا خطوطًا أولية ليس إلا.

وزوّدنا البلاذري (ت ٢٨٩ هـ) في كتابه (فتوح البلدان)، بمعلومات مفيدة جدًا تناولت الفتوحات العربية الإسلامية في أرجاء متعددة، وكيف تمكن العرب من تحقيق ذلك. وبخصوص بحثنا فقد ساق لنا البلاذري روايات تاريخية معروفة لا يكاد ينفرد بها عن غيره من المؤرخين، وأن بعض رواياته تكاد تكون مقتضبة. فمثلًا عند الحديث عن معركة القادسية، وقبل وقوعها دارت عملية مفاوضات بين العرب المسلمين والفرس، وكان ممن أرسل إلى الفرس لغرض التفاوض المغيرة بن شعبة الثقفي. إن عملية المحاورة التي جرت بين المغيرة والفرس تكاد تكون قصيرة. وتبين أن العرب حملوا الإسلام إلى الأمم الأخرى، وكانت أمامهم خيارات متعددة، وهي إما الإسلام أو الجزية أو القتال. إن هذه الخيارات على الرغم من واقعيتها، لكنها تجعل القارىء غير المتخصص في موقف حرج لأن تلك الأمم بحاجة إلى توضيح للإسلام، وعقيدته، ومبادئه، وأفكاره. فكان من جملة أهداف إرسال الوفود في اعتقادي ذلك. أما رواية البلاذري فتكاد تكون مضغوطة، بحيث لا تلبي الغاية من ذلك ولا تشفي غليل الباحث المتتبع الدقيق.

وأشار البلاذري بشكل واضح إلى خروج بعض أفراد قبيلة ثقيف، واستقرارها خارج الطائف. بحيث اتخذت من بعض الأمصار مثل البصرة مركزًا لسكنها.

كما أشار إلى حركة ابن الأشعث ولم يبين لنا أسباب قيام هذه الحركة ومردوداتها على مسار الأمة والإسلام، وإنما جاءت روايته عابرة ومبتسرة.

وقدّم لنا البلاذري رواية تاريخية مهمة تبيّن ثقة الخليفة عبد الملك بالحجاج بن يوسف الثقفي تمكّننا من تصوّر إمكانات الحجاج السياسية وقدراته الإدارية والعسكرية. وقد قيل لعبد الملك بن مروان لماذا تعطي الحجاج الأتاوة ولا تعطيها لغيره، فقال كان الحجاج رجلًا لا ينظر فيما أنفق إذا ظفر ببغيته، ولو لم يرجع إليه درهم، وأنتم لا تنفقون درهمًا إلا إذا طمعتم في أن يرجع إليكم مكانه عشرة. ومن هنا نستطيع القول لماذا كان وارد خراج السواد في عهد الحجاج بن يوسف قليلًا؟

وذكر البلاذري كذلك دور الثقفيين سواء كانوا قادة، أو ضمن الجيش، أو إداريين. مبينًا دورهم في عملية الإشراف والتخطيط، فقد أفادنا البلاذري في كتابه فتوح البلدان بأن قدم لنا صورة عن قادة عسكريين ثقفيين كان يعنيهم أمر متابعة جندهم في كل الأقاليم التي كانت تحت نفوذهم.

أما كتاب (أنساب الأشراف) للبلاذري فكان مصدرًا مهمًا عولنا عليه كثيرًا، وقد انفرد دون غيره من المصادر بالإشارة إلى حركة الزنج أيام الحجاج الثقفي وكيف استطاع القضاء عليها.

ومن المصادر الأخرى التي عولنا عليها في بحثنا (كتاب الأخبار الطوال) للدينوري (ت ٢٨٢ هـ) وهو من الكتب التاريخية المختصرة، وقد أشار بشكل صريح إلى أن قسمًا من ثقيف قد سكنت البصرة، حيث امتلك نافع بن الحارث أرضًا فيها. وأشار الدينوري إلى نقطة جوهرية جدًا، ولكنه لم يقف عندها وقفة طويلة، وهي مسألة زياد بن عبيد الثقفي، حيث أشار إلى كون عبيد كان مملوكًا إلى رجل من ثقيف فتزوج من سمية وكانت أمة للحارث بن كلدة فأعتقها فولدت له زيادًا. أي أن زيادًا ولد بعد زواج سمية من عبيد ولم تلد قبل هذا الزواج وكان المفروض من الدينوري أن يقف عند ذلك وقفة طويلة لكي يستطيع أن يصل إلى نسب زياد طالما هو مشكوك فيه، وقد وقف الدينوري وقفة طويلة عند حركة المختار الثقفي، ولا أدري ما هو السبب في ذلك؟ إذ حاول أن يبين أثر هذه الحركة وكيف تطورت في الكوفة؟ وقد أشار بشكل صريح إلى اتباع المختار، وقال بأنهم من العجم، كما نوه بالجيش الذي قاده إبراهيم بن الأشتر، حيث سار لقتال جيش الخلافة الذي قاده الحصين بن نمير، حيث كان في هذا الجيش عشرون ألفًا

من أبناء الفرس ممن كانوا بالكوفة، وبذلك قدم لنا معلومات طريفة ومفيدة عن اتباع المختار ومراميهم.

وأشار الدينوري إلى أن الحجاج الثقفي لم يكن متصلبًا في رأيه عنيدًا، بل كان يعطي للقائد الميداني المقتدر صلاحيات واسعة. ودليلنا على ذلك، المهلب بن أبي صفرة عند قتاله للخوارج.

وأشار الدينوري إلى حركة ابن الأشعث وقدم لنا معلومات جيدة عن هذه الحركة، وأهدافها.

(وتاريخ اليعقوبي) لمؤلفه اليعقوبي (ت ٢٩٠ هـ) من المصادر المهمة التي لا مناص لأي باحث في التاريخ من الرجوع إليه برغم أن رواياته تكاد تكون معروفة في المصادر التاريخية الأخرى، وقد أفدنا منه عند التعرض لحركة المختار، حيث أشار إلى الكتاب الذي ادعى المختار الثقفي أن محمد ابن الحنفية قد أرسله إليه لكي ينقذه من أسر عبد الله بن الزبير. وكان من المفروض باليعقوبي أن يقف عند هذا الكتاب، لأنه كتاب مزور لاعتبارات معينة منها، أن الكتاب انفرد به اليعقوبي دون سائر المؤرخين الآخرين، علاوة على ذلك أن ابن الحنفية كان دائمًا ينكر ارتباطه بالمختار. في حين أن هذا الكتاب يشير في ظاهره إلى وجود صلة بين الطرفين.

كذلك أشار اليعقوبي إلى قول شبيب بن يزيد عندما دخل الكوفة إبان حركته في ولاية الحجاج، حيث ضرب شبيب باب قصر الحجاج وقال اخرج إلينا يا ابن رغال، حيث أراد أن يربط بين خيانة أبي رغال للعرب عندما أرشد أبرهة الحبشي إلى البيت الحرام، وبين مواقف الحجاج بن يوسف المساندة للأمويين، حيث عدّ شبيب الحجاج وأبا رغال من نسل واحد أي من ثقيف. إن النقد الداخلي لهذه الرواية يشخص الفرق بين خيانة أبي رغال حيث خان الأمة كلها، بينما الحجاج بن يوسف سار برعيته سيرة حسنة، برغم الإخفاقات التي حصلت له هنا وهناك فهو لم يخن الأمة وآزّر السلطة القائمة وعمل على المحافظة على وحدتها وعقيدتها.

وذكر لنا اليعقوبي رواية بين فيها اعتزاز الخلافة العباسية برمزها الخليفة العباسي أبي جعفر المنصور عندما مدح ولاة ثقيف بقوله: إن الملوك ثلاثة، معاوية وكفاه زياد، وعبد الملك بن مروان وكفاه الحجاج، وأنا ولا كافي لي. إذن هو إقرار من خصوم الأمويين بقدرة واقتدار ولاة ثقيف الذين تمثلوا بزياد بن عبيد الثقفي، والحجاج بن يوسف الثقفي.

ويعدّ كتاب الطبري (ت ٣١٠ هـ) (تاريخ الرسل والملوك) المصدر الرئيس لأي باحث في التاريخ الإسلامي، لأنه يذكر سلسلة من الروايات المسندة بحيث يعطي الباحث الحرية في الاختيار، مع المنهج الذي اختطه لبحثه. رغم أن الطبري لا يبدي رأيه في تلك الروايات، ولكنه يجعل الباحث حر التصرف من حيث أخذ هذه الرواية أو تلك، ومن ثم يعطيه الحرية في نقدها. وبقدر تعلق ذلك بموضوع بحثنا أشار الطبري إلى موضوع إسلام ثقيف، فعند قدوم الوفد على الرسول ﷺ ضرب لهم خيمة لكن الطبري حاول أن يشكك في الرواية فقال: كما يزعمون. والذي أعتقده أن أهمية ثقيف في المجتمع العربي آنذاك جعلت الرسول ﷺ يضرب لهم هذه الخيمة وبالتالي ليعطيهم منزلة خاصة دون الوفود الأخرى. وهذا بلا شك ينطلق من حرص الرسول ﷺ على إسلام هذه القبيلة بما تمثله من قوة ومكانة سواء كانت سياسية أو اقتصادية أو اجتماعية. ويمكننا أن نعلل قول الطبري كما يزعمون لأن وفد ثقيف جاء مع قبائل أخرى فلم يفرد الرسول ﷺ لهؤلاء الوفود أي خيمة مما جعل الطبري يضع الشك في ذلك.

وأشار الطبري كذلك إلى أن الرسول ﷺ قد أمر على الوفد الثقفي عند عودته عثمان بن أبي العاص الثقفي، وكان ذلك بإشارة من أبي بكر الصديق رضي الله عنه لأنه كان من أحرص أعضاء الوفد على التفقه بالدين، على حد قول أبي بكر الصديق رضي الله عنه. والنقد لهذا الخبر هو كم بقي الوفد في ضيافة الرسول ﷺ لكي يعطي أبو بكر رضي الله عنه هذا الرأي بشأن عثمان بن أبي العاص الثقفي؟ والذي اعتقده أن اندفاع عثمان الثقفي إلى ذلك لم يأت اعتباطًا أو من فراغ، بل جاء نتيجة لتأثر عثمان بالديانات السماوية الأخرى التي كانت معروفة آنذاك مما جعل عثمان الثقفي شغوفًا لمعرفة مفاهيم هذا الدين الجديد.

وقد أفدنا من (كتاب تاريخ الرسل) كذلك عندما قدم لنا معلومات غنية عن حركة المختار الثقفي، وكيف اتخذت هذه الحركة من آل البيت ستارًا لها، حيث انضوى تحت جناحها الكثير من العناصر غير العربية التي كانت حاقدة على العروبة والإسلام، حيث جاء حديث ابن مطيع الذي كان واليًا على الكوفة من قبل عبد الله بن الزبير إنما هم أراذلكم وسفهاؤكم وطغاتكم وأخساؤكم ما عدا الرجل أو الرجلين.

وقدّم الطبري معلومات مكثفة عن حركة شبيب بن يزيد وقوته، وكذلك بيّن لنا مطامح هذا الرجل الشخصية عندما لقّب نفسه بأمير المؤمنين. والذي أعتقده أنه بولع

في قوة هذه الحركة من حيث عدد أفراد الجيش، إذ كيف تمكّنت فئة قليلة منهم أن تهزم جيشًا كبيرًا منظمًا حتى وإن استعملت حرب الكرّ والفر فالمبالغة موجودة في ذلك.

وأشار الطبري إلى حركة مطرف بن المغيرة بن شعبة، وقدم معلومات غنية عن هذه الحركة، فهي لم تكن حركة ذات مصالح شخصية بقدر ما كانت حركة حاولت أن تستنهض في الأمة تراثها وتاريخها من خلال الرجوع إلى الشورى لكي تركن الأمة إلى الهدوء والطمأنينة.

ولكن الذي استوقفنا في هذا الصدد هو لماذا لم يزودنا الطبري بمعلومات عن حملة محمد بن القاسم الثقفي إلى السند؟ علمًا بأن محمد بن القاسم الثقفي قد قدم للأمة والإسلام خدمة جليلة فكان الأجدر بالطبري أن يخلد اسمه وجهوده في فتح السند في سفره الخالد.

ويمثل ابن أعثم الكوفي (ت ٣١٤ هـ) في كتابه (الفتوح) مصدرًا مهمًا، حيث أشار إلى وصية أبي عبيد الثقفي عندما قاد المسلمين في معركة الجسر وأوصى أن يكون بعده ولده إن استشهد وإن استشهد هذا فولده الآخر حتى عدد سبعة قادة من ثقيف كان آخرهم أبو محجن الثقفي.

كما تطرّق ابن أعثم إلى حصار الحجاج بن يوسف للكعبة حيث كان عبد الله بن الزبير يتخذها ملاذًا له، وقد أشار إلى استعمال الحجاج للنفط في هذا الحصار، وهي إشارة لا بد من أن نقف بحذر حيالها، لأنها لم ترد عند مؤرخين آخرين، وبالتالي أراد ابن أعثم تحميل الحجاج مسؤولية احتراق الكعبة.

وتطرّق ابن أعثم إلى حركة شبيب بن يزيد وأشار بشكل غير مباشر إلى سبب خروجه عندما أنكر الخليفة عبد الملك بن مروان معرفته له، وكذلك عدم إلحاقه بقومه من أهل الشرف في فرض الفروض، فلما أنكر عبد الملك معرفته له قال شبيب بن يزيد أرجو أن يعرفني بعد هذا اليوم إن شاء الله. والذي نراه أن هذا غير جائز. وهل يعقل أن يكون سبب خروج شبيب ماديًا فقط، لقد كانت حركته من القوة بحيث هزم عددًا من الجيوش (النظامية) وقد لقب نفسه أمير المؤمنين، فهل كان وراء ذلك كله هو إنكار الخليفة عبد الملك بن مروان له وبالتالي فلم يعطه العطاء؟

أما كتاب (العقد الفريد) لمؤلفه ابن عبد ربه (ت ٣٢٨ هـ) فهو ليس مصدرًا تاريخيًا فحسب، بل هو سفر موسوعي، فهو إلى جانب التاريخ يضم أخبارًا علمية وفلسفية وطبية وأدبية وغيرها. على الرغم من أن مؤلفه كان بعيدًا عن الأحداث من حيث المكان، لكنه كان موفقًا في كثير من أخباره. فقد أورد لنا ابن عبد ربه المحاورة التي جرت بين الحارث بن كلدة طبيب العرب، وكسرى أنو شروان ملك الفرس، وبين لنا كيف كانت ردود الحارث الثقفي لكسرى، حيث كانت أجوبة علمية بحتة، وقد كان متمكنًا منها.

وكذلك أشار بصورة واضحة إلى حركة المختار، وقال إنما أراد أن يستأصل الناس. فلما أدرك بغيته أظهر للناس قبح نيته، فادعى النبوة وأن ما يقاسيه من تكذيب له حصل للأنبياء الذين سبقوه، وهو بذلك أراد أن يستغل الدين لمنفعة خاصة وتحقيق مآرب شخصية ليزيد من عدد اتباعه.

ويمثّل المسعودي (ت ٣٤٦ هـ) في كتابه «مروج الذهب ومعادن الجوهر» مصدرًا آخر عولنا عليه في بحثنا حيث أشار إلى انتشار التوحيد في بعض عوائل ثقيف وبرز منهم الشاعر أمية بن أبي الصلت الثقفي لأنه كان يردد شعرًا فيه صيغ وألفاظ وتعابير أشار إليها القرآن الكريم.

كما تطرّق المسعودي إلى نسب زياد، حيث تكاد تكون مسألة إلحاق زياد بأبي سفيان عند المسعودي مرتبكة وضعيفة، لأنه سرد إلينا أبياتًا من الشعر رددها أبو سفيان مع قول لبعض الشهود أتى بهم معاوية، وغض النظر عن مقولة زياد للمغيرة بن شعبة (أأغرس عودًا في غير منبته ولا مدرة فتحييه ولا عرق فيسقيه). فكان من المفروض بالمسعودي أن يقف عند هذا الكلام وينظر فيه نظرة المؤرخ الثاقبة الناقدة للشعر الذي اعتمد عليه معاوية وكلام زياد، لأن زيادًا قد بلغ من العمر أربعة وأربعين عامًا.

وساق لنا المسعودي رواية عن الحجاج الثقفي بين فيها حبه للدم منذ كان طفلًا، فكان عليه أن يرد هذه الرواية وأن ينقدها ويبين عدم صحتها، ولكنه كما يتبين لي أرادها حجة على الحجاج ليبين حبه لسفك الدماء منذ الصغر.

وأشار كذلك في رواية أخرى إلى عمال الحجاج وكيف كان يهابه الناس ويخافونه، ولم يقف عندها ليبين لنا دوافع هذا الخوف هل كانت لشخصه أم رهبة من الموت أم كان يحاسبهم حسابًا عسيرًا؛ وعلى العموم كانت روايات المسعودي قصيرة مقتضبة ترد في كثير من الأحيان دون إسناد، وهذا ما يجعلها ضعيفة، وكذلك خالية

من النقد التاريخي لها، أي أن المسعودي كان يورد لنا الرواية دون وقفة منه لبيان رأيه وتحليله لها.

أما ابن الأثير (ت ٦٣٠ هـ) في كتابه (الكامل في التاريخ) الذي يعدّ متأخرًا بالنسبة إلى دراستنا فقد ألم بالكثير من الروايات التاريخية في سفره من خلال اطلاعه على المصادر التي سبقته وكذلك التي عاصرته، فجاءت رواياته ضمن سياق متواصل ومتكامل مما يسهل على الباحث سهولة متابعة الحدث التاريخي، فكانت متكاملة من حيث منطقها التاريخي السليم، فأشار إلى اشتراك عدد من الثقفيين في معركة القادسية سنة ١٤ هـ/ ٦٣٥ م. ومنهم زياد بن عبيد حيث كان كاتبًا في القادسية.

وأورد لنا ابن الأثير رواية تاريخية أشار فيها إلى اعتزال ثقيف معركة الجمل سنة ٣٦ هـ/ ٦٥٦ م وهو بهذه الرواية قد أنصف ثقيف كذلك أشار ابن الأثير إلى موقف المغيرة بن شعبة حين اعتزل الصراع السياسي بين الإمام علي بن أبي طالب رضي الله عنه ومعاوية بن أبي سفيان، حيث رأى المغيرة بثاقب بصيرته أن الحكمين لا يلتقيان، حيث أشار إلى أن هذين لا يجتمعان على أمر واحد.

وسلّط ابن الأثير الضوء على حركة زيد بن علي بن الحسين في ولاية يوسف الثقفي وكيف كانت نهايته، وأشار بشكل مفصل إلى عمليات الفتح التي جرت في المشرق الإسلامي.

أما كتاب (الفخري في الآداب السلطانية) لابن الطقطقي (ت ٧٠٩ هـ) فإنه أشار بشكل صريح إلى ما قام به الخليفة المهدي حيث عمل على رد نسب زياد إلى عبيد الثقفي وأسقط ذرية زياد من ديوان قريش، وبرغم أهمية إيراد هذه الرواية لكنه يفتقر إلى الأسباب والدلائل التي اعتمد عليها الخليفة المهدي في عملية رد نسب زياد إلى عبيد وحذفه من قريش لأنه كان ينتمي إلى أبي سفيان، وقد كتب المهدي بذلك فاعتمد ما رسم به.

أما ابن حجر (ت ٨٢٥ هـ) في كتابيه (الإصابة في تمييز الصحابة) و(تهذيب التهذيب) فيعدان من كتب التراجم المهمة التي زودتنا بأسماء رجالات ثقيف من العلماء والمحدثين والنحويين والقادة الإداريين والعسكريين.

ومن المراجع التي اعتمدنا عليها رسالة الماجستير للسيد عبد الجبار منسي العبيدي الموسومة (مدينة الطائف ودور قبيلة ثقيف من العصر الجاهلي الأخير حتى

قيام الدولة الأموية) فهي رسالة واسعة ضمت أبوابًا كثيرة وقف عندها الباحث وقفات طويلة خاصة عند دور ثقيف قبل الإسلام، وتناول في بعض الأحيان بالتحليل دورها خلال تلك الحقبة الزمنية. وهذا جعلني لا أقف عندها لكي لا يكون هناك تكرار.

أما في حقبة صدر الإسلام والخلافة الراشدية فإنه لم يقف وقفات طويلة عند هذا الموضوع لأن هناك أكثر من موقف يحتاج إلى أكثر من وقفة من حيث التحليل والاستنتاج. وقد وقفت في بعض الأحيان عند بعضها بالتحليل والاستنتاج والرأي وفي كل الأحوال فإن هذه الرسالة كانت خير معين في إرساء القاعدة الأساسية في بحثي، فقد تكفّلت بجوانب كثيرة لم أشأ أن أقف عندها مرة أخرى، وحاولت جاهدًا أن أشقّ طريقًا خاصًا بي في إعداد بحثي وما يتلاءم مع المنهجية التي وضعتها في إعداده محاولًا أن يكون لبحثي هذا خاصيته ومنهجيته المتميزة.

تأكيد فإن هناك الكثير من المراجع والمصادر الأخرى التي كانت خير كون لنا في إعداد هذا البحث، ولكن فضلنا أن نقف عند بعضها لأن من الصعوبة تناولها جميعًا لأن ذلك يتطلب إضافة فصل جديد للبحث. ويستطيع القارىء أن يرجع إلى «جريدة المصادر» التي وضعناها في آخر هذا البحث.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.



# التمهيد

# نبذة عامّة عن الطائف

اسم الطائف

موقع الطائف

أهم أودية الطائف ومناطقها

علاقة ثقيف بالطائف

نسب ثقيف وبطونها

ديانة ثقيف

علاقة الطائف بمكة والمناطق الأخرى

# نبذة عامّة عن الطائف

## اسم الطائف

لم تكن الطائف تعرف سابقًا إلا بوج، فلما تم بناؤها وتحصينها، وبنيت حولها الأسوار سميت الطائف[1]. وقيل إنها سميت الطائف لأن الطوفان الذي حدث في عهد النبي نوح عليه السلام قطعها من الشام ثم حملها الماء حتى رست في الموضع الذي به الآن[2]. وأشار بعضهم إلى أن تسمية الطائف جاءت من قوله تعالى في سورة القلم: ﴿فَطَافَ عَلَيْهَا طَآئِفٌ مِّن رَّبِّكَ وَهُمْ نَآئِمُونَ ۝١٩﴾ [القلم: الآية ١٩]. حيث كان الطائف جبريل عليه السلام فاقتلعها من موضعها، ثم سار بها إلى مكة حيث طاف بها حول البيت، ثم أنزلها حيث هي اليوم وكان موضعها القديم بضوران[3] على فراسخ

---

(١) أبو الحسن أحمد بن يحيىٰ بن جابر بن داود البلاذري، فتوح البلدان ط ١، المطبعة المصرية بالأزهر، (مصر، لا.ت) ص ٦٧. أبو الفرج قدامة بن جعفر بن قدامة بن زياد، الخراج وصناعة الكتابة، ط ١، شرح وتعليق د. محمد حسين الزبيدي، دار الرشيد (بغداد/ ١٩٨١)، ص ٢٦٩. شهاب الدين أبي عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي البغدادي، معجم البلدان، ج ٤، دار بيروت، دار صادر، (بيروت/ ١٩٥٧)، ص ٩. صفي الدين عبد المؤمن بن عبد الحق البغدادي، مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع، ج ٢، ط ١، تحقيق علي محمد البجاوي، دار احياء الكتب العربية، (مصر/ ١٩٥٤) ص ٨٧٧. أحمد بن علي القلقشندي، صبح الأعشى في صناعة الإنشا، ج ٤، ط ١١، شرحه محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية، (بيروت/ ١٩٨٧) ص ٢٦٤. عبد الله بن محمد بن خميس، المجاز بين اليمامة والحجاز، ط ١، دار اليمامة، (الرياض/ ١٩٧٠) ص ٢٦٤.

(٢) القلقشندي، صبح الأعشى، ج ٤، ص ٢٦٤. لامنس، «مادة الطائف» دائرة المعارف الإسلامية.

(٣) ضوران: من حصون اليمن لبني الهرش: ينظر (ياقوت، معجم البلدان، ج ٣، ص ٤٦٤.

من صنعاء[١]. وأرجح الرأي الذي يرى أن الطائف عرفت سابقًا بوج، وبعد بنائها وتحصينها سميت الطائف، أقرب ما يكون إلى الصواب، لأنه مقبول من الناحية العقلية والعلمية وفضلًا عن ذلك فقد تغنى الشعراء قديمًا باسم وج، وليس بالطائف فهذا أبو الصلت والد أمية بن أبي الصلت يصفها في قوله:

نحنُ المبنون في وج على شرف     تلقى لنا شفعًا منه وأركانا
إنا لنحنُ نسوق العير أونة     بنسوة شعث يزجين ولدانا[٢]

## موقع الطائف

تعد الطائف من أغنى مناطق الحجاز وأشهرها، لما تتمتع به من موقع متميز، وما حباها الله تعالى به من خيرات ونعم. وهي تقع على مسيرة ٧٥ ميلًا تقريبًا جنوبي شرقي مكة، وترتفع حوالي ٥٠٠٠ قدم فوق مستوى سطح البحر[٣]. وهذا الموقع جعلها مصيفًا للفئة الأرستقراطية المكية[٤]. وهذا بلا شك يعود إلى طبيعة المناخ الذي كان يسود مكة، حيث الحر الشديد، مما جعل أغنياء مكة يجدون في الطائف ملاذًا لهم من ذلك الحر الذي لا يكاد يطاق لأن الطائف عرفت باعتدال مناخها فأطلق عليها بستان العرب[٥].

وقد استفاد أهل الطائف من تلك المميزات التي عرفت بها مدينتهم، فجعلوا منها مدينة غنية، احتلت موقعًا تجاريًا مميزًا[٦]. حتى تبدو للناظر أنها تنافس مكة، وإن لم تصل إلى ما وصلت إليه مكة من نفوذ سياسي وديني وتجاري.

(١) أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله الغثعمي السهيلي، الروض الآنف، ج ٢، ط ١، المطبعة الجمالية (مصر/ ١٩١٤)، ص ٣٠١.
(٢) ياقوت، معجم البلدان، ج ٥، ص ٣٦١.
(٣) لامنس، «مادة الطائف»، دائرة المعارف الإسلامية. عمر فروخ، تاريخ صدر الإسلام والدولة الأموية، ط ٤، دار العلم للملايين، (بيروت/ ١٩٧٩) ص ٤٨.
(٤) فيليب حتي، تاريخ العرب مطول، ج ١، ط ١، ترجمة الدكتور أدورد جرجي ود. جبرائيل جبور، دار الكشاف، (بيروت/ ١٩٥٢) ص ١٤٣. أبو الحسن علي الحسني الندوي، السيرة النبوية، المطبعة العصرية، (بيروت/ ١٩٧٩) ص ١٦٤.
(٥) نظير حسان سعداوي، الدولة العربية الإسلامية، ط ١، دار النهضة العربية، (القاهرة/ ١٩٦٧)، ص ٣.
(٦) فروخ، تاريخ صدر الإسلام، ص ٤٨.

واشتهرت الطائف بزراعة الكروم والفرسك والرمان[١]. ولهذا قيل «إن أطيب الطعام عنب قطيف أصابه الخريف بوادي ثقيف»[٢].

والطائف علاوة على كثرة بساتينها فإنها تتميز بطيب هوائها، لوقوعها على مرتفع جبل غزوان، حيث يقال إن الماء ربما جمد على قمة هذا الجبل[٣]. «وكان إذا تأذى ملوك مكة بالحرّ خرجوا إليها»[٤]. ويقصد بتعبير ملوك مكة العائلات ذات المكانة الرفيعة والمستوى الاجتماعي والاقتصادي الرفيع. فهذا صخر بن حرب أبو سفيان قد تعود أن يقضي فصل الصيف بالطائف وفصل الشتاء بمكة، وقد وصفت زينب بنت يوسف أخت الحجاج الثقفي بأنها كانت ذات مال وخير فقيل:

تشتو بمكة نعمة ومصيفها بالطائف[٥]

وأخال أن عملية الزراعة فيها كانت منظمة تنظيمًا جيدًا، وذلك من خلال اهتمام أهلها بمشاريع الري فقد كان في الطائف سبعون سدًا لخزن المياه كانت تسهم في عملية الإنتاج الزراعي إسهامًا فاعلًا[٦].

وانفردت الطائف بالماء والشجر دون الأرض التي حولها[٧]. وقد ساعد ذلك على إقامة زراعة ناهضة في هذه المنطقة، مكنها من إمداد المناطق المجاورة بما كانت تحتاج إليه من منتوجات زراعية وغيرها. وكانت تزود مكة بالفواكه[٨].

---

(١) يحيىٰ بن آدم القرشي، الخراج، صححه وشرحه أحمد محمد شاكر، المطبعة السلفية، (القاهرة/١٣٤٧ هـ)، ص ١٥.

(٢) أبو بكر أحمد بن محمد الهمداني، مختصر كتاب البلدان، مطبعة بريل (ليدن/ ١٣٠٢ هـ) ص ١٣٦.

(٣) أبو إسحٰق إبراهيم بن محمد الإصطخري، مسالك الممالك، تحقيق د. محمد جابر عبد العال الحسيني، مطابع دار القلم، (مصر/ ١٩٦١) ص ٢٤. ابن حوقل، محمد بن علي النصيبي، صورة الأرض، ق ٢، ط ٢، بريل، (ليدن/١٩٣٨)، ص ٣٢. عماد الدين إسماعيل بن الملك الأفضل نور الدين، تقويم البلدان، اعتنى به رينود والبارون كوكين ديسلان، دار الطباعة السلطانية، (باريس/ ١٨٤٠) ص ٩٥. القلقشندي، صبح الأعشى، ج ٤، ص ٢٦٤.

(٤) أبو عبد الله محمد بن أحمد المقدسي، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، ط ٢، بريل، (ليدن/ ١٩٠٦)، ص ٧٩.

(٥) ياقوت، معجم البلدان، ج ٤، ص ١٢. (٦) خميس، المجاز، ص ٢٥٦.

(٧) السهيلي، الروض الأنف، ج ٢، ص ٣٠١.

(٨) ياقوت، معجم البلدان، ج ٤، ص ٩.

وتمد الحجاز بما تحتاج إليه من سلع خاصة الحنطة والأخشاب والخمر[١].

وفضلًا عما ما عرفت به الطائف من كونها أرضًا زراعية خصبة؛ فإنها كانت منطقة صناعية شبه متكاملة، كانت تلبي جل حاجة أبنائها، فضلًا عن تصدير الفائض إلى خارجها. وقد ساعد ذلك على إقامة أقوى العلاقات مع المناطق المجاورة لها خاصة مكة واشتهرت الطائف بإنتاج العسل[٢]. وكما عرفت بإنتاج أنواع جيدة من العنب الذي كانت تجود به أرضها فعرفت بصناعة النبيذ[٣]. وكانت الصناعة التي اشتهرت بها الطائف وعرفت بها هي دبغ الجلود. ويعتقد بعضهم أن هذه الصناعة كانت تعكر جو الطائف برائحتها الكريهة[٤]. واعتقد أن أهل الطائف كانوا حريصين على أن تبقى مدينتهم ملاذًا لكل الهاربين من شدة حر مكة، فإنهم جعلوا فضلات عملية دبغ الجلود ومياهها تنساب إلى وادي وج محاولين إبعاد تأثيرها وأضرارها عن المناطق السكنية[٥]. وبذلك جنبوا المناطق الأخرى تأثرها بهذه الرائحة وهذا يقودنا إلى الاعتقاد بأن عملية الدباغة كانت تجري في مناطق مخصصة لها، وربما يشرف عليها بعض الأفراد والذين يعملون على تنظيم هذه العملية.

ومما يؤكد تفوق الطائف بهذه الصناعة أن جميع الصناعات الجلدية التي كانت قائمة في الحجاز مصدرها الطائف[٦].

وليس هذا فحسب بل أن رجالات الطائف قد تعلموا صناعة الدبابات والمجانيق والصنبور[٧]. وبذلك أضافوا خبرة جديدة لأهل مدينة الطائف، ووفروا لها الحماية الذاتية إذا ما تعرضت للعدوان.

---

(١) لامنس، «مادة الطائف»، دائرة المعارف الإسلامية.

(٢) أبو يوسف يعقوب بن إبراهيم، الخراج، ط ٢، المطبعة السلفية، (القاهرة/ ١٣٥٢ هـ) ص ٥٥.

(٣) أبو عثمان عمر بن بحر الجاحظ، الحيوان، ج ٣، ط ١، تحقيق عبد السلام محمد هارون، مطبعة مصطفى البابي، (مصر/١٩٣٨)، ص ٣٤٨.

(٤) لامنس، «مادة الطائف»، دائرة المعارف الإسلامية.

(٥) المقدسي، أحسن التقاسيم، ص: ٧.

(٦) مونتجمري وات، محمد في مكة، تعريب شعبان بركات، المطبعة العصرية، (بيروت/ ١٩٥٢)، ص ٢٠.

(٧) السهيلي، الروض الأنف، ج ٢، ص ٣٠١. (الصنبور): أداة مصنوعة من حديد ورصاص. ينظر (أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور، لسان العرب، دار صادر، دار بيروت، (بيروت/ ١٩٥٦) مادة (صنبر).

## أهم أودية الطائف ومناطقها

الطائف مدينة قديمة، ومن أهم أوديتها وادي برد وفيه حائطان لزبيدة ويسمى موضعها وج. وفيه قال الرسول ﷺ وج على ترعة من ترع الجنة[١]. وفي شرق الطائف واد يسمى آلية يسكنه بنو نصر من هوازن. وعن يمين الطائف واد يسمى جفن، وهو لثقيف. ومن قبلة الطائف واد يقال له مشريق، يعود لبني أمية، وواد يدعى جلذان يسكنه بنو هلال[٢]. وهناك واد يسمى الشديق بأرض الطائف[٣]. وكذلك وادي نعمان وقد غزاه النبي ﷺ وهو بين مكة والطائف. فقال بعض الأعراب فيه:

ألا أيها الركب اليمانيون عرّجوا    علينا فقد أضحى هوانا يمانيا
نسائلكم هل سأل نعمان بعدنا    وحب إلينا بطن نعمان واديا
عهدنا به صيدًا كثيرًا ومشربًا    به ننقع القلب الذي كان صاديا[٤]

وفضلًا عن وادي نخب[٥]، وقد وصف وادي جفن من قبل محمد بن عبد الله النمري ثم الثقفي:

طربت وهاجتك المنازل من جفن    إلا ربما يعتادك الشوق بالحزن[٦]

والهدة جبل قرب الطائف على طريق مكة، يتنزه به أهل الطائف عصرًا، وتكثر في هذه المنطقة القرود[٧].

ولاعتدال مناخ هذه المنطقة يكثر فيها التين والرمان واللوز والسفرجل، وهي ذات مياه عذبة باردة قليلة المطر نسبيًا[٨].

---

(١) أحمد بن علي بن أبي بكر الميورقي، بهجة المهج في بعض فضائل الطائف ووج، مخطوط في وزارة الأوقاف تحت رقم ٤٧٩٦، ورقة رقم ١٢٩. حسن بن علي العجيمي، رسالة في فضل وج الطائف، مخطوط في وزارة الأوقاف تحت رقم ٤٧٩٦، ورقة رقم ١٢٣.
(٢) أبو محمد الحسن بن أحمد الهمداني، صفة جزيرة العرب، تحقيق محمد بن علي الأكوع، دار الشؤون الثقافية العامة، (بغداد/ ١٩٨٩)، ص ٢٣٣.
(٣) ياقوت، معجم البلدان، ج ٣، ص ٣٢٩.
(٤) ياقوت، معجم البلدان، ج ٥، ص ٢٩٣. (٥) ن.م، ج ٥، ص ٢٧٥.
(٦) ن.م، ج ٢، ص ١٤٧. (٧) ن.م، ج ٥، ص ٣٦٥.
(٨) عمر رضا كحالة، جغرافية شبه جزيرة العرب، المطبعة الهاشمية، (دمشق/ ١٩٤٤) ص ١٩٣ ـ ١٩٤.

كذلك هناك قرية الوهط وهي على مسافة ثلاثة أميال من وج وكانت ملكًا لعمرو بن العاص[(١)]. وقرية تسمى عرج بالطائف بينها وبين المدينة المنورة ثمانية وسبعون ميلًا، وإليها ينسب الشاعر عبد الله بن عمر بن عبد الله بن عمرو بن عثمان بن عفان المعروف بالعرجي[(٢)].

ومن أوديتها كذلك وادي لقيم وهو واد خصب كثير المزارع والقرى[(٣)]. إن هذا الموقع الحيوي للطائف جعلها تتميز عن باقي مدن الحجاز بميزات قلما نجدها في مدن الحجاز الأخرى، فضلًا عما تتمتع به من خيرات وموارد اقتصادية واسعة، وطبيعة خلابة، جذبت أنظار مترفي الحجاز إليها للاصطياف بها، وحظيت بموقع ديني متميز، وإن لم تصل إلى ما وصلت إليه مكة المكرمة في هذا الشأن، فضلًا عن علو مرتبة رجالها، وما تمتعوا به من مكانة رفيعة بين رجالات القبائل العربية الأخرى. كل هذه العوامل وغيرها أسهمت في رفع شأن الطائف من خلال الثقفيين.

## علاقة ثقيف بالطائف

ترتبط ثقيف بالطائف ارتباطًا وثيقًا، حتى يخيل للبعض أنه إذا قيل ثقيف كان يقصد بها الطائف وبالعكس. فالعلاقة صميمية بينهما، حتى ظن بعض الباحثين أن الثقفيين كانوا أول من سكن الطائف واستقر بها منذ أن وجدت الطائف على وجه البسيطة. ولكن هذا خلاف الحقيقة التاريخية لأنه سبق من سكن الطائف قبل الثقفيين. وقد سكن عمليق وهو أبو العماليق من أحفاد نبينا نوح عليه السلام الطائف[(٤)]. ويقال إن وادي وج يسمى بهذا الاسم نسبة إلى وج بن عبد الحق وهو من العمالقة[(٥)]. ثم نزلت في الطائف بعد ذلك ثمود[(٦)]. وبعدهم جاء بنو عامر بن الضرب، وترك من بعده ابنتيه زينب وعمرة. وكان قسي بن منبه قد خطب منه ابنته زينب فولدت له جشمًا وعوف. وبعد موت عامر بن الضرب ماتت زينب فتزوج قسي أختها عمرة،

---

(١) ياقوت، معجم البلدان، ج ٥، ص ٣٨٦. (٢) ن.م، ج ٤، ص ٩٨ ـ ٩٩.
(٣) كحالة، جغرافية، ص ١٩٣.
(٤) أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج ١، ط ٤، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف (مصر/ ١٩٥٨) ص ٢٠٣.
(٥) ياقوت، معجم البلدان، ج ٥، ص ٣٦١.
(٦) عبد الرحمٰن بن خلدون، العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، ج ٢، دار الكتاب اللبناني، (بيروت، ١٩٥٦) ص ٦٤١.

وكانت متزوجة قبله صعصعة بن معاوية بن بكر بن هوازن فأنجبت منه عامر بن صعصعة، وقد أصبحت الطائف بين ولد قسي وهو ثقيف وولد عامر بن صعصعة[١].

لقد تطورت العلاقة بين بني عامر وثقيف (وهو قسي بن منبه)[٢] حتى وزعوا أعمالهم بينهم؛ فاتجه بنو عامر إلى تربية الإبل والماشية، ومارست ثقيف الزراعة على أن تدفع إلى بني عامر نصف إنتاجها الزراعي[٣]. وهذا يفيدنا في تقرير ما ذهبنا إليه من احتمال أن الأرض أي الطائف كانت لبني عامر قبل أن يسكنها الثقفيون. إذ إن دفع نصف الإنتاج يوحي أن رقبة الملكية ليست لمستثمر الأرض.

وقد اشتدت شوكة ثقيف، وبرز اسمها بين القبائل العربية، حتى حسدتها وطمعت بها قبائل أخرى، فطلب الثقفيون المساعدة من أبناء عمومتهم بشيء عامر، فلم يغيثوهم، فأجمع بنو ثقيف على بناء حائط لهم يكون كالحصن المنيع لأرضهم سموه الطائف لإطافته بهم، وقد جاء بنو عامر كما تعودوا ليأخذوا نصيبهم من إنتاج الأرض فامتنع الثقفيون عن ذلك، وجرت بين الطرفين معارك كانت الغلبة فيها للثقفيين وتفردوا بالطائف[٤]. حتى ضرب بهم المثل، فقال أبو طالب بن عبد المطلب:

منعنا أرضنا من كل حيّ ... كما امتنعت بطائفها ثقيفُ
أتاهم معشرٌ كي يسلبوهم ... فحالت دون ذلكم السيوفُ[٣]

حتى أن الخليفة سليمان بن عبد الملك (٩٦ هـ - ٩٩ هـ/ ٧١٤ - ٧١٧ م) عندما مر بالطائف ورأى أعنابها حسد أهلها، فقال لله درّ قسي بأي عشٍّ وضع أفرخه[٥]. وهذا يؤكد ما ذهبنا إليه أن الطائف لم تسكن من قبل ثقيف أولًا بل سكنت من قبل أناس آخرين قبلهم. ثم جاء الثقفيون واستقروا بها فغلبوا على من سواهم في هذا الشأن فأصبحت الطائف أرض ثقيف.

وقد امتازت أرض ثقيف بالخصب، وطيب الهواء، وفضلًا عن ذلك فقد امتاز

---

(١) ياقوت، معجم البلدان، ج ٤، ص ١١.
(٢) أبو محمد عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري، السيرة النبوية، ق ١، حققها مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري وعبد الحفيظ شلبي، مطبعة وأوفسيت منير (بغداد، ١٩٨٦)، ص ٤٧.
(٣) ياقوت، معجم البلدان، ج ٤، ص ١١. (٤) ن.م، ج ٤، ص ١١.
(٥) ابن الفقيه، مختصر، ص ٢٢. أحمد بن محمد بن عبد ربه الأندلسي العقد الفريد، ج ٧، ط ١، تحقيق محمد سعيد العريان، مطبعة الاستقامة، (القاهرة/ ١٩٤٠)، ص ٢٨٣.

الثقفيون بشعرهم وإن كان قليلًا فهو يدل على موهبة شعرية أصيلة متمكّنة[١]. وكيف لا وهم أبناء أمة عرفت واشتهرت بالشعر، وقد أضافت لهم الطبيعة التي عاشوا فيها جوًّا جديدًا أسهم في بلورة موهبتهم الشعرية، وصقل قدراتهم الفنية.

## نسب ثقيف وبطونها

اختلف في نسب ثقيف اختلافًا واسعًا، ومرد هذا الاختلاف كما يراه بعضهم يرجع إلى سياسة بعض الولاة الثقفيين. كزياد الثقفي والحجاج بن يوسف الثقفي وغيرهما، وما كان يتّصف به حكمهم من شدة وقسوة. كل ذلك جعل معظم النسابين يوردون الكثير عن أصولهم فلم يستقروا على رأي واحد بشأن نسبهم[٢]. كما أورد بعضهم قولًا عن الرسول ﷺ بأنه سمّى ثلاث قبائل كرهها وهي، بني ثقيف، وبني حنيفة، وبني أمية[٣]. وبالتأكيد فإن هذا القول مردود لأنه منسوب إلى النبي ﷺ. لأن الرسول ﷺ بعد أن وجد أنه ليست هناك جدوى من حصار الطائف فك الحصار عنها، فدعى عليها أللهم أتي بهم، أما الشاعر الفرزدق الذي لم يكن صديقًا للحجاج فقد عد الانحدار من ثقيف جديرًا بالثناء[٤].

وقد حاول بعض الدارسين المحدثين تسليط الضوء على نسب قبيلة ثقيف ولكن في هذه الومضة من الدراسة حاول الباحث أن يتعمق أكثر في التفاصيل غير المجدية مما جعل الدراسة مربكة للقارىء لأنه تناول في أربع صفحات دراسة الرأي الذي يقول إنهم من بقايا ثمود فدخل في تفاصيل كان يمكن الاستغناء عنها[٥].

وفي معرض استعراضه للآراء التي قيلت بشأن نسب ثقيف انتهى إلى الرأي الذي يقول إنهم من هوازن[٦]. دون أن يقدم لنا السند الذي استند إليه.

(١) الجاحظ، الحيوان، ج ٤، ص ٣٨٠.

(٢) إحسان النص، العصبية القبلية وأثرها في الشعر الأموي، دار اليقظة العربية (القاهرة، ١٩٦٣)، ص ٤٢.

(٣) IGNAZ GOLD ZIHER. Muslim studies, v, one (London; 1967) p.97.

(٤) Ibid, p. 97.

(٥) عبد الجبار منسي العبيدي مدينة الطائف ودور قبيلة ثقيف من العصر الجاهلي الأخير حتى قيام الدولة الأموية، رسالة مكتوبة على الآلة الطابعة، كلية الآداب، جامعة الكويت، ١٩٧٦، ص ٢٠ ـ ٢٣.

(٦) العبيدي، مدينة الطائف، ص ١٨ ـ ٢٣.

وسأحاول هنا أن أسلط الضوء على نسب ثقيف، ولن أقف وقفات طويلة عند هذا الموضوع لأنه بحث من قبل باحثين آخرين. ومما قيل في نسب ثقيف أنه يرجع إلى أياد فهو قسي بن النبيت بن منبه بن منصور بن يقدم بن أفصى بن دعمي بن أياد بن معد بن عدنان[١].

وقال أمية بن أبي الصلت الثقفي:

قومي إيادُ لو أنهمْ أممَ ... أو لو أقاموا فتُهزل النعم
قوم لهم ساحة العراق إذا ... ساروا جميعًا والقطّ والقَلم[٢]

وقال شبيب بن يزيد الشيباني عندما دخل الكوفة في ولاية الحجاج الثقفي (٧٥ - ٩٥ هـ/ ٦٩٤ - ٧١٣ م) وضرب قصر الحجاج بعمود كان بيده:

عبدٌ دعي من ثمود أصله ... لا بل يقال أبو أبيهم يقدُمُ

على أساس أن أصلهم من أياد[٣].

ويرى بعضهم أنهم من بقايا ثمود[٤]. وكان الحجاج الثقفي ينكر

---

(١) ابن هشام، السيرة، ق ١، ص ٤٦. أبو عبد الله محمد بن مسلم بن قتيبة الدينوري، المعارف، حققه ثروت عكاشة، دار الكتب (القاهرة/ ١٩٦٠)، ص ٦٤. أبو محمد أحمد بن أعثم الكوفي، الفتوح، ج ٧، ط ١، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية، (حيدر آباد، ١٩٧٥)، ص ٢١. أبو الفرج علي بن الحسين بن محمد بن أحمد بن الهيثم بن عبد الرحمٰن القرشي الأموي، الأغاني، ج ٤، ط ٣، تحقيق عبد الستار أحمد فراج، دار الثقافة، (بيروت: ١٩٧١)، ص ٣٠٤. أبو عبيد الله محمد بن عمران بن موسى المرزباني، معجم الشعراء، ط ١، تحقيق عبد الستار أحمد فراج، دار إحياء الكتب العربية، (مصر: ١٩٦٠)، ص ٢٢١. زين الدين عمر بن مظفر الشهير بابن الوردي، تاريخ ابن الوردي، ج ١، ط ٢، المطبعة الحيدرية، (النجف/ ١٩٦٩)، ص ١٢٣.

(٢) ابن هشام، السيرة، ق ١، ص ٤٧. أبو عمر يوسف بن عبد البر النمري، الأنباه على قبائل الرواة، المطبعة الحيدرية، (النجف/ ١٩٦٦)، ص ٩٣. لم نعثر عن الشعر في ديوان أمية بن أبي الصلت الثقفي، تحقيق بهجة الحديثي، مطبعة العاني، (بغداد/ ١٩٧٥).

(٣) عز الدين أبي الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن الأثير، الكامل في التاريخ، ج ٤، دار بيروت، دار صادر، بيروت/ ١٩٦٧)، ص ٤٠٧.

(٤) الجاحظ، البيان والتبيين، ج ١، ط ٥، تحقيق عبد السلام محمد هارون، مطبعة المدني، (مصر/ ١٩٨٥)، ص ١٨٨. ابن أعثم الكوفي، الفتوح، ج ٧، ص ٢١. أبو الفرج الأصفهاني، الأغاني، ج ٤، ص ٣٠٤. أبو حيان علي بن محمد بن عباس التوحيدي، البصائر والذخائر، ط ١، تحقيق أحمد أمين والسيد أحمد الصقر، مطبعة لجنة التأليف=

ذلك[١]. ويقول قال تعالى: ﴿وَثَمُودَا۟ فَمَآ أَبْقَىٰ ۝٥١﴾ [النّجم: الآية ٥١]. وهذا اعتراف صريح من الحجاج بعد انتسابهم إلى ثمود.

ويعتقد بعضهم أن نسب «قبيلة ثقيف وحاظة ووحاظة لا عقب لهم»[٢]. كما يزعم بعضهم أن أبا رغال هو أبو ثقيف كلها[٣]. وهذه رواية مغرضة[٤]. وأعتقد أن هذه الرواية مدسوسة وأريد منها غرض ديني لأن الطائف كان بها معبود اللات فكانت تنافس مكة من هذه الناحية وعندما أراد أبرهة تدمير البيت الحرام تطوع أبو رغال لذلك لكي يصرف أنظار العرب عن بيت الله الحرام وبالتالي ستبقى اللات الملاذ الأخير للقبائل العربية لممارسة الشعائر الدينية.

وهناك رواية أخرى لها علاقة بمزاعم الرواية السابقة ترى أن قسي كان عبدًا لأبي رغال وكان أصله من قوم ثمود الذين نجوا فهرب من سيده فجاء إلى أبي رغال ثم ثقفه هذا فسماه ثقيفًا وانتسب ولده بعد ذلك إلى قسي عيلان[٥]. ويبدو لي أن هذه الرواية جمعت بين عدة روايات فهي ترى أن ثقيفًا هم بقايا ثمود وبالتالي ليس لهم أصل ينتمون إليه فإن جدهم كان عبدًا لأبي رغال، ثم انتسبوا بعد ذلك إلى قيس عيلان.

ويظن بعضهم أن نسب ثقيف يرجع إلى هوازن على أساس أن قسي بن منبه بن بكر بن هوازن بن منصور بن عكرمة بن خصفة بن قيس عيلان بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان[٦]. وأنا أميل إلى هذا الرأي لأسباب منها أن جل المؤرخين والنسابة

---

= والترجمة، (القاهرة/ ١٩٥٣)، ص ١٢٤.

(١) الجاحظ، البيان والتبيين، ج ١، ص ١٨٨.

(٢) ابن أعثم الكوفي، الفتوح، ج ٧، ص ٢١.

(٣) أبو الفرج الأصفهاني، الأغاني، ج ٤، ص ٣٠٥.

(٤) لامنس «مادة الطائف»، دائرة المعارف الإسلامية.

(٥) البلاذري، أنساب الأشراف، ج ١، تحقيق محمد حميد الله، دار المعارف (مصر/ ١٩٥٩)، ص ٢٧. أبو الفرج الأصفهاني، الأغاني، ج ٤، ص ٣٠٤.

(٦) ابن هشام، السيرة، ق ١، ص ٤٦. ابن قتيبة، المعارف، ص ٩١. ابن أعثم الكوفي، الفتوح، ج ٧، ص ٢١. ابن عبد ربه، العقد الفريد، ج ٣، ص ٣٠٢. المرزباني، معجم الشعراء، ص ٢٢١. أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي، جمهرة أنساب العرب، ط ١، تحقيق عبد السلام محمد هارون، دار المعارف، (مصر، ١٩٦٢)، ص ٢٦٦. النمري، الأنباه، ص ٩٤. أبو سعد عبد الكريم بن محمد بن منصور التميمي السمعاني، ج ٣، ط ٢. تحقيق عبد الرحمٰن بن يحيىٰ اليماني، (لبنان/ ١٩٨١) ص ١٣٣.=

العرب متفقون عليه، وعندما يتفق الأغلبية على شيء معين يكون هذا الاتفاق أقرب إلى الصحة والقبول، فضلًا عما يشير إليه بعض الباحثين من أن أغلب الثقفيين يصرحون بأنهم من هوازن[١]. علاوة على ذلك ففي حرب الفجار الثانية التي كانت بعد الفيل بعشرين سنة نرى قيس عيلان قد جمعت كل جموعها وكانت معها ثقيف ضد قريش وحلفائها[٢]. وفي معركة حنين ٨ هـ/ ٦٢٩ م وقفت ثقيف مع هوازن ضد الرسول ﷺ[٣]. فكيف تسنى لقيس عيلان أن تضم ثقيف إليها إذا لم تنتسب إليها فعلًا؟ هل جمعتهم الأحلاف؟ إن النص يشير إلى قيس عيلان قد جمعت كل جموعها وكانت ثقيف من ضمن هذه الجموع فثقيف تنتسب إلى هوازن. ومن قبائل قيس عيلان المشهورة سليم وباهلة وعدوان وغطفان وهوازن وعامر بن صعصعة وثقيف[٤].

أما بطون ثقيف فقد تناولها أحد الباحثين وفصل في ذلك تفصيلًا جيدًا[٥] وسوف أسلط الضوء على هذا الموضوع من باب الترابط وتأكيد وحدة البحث وأهم بطون ثقيف:

طويرق: وهؤلاء قسمان حضر وبدو، النمور، ثمالة، بني سالم، عوف، سفيان، هذيل، ثقيف اليمن[٦].

وثقيف فرقتان، بنو مالك والأحلاف ومن أشهر رجالات بني مالك السائب بن الأقرع، ومن رجالات الأحلاف المعروفين المختار بن أبي عبيد والحجاج بن يوسف وأمية بن أبي الصلت وأبو محجن الثقفي[٧]. ولم يكن الأحلاف وبني مالك على وفاق فكثيرًا ما كانت تقع الحرب بينهما وكانت للأحلاف منزلة أكبر من بني مالك وكان النصر حليف الأحلاف دائمًا وقليلًا ما كان يسود الصفاء بينهما ومن شعر

---

= الميورقي، بهجة المهج، ورقة رقم ١٣٠. ابن الوردي، تاريخ، ج ١، ص ١٢٣. ابن خلدون، تاريخ، ج ٢، ص ٦٦٩. القلقشندي، صبح الأعشى، ج ١، ص ٣٩٧.

(١) لامنس، «مادة ثقيف»، دائرة المعارف الإسلامية.

(٢) ابن الأثير، الكامل، ج ١، ص ٥٩٣.

(٣) ابن هشام، السيرة، ق ٢، ص ٤٣٧.

(٤) النص، العصبية القبلية، ص ٤١.

(٥) العبيدي، مدينة الطائف، ص ٢٣ ـ ٢٧.

(٦) كحالة، معجم قبائل العرب القديمة والحديثة، ج ١، ط ٢، دار العلم للملايين (بيروت/ ١٩٦٨)، ص ١٤٧ ـ ١٤٨.

(٧) ابن قتيبة، المعارف، ص ٩١. للتفصيل ينظر، ابن حزم الأندلسي، جمهرة، ص ٢٦٦ ـ ٢٦٨.

حروبهم قول، ربيعة بن سفيان أحد بني عوف بن عقدة من الأحلاف:

وما كانت ممن أرث الشر بينهم ولكن مسعودًا[١] حباها وجندبا[٢]
عناقًا ضروسًا بين عوف ومالك شديدًا لظاها تترك الطفل أشيبا[٣]

ويرىٰ بعضهم أن الصراع بين الأحلاف وبني مالك هو صراع حزبين متعاديين حيث شل صراعهما سعادة الطائف واستقرار أهلها. وفي الوقت نفسه شُل اقتصاد المدينة وعاق نموه وازدهاره[٤].

ولكن يبدو لي أن الصراع لم يكن بين حزبين كما يحلو للبعض أن يسميه بل هو صراع بين فئتين متنافستين في سبيل السيطرة على مقاليد الأمور في الطائف لأن بني مالك كانوا يتمتعون بمكانة مرموقة، في المدينة من خلال قيامهم بممارسة الشعائر الدينية حيث استغلوا سدانة اللات[٥]. لكن ذهب بعضهم إلىٰ أن السدانة كانت للأحلاف[٦].

وهذا مما لا أظنه لأن بني مالك كانوا أكثر قوة وسيطرة من الأحلاف علىٰ اللات وفضلًا عن ذلك فإنهم كانوا أكثر مالًا وأوسع أرضًا من الأحلاف، ولكن مع هذا نبغت في الأحلاف مجموعة من الشعراء الكبار والقادة البارزين[٧] أمثال أمية بن أبي الصلت، وأبي محجن الثقفي، والحجاج بن يوسف الثقفي[٨]. وقد استطاع بني مالك من فرض نفوذهم السياسي والديني من خلال تمتعهم بسدانة اللات.

## ديانة ثقيف

عند تناول ديانة ثقيف لا بد أن نتحدث عن اللات، التي كانت تعبد من قبل ثقيف بشكل أساسي، لأنها كانت تشكل الإلٰه الرئيس في عبادتهم، وليس كما حاول

---

(١) مسعود: هو مسعود بن قعنب على رأس الأحلاف.
(٢) جندب: هو جندب بن عوف بن الحارث بن مالك على رأس بنو مالك (ابن الأثير، الكامل، ج ١، ص ٦٨٥).
(٣) ابن الأثير، الكامل، ج ١، ص ٦٨٥ ـ ٦٨٧.
(٤) لامنس، «مادة الطائف»، دائرة المعارف الإسلامية.
(٥) ابن حزم الأندلسي، جمهرة أنساب، ص ٤٩١.
(٦) لامنس، «مادة الطائف»، دائرة المعارف الإسلامية.
(٧) ن.م.
(٨) ابن قتيبة، المعارف، ص ٩١.

أحد الباحثين عند تناوله ديانة ثقيف لأنه استعرض وبشكل يجعل الشخص غير المتخصص في دوامة، لأن ما كتبه عن الموضوع من (صفحة ثلاثة وثمانين إلى صفحة تسعين) ليس له علاقة بموضوع البحث. لأنه بدأ باستعراض للأديان النصرانية والحنفية ثم المزدكية والزاردشتية والمانوية[(١)]. ولا أدري ما علاقة ذلك بديانة ثقيف ومعتقدهم. ولو فرضنا أن هذه الأديان كانت منتشرة في الأرض العربية آنذاك، فهل كانت ذات انتشار واسع؟ طبعًا بغض النظر عن الديانة النصرانية والحنفية لأنهما كانتا نسبية الانتشار، أما بالنسبة إلى المزدكية والزاردشتية والمانوية فهي ديانة جاءت من بلاد فارس ولم يكن لها وجود يذكر في الحجاز. صحيح أنها كانت معروفة في بعض أجزاء العراق لأنه قريب من بلاد فارس، ولكنها لم تنتشر ذلك الانتشار الواسع في أرض العرب لكي تأخذ هذا الاهتمام من قبل الباحث الكريم.

كانت مناة أقدم آلهة عبدتها العرب، وكانت العرب تسمي عبد مناة، وزيد مناة. وكانت مناة قائمة على ساحل البحر الأحمر من ناحية الشلل بقديد بين مكة والمدينة وكان الأوس والخزرج يعظمونها ويذبحون لها[(٢)]. كما عظمتها قبائل عربية أخرى وقد أمر الرسول ﷺ بهدمها بعد عام (الفتح) سنة ٨ هـ/ ٦٢٩ م حيث كلف عليًا رضي الله عنه بهذه المهمة فأنجزها[(٣)].

ثم اتخذوا اللات بالطائف وهي أحدث من مناة. وكانت صخرة مربعة وسدنتها من ثقيف وهم بنو عتاب بن مالك، وكانت قريش وسائر العرب تعظم اللات وتسمي زيد اللات وتيم اللات[(٤)]. وقد ورد ذكرها في القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ ﴿١٩﴾ وَمَنَوٰةَ ٱلثَّالِثَةَ ٱلْأُخْرَىٰٓ ﴿٢٠﴾﴾ [النّجم: الآيتان ١٩، ٢٠].

وعبد العرب العزّى التي كانت من الأصنام العظيمة عندهم بحيث تسمى بعضهم بعبد العزى. وهذا الصنم أحدث من صنم مناة واللات وكان لصنم العزى منحر يذبحون عنده هداياهم يدعى الغبغب. وكانت قريش تعظم العزى وتخصها بالعطاء[(٥)].

---

(١) العبيدي، مدينة الطائف، ص ٨٣ ـ ٩٠.

(٢) أبو منذر بن هشام بن محمد بن السائب الكلبي، الأصنام، ط ٢، تحقيق أحمد زكي باشا، مطبعة دار الكتب المصرية، (مصر/ ١٩٢٤)، ص ١٣ ـ ١٤.

(٣) ابن الكلبي، الأصنام، ص ١٥.

(٤) ن.م، ص ١٦.

(٥) ابن الكلبي، الأصنام، ص ١٧ ـ ٢١.

أما هبل فهو أعظم الآلهة عند العرب وهو مصنوع من عقيق أحمر على صورة إنسان مكسور اليد اليمنى. وأول من نصبه خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مظر وكان يسمى هبل خزيمة وكان مكانه في جوف الكعبة[١].

وكذلك كان لهم أيضًا أساف ونائلة ومناف وغيرها[٢]. وكانت قريش والعرب ومنهم ثقيف، يطوفون بالكعبة ويرددون واللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى، فإنهن الغرانيق العلى وأن شفاعتهم لترتجى[٣].

هذه هي أهم الآلهة التي كانت معروفة عند العرب، أما آلهة ثقيف فهي اللات، وكانت تتمتع بمكانة رفيعة عند الثقفيين وكانوا يضاهون في تعظيمها آلهة قريش فكانت لها كسوة وكان واديها محرمًا[٤]. ويرى بعضهم أن ثقيف لم تكن تعبد اللات وحدها بل كانت تعبد أيضًا الغبغب[٥]. وكما مر بنا فإن الغبغب هو المكان الذي كانت تنحر فيه الهدايا للعزى[٦].

وكانت تلبية ثقيف في موسم الحج «لبيك اللّهمّ إن ثقيفًا قد أتوك وأخلفوا المال وقد رجوك»[٧]. وقد هدمها الرسول ﷺ بعد إسلام ثقيف حيث بعث المغيرة بن شعبة وأبا سفيان بن حرب. وفي ذلك يقول شداد بن عارض الجشمي حين أحرقت وهدمت اللات:

| | |
|---|---|
| لا تنصرُ اللات إن الله مهلكها | وكيف نصركم من ليس ينتصرُ |
| إن التي أحرقت بالنار فاشتعلت | ولم تقاتل لدى أحجارهما هدرُ |
| إن الرسول متى ينزل بساحتكم | يظعن وليس بها من أهلها بشر[٨] |

---

(١) ن.م، ص ٢٧ ـ ٢٨.

(٢) ن.م، ص ٢٩ ـ ٣٢. أبو عبد الله محمد بن أحمد بن يوسف الخوارزمي، مفاتيح العلوم، دار الكتب (بيروت، لا.ت)، ص ٢٧.

(٣) ابن الكلبي، الأصنام، ص ١٩.

(٤) أبو جعفر محمد بن حبيب بن أمية البغدادي، المحبر، عنت بتصحيحه الدكتورة إيلزه ليحتن شتيز، مطبعة دار المعارف العثمانية، (حيدر آباد/ ١٩٤٢)، ص ٣١٥.

(٥) الجاحظ، الحيوان، ج ٧، ص ١٩٨. (٦) ابن الكلبي، الأصنام، ص ٢٠.

(٧) أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، ج ١، دار بيروت (بيروت/ ١٩٨٠)، ص ٢٥٥.

(٨) ابن الكلبي، الأصنام، ص ١٧.

فأهمية اللات بالنسبة للعرب، جاءت من أهميتها في ثقيف، لأن لها مكانتها بين القبائل العربية آنذاك. وبالتأكيد كان لها تأثير ديني واجتماعي وسياسي، وأن شهرة اللات وعبادتها لم تأتِ من شهرة الآلهة نفسها، كما عبر عن ذلك أحد الباحثين بقوله بأن اللات كانت لها شهرة واسعة بين العرب الشماليين وبين عرب الحجاز[١]. بل جاءت من قوة ونفوذ قبيلة ثقيف حيث استطاعت أن تفرض اللات على بعض العرب بوصفها الآلهة الخاصة بها.

وتشير النصوص إلى أن اللات كاسم، كانت معروفة سابقًا، فهي كلمة قديمة معروفة منذ العهد البابلي، وقد وردت في أدب تلك الحقبة وكانت تمثل فصل الصيف فهي آلهة الشمس[٢]. وقد أخذها عرب الجزيرة من النبطيين فهي عند العرب كانت صخرة مربعة بيضاء وكما كانت عند النبطيين وكان الثقفيون يسمونها ربة. أما النبطيون فيطلقون عليها ربة البيت[٣]. وقد ذكر هيرودتس هذه الآلهة العربية بين معبودات الأنباط وأطلق عليها اسم أوليله وأن ابن الملكة زنوبيا وشريكها في العرش كان اسمه وهب اللات[٤]. فاللات كاسم كانت معروفة أما كيف عرفها العرب، وكيف انتقلت إليهم؟ فهذا يقودنا إلى الاعتقاد بأن للعلاقات التجارية التي ارتبطت بها الطائف مع الآخرين كان لها تأثير مباشر في ذلك وفضلًا عن ذلك يمكن أن نقول إن حركة الاصطياف ـ إذا صح التعبير ـ التي كانت تتمتع بها الطائف جعلت الكثير من الأمور تنتقل من وإلى الطائف.

وثمة تساؤل يمكن أن يثار وهو هل عرفت ثقيف التوحيد؟ فالجواب يمكن أن يكون بنعم ولكن هل كان واسع الانتشار فيها؟ أم كان على نطاق محدود؟ النصوص التي بين أيدينا تؤكد أن هناك من ثقيف من عرف التوحيد فهذا أمية بن أبي الصلت الثقفي الذي قرأ الكثير من الكتب وامتنع عن عبادة الأوثان كان يخبر بأن نبيًا يبعث قد أظلّ زمانه[٥]. وكان شاعرًا متزنًا وكان يتجر إلى الشام ومن خلال ذلك تعرف إلى بعض أهل الكنائس من النصارى وكذلك اليهود، وكان يقول شعرًا يصف به

---

(١) العبيدي، مدينة الطائف، ص ٩٥.

(٢) محمد عبد المعيد خان، الأساطير العربية قبل الإسلام، (القاهرة، ١٩٣٧)، ص ١١٧ ـ ١١٨.

(٣) ن.م، ص ١١٩.

(٤) حتي، تاريخ العرب، ج ١، ص ١٣٧ ـ ١٣٨.

(٥) ابن قتيبة، المعارف، ص ٦٠.

السمٰوات والأرض والقمر والشمس، وكان كذلك يعظم الله سبحانه وتعالى، ومن ذلك قوله:

الحمد لله لا شريك له ... من لم يقلها فنفسه ظلما[(١)]

وقال يصف أهل الجنة:

فلا لغو ولا تأثيم فيها ... وما فاهوا به لهم مقيم[(٢)]

وكان أمية أول من كتب باسمك اللهم، إلى أن جاء الله عز وجل بالإسلام فرفع ذلك وكتب «بسم الله الرحمن الرحيم»[(٣)]. وقال أيضًا بشأن الفيل، عندما أراد أبرهة تهديم البيت الحرام:

إن آياتِ ربنا ثاقباتٌ ... لا يماري فيهنَّ إلا الكفورُ
خلق الليل والنهار فكل ... مستبين حسابه مقدور
ثم يجلو النهار رب رحيم ... بمهاة شعاعها مبشور
حبسَ الفيلُ بالمغمس حتى ... ظل يحبو كأنه معقور
كل دين يوم القيامة عند الله ... إلا دين الحنفية بور[(٤)]

ولما سمع أمية بظهور النبي ﷺ كفر حسدًا له، أما الرسول ﷺ فعندما سمع شعره قال آمن لسانه وكفر قلبه[(٥)].

فالتوحيد كان معروفًا في ثقيف، ولكن هل كان منتشرًا بينهم أم كان على نطاق محدود؟ في الغالب أنه كان محدود الانتشار لأن من البديهي أن أصحاب التوحيد يحاولون نشر مبادئهم وعقيدتهم وبالمقابل فإن هناك من يحاول أن يحجم نفوذهم. ومن المرجح عمل أصحاب السيادة في ثقيف بالضد من انتشار عقيدة التوحيد ظنًّا منهم أن ذلك نهاية لمركزهم السياسي والاقتصادي والديني والاجتماعي، لأن في انتشار عقيدة التوحيد في ثقيف قضاء على عبادة اللات.

---

(١) الثقفي، ديوان، ص ٣٦٥.
(٢) أبو الحسن علي بن الحسين بن علي المسعودي، مروج الذهب ومعادن الجوهر، ج ١، ط ٤، حققه يوسف أسعد داغر، دار الأندلس (بيروت، ١٩٨١)، ص ٦٨٤، (لم نعثر على الشعر في ديوان أمية).
(٣) المسعودي، مروج الذهب، ج ١، ص ٨٧.
(٤) الثقفي، ديوان، ص ٣٣٧ ـ ٣٣٩. ابن هشام، السيرة، ق ١، ص ٦٠.
(٥) ابن قتيبة، المعارف، ص ٦٠.

## علاقة الطائف بمكة والمناطق الأخرى

لقد كان الانتماء القبلي هو الذي يجمع أبناء القبيلة الواحدة سواء في السراء والضراء وكانت اللغة وأساليب الحياة الواحدة والأصل الواحد والعادات والتقاليد قد ولدت بين أفراد القبائل العربية شعورًا بالانتماء القومي الواحد[١]. ولكن يبقى الصراع والنزاع بين القبائل العربية ميزة تلك الحقبة.

وقبيلة ثقيف كانت إحدى القبائل التي برزت في الساحة العربية، وحاولت أن تفرض وجودها بين القبائل الأخرى. وذلك لما تتمتع به من مكانة اقتصادية وسياسية ودينية. وكانت ثقيف تتصدى لمنازعة قريش السيادة، وتطمح إلى احتلال مكانتها[٢]. والذي أظنه هنا أن لقريش مكانة دينية كبيرة من خلال البيت الحرام الموجود في مكة، إذن سيادتها دينية أكثر منها سياسية. فقريش لم تكن تملك بسط النفوذ على القبائل الأخرى إلا من خلال إدارتها لمراسيم الحج، وما ترتب على ذلك من أمور اقتصادية وسياسية.

ويرى بعضهم أن مكانة ثقيف حملت قريش على محالفتهم ومساندتهم[٣]. والذي يبدو لي أن مسألة الأحلاف كانت معروفة عند عرب الجزيرة خاصة بين القبائل المجاورة. لأن الجانب السياسي والاقتصادي والأمني له أثر في هذه المحالفات وذلك خوفًا وحرصًا على التجارة وطرق المواصلات من قطاع الطرق الذين كانوا يهددون القوافل التجارية المتنقلة عبر هذه الطرق.

فالطائف ومكة كانتا متكاملتين على نحو ملائم، وأن المصالح المادية كانت قد توطدت بشكل متساوي الاتحاد بين المدينتين[٤].

لقد ارتبطت الطائف بمكة بصلات وروابط قوية خاصة الاقتصادية منها، حيث كانت تقوم الأسواق الكبرى في المنطقة الواقعة بين المدينتين مثل عكاظ وذو الحجاز ومنى وغيرها. كما كانت الطائف تسد بعض حاجة أهل مكة من المواد الزراعية، فضلًا عن كونها مصيفًا لأهل مكة، وقد كان لأغنياء مكة بساتين وزروع في الطائف،

(١) نبيه عاقل، تاريخ العرب القديم وعصر الرسول، (دمشق/١٩٦٨)، ص ٢٦٢.
(٢) عبد اللطيف شرارة، الحجاج طاغية العرب، ط ١، دار المكشوف، (لبنان ١٩٥٠)، ص ٦٨.
(٣) ن.م، ص ٦٨.
(٤) P.H. Lammens Lacite Arbe De táif Alaveillede L'hegiye, (Beyrout, 1922) p.231.

ومن أهم البضائع التي تصدرها الطائف إلى مكة الأعناب والرمان كما تصدر الطائف إلى مكة الخمور والزبيب والأدم، كما كان يشارك رجالات ثقيف في تجارة مكة وقوافلها. وإن قريشًا كانت تشاور رجال الطائف فيما يخصها من أمور أحيانًا[١]. كما هناك علاقة اقتصادية أخرى ربطت قريش بالطائف؛ وذلك أن بعض رجالات قريش كانت لهم أموال موظفة في الطائف في مجالات زراعية وتجارية وعقارية، كما كان بعضهم يعطي القروض لمن يحتاجها من أهل الطائف مقابل الربا[٢]. وبسرعة استطاع أهل مكة أن يقيموا في الطائف من أجل المصالح التجارية[٣]. ففي هذا الصدد أشار ياقوت إلى أن أبا سفيان كان يقضي الصيف بالطائف، وكانت زينب بنت يوسف أخت الحجاج الثقفي معروفة بالنعمة فوصفت:

تشتو بمكة نعمة ومصيفها بالطائف[٤]

وهذا يؤكد الروابط القوية بين قريش وثقيف.

وارتبط بعض رجالات قريش بعلاقات اقتصادية مع ثقيف فقد كان يأتي لأبي طالب الزبيب من كرم له بالطائف[٥]. كما كانت لعامة قريش أموال بالطائف يوظفونها فيها[٦]. وكانت لعبد الله بن عامر بن كريز دور وضياع بالطائف[٧]. وكذلك كان للخليفة عثمان بن عفان رضي الله عنه أموال بالطائف[٨]. وكان لأبي سفيان في الطائف بستان ينتج زبيبًا جيدًا[٩].

ومثلما قلنا سابقًا فإن لثقيف منزلة كبيرة بين القبائل العربية حتى قريش ذاتها كانت تقر بهذه المنزلة وتعترف بها، فعندما نزل القرآن الكريم على سيدنا محمد ﷺ

(١) أحمد إبراهيم الشريف، دور الحجاز في الحياة السياسية العامة في القرنين الأول والثاني للهجرة، ط ١، دار الفكر العربي (القاهرة/ ١٩٦٨)، ص ٢٣ ـ ٢٤.
(٢) صالح أحمد العلي، محاضرات في تاريخ العرب، ج ١، ط ٤، مطبعة الإرشاد (بغداد، ١٩٦٨)، ص ٣٧٧.
(٣) Lammens. Lacite Arbe de Táif, p.232.
(٤) ياقوت، معجم البلدان، ج ٤، ص ١٢.
(٥) البلاذري، أنساب الأشراف، ج ١، ص ٥٧.
(٦) البلاذري، فتوح البلدان، ص ٦٨.
(٧) ابن عبد ربه، العقد الفريد، ج ٤، ص ١٢٨.
(٨) ابن الأثير، الكامل، ج ٢، ص ١٠٣.
(٩) Lammens, Lacite Arabe de Táif, p. 237.

قال الوليد بن المغيرة أينزل كتاب الله على محمد وأنا كبير قريش ويترك كذلك أبا مسعود عمرو بن عمير الثقفي رئيس ثقيف ونحن كبار القريتين[١]؟ أي يقصد بها مكة والطائف.

وكانت هناك علاقة مصاهرة بين ثقيف وقريش فهذا صفوان بن أمية متزوج من برزة بنت مسعود الثقفي[٢]. كما تزوج بشر بن عبد دهمان الثقفي من ريحانة بنت أبي العاص بن أمية، وتزوج غيلان بن سلمة بن معتب الثقفي من لبابة بنت صفية بنت ربيعة بن عبد شمس وكان أمية بن أبي الصلت متزوجًا من أم حبيب بنت أبي العاص[٣]. وتزوج فيما بعد علي بن أبي طالب رضي الله عنه من أم سعيد بنت عروة بن مسعود الثقفي فأنجبت منه أم الحسن ورملة الكبرى[٤]. كما زوج أبو سفيان ابنته أم الحكم بالطائف في ثقيف[٥]. وفي عام ١٧ هـ/٦٣٨ م تزوج عبد الله بن عمر صفية بنت أبي عبيد الثقفي[٦]. فهذه المصاهرات تدل على مكانة ثقيف ليس عند قريش حسب بل عند جميع القبائل العربية، فضلًا عن أن حالات الزواج التي أشرنا إليها آنفًا حدثت مع الأسر القرشية الرفيعة وهذا يؤكد مكانة ثقيف الرفيعة عند قريش.

وكان لبعض رجالات ثقيف منزلة كبيرة عند قريش فعندما خرج الرسول ﷺ للعمرة سنة ٦ هـ/ ٦٢٧ م. أرسلت قريش عروة بن مسعود الثقفي إليه فنقل له وجهة نظر قريش[٧]. وقد ارتبط الأخنس بن شريق بن عمرو بن وهب الثقفي بعلاقة قوية مع رجالات قريش أمثال أبي سفيان بن حرب وأبي جهل بن هشام[٨].

ولكن هل كانت العلاقة الثقفية القرشية تسير على وتيرة واحدة من الود والوئام والتآزر، فروايات التاريخ تشير إلى وقوع حروب بين الطرفين خاصة إذا خاضت هذه الحروب البطون الرئيسة. فحرب الفجار التي وقعت بين قريش وقيس عيلان كان لا

---

(١) ابن هشام، السيرة، ق ١، ص ٣٦١.
(٢) أبو عبد الله محمد بن عمر الواقدي، المغازي، ج ١، تحقيق د. مارسدن جونس، (اكسفورد/ ١٩٦٦)، ص ٢٠٢.
(٣) البلاذري، أنساب الأشراف، ج ٤، ق ٢، ص ١٦٩.
(٤) الطبري، تاريخ الرسل، ج ٥، ص ١٥٤. ابن الأثير الكامل، ج ٢، ص ٣٩٨.
(٥) ابن عبد ربه، العقد الفريد، ج ٧، ص ١٤٤. السهيلي، الروض الأنف، ج ٢، ص ٣٢٦.
(٦) أحمد عادل كمال، الطريق إلى المدائن، ط ٣، دار النفائس، (بيروت، ١٩٧٧)، ص ٤١٢.
(٧) ابن هشام، السيرة، ق ٢، ص ٦٢. (٨) ن.م، ق ١، ص ٣١٥.

بد أن ينجر لها الثقفيون. وحرب الفجار، هي حروب وقعت في الأشهر الحرم[١]. ووقف الثقفيون مع قيس عيلان ضد قريش.

والذي يهمنا بهذا الصدد هو مدى تأثير هذه الحروب في العلاقات القائمة بين ثقيف وقريش؟ الذي أظنه أن كلا الطرفين كان حريصًا على استمرار العلاقة الحسنة بينهما خاصة إذا علمنا أن غالبية إنتاج الطائف في المجالات الزراعية والصناعية كان يذهب إلى مكة[٢].

وارتبطت الطائف بعلاقات اقتصادية قوية مع باقي مدن الحجاز الأخرى حيث كانت تصدر لها الخمر والحنطة، والأخشاب وبعض الصناعة خاصة الجلود[٣].

أما أهل يثرب فكانوا يرتبطون بأهل الطائف بعلاقات اقتصادية قوية حيث كانوا يتبادلون المنافع[٤].

وتشير النصوص التاريخية إلى وجود علاقات اقتصادية وتجارية قوية بين سكان الطائف وبلاد اليمن[٥]. ولكن كيف كان حجم التبادل التجاري هذا! وهل كان يوازي حجم التبادل التجاري ما بين مكة وبلاد الشام أو العراق الجواب كلا، فربما كانوا يسهمون مع تجار مكة في اتجارهم مع تلك المناطق[٦].

ويمكننا القول إن سكان الطائف قد استطاعوا استغلال موقع مدينتهم لكي يجعلوه مكانًا لراحة القوافل التجارية، فقد استطاعوا عمل ذلك بعد أن استطاع الفرس من فرض السيطرة على اليمن، فأصبحت تجارة بلاد فارس ومنطقة الحيرة الذاهبة إلى اليمن والعائدة منها لا بد لها من المرور عن طريق الطائف[٧].

ويرى بعضهم أن العلاقة بين الطائف واليمن كانت قوية جدًا بحيث ظن أن ثقيف أقرب ما تكون إلى اليمن من أهل الحجاز لأن ثقافتهم تكاد تكون يمانية وكذلك

(١) المسعودي، مروج الذهب، ج ٢، ص ٢٨٦.
(٢) ياقوت، معجم البلدان، ج ٤، ص ٩.
(٣) لامنس، «مادة الطائف»، دائرة المعارف الإسلامية.
(٤) الشريف، دور الحجاز، ص ٥٩.
(٥) لامنس، «مادة الطائف»، دائرة المعارف الإسلامية. عاقل، تاريخ العرب، ص ٤١٩.
(٦) جواد علي، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ج ٤، دار العلم للملايين، (بيروت/ ١٩٧٠)، ص ١٥٢ ـ ١٥٣.
(٧) ن.م، ج ٤، ص ١٥٣.

حياتهم الاجتماعية من النوع المعروف في اليمن[1]. ويخيل لي أن هذا الاستنتاج بعيد عن الحقائق التاريخية والجغرافية قديمًا وحديثًا، كذلك أن أغلب رجالات قريش قد كونوا علاقات قوية مع ثقيف ولا أظن أن هناك علاقات قوية فردية كانت أم جماعية بين الثقفيين وأهل اليمن، توازي ما كان قائمًا بين الحجازيين واليمانيين.

إن تقرب قريش ورجالاتها من ثقيف كان لصفات مشتركة سواء كانت دينية أم طبيعية أم اقتصادية، علاوة على أن كلا الطرفين كان بحاجة للآخر.

الذي يبدو من خلال هذا العرض لعلاقات الطائف مع غيرها من المدن، نستطيع القول إن الطائف كانت مدينة متطورة نسبيًا، وقد حرص أهلها على ظهورها بالمظهر الذي يليق بها وبسكانها الثقفيين. وسنحاول في الفصول القادمة التعرف على طبيعة الأدوار التي أداها رجالات ثقيف، وما أسهموا به من دور كبير وفاعل في رسم مسيرة الدولة العربية الإسلامية، مما ساعد في تثبيت أركان الدولة، وأسهم في بزوغ اسم قبيلتهم عاليًا في عالم الإدارة والسياسة والحرب والفكر.

(١) علي، المفصل، ج ٤، ص ١٥٦.

# الفصل الأول

# دَور الثقفيين في صدر الإسلام

- الرسول ﷺ ودعوته
- خروج الرسول ﷺ إلى الطائف
- غزوة حنين سنة ٨ هـ/ ٦٢٩ م
- حصار الطائف سنة ٨ هـ/ ٦٢٩ م
- قدوم وفد ثقيف وإعلان إسلامه سنة ٩ هـ/ ٦٣٠ م
- كتاب الرسول ﷺ إلى ثقيف
- كتاب الرسول ﷺ إلى المسلمين في أمر ثقيف
- موقف الثقفيين من الردة
- دور الثقفيين الإداري في صدر الإسلام
- زياد بن عبيد الثقفي

  نسبه
- إسهام الثقفيين في العمليات العسكرية في صدر الإسلام

  أ ـ جبهة العراق

  ب ـ جبهة الخليج العربي وبلاد فارس

  جـ ـ جبهة بلاد الشام

  د ـ جبهة مصر
- موقف الثقفيين من الصراع السياسي
- الاستنتاجات

# [دور الثقفيين في صدر الإسلام]

## الرسول ﷺ ودعوته

كان نزول القرآن الكريم على الرسول الأمين محمد ﷺ إيذانًا ببداية مرحلة جديدة كلف فيها الرسول ﷺ بالدعوة إلى الإسلام، ولقي في سبيلها الكثير من المعاناة والشدائد ولكن صبره وجلده كانا كفيلين بتخليد اسمه على مرّ الأيام. لقد أحدث محمد ﷺ تغييرًا في حياة أمة بأكملها تمثل على مساحة واسعة من أرض المعمورة لقد سما الرسول ﷺ بأمته إلى الأعالي حيث المجد والفخر والعزة[1]. حيث وصفها الله سبحانه وتعالى بأنها خير أمة أخرجت للناس. لقد بقي الرسول ﷺ ثلاث عشرة سنة في مكة يدعو إلى نور الهداية ولم يؤمن به إلا قليل فلم يضعف ولم يستكن بل كان يزيده ذلك إصرارًا على المضي في الطريق الذي رسمه لدعوته، فكان محمد ﷺ بحق باعث أمة العرب من جديد وموحد كلمتها ومؤسس دولتها. لقد استطاع النبي ﷺ أن يخلق من البلاد العربية وحدة مترابطة متكاملة بعد أن كانت قبائل تتناحر فيما بينها فأصبحت أمة واحدة تربطها روابط الإخوة والعقيدة[2].

إن نشر الإسلام لم يكن أمرًا سهلًا بل لاقى من الصعوبات الكثير، فقريش التي تقف على رأس الأعداء حاربت نشر الإسلام بكل الوسائل والسبل التي تيسرت لها لأنها رأت في انتصاره هو هزيمَة لها بالأساس وبالتالي فقدان مركزها الديني والاقتصادي.

لقد بدأت قريش حربها للإسلام بتكذيب الرسول ﷺ واتهامه بشتى النعوت، وقد رد الرسول ﷺ عليها بتسفيه أصنامها وأوثانها. حاولت قريش من خلال وفودها

---

(١) فاروق عمر فوزي ولبيد إبراهيم، عصر النبوة والخلافة الراشدة، ط ١، دار الحكمة (بغداد، ١٩٨٦)، ص ٥.

(٢) فاروق عمر، عصر النبوة، ص ٦.

على أبي طالب عم الرسول ﷺ أن تثني محمدًا ﷺ عن دعوته ولكنها لم تجده إلا أكثر إيمانًا على المضي في نشر دعوته، وحاولت أن تغريه بالمناصب والجاه فلم تجده إلا ذلك الإنسان المصمم على السير بدعوته على الرغم من الإغراءات المادية والمعنوية، عند ذلك عرفت قريش أنها أمام حالة نادرة من الرجال، فأخذت تعذب أصحابه خاصة الضعفاء منهم، لعلها تكسر بذلك شوكة الإسلام وقائده، ولكنها أصيبت بالخيبة عندما رأت هؤلاء الرجال الضعفاء، أقوياء بإيمانهم وعقيدتهم، ثم تآمرت قريش واتفقت على مقاطعة بني هاشم، وبني عبد المطلب، ولكن هذه السلسلة من المؤامرات فشلت أيضًا ولكن وفاة عمه أبي طالب وزوجته خديجة كانت فرصة مناسبة لقريش لتنتقم من محمد ﷺ ودعوته. وهنا رأى الرسول أنه لا بد من الخروج إلى الطائف لنشر دعوته[١].

## خروج الرسول ﷺ إلى الطائف

بعد وفاة أبي طالب وخديجة الكبرى زوج النبي ﷺ نالت قريش منه ما لم تنله في حياة عمه، فقرر التوجه إلى الطائف حيث تسكن قبيلة ثقيف القوية التي ارتبطت بطونها ببعض بطون قريش بعلاقات كما ارتبط بنو هاشم وعبد شمس بالأحلاف من ثقيف[٢].

خرج الرسول ﷺ وحده إلى الطائف يريد ثقيفًا لعله يجد عندها الأمان والسلام حيث ينشر دعوته[٣]. وتشير بعض الروايات إلى خروج زيد بن حارثة مولاه معه[٤]. والذي اعتقده أن زيد بن حارثة مولى الرسول ﷺ قد خرج معه وذلك لجملة من الأسباب الخاصة بالرسول ﷺ ومنها أن الطريق بين مكة والطائف محفوف بالمخاطر وبالتالي فلا بد أن تكون قريش قد فكرت في النيل من الرسول ﷺ لأنه أراد نشر دعوته في مكة فهذا سبب مهم يحفز قريش على إيذاء الرسول ﷺ. كذلك أن وجود

---

(١) ابن هشام، السيرة، ق ١، ص ٢٨٩ ـ ٣٢١. فاروق عمر، عصر النبوة، ص ٤١ ـ ٥٩.

(٢) عاقل، تاريخ العرب، ص ٤١٩.

(٣) ابن هشام، السيرة، ق ١، ص ٤١٩. اليعقوبي، تاريخ، ج ٢، ص ٣٦. الطبري، تاريخ الرسل، ج ٢، ص ٣٤٤. السهيلي، الروض الأنف، ج ١، ص ٢٦٠. أبو الفداء الحافظ ابن كثير الدمشقي، البداية والنهاية، ج ٢، ط ٣، تحقيق د. أحمد أبو ملحم د. علي نجيب عطوي الأستاذ فؤاد السيد، دار الكتب العلمية، (بيروت، ١٩٨٧)، ص ١٤٩.

(٤) ابن قتيبة، المعارف، ص ١٥١. البلاذري، أنساب الأشراف، ج ١، ص ٢٣٧. ابن الأثير، الكامل، ج ٢، ص ٩١.

زيد مع الرسول ﷺ سوف ييسر خدمة الرسول ﷺ. وفضلًا عن ذلك فإن الرسول ﷺ ذاهب إلى الطائف وليست لديه معارف هناك وهو بالتأكيد لا يعرف مصير دعوته وكيف ستكون معاملته في الطائف وبالتالي فإن مسألة وجود زيد معه تكون واردة وممكنة.

عمد الرسول ﷺ إلى سادة ثقيف وهم عبد ياليل بن عمرو بن عمير، ومسعود بن عمرو بن عمير، وحبيب بن عمرو بن عمير وهؤلاء إخوة وكان أحدهم متزوجًا من امرأة من قريش من بني جمح، وهم من الأحلاف، وقد جلس الرسول ﷺ إليهم يدعوهم إلى الإسلام وعبادة الله سبحانه وتعالى والالتفاف حوله على من خالفه من بني قومه، فقال له أحدهم وهو يمرط ثياب الكعبة إن كان الله أرسلك، وقال الآخر أما وجد الله أحدًا يرسله غيرك وقال الثالث والله لا أكلمك أبدًا لئن كنت رسولًا من الله كما تقول لأنت أعظم خطرًا من أرد عليك الكلام ولئن تكذب على الله ما ينبغي لي أن أكلمك، فقال الرسول ﷺ بعد أن شعر بخذلان ثقيف له وطلب منهم كتمان أمره فلم يستجيبوا لطلبه فسخروا سفاءهم وعبيدهم يسبونه ويرمونه بالحجارة[1]. حتى أنهم أدموا رجله الكريمة فقال الرسول ﷺ ما كنت أرفع قدمًا ولا أضعها إلا على حجر[2]. وألجؤوه إلى حائط يعود لأخوين هما عتبة وشيبة ابنا ربيعة فجلس إلى ظل شجرة عنب وابنا ربيعة ينظران إليه[3]. وهنا رفع الرسول صوته مناجيًا رب السمٰوات «اللهم إليك أشكو ضعف قوتي وقلة حيلتي وهواني على الناس يا أرحم الراحمين أنت رب المستضعفين، وأنت ربي إلى من تكلني إلى بعيد يتجهمني أم إلى عدو ملكته أمري، إن لم يكن بك علي غضب فلا أبالي ولكن عاقبتك هي أوسع لي، أعوذ بنور وجهك الذي أشرقت له الظلمات وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة من أن تنزل بي غضبك أو يحل عليّ سخطك لك العتبى حتى ترضى ولا حول ولا قوة إلا بك»[4]. وقد حدثت عائشة زوج الرسول ﷺ أن ذلك اليوم كان من أصعب وأقسى الأيام على الرسول ﷺ وتفيد الرواية بأن جبريل عليه السلام ناداه مستفسرًا فيما إذا كان يرغب بمعاقبة هؤلاء القوم إلا أنه أبى وقال ﷺ: «بل أرجو أن يخرج الله من أصلابهم من يعبد الله وحده ولا يشرك به شيئًا»[5].

(١) ابن هشام، السيرة، ق ١، ص ٤١٩ ـ ٤٢٠. الطبري، تاريخ الرسل، ج ١، ص ٣٤٤ ـ ٣٤٥. ابن الأثير، الكامل، ج ٢، ص ٩١ ـ ٩٢.

(٢) اليعقوبي، تاريخ، ج ٢، ص ٣٦.

(٣) ابن هشام، السيرة، ق ١، ص ٤٢٠.

(٤) ابن هشام، السيرة، ق ١، ص ٤٢٠. الطبري، تاريخ الرسل، ج ٢، ص ٣٤٥.

(٥) أبو الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري، صحيح مسلم، ج ٣، ط ١، تحقيق=

وقد تحركت عاطفتا ابنا ربيعة تجاه الرسول ﷺ، فدعوا غلامهما ويدعى عداس وكان نصرانيًا فقالا له اقطف له عنبًا واذهب به إليه ففعل ذلك عداس فلما جاء إلى الرسول ﷺ قال له: كل فلما وضع الرسول ﷺ فيه يده قال بسم الله ثم أكل فنظر إليه عداس مستغربًا من قوله ذلك وقال له: إن أهل هذه البلاد لا يقولون هكذا عندما يتناولون الطعام فقال له الرسول ﷺ: «ومن أي البلاد أنت يا عداس وما دينك؟» فقال: أنا نصراني من أهل نينوى فقال الرسول ﷺ: «من قرية الرجل الصالح يونس بن متى حيث كان أخي لأنه نبي مثلي» فأخذ عداس يقبل رأس الرسول ﷺ ويديه وابنا ربيعة ينظران باستغراب لهذا المنظر، فلما جاء عداس سألاه لماذا قبل رأس ذلك الرجل ويده فقال عداس أنه ما في الأرض شيء خير منه، لقد أعلمني بأمر لا يعلمه إلا نبي[1]. وبعد انصراف الرسول ﷺ من الطائف سار إلى مكة حيث مر به بعض أهل مكة فبعث أحدهم إلى الأخنس بن شريق طالبًا إجارته فرفض على أساس كونه حليفًا والحليف لا يجير، ثم بعث الرسول ﷺ إلى سهيل بن عمرو فرفض هذا ثم أرسل إلى المطعم بن عدي فأجابه إلى طلبه فدخل الرسول ﷺ مكة وطاف بالبيت وصلى عنده ثم ذهب إلى منزله[2]. وقد أقام بالطائف شهرًا[3].

وهناك رواية أخرى ترى أن الرسول ﷺ بعد انصرافه من الطائف سار إلى نخلة وفي جوف الليل وبينما هو يصلي مر به نفر من الجن كانوا سبعة منه أهل نصيبين اليمن فلما فرغ من صلاته ذهبوا إلى قومهم منذرين وأنهم قد آمنوا وأجابوا إلى ما سمعوا[4]. فقص ذلك الله تعالى في كتابه العزيز: ﴿وَإِذْ صَرَفْنَآ إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقُرْءَانَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوٓا۟ أَنصِتُوا۟ فَلَمَّا قُضِىَ وَلَّوْا۟ إِلَىٰ قَوْمِهِم مُّنذِرِينَ ﴿٢٩﴾﴾ [الأحقاف: الآية ٢٩] ﴿قَالُوا۟ يَٰقَوْمَنَآ إِنَّا سَمِعْنَا كِتَٰبًا أُنزِلَ مِنۢ بَعْدِ مُوسَىٰ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ [الأحقاف: الآية ٣٠].

وقال الرسول ﷺ: «عليكم بسنتي فما أدخل الله في سنته وجودًا لأوليائه خروج المضطر إلى الطائف»، لأنه ﷺ لما خرج من الشعب مات عمه وزوجته وقد خرج

= محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء الكتب العربية، (مصر، ١٩٥٥)، ص ١٤٢٠. السهيلي، الروض الأنف، ج ١، ص ٢٦٢.

(١) ابن هشام، السيرة، ق ١، ص ٤٢١.

(٢) الطبري، تاريخ الرسل، ج ٢، ص ٣٤٧ ـ ٣٤٨.

(٣) ابن قتيبة، المعارف، ص ١٥١.

(٤) الطبري، تاريخ الرسل، ج ٢، ص ٣٤٦ ـ ٣٤٧.

بعد موتهما وهو في غاية الكرب والحزن يوجز منهم النصرة فلا جرم إذًا لأجل ذلك يعد الله الطائف متنفسًا لأهل الإسلام(١). ومهما يكن من أمر فإن الرسول ﷺ لم يلق النصرة من أهل الطائف وبذلك أخذ يناجي ربه لكي يصرف الكرب عنه ولقد كان الرسول ﷺ عندما رفع صوته مناجيًا ربه في أعلى مراحل عمق الإيمان ويسأله الرحمة والمغفرة ويسأله الوقت نفسه أن يثبت عزيمته وإيمانه لأنه لاقى اللامبالاة والاستخفاف من قبل ثقيف حتى أن سفهاء القبيلة اعتدوا عليه وهو في كل الأحوال إنسان عنده صبر محدود وطاقة معينة ولكنه يعرف جيدًا أن الله سبحانه وتعالى يقف وراء دعوته ناصرًا إياه على أعدائه.

وتشير النصوص إلى أن الرسول ﷺ قد دخل بجوار المطعم بن عدي بعد رجوعه إلى مكة وهذا يعني أنه سلخ نفسه من قريش أو حاول الابتعاد عنها، والذي يثير الاستغراب والتساؤل هو موقف أبناء عشيرته من هذه الحادثة! أما كان للانتماء القبلي ورابطة الدم أن تلعب دورها هنا؟ ولكن الذي يبدو في هذا الأمر أن قريشًا رأت في دعوة محمد ﷺ ورسالته تهديدًا مباشرًا لمكانتها بين القبائل وتقويضًا لدورها السياسي والاقتصادي والديني وهذا الأمر بالتأكيد لم يكن يعني بطنًا معينة من قريش بل كان يعني كل فرد منها. أما عند إجارة المطعم بن عدي فإن العربي يجود بروحه إذا ما استجار به شخص وكان باستطاعته أن يلبي طلبه ومن هذا المنطلق جاءت استجابة المطعم بن عدي(٢).

أما لماذا التجأ محمد ﷺ إلى ثقيف بالذات؟ وإلى الأحلاف منها، وليس إلى بني مالك؟. فإننا سنحاول أن نستعرض الآراء التي قيلت بشأن هذا الموضوع ومن ثم سوف ندلي بدلونا.

يرى بعض الباحثين أن الرسول ﷺ اتجه إلى ثقيف ليبحث عن مسلمين جدد ويطلب الحماية بعد ازدياد أذى المشركين عليه وأنه اختار الأحلاف لعله بذلك ينقذهم من سيطرة مخزوم المالية(٣).

---

(١) جار الله محمد بن عبد العزيز المكي، تحفة الطائف في فضائل الحبر عبد الله بن عباس ووج الطائف، تحقيق فاروق عبد الرزاق الألوسي، رسالة مكتوبة على الآلة الطابعة، جامعة بغداد، كلية التربية، ١٩٨٩، ص ١٢٦ ـ ١٢٧.

(٢) الطبري، تاريخ الرسل، ج ٢، ص ٣٤٧ ـ ٣٤٨.

(٣) وات، محمد في مكة، ص ٢٢٠. العبيدي، مدينة الطائف، ص ١٠١.

ويعتقد بعضهم أن الرسول ﷺ لو وفق في حمل بعض العرب من خارج مكة على قبول الإسلام فإنهم سيكونون عونًا للمسلمين في مكة مما يجعلهم معًا يشكلون حزبًا يفرض نفسه على أعدائه[١].

ويظن بعضهم أن خروج الرسول ﷺ إلى الطائف لأن قبيلة ثقيف القوية كانت تسكن فيها فإذا قبلوا الإسلام صاروا عونًا له على قريش، كذلك أن للطائف أهمية تجارية لوقوعها على الطريق بين مكة واليمن فأراد الرسول بذلك أن يهدد تجارة مكة، وكان لبعض تجار قريش مزارع وبساتين في الطائف فلو انتشر الإسلام فيها فإنه سوف يسد عليهم جزءًا من سبل عيشهم، وتوقع الرسول ﷺ النجاح في دعوته لانقسام أهل الطائف على أنفسهم بين بني مالك والأحلاف وظن أن ذلك سوف يساعده على نشر دعوته[٢].

ويرى باحث آخر أن سبب توجه الرسول ﷺ إلى الطائف ربما يعود إلى تصوره بسوء استغلال أهل مكة لأهل الطائف وكذلك أنه أراد أن يهدد مصالح المكيين فيها فأراد أن ينشر الإسلام في ثقيف ليهددهم بهم[٣]. هذه خلاصة للآراء التي قيلت بشأن ذهاب الرسول ﷺ للطائف.

ويخيل لي أن ذهاب الرسول ﷺ إلى الطائف جاء بعد معاناة كبيرة وبعد أن وجد أن دعوته لم تلق ذلك الصدى المطلوب في مكة فكان لا بد له أن يبحث عن مكان آخر يجد فيه متنفسًا لدعوته وبالتالي لا بد أن يلتف حول هذه الدعوة الرجال المؤمنون الذين يكونون مستعدين للذود عنها في كل الظروف فإلى أين يتجه؟ كان لا بد أن يفتش عن مكان يجد فيه الأمان والاطمئنان على دعوته ونفسه وبالتالي يكون قريبًا من مكة مهد الدعوة الأول. فكانت الطائف، حيث تسكن ثقيف، هي الأمل في الحصول على الأمان والاطمئنان والرجال الأشداء الحريصين على الذود عن عقيدة الإسلام. وإن اختيار ثقيف لم يكن اعتباطًا، لقد كانت ثقيف إحدى القبائل العربية القوية، فهي تملك أراضي زراعية واسعة، فضلًا عن كونها تحتفظ بعلاقة اقتصادية متينة مع أهل مكة ويثرب، وأن الطائف كانت ممرًا للقوافل المكية إلى اليمن وأن رجالات قريش كانت لهم أراض وبساتين وأموال مستثمرة في الطائف، وكانت قبيلة

(١) أتيين دينيه وسليمان إبراهيم، محمد رسول الله، ط ٢، ترجمة د. عبد الحليم محمود ومحمد عبد الحليم محمود مطبعة نهضة مصر (القاهرة، ١٩٥٨)، ص ١٥٩.

(٢) سعداوي، الدولة العربية، ص ٤٥.

(٣) العلي، محاضرات، ج ١، ص ٣٧٧.

ثقيف تعبد اللات وأن سدنتها من بني مالك وهم أحد الفريقين الموجودين بالطائف، فضلًا عن الأحلاف، فذهاب الرسول ﷺ إلى الطائف مرّده أن ثقيفًا قبيلة عربية قوية وأنها يمكن أن توفر له الحماية، ولكن لماذا اختار الرسول ﷺ الأحلاف ولم يلجأ إلى بني مالك، ربما يعود السبب إلى أن بني مالك كانوا سدنة اللات وبالتالي فإنهم سيقاومون دعوة الرسول ﷺ إذا ما لجأ إليهم لتعارض دعوته مع مصالحهم، أما سبب اختيار الأحلاف لأنهم كانوا في حلف مع قريش فأراد الرسول ﷺ منهم أن يأخذوا جانبه وبذلك يقع الخصام بين الأحلاف وقريش كما يرى بعض الباحثين، وأظن أن الرسول ﷺ عندما توجه إلى الأحلاف فإنه أراد أن يعطيهم ميزة السيادة وبالتالي يعطيهم ميزة دينية من خلال اعتناقهم للإسلام وبذلك سوف يقع الخصام بينهم وبين بني مالك الذين لهم سدانة اللات، فلو نجح الرسول الكريم في دعوته فإنه سوف يقوم بعرض نفسه على القبائل الأخرى التي اعتادت زيارة اللات وبذلك سيكسب الناس إلى جانبه باعتناقهم الإسلام. أما مسألة سوء استغلال المكيين لأهل الطائف فهذا خلاف الحقيقة التاريخية لأن ثقيف قبيلة قوية ولولا ذلك لما توجه الرسول ﷺ إليها، وبالتأكيد أراد من خلال نشر الإسلام في الطائف ضرب مصالح المكيين فيها، وأكبر دليل على ذلك أن الإسلام عندما انتشر في المدينة المنورة أصبح الرسول ﷺ والإسلام قوة تهدد اقتصاد قريش لأنه شريانها الأساس.

## غزوة حنين سنة ٨ هـ/ ٦٢٩ م

بعد أن تيقن الرسول ﷺ أن يجد في يثرب المكان الملائم لدعوته توجه إليها وتمكن هناك من وضع اللبنة الأساسية الأولى لنواة الدولة العربية الإسلامية، وقد وجه جهوده قبل ذلك إلى سلسلة من المعارك ضد قريش وكذلك اليهود وقد توج جهوده تلك بفتح مكة سنة ٨ هـ/ ٦٢٩ م[١]. ويرى بعضهم «أن الرسول ﷺ لم يلجأ إلى حرب هوازن وثقيف إلا لأن هذه القبائل تحدته وجاءت لحربه»[٢]. إن غزوة حنين التي وقعت بين هوازن وثقيف من جهة والمسلمين من جهة أخرى كان لا بد لها أن تقع، لأنه لو لم تسر هوازن إلى لقاء المسلمين، لسار إليها المسلمون يحدوهم الأمل بنشر الإسلام في تلك الربوع.

لقد تنادى أشراف هوازن بعضهم إلى بعض، وكذلك رجالات ثقيف، وكانوا مجمعين على قتال المسلمين، وكانوا يعتقدون واهمين، أن النبي ﷺ لم يلاق قومًا

---

(١) البلاذري، فتوح، ص ٤٩ ـ ٥٢. (٢) الشريف، دور الحجاز، ص ٩٦.

يحسنون القتال، وأنه سيغزوهم في عقر دارهم بعد أن تم له كسر شوكة قريش وضم مكة. وكان على رأس هوازن حينذاك مالك بن عوف النصري، وعلى رأس ثقيف قارب بن الأسود بن مسعود وهو من الأحلاف، وكان على بني مالك ذو الخمار سبيع بن الحارث ويقال الأحمر بن الحارث[(١)]، وقد تعالت بعض الأصوات من ثقيف ومنها صوت كنانة بن عبد ياليل يطلب من أبناء قومه عدم الخروج من حصنهم لأنه ربما وقعت الهزيمة بهم فطلب منهم ترميم حصنهم ليكون جاهزًا إذا ما وقفت الهزيمة بهم، وانتخب لقيادة هوازن وثقيف مالك بن عوف النصري[(٢)].

وقد خرجت هوازن ببطونها من نصر وجشم كلها وسعد بن بكر، وناس من بني هلال ولم يشارك بها من قيس عيلان إلا هؤلاء، وقد جاء مع بني جشم دريد بن الصمة وهو فارس مشهور وكان كبير السن وكان مجيئه تيمنًا برأيه وخبرته بالحرب، لأنه كان شيخًا مجربًا. وقد سير مالك بن عوف أموال الناس ونساءهم معه في حنين، فلما نزل بأوطاس سأل دريد[(٣)] بأي مكان نحن؟ فقيل له نحن بأوطاس[(٤)]. فقال نعم مجال الخيل، وقد سمع بكاء الصغار من الأطفال، ورغاء البعير، ونهاق الحمير. فقال دريد بن الصمة أين مالك فدعي له، فسأله لماذا سقت معك هذه الأموال والنساء والأطفال وأن هذا اليوم ليس بعده يوم؟ فقال مالك: أردت أن أجعل خلف كل رجل ماله وأهله ليذود عنه، فقال دريد وهل يرد المهزوم شيء؟ فإن انتصرت بها فلا ينفعك إلا رجل يحمل سيفه، وإن كانت عليك فضحت بين الناس في أهلك ومالك. وتساءل دريد عن موقف كعب وكلاب فأخبر بأنه لم يشهدها أحد منهم فتشاءم دريد من هذا الموقف، وشكك في احتمال غلبة قومه. ومهما يكن من أمر فقد رفض مالك اقتراح دريد القاضي بإرجاع المال والعيال إلى منازلهم، وأصر على بقائهم قرب ميدان المعركة. وطلب من الناس إطاعته بعد أن شكك في عقلية دريد بن الصمة، فأطاعه الناس، فقال دريد هذا يوم لم أشهده ولم يفتني:

يا ليتني فيها جَذَعْ أخبّ فيها وأضع

---

(١) الأحمر بن الحارث: آخو ذي الخمار سبيع بن الحارث (ابن هشام السيرة، ق ٢، ص ٤٣٧).

(٢) الواقدي، المغازي، ج ٣، ص ٨٨٥ ـ ٨٨٦.

(٣) دريد بن الصمة: يرى دينيه أن معركة حنين أديرت من قبل هوازن برئاسة مالك بن عوف ودريد بن الصمة (ينظر دينيه، محمد رسول الله ص ٣١٠).

(٤) أوطاس: واد في ديار هوازن (ينظر، ياقوت، معجم البلدان، ج ١، ص ٢٨١).

أقـــود وطـــفَـــاء الـــزَّمـــع كـــأنّـــهـــا شـــاة صـــدع[١]

ولما علم الرسول ﷺ بجموعهم بعث إليهم عبد الله بن أبي حدرد الأسلمي، وأمره أن يدخل بينهم، ويعلم بخبرهم ويأتيه بما أعدوا له. فانطلق هذا وجمع ما استطاع التوصل إليه من حيث جموعهم وعدتهم ثم أتى الرسول ﷺ وأخبره بخبرهم وقد جمع الرسول ﷺ بالمسير إليهم[٢]. وذلك لست خلون من شوال فانتهى إلى حنين في عاشره سنة ٨ هـ/ ٦٢٩ م[٣].

وبمبادرة ذكية طلب الرسول ﷺ من صفوان بن أمية دروعًا وسلاحًا فأمده صفوان بما احتاج إليه على الرغم من كونه ما زال مشركًا ولم يسلم. وقد وعده الرسول ﷺ بإرجاعها إليه[٤]. لقد اعتقد صفوان بن أمية أن الاستسلام والخضوع إلى محمد أفضل من الخضوع إلى ثقيف وهوازن وبذلك قدم له السلاح[٥]. والذي اعتقده أن هذا كان صحيحًا.

تقدم الرسول ﷺ إلى جموع هوازن وثقيف باثني عشر ألفًا من المقاتلين، عشرة آلاف من الأنصار والمهاجرين الأول وألفين من مسلمة الفتح، واستعمل الرسول ﷺ عتاب بن أسيد بن أبي العاص على مكة وقد سار المسلمون إلى هوازن فاستقبلوا وادي حنين، فانحدروا في واد من أودية تهامة واستعدوا لملاقاة القوم، وكانت هوازن قد سبقت المسلمين إليه، فشد هؤلاء على المسلمين شدة رجل واحد فدب الخوف والفزع بين صفوف المسلمين فتفرقوا فنادى الرسول ﷺ أين أيها الناس هلموا إلي أنا رسول الله، أنا محمد بن عبد الله، فلا مجيب له فقد حملت الإبل بعضها على بعض، ولكن هناك من ثبت مع الرسول ﷺ ومنهم أبو بكر الصديق وعمر وعلي بن أبي طالب رضي الله عنهم والعباس وأبو سفيان بن الحارث[٦]. والذي يثير التساؤل

---

(١) دريد بن الصمة، ديوان، جمع وتحقيق محمد خير البقاعي، دار قتيبة، (دمشق، ١٩٨١)، ص ٩٣. ابن هشام، السيرة، ق ٢، ص ٤٣٧ ـ ٤٣٩.

(٢) ابن هشام، السيرة، ق ٢، ص ٤٤٠.

(٣) ابن كثير، السيرة النبوية، ج ٣، تحقيق مصطفى عبد الواحد، مطبعة عيسى البابي، (القاهرة، ١٩٦٦)، ص ٦١٠

(٤) ابن هشام، السيرة، ق ٢، ص ٤٤٠. ابن الأثير، الكامل، ج ٢، ص ١٨٠.

(٥) W.Montgomery Watt, Muhammad at Madina, (London, 1962) p.71.

(٦) ابن هشام، السيرة، ق ٢، ص ٤٤٠ ـ ٤٤٣. ابن الأثير، الكامل، ج ٢، ص ٢٦٣.

هنا هو كيف بقي مع الرسول سبعة[١]. علمًا أن مجموع الذين خرجوا معه اثنا عشر ألف مقاتل فهذه الرواية تثير الشك لأن مجال قبولها محدود لأن مجموع الجيش كبير وبه الكثير من الصحابة.

وكان يقف على مقدمة هوازن رجل على جمل أحمر وبيده راية سوداء في رأسها رمح طويل إذا أدرك طعن برمحه وإذا فاته رفع رمحه لمن وراءه فأتبعوه وكان المسلمون يولون هاربين من ساحة المعركة من هول الصدمة التي أعدتها هوازن وثقيف فطلب الرسول ﷺ من العباس أن يصرخ بالناس فقال يا معشر الأنصار يا معشر أصحاب السمرة[٢] فأجابوا لبيك لبيك فكان الرجل يذهب ليثني بعيره ليعود حاملًا سيفه ودرعه ورمحه، ولما رأى الرسول ﷺ اشتداد المعركة قال الآن حمي الوطيس[٣].

وأقدم علي بن أبي طالب رضي الله عنه واثنان من الأنصار فقتلوا الرجل الذي كان يحمل بيده راية سوداء، وقد دارت معركة قوية انتهت بهزيمة هوازن وثقيف وتم أسر الكثير منهم[٤]. ولما انهزم الناس قال مالك بن عوف:

أقدمُ محاجُ أنه يومُ نكرَ ... مثلي على مثلكَ يحْمى ويكرّ
إذا أضيعَ الصَّف يومًا والدبُرْ ... ثم أحزألّت زُمرَ بعد زُمَرْ
كتائب بكل فيهنّ البَصَرْ ... قد اطْعنُ الطَّعنة تَقْذى بالسَّبرْ
قد نَفِد الضرس وقد طال العُمْر ... قد علم البيضُ الطويلاتُ الخُمرْ[٥]

وأنشدت امرأة من المسلمين بعد ذلك الانتصار:

قد غلبت خَيلُ الله خيل اللاتِ ... والله أحقُّ بالثباتِ[٦]

وقد قتل الكثير من الثقفيين خاصة بني مالك لأنهم كانوا حلفاء هوازن حيث قتل منهم سبعون رجلًا فيهم عثمان بن عبد الله بن ربيعة وقتل معه غلام له نصراني أَغْرَل،

(١) ابن قتيبة، المعارف، ص ١٦٤. اليعقوبي، تاريخ، ج ٢، ص ٦٢. وقيل تسعة أو عشرة (ينظر اليعقوبي، تاريخ، ج ٢، ص ٦٢).
(٢) أصحاب السمرة: هم أصحاب بيعة الرضوان الذين بايعوا تحت الشجرة وكانت الشجرة سمرة (ينظر السهيلي، الروض الأنف، ج ٢، ص ٢٩٥).
(٣) ابن هشام، السيرة، ق ٢، ص ٤٤٣ ـ ٤٤٥.
(٤) ابن هشام، السيرة، ق ٢، ص ٤٤٥.
(٥) ن.م، ق ٢، ص ٤٤٧.
(٦) ابن هشام، السيرة، ق ٢، ص ٤٤٩.

وبينما رجل من الأنصار يجرد القتلى مما يحملونه اكتشف أن هذا الغلام أَغْرَل فصاح يا معشر العرب أن ثقيفًا غرل، وهنا تدخل المغيرة بن شعبة الثقفي الذي كان قد أسلم وطلب منه عدم قول ذلك وأفهمه أن هذا الغلام نصراني وجعل المغيرة يكشف له عن القتلى من ثقيف ويقول له ألا تراهم مختنين[(١)]. إن هذا يقودنا إلى القول إن الرجل بعد إسلامه ظل يرنو إلى قبيلته باعتبار أن عزه من عزها، وأي عار يلحق بها فسوف يلحق به. كما قتل من الأحلاف رجلان يقال لأحدهما وهب والآخر الجلاح، وقد قال الرسول ﷺ حين بلغه مقتل الجلاح قتل اليوم سيد شباب ثقيف وانهزم المشركون حيث أتوا الطائف ومعهم مالك بن عوف، وعسكر بعضهم بأوطاس وتوجه قسم آخر إلى نخلة، وتبعت خيل المسلمين من توجه من المشركين نحو نخله، وقد قتل دريد بن الصمة[(٢)].

وذكر الله عز وجل هذه المعركة بقوله تعالى: ﴿لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ﴾ [التوبة: الآية ٢٥]. وقد جمعت إلى الرسول ﷺ سبايا ومغانم حنين وكان عليها مسعود بن عمرو الغفاري وحملت هذه الأموال والسبايا إلى الجعرانة[(٣)]. وكره المسلمون أن يقعوا على السبايا ولهن أزواج[(٤)]. وقال عباس بن مرداس في يوم حنين:

إنـي والـسَّـوابـحَ يـوم جَـمْـع ... وما يَتلو الرَّسولُ من الكتاب

لـقـد أحـبـبـت وألـقـيـتْ ثـقـيـف ... بجنْب الشِّعبْ أمسّ من العذاب

هُـم رأس الـعـدوّ مـن أهـلِ نـجـدٍ ... فـقـتـلـهـمُ ألـذّ مـن الـشـرابِ[(٥)]

وقد بلغت غنائم المسلمين في غزوة حنين ست آلاف من البقر وأربعة وعشرين ألفًا من المعز وأربعين ألف شاه، وأربعة آلاف أوقية فضة، وقتل من ثقيف تسعون رجلًا[(٦)]. والذي اعتقده أن هذه الأرقام مبالغ فيها لأن كتب التاريخ والمغازي لا

---

(١) ن.م، ق ٢، ص ٤٤٩ ـ ٤٥٠.

(٢) ابن هشام، السيرة، ق ٢، ص ٤٥٢ ـ ٤٥٨.

(٣) ابن هشام، السيرة، ق ٢، ص ٤٥٩. (٤) الواقدي، المغازي، ج ٣، ص ٩١٩.

(٥) العباس بن مرداس، ديوان شعره، ط ١، تحقيق د. يحيىٰ الجبوري، دار الجمهورية (بغداد، ١٩٦٨)، ص ٣٣ ـ ٣٤. ابن هشام، السيرة، ق ٢، ص ٤٦٠.

(٦) البطريك أسطيفان الماروني الدويهي، تاريخ المسلمين، مخطوطة، مكتبة الدراسات العليا، جامعة بغداد، كلية الأداب، تحت رقم ١٣، ورقة رقم ٤.

تذكرها فكيف أحصاها مؤرخنا هذا؟ وقد هرب رأس هوازن ومدبر أمورها مالك بن عوف إلى الطائف وكان أهل الطائف قد استعدوا للحصار فأقام بها[١].

ويفسر بعض الباحثين غزوة حنين بالنسبة إلى «ثقيف هي حرب انتقام من قريش من خلال الاستذكار لحرب الفجار التي حدثت بسبب التنافس بين مكة والطائف»[٢]. والذي أراه لم يكن انتقامًا بل أن ما تم شيء طبيعي وحتمي إذ بعد اندحار قريش واستسلامها للرسول ﷺ كان لا بد أن يأتي الدور على الطائف ومن خلالها إلى ثقيف، والتي كانت مهددة بصورة أو بأخرى من قبل الرسول ﷺ فكان عليها أن تأخذ المبادرة، فإن أصابت فإنها سوف تحافظ على مركزها وبالتالي ستحصل على مكانة جديدة لها من خلال الاستئثار بالسلطة السياسية والدينية والاقتصادية وإن انهزمت فقد انهزم من كان أقوى منها وهي قريش.

## حصار الطائف سنة ٨ هـ/ ٦٢٩ م

بعد انهزام المشركين في حنين رجع قسم منهم إلى الطائف، عندئذٍ طلب الرسول ﷺ من الطفيل بن عمرو أن يسير إلى ذي الكفين وهو صنم عمرو بن حممة لكي يهدمه ويوافيه بالطائف مع أبناء قومه فأنجز الطفيل مهمته ثم لحق بالرسول ﷺ ومعه أربعمائة من أبناء قومه ومعهم دبابة ومنجنيق، وكانت ثقيف قد أصلحت حصنها وأغلقته عليها وتهيأت للقتال، وضعت فيه مؤنة تكفيهم سنة لو تم حصارهم[٣]. ولكن من أين للطفيل بن عمرو الدبابة والمنجنيق والذي أراه أن هذه الأسلحة كانت بجرش وأن بعض رجالات ثقيف ممن لم يحضروا الحصار كانوا هناك يتعلمون صناعة الدبابات والمنجنيق وهم عروة بن مسعود وغيدان بن سلمة[٤].

ويرى بعضهم أن الرسول ﷺ كان قد أتى بالمنجنيق والدبابة أثناء حصاره للطائف[٥]. ويعتقد القسم الآخر بأن المنجنيق أشار به سلمان الفارسي، أما الدبابة فقد أتى بها خالد بن سعيد بن العاص من جرش[٦]. ويرى بعض المؤرخين أن تلك الأدوات ربما متبناة من البيزنطيين[٧]. وأظن أن الرسول ﷺ استعمل هذه الأسلحة

---

(١) قدامة ابن جعفر، الخراج، ص ٢٦٨. (٢) العبيدي، مدينة الطائف، ص ١٢١.
(٣) الواقدي، المغازي، ج ٣، ص ٩٢٢ ـ ٩٢٤.
(٤) ابن هشام، السيرة، ق ٢، ص ٤٧٨. (٥) البلاذري، الفتوح، ص ٦٧.
(٦) البلاذري، أنساب الأشراف، ج ١، ص ٣٦٦.
(٧) WATT. Muhammad at Medina. p.73.

لأول مرة فهي كانت أسلحة حديثة بالنسبة للمسلمين وبالتأكيد أنهم حصلوا عليها من هذه الجهة أو تلك.

سار الرسول ﷺ بجيشه إلى الطائف فسلك طريق نخلة اليمانية ثم اتجه نحو قرن ثم وصل إلى المليح ومنها إلى بحرة الرغاء من لية فبنى بها مسجدًا فصلى به، كذلك أمر بحصن مالك بن عوف بها فهدم ثم سلك طريقًا تسمى الضيقة فغير الرسول ﷺ اسمها إلى اليسرى ثم خرج منها إلى نخب ثم مضى حتى نزل قريبًا من الطائف فأنزل به عسكره ثم انسحب من ذلك الموضع لأن نبال ثقيف تناله(١). وبلغ عدد من استشهد منهم في هذا الموضع اثنا عشر رجلًا(٢). وقد اتخذ من مسجده بالطائف اليوم موضعًا جديدًا لجيشه وكانت معه امرأتان من نسائه إحداهما أم سلمة بنت أبي أمية فضرب لهما قبتين وصلى بين موضعهما. أما عن حصار الطائف فقد اختلف في مدته فبعضهم يشير إلى بضع وعشرين ليلة(٣). وقيل تسعة عشر يومًا وقيل ثمانية عشر يومًا وقيل خمسة عشر يومًا وكل هذه المدة والرسول يصلي بين القبتين اللتين ضربهما لزوجيه أم سلمة وزينب بنت جحش(٤). ثم بنى في هذا المكان مسجدًا فيما بعد(٥). قال كعب بن مالك حين سار الرسول للطائف:

قضينا من تهامة كل ريبٍ ... وخيبر ثم أجممنا السيوفا

نُخَيّرها ولو نطقت لقالت ... قواطعهن دوسًا أو ثقيفا

فلست لِحاضنٍ إن لم تروها ... بساحة داركم منا ألوفا

وننتزع العروش ببطن وج ... وتصبح دوركم منكم خلوفا

وأنا قد أتيناهم بزحف ... يحيط بسور حصنهم صفوفا

رئيسهم النبي وكان صلبًا ... نقي القلب مصطبرًا عزوفا(٦)

---

(١) ابن هشام، السيرة، ق ٢، ص ٤٨٢. الطبري، تاريخ الرسل، ج ٣، ص ٨٣.
(٢) محمد بن سعد، الطبقات الكبرى، ج ٢، دار صادر، دار بيروت (بيروت ١٩٥٧)، ص ١٥٨.
(٣) ابن هشام، السيرة، ق ٢، ص ٤٨٢. اليعقوبي، تاريخ، ج ٢، ص ٦٤. الطبري، تاريخ الرسل، ج ٣، ص ٨٣.
(٤) الواقدي، المغازي، ج ٣، ص ٩٢٧. (٥) ابن هشام، السيرة، ق ٢، ص ٤٨٣.
(٦) كعب بن مالك الأنصاري، ديوان، ط ١، تحقيق د. سامي العاني، مطبعة المعارف (بغداد، ١٩٦٦)، ص ٢٣٤ ـ ٢٣٦. ابن هشام، السيرة، ق ٢، ص ٤٧٩ ـ ٤٨٠.

وقد أجابه كنانة بن عبد ياليل بن عمرو بن عمير:

| | |
|---|---|
| مَن كان يبغينا يريد قتالنا | فأنا بدار معلم لا نريمها |
| وجدنا بها من الآباء من قبل ما ترى | وكانت لنا أطواؤها وكرومها |
| وقد جربتنا قبل عمرو بن عامر | فأخبرها ذو رأيها وحليمها |
| نرفعها عنا ببيض صوارم | إذا جُرّدت في غمرة لا نشيمها[١] |

فهو يفخر بأبناء قومه وبأرض الطائف وكيف كانت لهم أيامًا على مر الزمان وما كانت تنتجه من عنب وغيره، وكذلك بذكر المسلمين بأن للثقفيين كان لهم أيامًا على عمرو بن عامر الذي كان يسكن الطائف قبلهم وكيف استطاعوا السيطرة على هذه المدينة بقوة سيوفهم وقد نصب الرسول ﷺ عليهم المنجنيق، ونشر الحسك[٢] سقبين من عيدان حول الحصن[٣]. والرسول ﷺ أول من رمى بالإسلام بالمنجنيق يوم الطائف[٤] وقد قاتلهم الرسول قتالًا شديدًا، وذلك بعد حصارهم. واستخدم نفر من جيش المسلمين الدبابة، وتقدموا بها إلى جدار سور الطائف لعلهم يحدثون به ثقبًا، فرمتهم ثقيف من فوق الحصن بسكك الحديد محماة بالنار فخرجوا من تحتها فرماهم بعض الثقفيين بالنبل فقتلوا منهم رجالًا، وعندئذٍ أمر الرسول ﷺ بقطع أعناب ثقيف[٥]. والذي أظنه أن الرسول ﷺ أراد بهذا العمل أن يدفع ثقيف إلى أن تخرج من حصنها لتدافع عن أموالها، وأن الرسول ﷺ قد شعر أنه طالما بقي محاصرًا ثقيف في داخل الحصن فإنه سوف لن ينال منهم. «وقد نادى سفيان بن عبد الله الثقفي الرسول ﷺ لم تقطع أموالنا أما أن تأخذها إن ظهرت علينا وأما أن تدعها لله وللرحم فقال الرسول ﷺ، فإني أدعها لله وللرحم»[٦].

وقد تقدم أبو سفيان بن حرب والمغيرة بن شعبة وطلبا الأمان من ثقيف لكي يكلموهم فأمنوهما، وطلبا نساء من قريش وبني كنانة ليخرجن إليهما لأنهم أخافوا عليهن من السبي، منهن آمنة بنت سفيان كانت متزوجة من عروة بن مسعود[٧].

---

(١) ابن هشام، السيرة، ق ٢، ص ٤٨١.

(٢) الحسك: هو من أدوات الحرب يصنع من الحديد. ينظر (ابن منظور، لسان العرب، مادة (حسك).

(٣) ابن سعد، الطبقات، ج ٢، ص ١٥٨.

(٤) ابن هشام، السيرة، ق ٢، ص ٤٨٣. السهيلي، الروض الأنف، ج ٢، ص ٣٠٣.

(٥) الطبري، تاريخ الرسل، ج ٣، ص ٨٣. ابن الأثير، الكامل، ج ٢، ص ٢٦٦.

(٦) الواقدي، المغازي، ج ٣، ص ٩٢٨.

(٧) الطبري، تاريخ الرسل، ج ٣، ص ٨٤.

ولا بد من الإشارة إلى أن الرسول ﷺ في حصاره للطائف لم يكن فيها بعض رجالات ثقيف أمثال عروة بن مسعود وغيلان بن سلمة لأنهما كانا بجرش يتعلمان صناعة العرادات والمنجنيق والدبابة، وقد قدما بعد انصراف الرسول ﷺ عن الطائف فنصبا المنجنيق والعرادات والدبابات واستعدا للقتال إذا ما عاود الرسول ﷺ الهجوم[١].

وقد بعث الرسول ﷺ مناديًا ينادي من خرج إلينا فهو حر فجاء إليه نفر من الرقيق منهم أبو بكرة بن مسروح أخو زياد فأعتقهم ودفع كل واحد منهم إلى رجل من المسلمين يعيله[٢].

وأبو بكرة اسمه نفيع بن مسروح وكان قد تدلى من حصن الطائف على بكرة فكني (أبو بكرة)، وكان ممن جاء مع أبي بكرة إلى الرسول ﷺ رجل يسمى الأزرق وكان عبدًا للحارث بن كلدة، وكذلك عبد اسمه المضطجع بدّل الرسول ﷺ اسمه إلى المنبعث وكان عبدًا لعثمان بن عامر بن معقب، فضلًا عن رجل يقال له يحنس النبال وكان عبدًا لآل يسار وكذلك وردان جد الفرات بن زيد بن وردان وقد أسلم هؤلاء[٣]. وبلغ مجموع العبيد الذين هربوا إلى الرسول ﷺ أثناء حصار الطائف ثلاثة وعشرين عبدًا[٤]. والرسول ﷺ بهذا العمل أراد أن يزعزع ثقة أهل الطائف بأنفسهم وبالتالي فإنه سوف يكسب قوة جديدة إلى جيشه، لأن هؤلاء يعرفون نقاط ضعف قبيلة ثقيف، وكذلك يعرفون نقاط ضعف حصنها. وقد طلب رسول الله ﷺ من المسلمين أن يعلموا هؤلاء العبيد قراءة القرآن الكريم والسنن، وقد أعتقهم ودعاهم عتقاء الله[٥]، ويرى بعضهم أن الرسول ﷺ جعل ولاء هؤلاء العبيد لسادتهم حين أسلموا[٦]. ولا أظن ذلك لأن ولاءهم أصبح لله ولرسوله.

ومهما يكن من أمر فإن الرسول ﷺ رأى أن الانسحاب أمر لا بد منه لأن مدة الحصار طالت، وقد استشار نوفل بن معاوية الديلي بهذا الأمر، «فقال نوفل يا

---

(١) شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب النويري، نهاية الأرب في فنون الأدب، ج ١٨، وزارة الثقافة والإرشاد، (مصر، لا.ت)، ص ٥٩.
(٢) الواقدي، المغازي، ج ٣، ص ٩٣٢.
(٣) السهيلي، الروض الأنف، ج ٢، ص ٣٠٤.
(٤) عاقل، تاريخ العرب، ص ٥٢٤.
(٥) الواقدي، المغازي، ج ٣، ص ٩٣٢.
(٦) السهيلي، الروض الأنف، ج ٢، ص ٣٠٤.

رسول الله ثعلب في حجر إن أقمت عليه أخذته وإن تركته لم يضرك»[١]، وكان الرسول ﷺ قد رأى في المنام أن قبعة قد كان بها زبدًا فنقرها ديك فنزل ما بها، وقد تحدث بذلك المنام، إلى أبي بكر الصديق رضي الله عنه فقال له إنك لا تدرك يومك هذا منهم[٢]. وهناك رواية أخرى تشير إلى أن خويلة بنت حكيم السلمية وهي زوج عثمان بن مظعون طلبت من الرسول ﷺ حلي بادية بنت غيلان أو حلي الفارعة بنت عقيل وكانت من أكثر نساء ثقيف حليًا فقال لها الرسول ﷺ أنه لم يؤذن لي بالفتح فخرجت فأخبرت عمر بن الخطاب رضي الله عنه فدخل على الرسول ﷺ مستفسرًا فأعلمه الرسول ﷺ أنه لم يؤذن له بالفتح[٣].

وأظن أن الرواية الأولى التي تقول إن الرسول ﷺ قد استشار نوفل بن معاوية هي الأقرب إلى الصحة لأن ثقيفًا ضعفت والإسلام قد أحاط بها فلا قوة لها بقتال المسلمين فرأى الرسول ﷺ إن فك الحصار عنها ربما يعود بالنفع على الإسلام والمسلمين وثقيف لأنها ربما ستعلن استسلامها فلا تراق الدماء وتضاف عند ذلك قوة جديدة للمسلمين.

وقد طلب عيينة بن بدر من الرسول ﷺ أن يأذن له لكي يأتي ثقيفًا ليكلمهم، فأذن له فجاءهم وقال لهم: «فداءكم أبي وأمي والله لقد سرني ما رأيت منكم، والله لو أن في العرب أحدًا غيركم والله ما لاقى محمد مثلكم قط ولقد مل المقام فأثبتوا في حصنكم فإن حصنكم حصين وسلاحكم كثير وماءكم واتن لا تخافون قطعه»[٤]. ولما رجع إلى الرسول ﷺ سأله ماذا قلت لهم، قال: «طلبت منهم دخول الإسلام وإن المسلمين لا يبرحون داركم حتى تنزلوا» فكذبه الرسول ﷺ[٥].

وهذا يؤكد أن ثقيفًا قاتلت الرسول ﷺ أشد قتال وأنها كانت تبث العيون في جيش المسلمين ومن المرجح أن هذه العيون كانت تشيع الخوف والتردد في جيش المسلمين عن قوة ثقيف ومتانة حصنها وغيرها من الأمور الأخرى. وقد جسد أبو محجن الثقفي هذا التوجه وهو على حصن الطائف مخاطبًا المسلمين «إنكم والله ما لاقيتم أحدًا يحسن قتالكم غيرنا تقيمون ما أقمتم بشر محبس ثم تنصرفون لم تدركوا

(١) الطبري، تاريخ الرسل، ج ٣، ص ٨٤.
(٢) الطبري، تاريخ الرسل، ج ٣، ص ٨٤ ـ ٨٥.
(٣) ابن الأثير، الكامل، ج ٢، ص ٢٦٦.
(٤) الواقدي، المغازي، ج ٣، ص ٩٣٢.
(٥) ن.م، ص ٩٣٢ ـ ٩٣٣. ابن كثير، السيرة، ج ٣، ص ٦٥٩.

شيئًا»[١]. وتشير الروايات التاريخية إلى بعض من خرج مع الرسول ﷺ في حصار الطائف لم يكن حبًا في الإسلام أو كرهًا لثقيف حسب، بل أراد أن يأسر إحدى نساء ثقيف فيتزوجها فتلد له رجلًا لأن أهل ثقيف اشتهروا بالقوة والبأس والمناورة والدهاء، ومثال ذلك قول عيينة بن حصن حين صرح قائل بأن خروجه مع الرسول ﷺ كان لهذه الغاية[٢]. لأن الطفل سوف يترعرع في ظل قبيلة ثقيف فيصبح رجلًا قد تعلم الكثير وخبر الحياة بكل معانيها ومن هذا المفهوم نستطيع أن نتلمس نجاح رجالات ثقيف في الدولة العربية الإسلامية عندما تقلدوا المناصب الإدارية والعسكرية، ولما انصرف الرسول ﷺ عن الطائف بعد حصاره لها قال بجير بن زهير بن أبي سلمى يذكر حنين والطائف:

كانت عُلالة يوم بطن حنين ... وغداة أوطاس ويوم الأبرق

جمعت بإغواء هوازن جمعها ... فتبددوا كالطائر المتمزق

ولقد تعرضنا لكيما يخرجوا ... فتحصنوا منا بباب مغلق

ترتد حسرانا إلى رجراجة ... شهباء تلمع بالمنايا فيلق[٣]

ويشير بعضهم إلى أن المسلمين لم يكونوا راضين بالانصراف عن الطائف دون فتحها فطلب الرسول ﷺ أن يستعدوا للقتال في ذلك اليوم فوقعت بعض المناوشات بين المسلمين والثقفيين فوقع بين المسلمين عدد من الجرحى فوافق المسلمون على فك الحصار نزولًا عند رغبة الرسول ﷺ[٤].

ويرى بعضهم أن الرسول ﷺ بعد انصرافه من حصار الطائف ترك أبا سفيان بن حرب على حصارها ووجه عليًا لكسر الأصنام[٥]. وورود هذا الخبر يمثل خلاف الحقيقة التاريخية المعروفة لأن الرسول ﷺ عندما انسحب من الطائف انسحب مع جيشه كله ولم يترك هناك أبا سفيان بن حرب لأن الجيش انسحب إلى الجعرانة ثم قام الرسول ﷺ بتقسيم غنائم حنين على المؤلفة قلوبهم وكان من ضمنهم أبو سفيان بن حرب[٦]. أما

---

(١) الواقدي، المغازي، ج ٣، ص ٩٣٥.
(٢) ابن هشام، السيرة، ق ٢، ص ٤٨٥. الطبري، تاريخ الرسل، ج ٣، ص ٨٥.
(٣) ابن هشام، السيرة، ق ٢، ص ٤٨٧.
(٤) مسلم، صحيح مسلم، ج ٣، ص ١٤٠٢.
(٥) اليعقوبي، تاريخ، ج ٢، ص ٦٤.
(٦) أبو عمرو خليفة بن خياط بن أبي هبيرة خليفة بن خياط الليثي العصفري تاريخ خليفة بن=

مسألة تكسير الأصنام فقد كانت اللات في الطائف والتي قام المغيرة بن شعبة وأبو سفيان بن حرب، بتحطيمها بعد إسلام ثقيف فمن أين استقى مؤرخنا الجليل روايته هذه؟

ويعتقد بعضهم أن الرسول ﷺ عند محاصرته للطائف ونصب المنجنيق عليها تمكن من هدم حصنها ودخل الطائف ظافرًا(١). ولا نعلم من أين استقى الباحث الكريم هذه المعلومات المهمة لأن الرسول ﷺ بعد حصاره الطائف والذي استمر حوالي عشرين ليلة على أغلب الروايات التاريخية علاوة على ذلك فإن أهل الطائف كانوا مستعدين للحصار منذ مدة فقد رأى الرسول ﷺ أنه لا جدوى من محاصرتهم ولهذا انسحب بدليل أن المسلمين طلبوا منه أن يدعو على أهل الطائف فقال: «اللهم اهد ثقيفًا وات بهم»(٢). وهذا يدل على أن الرسول ﷺ كان أمام الأمر الواقع فرحل دون أن يتمكن من التغلب عليها(٣).

ويبدو أن الرسول ﷺ رأى أن حصار الطائف سوف لن يجدي نفعًا مع ثقيف، ولعل فك الحصار واتخاذ طريق السلام، لا سيما وأن الثقفيين تلمسوا قوة المسلمين وعمق إيمانهم وإصرارهم على نشر الإسلام، سوف يؤدي بالثقفيين إلى اتخاذ طريق الصواب والإيمان وقد كان شعار أصحاب الرسول ﷺ يوم الطائف يتكون من مجموعة من الشعارات التي رفعها المسلمون. ولعل كل واحد منها يثير في نفوس المسلمين المآثر وروح الإقدام والجهاد ويحفز في نفوسهم بواعث الاندفاع والاستبسال في سبيل العقيدة الإسلامية. فقد كان شعار المهاجرين يا بني عبد الرحمٰن، أما شعار الخزرج فكان يا بني عبد الله وشعار الأوس يا بني عبيد الله(٤). ويبدو أن اختلاف هذه الشعارات، فضلًا عما ذكرناه، يدل على أن الجيش العربي الإسلامي كان له تنظيم عسكري حسب قبائلهم، حيث تعرف كل فئة على حده، وبذلك سيظهر اندفاع كل فئة ومساهمتها في الدفاع والذود عن الإسلام.

وقد قدم المسلمون في هذا اليوم الخالد كوكبة من شهداء العقيدة والإيمان، وهم سعيد بن سعيد بن العاص بن أمية، وعرفطة بن حباب، وعبد الله بن أبي بكر

= خياط، ج ١، تحقيق أكرم ضياء العمري، مطبعة الآداب، (النجف، ١٩٦٧)، ص ٥٢.

(١) فروخ، تاريخ صدر الإسلام، ص ٧١.

(٢) ابن هشام، السيرة، ق ٢، ص ٤٨٨.

(٣) عماد الدين يحيىٰ بن أبي بكر العامري، مخطوطة غربال الزمان، المجمع العلمي العراقي تحت رقم ١١٤٢، ورقة رقم ٣.

(٤) ابن هشام، السيرة، ق ٢، ص ٤٠٩.

الصديق حيث رمي بسهم يوم الطائف وقد مات بسببه بعد وفاة الرسول ﷺ وعبد الله بن أمية بن المغيرة، وعبد الله بن عامر بن ربيعة، والسائب بن الحارث بن قيس، وأخوه عبد الله بن الحارث، وجليحة بن عبد الله، وثابت بن الجذع، والحارث بن سهل بن أبي صعصعة، والمنذر بن عبد الله، ورقيم بن ثابت بن ثعلبة[١]. فقد كان عدد الذين استشهدوا أثناء القتال اثني عشر رجلًا. وفي يوم الطائف أصيب أبو سفيان في عينه ففقدها[٢].

وعند انسحاب الرسول ﷺ خاطب المسلمين أن يرددوا وراءه «لا إله إلا الله وحده صدق وعده ونصر عبده وهزم الأحزاب وحده»[٣]. ولما ساروا مسافة عن الطائف قال الرسول ﷺ للمسلمين قولوا: «آئبون تائبون عابدون لربنا حاسدون»[٤].

## تقسيم غنائم حنين

وبعد انسحاب الرسول ﷺ إلى الجعرانة، كان معه سبي كثير حيث بلغ ستة آلاف من الذراري والنساء، ومن الإبل والماعز ما لا يحصى عدده. ثم أن وفد هوازن قد أتى وأعلنوا إسلامهم وطلبوا من الرسول ﷺ أن يمن عليهم لأن المصاب الذي لحق بهم كان كبيرًا وذكروا الرسول ﷺ بأن في الأسر عماته وخالاته[٥]. ولمحوا له بإرضاعه مذ كان طفلًا عند بني سعد.

ويرى بعض المؤرخين أن عدد الأسرى كان كبيرًا، أما عدد الإبل فقد بلغ ستة آلاف بعير ومن الشاه ما لا يعد[٦].

ثم إن الرسول ﷺ خيرهم بين نسائهم وأبنائهم وأموالهم، فقالوا أبناؤنا ونساؤنا خير لنا من أموالنا، فقال الرسول ﷺ ما كان لي ولبني عبد المطلب فهو لكم، فإذا صليت بالناس فقولوا بأننا نستشفع بالرسول ﷺ إلى المسلمين وبالمسلمين إلى رسول الله في نسائنا وأبنائنا فأعطيكم عند ذلك وأسأل لكم. فلما صلى الرسول ﷺ الظهر بالمسلمين تكلم، وفد هوازن بما علمهم رسول الله ﷺ فقال ﷺ ما كان لي

(١) ابن هشام، السيرة، ق ٢، ص ٤٨٦ ـ ٤٨٧. خليفة بن خياط، تاريخ، ج ١، ص ٥٤ ـ ٥٥. ابن كثير، السيرة، ج ٣، ص ٦٦٣ ـ ٦٦٤.

(٢) البلاذري، فتوح البلدان، ص ٦٨.

(٣) ابن سعد، الطبقات، ج ٢، ص ١٥٩.

(٤) ن.م، ج ٢، ص ١٥٩.

(٥) ابن هشام، السيرة، ق ٢، ص ٤٨٨ ـ ٤٨٩.

(٦) الطبري، تاريخ الرسل، ج ٣، ص ٨٦.

ولبني عبد المطلب فهو لكم وقال المهاجرون وما كان لنا فهو لرسول الله ﷺ وقالت الأنصار كذلك[١]. وقال الأقرع بن حابس أما أنا وبنو تميم فلا نعطي، وقال عيينة بن حصن عن بني فزارة الشيء نفسه. أما بنو سليم فتكلم عنهم عباس بن مرداس وقال الكلام نفسه أي لا يرد السبايا فلم تقبل بنو سليم بحديث عباس بن مرداس فقالوا ما كان لنا فهو لرسول الله ﷺ فقال الرسول ﷺ من تمسك بحقه من هذا السبي فعليه ستّ فرائض من أول شيء نصيبه فردوا إلى هوازن نساءها وأبناءها[٢]. وقد استجابوا لطلب الرسول ﷺ[٣].

وقد سأل الرسول ﷺ عن مالك بن عوف فقيل له إنه بالطائف مع ثقيف فقال ﷺ أخبروه إن أتى مسلمًا فسوف أرد عليه ماله وأبناءه وأعطيه مائة من الإبل. فلما علم بذلك مالك خرج من الطائف وكان يخاف أن تعلم بذلك ثقيف فيحبسونه فخرج ليلًا على ظهر فرسه. فأتى راحلته حيث هيئت له فركبها ولحق بالرسول ﷺ بالجعرانة أو بمكة فرد عليه ماله وأهله وأعطاه الإبل التي وعد بها، وقد أسلم مالك وأحسن إسلامه، واستعمله الرسول ﷺ على أبناء قومه وعلى الذين آمنوا من تلك البقاع التي حول الطائف وهم ثمالة وسلمة وفهم وكان يخرج بهم فيقاتل ثقيفًا فكان لا يخرج لهم سرح إلا هجم عليه وبذلك ضيق الخناق على ثقيف[٤].

وقد قال أبو محجن الثقفي يستنكر مواقف مالك بن عوف:

هـابـتِ الأعـداءَ جـانـبـنـا ... ثـم تـغـزُونـا بـنـو سَـلَمـةْ

وأتـانـا مـالـكٌ بـهـمَ ... نـاقـضًـا لـلـعـهـد والـحـرمَـةْ

وأتـونـا فـيَ مـنـازِلَـنـا ... ولـقـد كـنـا أولـى نِـقـمـةْ[٥]

ولما فرغ الرسول ﷺ من رد سبايا هوازن إلى أهلها، ركب وسار خلفه المسلمون، وكانوا يطلبون من الرسول ﷺ أن يقسم فيء حنين بينهم حتى ألجؤوه إلى شجرة فقال ﷺ لهم: «أيها الناس أنه والله ليس لي من فيئكم ولا هذه الوبرة إلا الخمس والخمس مردود عليكم فأدوا الخياط والمخيط»[٦]. وهذا يقودنا إلى الاعتقاد أن هذه الغنائم كانت كثيرة حيث لم يستطع المسلمون إحصاءها.

---

(١) ابن هشام، السيرة، ق ٢، ص ٤٨٩. الطبري، تاريخ الرسل، ج ٣، ص ٨٧.
(٢) الطبري، تاريخ الرسل، ج ٣، ص ٨٧. (٣) ن.م، ج ٣، ص ٨٧ ـ ٨٨.
(٤) الطبري، تاريخ الرسل، ص ٨٨ ـ ٨٩. ابن الأثير، الكامل، ج ٢، ص ٢٦٩.
(٥) الطبري، تاريخ الرسل، ج ٣، ص ٨٩. (٦) ن.م، ج ٣، ص ٨٩.

وأعطى الرسول ﷺ للمؤلفة قلوبهم وكانوا من أشراف الناس أكثر من نصيبهم وأراد بذلك أن يكسبهم دائمًا إلى ظل الإسلام والمسلمين وهؤلاء هم:

أبو سفيان بن حرب، ومعاوية بن أبي سفيان، وحكيم بن حزام، والنضر بن الحارث بن كلدة بن علقمة أخا بني عبد الدار، والعلاء بن جارية الثقفي، والحارث بن هشام، وصفوان بن أمية، وسهيل بن عمرو، وحويطب بن عبد العزّى، وعيينة بن حصن، والأقرع بن حابس، ومالك بن عوف النصري. حيث أعطى لكل واحد من هؤلاء مائة بعير[١]. كما أعطى مخرمة بن نوفل، وعمير بن وهب الجمحي، وهشام بن عمرو دون المائة[٢].

وأعطى سعيد بن يربوع بن عنكثة بن عامر بن مخزوم، وعدي بن قيس السهمي، وعباس بن مرداس خمسين من الإبل[٣]. وقد رفض ابن مرداس هذه العطايا وعاتب الرسول ﷺ:

كانت نهابًا تلافيْتُها ... بكري على المهرِ في الأجْرَع
وإيقاض القوْمَ أن يرقدوا ... إذا هجع الناس لَم أهجع
فاصبحِ نهبي ونهب العُبَيْـ ... ـدِ بيْن عُيَيْنة والأقْرَع
وما كان حِصْن ولا حَابس ... يفوقانِ مِرْداس في المَجْمَع[٤]

فلم يكن عباس بن مرداس راضيًا عن قسمة الرسول ﷺ لأنه أعطى مائة بعير لكل من الأقرع بن حابس وعيينة بن حصن في حين أعطى ابن مرداس خمسين رأسًا من الإبل فابن مرداس يرى نفسه أنه لم يكن أقل من أولئك شأنًا وبلاءً فقال الرسول ﷺ: «اذهبوا فاقطعوا عني لسانه فزادوه حتى رضي»[٥]. فكان ذلك قطع لسانه.

وقد أعطى الرسول ﷺ العطايا لقريش ولقبائل العرب، ولم يعط للأنصار منها شيئًا، فكثر الحديث بينهم على أن الرسول ﷺ قد نساهم بعد أن لقي قومه وعشيرته، فدخل عليه سعد بن عبادة فكلمه في ذلك فقال له الرسول ﷺ اجمع لي قومك (أي

---

(١) ابن الأثير، الكامل، ج ٢، ص ٢٧٠. (٢) الطبري، تاريخ الرسل، ج ٣، ص ٩٠.
(٣) ن.م، ج ٣، ص ٩٠.
(٤) ابن مرداس، ديوان، ص ٨٤. الطبري، تاريخ الرسل، ج ٣، ص ٩١.
(٥) الطبري، تاريخ الرسل، ج ٣، ص ٩١.

الأنصار) فخرج فجمع قومه فجاء لهم الرسول ﷺ فحمد الله وأثنى عليه[١]. ثم قال: «يا معشر الأنصار ما قاله بلغتني عنكم وموجدة وجدتموها في أنفسكم إلم أتكم ضلالًا فهداكم الله وعالة فأغناكم الله وأعداء فألف الله بين قلوبكم!» قالوا: بلى لله ولرسوله المن والفضل. . . «أفلا ترضون يا معشر الأنصار أن يذهب الناس بالشاء والبعير وترجعوا برسول الله إلى رحالكم. . . ولو سلك الناس شعبًا وسلكت الأنصار شعبًا لسلكت شعب الأنصار اللهم ارحم الأنصار وأبناء الأنصار وأبناء أبناء الأنصار. . .» فقالوا: رضينا برسول الله قسمًا وحظًا»[٢]. من هذا يتبين لنا أن الرسول ﷺ كان على ثقة كبيرة من إيمان الأنصار، لأنهم هم الذين نصروا الإسلام، وأسهموا في وضع أسسه الأولى عندما كان طفلًا وليدًا فلا خوف على الإسلام من الأنصار، أما الآخرون فإن إسلامهم جاء متأخرًا، فلا بد من وجود منفذ ينفذ من خلاله الإسلام إلى صدورهم، وكان الرسول ﷺ حريصًا على تمييزهم وإعطائهم أهمية خاصة ليكونوا أداة بيد الإسلام لا ضده.

## قدوم وفد ثقيف وإعلان إسلامه سنة ٩ هـ/ ٦٣٠ م

بعد أن وجدت ثقيف نفسها أن لا قبل لها بمقاومة الإسلام، خاصة بعد اشتداد الضغط عليها من قبل القبائل المحيطة بها التي أعلنت إسلامها، وعندئذٍ رأت ثقيف نفسها أمام الحقيقة الأكيدة وهي القبول بالأمر الواقع، وإعلان إسلامها وليس في ذلك ذلة لها، لأن قريشًا نفسها أعلنت إسلامها، وهذه هوازن التي وقفت في حنين سنة ٨ هـ/ ٦٢٩ م مع ثقيف ضد الإسلام فانتصر الإسلام عليهما، فأعلنت هي الأخرى إسلامها، وقام مالك بن عوف بمهاجمة إبل ومواشي وأغنام ثقيف عند خروجها من حصنها، إذن لا بد لثقيف أن تقبل بالحقيقة التاريخية التي انتشرت في كل ربوع الحجاز فكان إسلامها.

وكان وفد ثقيف أسبق الوفود عند مقدمه على الرسول ﷺ سنة ٩ هـ/ ٦٣٠ م[٣] ويزعم بعضهم أن دخول ثقيف الإسلام جاء للإبقاء على ثرواتهم وأرواحهم، وأنهم ظلوا وثنيين بالروح مسلمين اسمًا ومظهرًا[٤]. ولكن هذا الزعم يتهاوى أمام مواقف

---

(١) الطبري، تاريخ الرسل، ج ٣، ص ٩٣.
(٢) ن.م، ج ٣، ص ٩٣ ـ ٩٤. ابن الأثير، الكامل، ج ٢، ص ٢٧١ ـ ٢٧٢.
(٣) الطبري، تاريخ الرسل، ج ٣، ص ٩٦ ـ ٩٩. عاقل، تاريخ العرب، ص ٥٣٢.
(٤) شرارة، الحجاج طاغية العرب، ص ٧١.

ثقيف اللاحقة، التي أكدتها الروايات التاريخية المعتمدة. ولعل عدم ظهور مرتدين بارزين من ثقيف مما يعزز هذا الرأي ويدعمه. كما أسهمت ثقيف بشكل فاعل في محاربة المرتدين من القبائل الأخرى، فضلًا عن أنها قدمت للدولة العربية الإسلامية رجالًا أفذاذًا أسهموا في مجال الإدارة والسياسة وقيادة الجيوش.

ويعتقد بعض الباحثين أن سبب إعلان ثقيف إسلامها أن البدو شددوا الخناق عليها فعانت من الجوع والاستجداء[١]. ولا بد من الإشارة إلى أن الرسول ﷺ عندما حاصر الطائف فإن ثقيفًا قد أدخلت إلى حصنها ما يكفيها لمدة سنة من المؤونة والمواد فالثقفيون لم يكونوا يعانون من ضائقة اقتصادية ملحّة. أما عن محاصرة القبائل العربية لهم فهذا صحيح، لأن الذين يجاورون ثقيفًا كانوا قد دخلوا الإسلام، فكان لزامًا عليهم السير بهذا الطريق لأن لا قبل لهم بمحاربة الإسلام بعد أن انتشر في المناطق المجاورة.

فعروة بن مسعود، أحد رجالات ثقيف المعروفين، لم يحضر مع أبناء قومه عندما حاصر الرسول ﷺ الطائف لأنه كان بمدينة جرش يتعلم صناعة الدبابات والمنجنيق، ولما رجع نصبها على حصن الطائف خوفًا من رجوع المسلمين إليهم بعد فك الحصار عن الطائف. لكن الله سبحانه وتعالى قذف الإيمان في قلبه فلحق بالرسول ﷺ بالمدينة، وقيل لحق به بين مكة والمدينة، وذلك بعد رجوع الرسول ﷺ من تبوك وقد أعلن إسلامه بين يدي الرسول الكريم ﷺ، وطلب منه السماح له بالذهاب إلى قومه ليدعوهم إلى الإسلام، فقال له الرسول ﷺ وإذا قاتلوك فقال له إني لأحب إليهم من أبكار أولادهم. وقد ألح على الرسول ﷺ في طلبه فأذن له فجاء الطائف، ودخل منزله عشاء فانتبه إليه قومه لأنه لم يزر اللات، فقالوا لعله كان مرهقًا من السفر، فجاؤوا إليه فحيوه بتحية أهل الطائف فرد عليهم بتحية الإسلام، ودعاهم إلى دخول الإسلام[٢] فرماه رجل من بني مالك يدعى أوس بن عوف فأصاب عروة فتجمعت الأحلاف عصبة عروة، وأرادوا الأخذ بثأره، فقال لهم عروة إني قد تصدقت

---

(١) كارل بروكلمان، تاريخ الشعوب الإسلامية، ج ١، ط ٢، نقله إلى العربية د. أمين فارس ومنير البعلبكي، دار العلم للملايين، (بيروت، ١٩٥٣) ص ٧٣. العبيدي، مدينة الطائف، ص ١٧٣.

(٢) الواقدي، المغازي، ج ٣، ص ٩٦٠ ـ ٩٦١. ابن هشام، السيرة، ق ٢، ص ٥٣٧ ـ ٥٣٨. ابن سعد، الطبقات، ج ١، ص ٣١٢.

بدمي على قاتلي، وأراد بذلك أن يصلح بينهم، وأوصى بدفنه مع شهداء المسلمين يوم الطائف فتم له ذلك[١].

ولما علم الرسول ﷺ بذلك قال: «إن مثله في قومه لكمثل صاحب ياسين في قومه»[٢]. ويفسر السهيلي قول الرسول ﷺ أعلاه. «ربما أريد به ياسين في سورة ياسين الذي خاطب قومه أن يتبعوا المرسلين فقتلوه وكان اسمه حبيب بن مريء، وربما أريد به صاحب الياس وهو اليسع فإن الياس يقال في اسمه ياسين أيضًا وهو الياس بن ياسين وفيه قال تعالى سلام على آل ياسين»[٣].

وبعد مقتل عروة لحق ابنه أبو مليح بن عروة بن مسعود وابن أخيه قارب بن الأسود برسول الله ﷺ فأعلنا إسلامهما[٤]. والذي يتوضح من خلال هذه المقدمة أن بعض رجال ثقيف المهمين استطاعوا أن ينقلوا الدعوة إلى داخل الطائف حيث يمكننا القول إنهم عملوا على تهيئة الأجواء المناسبة لدخول ثقيف إلى الإسلام. ويخيل لي أن عروة بن مسعود لم يأتِ إلى الإسلام اعتباطًا بل جاء بعد تفكير طويل فجاءت مبادرته بإعلان إسلامه من هذا الباب بدليل أن عروة عندما قتل فإن أبناء قومه من الأحلاف تجمعوا للأخذ بثأره من قاتليه على الرغم من أن عروة جاء بدين مخالف لدينهم، فلا بد إذن أن يكون هناك من ساند عروة في مسعاه في دخول الإسلام وهي بالتأكيد الدوافع نفسها التي دفعت ابن عروة وابن أخيه لأن يعلنا إسلامهما مضافًا إليها عامل التحدي لبعض الثقفيين الذين كانوا يعادون الإسلام.

كان عمرو بن أمية لا يتكلم مع عبد ياليل بن عمرو وكان ابن أمية يعرف بأنه من دهاة العرب فمشى هذا إلى عبد ياليل ودخل داره وأرسل في طلبه وقد استغرب عبد ياليل حضور عمرو بن أمية إلى داره لأنه كان عزيز النفس، ذا شخصية قوية. فلما أتى إليه عبد ياليل رحب به فقال له عروة: لقد رأيت من أمر محمد ﷺ ما رأيت، وليس لكم به طاقة فانظروا بأمركم، وعند ذلك ائتمرت ثقيف بينها وأجمعوا أن يرسلوا عبد ياليل بن عمرو بن عمير فأبى أن يفعل ذلك مخافة أن يحصل له ما

(١) الواقدي، المغازي، ج ٣، ص ٩٦١. ابن سعد، الطبقات، ج ١، ص ٣١٢.
(٢) ابن هشام، السيرة، ق ٢، ص ٥٣٨. ابن سعد، الطبقات، ج ١، ص ٣١٢، الطبري، تاريخ الرسل، ج ٢، ص ٩٧. ابن الأثير، الكامل، ج ٢، ص ٢٨٣.
(٣) السهيلي، الروض الأنف، ج ٢، ص ٣٢٦.
(٤) الواقدي، المغازي، ج ٣، ص ٩٦٢.

حصل لعروة وطلب إرسال وفد معه فبعثوا معه الحكم بن عمرو بن وهب، وشرحبيل بن غيلان بن سلمة وكانا من الأحلاف، وعثمان بن أبي العاص بن بشر، وأوس بن عوف، ونمير بن خرشة بن ربيعة من بني مالك فخرج بهم عبد ياليل وكان رئيس الجماعة، فلما دنوا من المدينة شاهدوا المغيرة بن شعبة يرعى ركاب المسلمين لمصادفة نوبته في ذلك اليوم فلما شاهدهم ترك الركاب على وفد ثقيف وجرى مسرعًا ليبشر الرسول ﷺ بقدوم وفد ثقيف، فشاهده أبو بكر الصديق رضي الله عنه قبل أن يدخل على الرسول ﷺ فأخبره عن ركب ثقيف، فطلب منه أبو بكر الصديق رضي الله عنه[١] أن يبشر الرسول ﷺ بذلك بنفسه فقبل المغيرة بذلك، فدخل أبو بكر على الرسول ﷺ[٢] وكان المغيرة قد خاطب أبي بكر عن ركب ثقيف: «أنهم قدموا يريدون البيعة، والإسلام بأن يشرط لهم شروطًا ويكتتبوا من رسول الله كتابًا في قومهم وبلادهم»[٣].

ويرى بعضهم أن المغيرة بن شعبة دخل على الرسول ﷺ «فقال يا رسول الله قد قدم قومي يريدون الدخول في الإسلام بأن تشرط لهم شروطًا ويكتبوه كتابًا على من وراءهم من قومهم وبلادهم فقال الرسول ﷺ: «لا يسألون شرطًا ولا كتابًا أعطيته أحدًا من الناس إلا أعطيتهم»»[٤]. وهذا يقودنا إلى الاعتقاد بأن الرسول ﷺ عندما أعطاهم هذه الميزة فهي لم تكن من أجل المغيرة بن شعبة، ولكن بالتأكيد كانت من أجل ثقيف بوصفها قبيلة لها وزنها بين القبائل، وهم عندما يأتون معلنين إسلامهم، فإن من حقهم على الإسلام تكريم هذه القبيلة التي سيكون لها أهمية في تاريخ الدولة العربية الإسلامية، وذلك من خلال رجالاتها. وقد قال الرسول ﷺ: «أول من أشفع له يوم القيامة أهل المدينة وأهل مكة وأهل الطائف»[٥].

وكان قدوم الوفد على الرسول ﷺ في شهر رمضان من سنة ٩ هـ/ ٦٣٠ م[٦] وقد قضى المغيرة بن شعبة الظهر كله مع أبناء قومه وعلمهم كيف يحيون الرسول ﷺ بتحية الإسلام، لكنهم حيوه بتحية (الجاهلية)، فلما قدموا على الرسول ﷺ ضرب لهم قبة على ناحية المسجد، وكان خالد بن سعيد بن العاص يمشي بينهم وبين

---

(١) ابن هشام، السيرة، ق ٢، ص ٥٣٨ ـ ٥٣٩.
(٢) ابن هشام، السيرة، ق ٢، ص ٥٣٩.
(٣) الطبري، تاريخ الرسل، ج ٣، ص ٩٨.
(٤) الواقدي، المغازي، ج ٣، ص ٩٦٤.
(٥) العجيمي، رسالة في فضل وج الطائف، ورقة رقم ١٢١.
(٦) ابن هشام، السيرة، ق ٢، ص ٥٣٧. الطبري، تاريخ الرسل، ج ٣، ص ٩٧.

الرسول ﷺ حتى كتب لهم الرسول ﷺ كتابهم وكتبه خالد بن سعيد، وكانوا لا يتناولون طعامًا يبعثه الرسول ﷺ حتى يأكل منه خالد حتى أسلموا[١].

ويرى بعضهم أن وفد ثقيف عندما أتى الرسول ﷺ نزل من كان منهم من الأحلاف عند المغيرة بن شعبة، ومن كان من بني مالك فقد ضرب لهم الرسول ﷺ قبة في المسجد[٢]. والذي أميل إليه أن الرسول ﷺ أنزل جميع أعضاء الوفد في قبة واحدة، وذلك أن الرسول ﷺ كان يأتيهم كل ليلة بعد العشاء ويحدثهم حتى أنه يراوح بين قدميه وذلك من طول مدة الوقوف[٣].

وتشير النصوص إلى أن وفد ثقيف باشر بصيام بقية شهر رمضان حين أسلم وكان بلال يأتيهم بفطورهم وسحورهم من عند الرسول ﷺ[٤].

وطلب وفد ثقيف من الرسول ﷺ أن يدع لهم اللات ولا يهدمها لثلاث سنوات فأبى ذلك. وما برحوا يسألونه سنة سنة حتى طلبوا أن يبقيها شهرًا بعد مقدمهم فأبى ذلك. وكانوا يطلبون ذلك لأنهم كانوا يخافون سفاءهم ونساءهم، وكذلك يكرهون أن يروعوا قومهم بهدمها حتى يدخل الإسلام أرض الطائف. وكذلك طلبوا من الرسول ﷺ أن يعفيهم من الصلاة، وأن لا يحطموا أوثانهم بأنفسهم، فقال الرسول ﷺ: «أما تحطيم أوثانكم فهذا سوف نعفيكم منه، أما ترك الصلاة، فلا لأنه لا خير في دين ليست فيه صلاة». فقبلوا ذلك[٥]. والذي نستنتجه من خلال مطاليب ثقيف هذه؛ أنهم أرادوا أن يحصلوا على ميزة تميزهم عن القبائل العربية الأخرى التي أسلمت لأن ثقيفًا كما قلنا كان لها وزن كبير بين القبائل العربية، فليس من المعقول أن تستسلم بهذه السهولة، فأرادت من خلال هذه المطاليب أن تبين للعرب أن المسلمين يقرون بأهمية ثقيف ومكانتها إذا ما لبى الرسول ﷺ مطاليبهم.

وقد بعث الرسول ﷺ أبا سفيان، والمغيرة بن شعبة، لكي يحطما اللات[٦]. ويرى بعض الباحثين أن الرسول ﷺ بعث خالد بن الوليد ليهدم اللات فأرسل هذا

---

(١) ابن هشام، السيرة، ق ٢، ص ٥٤٠. الطبري، تاريخ الرسل، ج ٣، ص ٩٩.
(٢) ابن سعد، الطبقات، ج ١، ص ٣١٣. (٣) ن.م، ص ٣١٣.
(٤) ابن هشام، السيرة، ق ٢، ص ٥٤٠ ـ ٥٤١.
(٥) ابن هشام، السيرة، ق ٢، ص ٥٤٠. الطبري، تاريخ الرسل، ج ٣، ص ٩٩.
(٦) الطبري، تاريخ الرسل، ج ٣، ص ٩٩ ـ ١٠٠.

المغيرة بن شعبة ليهدمها بنفسه[١]. ولا أدري من أين استقى الباحث الفاضل هذه المعلومة التاريخية، لأن كتب التاريخ تؤكد أن أبا سفيان والمغيرة هما اللذان حطما اللات.

وقد أمر الرسول ﷺ على الوفد الثقفي العائد عثمان بن أبي العاص وكان أصغرهم سنًا، لأنه حريص على التفقه بالدين، وتعلم القرآن وكان ذلك بإشارة من أبي بكر الصديق رضي الله عنه[٢]. وقد أوصاه الرسول ﷺ حين بعثه على ثقيف: «يا عثمان تجاوز في الصلاة وأقدر الناس في ضعفهم فإن فيهم الكبير والصغير والضعيف وذا الحاجة»[٣].

وتشير بعض الروايات التاريخية إلى أن الوفد عندما عاد وقبل وصوله اتفقوا فيما بينهم على إخفاء إسلامهم عن ثقيف، وأن الرسول ﷺ قد رفض مطاليبهم وخوفهم بأن المسلمين يستعدون لقتالهم، لأن الرسول ﷺ قد طلب منهم تحريم الزنا والربا والخمر، وتهديم اللات، لكي يزرعوا الخوف في نفوس الثقفيين مما يحملهم ذلك على قبول الإسلام. لكن ثقيفًا استعدت للقتال، فطلب الوفد من ثقيف أن يحصنوا أسوارهم بالعرادات والمنجنيق، وأن يدخروا الطعام لمدة سنة أو أكثر، لأن الرسول ﷺ سوف لن يحاصرهم أكثر من سنتين. وقد عمل الثقفيون لمدة يوم أو يومين في ترميم حصنهم، وإدخال الطعام، ثم قالوا ليس بنا طاقة على صد المسلمين فقد انتصروا على العرب جميعًا، فطلب الثقفيون من الوفد الثقفي العودة إلى الرسول ﷺ، والاستجابة إلى مطاليب المسلمين. فلما رأى الوفد ذلك قالوا: إنا قد قاضيناه وأعطانا ما أحببناه وشرط لنا[٤].

وتبين روايات أخرى أن وفد ثقيف عندما رجع تقدم معهم أبو سفيان والمغيرة بن شعبة. وأراد المغيرة أن يقدم أبا سفيان عليه فرفض ذلك وقال له تقدم أنت إلى أبناء قومك، وقام أبو سفيان بماله بذي الهرم، فلما دخل المغيرة أخذ يضرب الربه بالمعول وقام قومه بني معتب يحرسونه خشية أن يقتل[٥]. ويبدو لي أن الرواية الأولى أقرب إلى الواقع أي أن وفد ثقيف عندما رجع إلى قومه أراد أن يضخم الحدث لكي

---

(١) كمال، الطريق إلى المدائن، ص ٢٠١.

(٢) الطبري، تاريخ الرسل، ج ٣، ص ١١٣. (٣) ابن هشام، السيرة، ق ٢، ص ٥٤١.

(٤) الواقدي، المغازي، ج ٣، ص ٩٦٩ ـ ٩٧٠.

(٥) ابن هشام، السيرة، ق ٢، ص ٥٤١. الطبري، تاريخ الرسل، ج ٣، ص ١٠٠.

يزرع الخوف والرعب في نفوس الثقفيين لأن مطاليب الوفد كانت مطاليب كل الثقفيين، وعندما رفضها الرسول ﷺ لم يكن أمام الوفد إلا أن يعلن إسلامه، وعندما رجع هذا الوفد المفاوض خالي الوفاض من أي مكسب مادي ومعنوي يحفظ للثقفيين مكانتهم بين القبائل رأى الوفد أنه لا بدّ أن يتظاهروا بأنهم خسروا الجولة وأن المسلمين سيأتون إليهم لا محال، لينشروا الإسلام بقوة السيف، وأن الحصار هذه المرة سوف يطول من سنة إلى سنتين، وهنا خارت عزيمة الثقفيين، واستسلموا للأمر الواقع. فكانت عملية تهديم اللات غير معقدة أو صعبة ولم تلاق أية مقاومة.

وقد قام المغيرة بن شعبة بتهديم اللات، وخرجت نساء ثقيف يبكين عليها ويقلن:

لتبكين دفاع أسلمها الرضاع لم يحسنوا المصاع[1]

وأبو سفيان يقول للمغيرة وأهالك أهالك فلما أتم تهديمها أخذ المغيرة مالها وحليها وأرسله إلى أبي سفيان وقد أمر الرسول ﷺ أبا سفيان أن يفك من مال اللات دينًا لعروة بن مسعود وأخيه الأسود فلبى أبو سفيان طلب الرسول ﷺ[2].

ويرى ببعض المؤرخين أن ثقيفًا قد اشترطت على الرسول ﷺ أنه لا صدقة ولا جهاد عليها. وقد قال الرسول ﷺ بعد حين سوف يدفعون الصدقة، ويجاهدون إذا أسلموا[3]. والذي اعتقده أن هذا غير جدير بالتصديق، لأنه ما العبرة من إسلامهم إذا كانوا لا يتصدقون ولا يجاهدون؟ وفضلًا عن ذلك فإننا لو قرأنا كتاب الرسول ﷺ إلى ثقيف سنرى أنه فرض عليهم الصدقة. وأنهم أصبحوا جزءًا من أمة المسلمين، لهم ما للمسلمين، وعليهم ما على المسلمين.

وعلى الرغم من وجود نصوص تشير بوضوح إلى اعتناق بعض رجالات ثقيف الإسلام قبل حضور وفدهم سنة ٩ هـ/ ٦٣٠ م. إلا أن بعض الباحثين المحدثين حاول عند تناوله موضوع إسلام ثقيف أن يضفي على هذا الموضوع نوعًا من التنافس القبلي، فنراه في إسلام بعض شخصيات ثقيف يتساءل كون الذين أسلموا هم من بني مالك أم من الأحلاف. وهذا في اعتقادي يجعل البحث في موقف ضعيف لأن العرب

---

(١) المصاع: المجادلة والمضاربة (ينظر ابن منظور، لسان العرب، مادة (مصع).
(٢) ابن هشام، السيرة، ق ٢، ص ٥٤١ ـ ٥٤٢. الطبري، تاريخ الرسل، ج ٣، ص ١٠٠.
(٣) ابن كثير، السيرة، ج ٤، ص ٥٦.

في كل الظروف والمواقف عندما يتعرضون إلى خطر يتوحدون وينسون مثل هذه الأمور ولكن الباحث يحاول أن يضفي على بحثه نوعًا من القبلية، وأن يثير أسئلة غير منطقية ويكون جوابه في النهاية أحادي الجانب فيقول: وفي إسلام عروة بن مسعود الثقفي يتساءل هل حقًا أسلم واهتدى قلبه إلى الإسلام أم أراد من دخوله الحصول على مكاسب أو مغانم شخصية له ولقومه الأحلاف أو أراد أن يقطع الطريق على بني مالك لئلا يسبقوه ويتحالفوا مع محمد ﷺ[١]؟

ثم يجيب عن هذه الأسئلة كلها فيقول إن إسلام عروة كان خالصًا لأنه فعلًا آمن بالإسلام دينًا وعقيدة[٢]، فما هو المبرر إذن لإثارة التساؤلات.

فهذا المغيرة بن شعبة خرج مع بضع من أبناء قومه إلى المقوقس وقدموا له الهدايا فقربهم إليه وأعطاهم الجوائز وبعد انصرافهم من المقوقس قتلهم المغيرة وأخذ جوائزهم، فقدم إلى رسول الله ﷺ وأعلن إسلامه وقد سلم إلى الرسول ﷺ ما حاز عليه من أموال أبناء قومه، فقبل منه الرسول ﷺ إسلامه ولم يقبل منه أمواله وكذلك لم يخمسها[٣]. فالمغيرة إذن عندما جاء وأعلن إسلامه جاء وهو مؤمن لأنه حدث الرسول بكل تفاصيل القصة وكذلك سلّم الأموال إليه فلو لم يكن صادقًا لكذب عليه، وكان باستطاعة المغيرة أن يطلب جوار أي قبيلة عربية أخرى لكي يشعر في وسطها بالأمان والاطمئنان.

وقد ثبت إخلاصه للإسلام من خلال مواقف كثيرة فعندما أراد الرسول ﷺ الحج سنة ٦ هـ/ ٦٢٧ م أرسلت قريش وفدًا برئاسة عروة بن مسعود الثقفي لكي يفاوض الرسول ﷺ وقد كان المغيرة بن شعبة الثقفي بجانب الرسول ﷺ، وأخذ عروة يكلم الرسول ﷺ بغلظة وقد مسك بيده لحية الرسول ﷺ فقال له المغيرة اكفف يدك عن وجه رسول الله ﷺ قبل أن لا تصل إليك[٤].

وهذا أبو بصير عتبة بن أسيد الثقفي قد أسلم بعد قدوم النبي ﷺ المدينة من الحديبية[٥]. ثم تبعه بعد حين عروة بن مسعود الذي جاء إلى الرسول ﷺ مسلمًا وقد أدركه قبل أن يصل إلى المدينة وصح إسلامه وطلب منه السماح له بالرجوع إلى قومه

---

(١) العبيدي، مدينة الطائف، ص ١٥٩. (٢) ن.م، ص ١٦٠.
(٣) ابن سعد، الطبقات، ج ٤، ص ٢٨٥. للتفصيل، ص ٢٨٤ ـ ٢٨٦.
(٤) ابن هشام، السيرة، ق ٢، ص ٣١٣.
(٥) البلاذري، أنساب الأشراف، ج ١، ص ٢١١.

لكي ينشر الإسلام وقد قتل من جراء ذلك[١]. فلو لم يكن مؤمنًا حقًا لما عرض حياته للخطر المحقق.

وهذا هبيرة بن سبل بن العجلان بن عتاب الثقفي، كان أول من صلى جماعة بعد الفتح في مكة حين أمره الرسول ﷺ بذلك وقد أسلم بالحديبية، وعندما سار الرسول ﷺ إلى الطائف لحصارها استخلفه على مكة[٢]. أما ابن عروة أبو المليح وابن أخيه قارب بن الأسود بن مسعود قد أسلما بعد استشهاد عروة بن مسعود[٣].

واشترك العلاء بن جارية الثقفي في معركة حنين ضد هوازن، كما شارك في حصار الطائف سنة ٨ هـ/ ٦٢٩ م. وعدّه الرسول ﷺ من المؤلفة قلوبهم عندما قسم الغنائم[٤].

فمن المؤكد أن إسلام هؤلاء قبل حضور الوفد الرسمي لقبيلة ثقيف وفي ضوء ذلك نستطيع أن نقول إن الإسلام استطاع أن يتغلغل إلى داخل ثقيف من خلال التوحيد الذي كان معروفًا في ثقيف، وبما أن مبادىء الإسلام والتوحيد واحدة فإن عملية قبول الإسلام من قبل بعض الثقفيين لم تكن صعبة. وقد أخلصت ثقيف باعتناقها الإسلام، فوقفت مع الإسلام دينًا وعقيدة ودولة ضد كل من عادى الدولة العربية والإسلام.

وقال المغيرة بن شعبة «قد دخلت ثقيف الإسلام فلا أعلم قومًا من العرب بني أب ولا قبيلة كانوا أصح إسلامًا ولا أبعد أن يوجد فيهم غش لله ولكتابه منهم»[٥].

## كتاب الرسول ﷺ لثقيف

لكي تبرز مكانة ثقيف ودورها في الدولة العربية الإسلامية، يجدر بنا أن نتناول كتاب الرسول ﷺ إلى ثقيف لنتلمس من خلاله المكانة المتميزة لهذه القبيلة، ونشخص الأثر (الدور) الفاعل الذي لعبته في الميادين العسكرية والسياسية والإدارية. وفي أدناه نص الكتاب.

---

(١) الطبري، تاريخ الرسل، ج ٣، ص ٩٦ ـ ٩٧. النويري، نهاية الأرب، ج ١٨، ص ٥٩.

(٢) أبو عمرو بن يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر، الاستيعاب في معرفة الأصحاب، ج ٤، تحقيق علي محمد البجاوي، مطبعة النهضة، (مصر، لا.ت)، ص ١٥٤٨.

(٣) ابن خلدون، العبر، ج ٢، ص ٨٢٣.

(٤) الطبري، تاريخ الرسل، ج ٣، ص ٩٠.

(٥) النويري، بلوغ الأدب، ج ١٨، ص ٦٥.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

«هذا كتاب رسول الله ﷺ لثقيف، أن لهم ذمة الله الذي لا إله إلا هو، وذمة محمد بن عبد الله النبي، على ما كتب عليهم في هذه الصحيفة أن واديهم حرام محرم لله كله، عضاهة وصيده وظلم فيه، وسرق فيه أو إساءة. وثقيف أحق الناس بوج، ولا يعبر طائفهم ولا يدخله عليهم أحد من المسلمين يغلبهم عليه، وما شاؤوا أحدثوا في طائفهم من بنيان أو سواه بواديهم لا يحشرون ولا يعشرون، ولا يستكرهون بمال ولا نفس، وهم أمة من المسلمين يتولجون من المسلمين حيث ما شاؤوا وأين تولجوا أو لجوا، وما كان لهم من أسير فهو لهم أحق الناس به حتى يفعلوا به ما شاؤوا وما كان لهم من دين في رهن فبلغ أجله فإنه لواط مبرأ من الله وما كان من دين في رهن وراء عكاظ فإنه يقضي إلى عكاظ برأسه، وما كان لثقيف من دين في صحفهم اليوم الذين أسلموا عليه في الناس فإنه لهم، وما كان لثقيف من وديعة في الناس أو مال أو نفس غنمها مودعها أو أضاعها إلا فإنها مؤداة، وما كان لثقيف من نفس غائبة أو مال فإن له من الأمن ما لشاهدهم، وما كان لهم من مال بلية فإنه له من الأمن ما لهم بوج، وما كان لثقيف من حليف أو تاجر فأسلم فإن له مثل قضية أمر ثقيف، وإن طعن على ثقيف أو ظلمهم ظالم فإنه لا يطاع فيهم في مال ولا نفس وأن الرسول ينصرهم على من ظلمهم والمؤمنون، ومن كرهوا أن يلج عليهم من الناس فإنه لا يلج عليهم وأن السوق والبيع بأفنية البيوت، وأن لا يؤمر عليهم إلا بعضهم على بعض، على بني مالك أميرهم وعلى الأحلاف أميرهم وما سقت ثقيف من أعناب قريش فإن شطرها لمن سقاها، وما كان لهم من دين في رهن لم يلط فإن وجد أهله قضاء قضوا، وإن لم يجدوا قضاء فإنه إلى جمادى الأول من عام قابل من بلغ أجله فلم يقضه فإنه قد لاطه، وما كان لهم في الناس من دين فليس عليهم إلا رأسه، وما كان لهم من أسير باعه ربه فإن له بيعه وما لم يبع فإن فيه ست قلائص نصفين»[1].

(١) أبو عبيد القاسم بن سلام، الأموال، ط ٢، تحقيق خليل محمد هراس، دار الفكر (القاهرة، ١٩٧٥)، ص ٢٤٧ ـ ٢٤٩. ابن عبد ربه، العقد الفريد، ج ١، ص ٢٧٦. أضاف بعضهم عبارات إضافية إلى الكتاب أعلاه وجعلها في نهاية الكتاب. نصفان حقاف وبنات لبون كرام سمان ومن كان له بيع اشتراه فإن له بيعه. ينظر: (محمد حميد الله الحيدر آبادي، مجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوي والخلافة الراشدة، ط ٢ (القاهرة، ١٩٥٦)، ص ٢٠٦ ـ ٢٠٧.

من هذا يتبين لنا أن لثقيف وزنها عند الرسول ﷺ، حيث كتب هذا الكتاب وهو عهد المسلمين لثقيف، فقد حرم الرسول لله وادي ثقيف (أي وج) وجعله لهم فقط بما يحويه من خيرات، ولا يحق لغيرهم منافستهم عليه وجعل الرسول ﷺ لثقيف حرية التصرف في الطائف.

وهم لا يحشرون أي لا يلزمون بجلب أغنامهم ومواشيهم الخاضعة للزكاة إلى عامل الصدقات وإنما عليه أن يقصدهم بنفسه[١].

وفي كتاب ثقيف هذا ظاهرة نادرة اتخذها الرسول ﷺ ذلك أنه أعفى انتاجهم الزراعي من ضريبة العشر. ولكنه ألزمهم أن يزكوا أموالهم على وفق النسب المقررة في زكاة الأموال، وهي في كل مائتي درهم خمسة دراهم. ولكنه في الوقت نفسه ألزمهم بالابتعاد عن أخذ الربا والاكتفاء بأخذ رؤوس أموالهم[٢].

وقول الرسول ﷺ في كتابه لثقيف ما كان لهم من أسير فهو لهم، أي أن ثقيفًا إذا ما أسرت بعض الأشخاص قبل الإسلام وبالتالي قد أسلم هؤلاء وما زال هؤلاء أسري في ثقيف فهم لهم حتى يأخذوا الفدية عليهم[٢]. ونافلة القول إن هذا الكتاب يوضح أن ما أعطاه الرسول ﷺ لثقيف لم يعطه لغيرها.

وفضلًا عن الكتاب الآنف الذكر، فإن كتابًا آخر سطره الرسول ﷺ إلى المسلمين بشأن ثقيف، هو الآخر يبرز المكانة المتميزة لهذه القبيلة، نرى من المفيد أن نثبته هنا تقريرًا لما ذهبنا إليه.

## كتاب الرسول ﷺ إلى المسلمين في أمر ثقيف

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

«هذا كتاب من محمد النبي رسول الله ﷺ إلى المؤمنين، إن عضاة وج وصيده لا يعضده ولا يقتل صيده، فمن وجد يفعل شيئًا من ذلك فإنه يجلد وتنزع ثيابه، ومن تعدى ذلك فإنه يؤخذ فيبلغ محمدًا رسول الله ﷺ أن هذا من محمد النبي. وكتب خالد بن سعيد بأمر محمد بن عبد الله رسول الله فلا يتعده أحد فيظلم نفسه فيما أمر به محمد رسول الله لثقيف، وشهد على نسخة هذه الصحيفة. صحيفة رسول الله التي كتبت لثقيف، علي بن أبي طالب»[٣].

---

(١) ابن سلام، الأموال، ص ٢٤٩. (٢) ن.م، ص ٢٥٠.
(٣) ابن سلام، الأموال، ص ٢٥٠ ـ ٢٥١. الحيدر آبادي، مجموعة الوثائق، ص ٢٠٨.

لقد أعطى الرسول ﷺ بهذا الكتاب الموجه إلى المسلمين بخصوص ثقيف وزنًا بين القبائل العربية لأن الرسول ﷺ يعرف أهميتها وقوتها وبأسها وشدتها، فهو بهذا الكتاب ميزهم، وهو أمر فيما أعتقد كانت له نتائج إيجابية فيما بعد.

وقد قال الرسول ﷺ في وج إن وجا مقدسة ووج على ترعة من ترع الجنة[1]. وبالتأكيد أن هذا الحديث أضفى على المدينة طابعًا مقدسًا وإن كانت لم تبلغ مكانة مكة والمدينة.

وقد عد أبو يوسف «أرض الطائف أرضًا عشرية لأن أهلها أسلموا على مياهم وبلادهم فلهم ما أسلموا عليه وهو في أيديهم وليس لأحد من أهل القبائل أن يبني في ذلك شيئًا»[2].

وكذلك أضاف أن كل أرض من أرض الطائف عامرة لا يملكها أحد ولم تكن في يد أحد يعمل بها وليست بها وارث وكذلك ليست محل عمارة فأقطعها الإمام رجلًا فقام هذا باستصلاحها، فإن كان عليها الخراج وجب أن يوضع عليها الخراج، وأن في أرض العشر دفع عليها العشر[3]. على أساس أن الملك للأمة، والإمام مكلف من قبل الأمة بإدارة أموالها فلا يجوز تعطيل جزء من واردات الأمة.

وقد كتب سفيان بن عبد الله الثقفي إلى الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه وكان عامله على الطائف أنه توجد حيطان فيها الكثير من الكروم وكذلك فيها الفرسك والرمان ما هو يفوق غلة الكرم. فرد عليه عمر أنه ليس عليها عشر وهي من العضاة[4] كلها وليس عليها صدقة[5].

## موقف الثقفيين من الردة

بعد وفاة الرسول ﷺ سنة ١١ هـ/ ٦٣٢ م حدثت الردة عن الدين الإسلامي في بعض القبائل العربية. ويرى بعض الباحثين أن التيار القبلي والعصبية القبلية كانتا من الأسباب الرئيسية لحدوث الردة[6]. وأن بعض القبائل التي آمنت بعد (الفتح) سنة ٨ هـ/ ٦٢٩ م لم تكن تعرف من الإسلام الشيء الكثير[7]. ولا أظن ذلك حتى

(١) العجيمي، رسالة في فضل وج، ورقة رقم ١٢٣.
(٢) أبو يوسف، الخراج، ص ٦٣.
(٣) أبو يوسف، الخراج، ص ٥٩ ـ ٦٠.
(٤) العضاة: كل شجر عظيم ذي شوك. (ابن منظور، اللسان، مادة عضة).
(٥) ابن آدم، الخراج، ص ١٥٥.
(٦) فاروق عمر، عصر النبوة، ص ٢٦٢.
(٧) ن.م، ص ٢٦٣.

وإن كان إسلامها متأخرًا فبالتأكيد هي جاءت عن قناعة وليس عن رهبة أو خوف، وبالتالي لا يمكن أن تعمم فرضية هذا البعض خاصة وأن أمامنا قبيلة ثقيف التي آمنت بعد الفتح ونحن نعلم كيف كان إخلاصها وإيمانها للإسلام والعقيدة.

ولم تكن الردة مقتصرة على جماعة معينة، فيرى بعضهم أن القبائل قد قلدت بعضها وانتشر الارتداد في أماكن متعددة، وأن بعض القبائل قد غالت فأرادت أن يكون لها ما لقريش[1]. إن هذه القبائل لم تكن تستطيع أن تصل إلى ما وصلت إليه قريش ولا أقصد بذلك قريش القبيلة بل أقصد بعض أفرادها الذين وقفوا إلى جانب الرسول ﷺ منذ بداية الدعوة.

ويذهب بعض الباحثين إلى الاتجاه نفسه الذي ذهب إليه من سبقه ويرى أن الرسول ﷺ لم يصل إلى زعامة العرب إلا بسبب عصبية قريش[2].

إن الرسول ﷺ قام بدعوته بمكة لمدة ثلاث عشرة سنة ولم يؤمن به إلا مائة وأكثر بقليل، علمًا أنه من أشرف بيت في قريش حسبًا وجاهًا وعشيرة ولكن قريشًا خذلته، فهاجر إلى المدينة وهناك بدأ بتكوين نواة الدولة في أرض غير أرضه وفي أهل غير أهله، وكانوا نعم الأهل والأنصار، فأين العصبية من ذلك، وقبل (فتح) مكة سنة ٨ هـ/ ٦٢٩ م تقدم الرسول ﷺ إليها بعشرة آلاف مقاتل هل كانوا كلهم من قريش أم كانوا من أمة العرب؟

وبعد معركة حنين وزع الرسول ﷺ المغانم على المسلمين فلم يعط الأنصار شيئًا لأنه كان شخصيًا حصتهم فأين العصبية القرشية التي أوصلت الرسول ﷺ إلى زعامة العرب.

ونحن نعلم أن بعض حركات الردة حدثت في زمن الرسول ﷺ وفي أيامه الأخيرة على وجه التحديد. ففي اليمن ادعى الأسود العنسي النبوة، وفي اليمامة ادعى مسيلمة بن حبيب النبوة.

ويقول بعض المؤرخين أن سياسة الرسول ﷺ تجاه ذلك اتخذت أمرين أولهما بعث الروح المعنوية في نفوس أهالي تلك المناطق التي ظهر بها الذين ادعوا النبوة لخلق جبهة داخلية معارضة لهؤلاء الأنبياء الكذابين وثانيهما استخدام سياسة الإلهاء بالمراسلات لكي تشغل أصحاب تلك الحركات الانشقاقية لحين تجميع القوة المحلية

---

(١) الشريف، دور الحجاز، ص ١٣٧.
(٢) العبيدي، مدينة الطائف، ص ١٧٦.

المعارضة[١]. وأنا أرجح الأمر الأول وهو استنهاض الروح المعنوية لسكان المناطق التي ظهر فيها أدعياء النبوة، أما سياسة الإلهاء التي قصد بها المراسلات التي دارت بين الرسول ﷺ وأولئك الأنبياء الكذابين فأخال أنها كانت عملية محاججة منطقية علمية مبنية على أسس واضحة أراد الرسول ﷺ من خلالها إرجاع هؤلاء المدعين إلى حظيرة الإسلام دون استعمال القوة، لأنه كما أظن كان يعتقد أن المحاججة المبنية على أسس علمية سوف تأتي بنتائج إيجابية لصالح العقيدة الإسلامية وبالتالي سوف تحفظ دماء المسلمين جميعًا. فقد حدثت الردة لجملة من الأسباب الشخصية والقبلية والاقتصادية وكذلك عدم حصول القناعة الكافية بالإسلام لدى بعض الناس.

وقال يزيد بن الحكم بن أبي العاص الثقفي في أمر السقيفة:

قد اختصمَ الأقوام بعد محمدٍ ... فسائل قريشًا حين جد اختصامها
ألم تكُ من دون الخليفة أمة ... بكف امرىء من آلِ تيم زمامها
هدى الله بالصديق ضلالة أمةٍ ... إلى الحق لما أرفض عنها نظامها[٢]

وهذا يعبر أصدق تعبير عن أحوال الأمة بعد وفاة الرسول ﷺ حيث تنازع كل فريق من العرب الرئاسة ويرى أنه له الفضل في نشر وتثبيت الإسلام. ومهما يكن من أمر فإن (الطبري) يؤكد أن ثقيفًا لم ترتد عن الإسلام بعد وفاة الرسول ﷺ[٣]. غير أن ابن عبد ربه قال إن ثقيفًا همت بالارتداد بعد وفاة الرسول ﷺ فاستشاروا عثمان بن أبي العاص في هذا الأمر حيث كانت له كلمة مسموعة عندهم ومطاعة فقال لهم لا تكونوا آخر العرب إسلامًا وأول من يرتد[٤]. ويرى بعضهم أن الثقفيين ثبتوا على دينهم ولكنهم قتلوا أول من ارتد منهم[٥]. وبذلك فإن الطائف ومكة قد وقفتا مع المدينة بوجه الارتداد وانطلق أبناؤهما وثبتوا على إيمانهم الذي لا يساوره الشك[٦].

---

(١) نزار عبد اللطيف الحديثي، محاضرات في التاريخ العربي، ط ١، مطبعة الزمان (بغداد، ١٩٧٨)، ص ٦٠.
(٢) الجاحظ، البيان والتبيين، ج ٣، ص ٣٦٢ ـ ٣٦٣.
(٣) الطبري، تاريخ الرسل، ج ٣، ص ٢٤٢. ابن الأثير، الكامل، ج ٢، ص ٣٤٢.
(٤) ابن عبد ربه، العقد الفريد، ج ١، ص ٥٠.
(٥) الميورقي، بهجة المهج، مخطوط، ورقة رقم ١٣. المكي، تحفة الطائف، ص ١٤٥. خير الدين الزركلي، الأعلام، ط ٢، (القاهرة، ١٩٥٤)، ج ٢، ص ٨٥.
(٦) السعداوي، الدولة العربية، ص ١٠٢.

فعند ارتداد الأسود العنسي في اليمن تقدم إليهم جيش المسلمين يحدوهم الأمل في القضاء عليهم فتقدم المهاجر بن أمية مساعدًا للجيش الذي زحف على الأسود العنسي بجمع من أهل مكة والطائف[١].

وقبيل وفاة الرسول ﷺ كان عثمان بن أبي العاص الثقفي على الطائف إذ كان على أهل المدر، بينما كان مالك بن عوف على أهل الوبر، فبعث عثمان بعثًا إلى شنوءة وكان بها جماعة من الأزد وخثعم وبجيلة وكان عليهم حميضة بن النعمان فالتقوا بشنوءة وألحقوا بهم الهزيمة وقد انهزم المرتدون وهرب حميضة، فقال في ذلك عثمان بن ربيعة:

فضضنا جمعهم والنقع كابٍ وقد تعدى على الغدر الفتوقُ
وأبرق بارقٌ لما التقينا فعادت خلبا تلك البروق[٢]

وارتد مسيلمة الكذاب في اليمامة وساندته قبيلته من بني حنيفة سنة ١٠ هـ/ ٦٣١ م وقبل أن يتفاقم أمره سار إليه خالد بن الوليد وألحق به هزيمة كبيرة حيث قتل مسيلمة وجمع كبير من أتباعه، وكان من بين الذين استشهدوا من المسلمين يعلى بن جارية الثقفي[٣]، وقد شارك المغيرة بن شعبة في هذه المعركة[٤]. وهذا الخبر يؤكد لنا اشتراك الثقفيين في القضاء على مسيلمة وغيره. ولكن لا توجد لدينا مؤشرات توضح عدد الثقفيين الذين أسهموا في قتال مسيلمة وأصحابه. ولعل ذلك متأت من كون النصوص أحيانًا لا تشير إلا إلى القادة وتهمل المقاتلين الآخرين من عامة الناس، ولكن بالتأكيد كان للثقفيين دور مميز ومشرف في هذه المسألة ويكفيهم فخرًا بأنهم ثبتوا على إيمانهم وإسلامهم. ومن المؤكد فإن الخليفة أبا بكر الصديق رضي الله عنه قد استعان بهذا الرهط المؤمن لكي يقضي على من ارتد، وكانوا يشكلون نسبة قليلة.

## دور الثقفيين الإداري في صدر الإسلام

استهدف الرسول ﷺ من إرساله إلى القبائل العربية من يفقهها في الدين ويعلمها أحكام القرآن الكريم، وضع أسس النظام الإداري الذي كانت تغلب عليه الصيغة

(١) ابن الأثير، الكامل، ج ٢، ص ٣٧٧.
(٢) الطبري، تاريخ الرسل، ج ٣، ص ٣٢٠. ابن الأثير، الكامل، ج ٢، ص ٣٧٤ ـ ٣٧٥.
(٣) ابن عبد البر، الاستيعاب، ج ٤، ص ١٥٨٧.
(٤) ابن قتيبة، المعارف، ص ٢٩٥.

الدينية، وقد توسع ذلك عندما أخذ ﷺ ينيب عنه العمال في بعض المدن والقبائل العربية في الحجاز واليمن، وكانت من أولى مهام أولئك العمال إمامة المسلمين في الصلاة، وجمع الزكاة، وعندما ولي أبو بكر الصديق رضي الله عنه الخلافة أقر عمال الرسول ﷺ في وظائفهم[١].

ويرى بعض من المؤرخين أن دور الأنصار قد انتهى بانتهاء عهد الرسول ﷺ وقد برز على الساحة السياسية والإدارية والعسكرية رجال من قريش وثقيف حيث برهن رجال هاتين القبيلتين على مقدرتهم العالية وكفاءتهم الفذة في كافة المجالات التي كانوا فيها[٢]. وهذا صحيح إلى حد كبير لأنه برز في هاتين القبيلتين رجال ذوو مواهب إدارية وعسكرية فذة، حيث خلدت أعمالهم حتى من قبل أعدائهم.

وقد أثار انتباهي بعض ما أشار إليه أحد مؤرخينا المحدثين عندما أشار إلى بروز (العصبية الثقفية كبديل للعصبية القرشية)[٣]. فخلال قراءتي لموضوع بحثه لم أجد دليلًا لهذا المصطلح يمكن الاعتماد عليه لإطلاق مثل هذه التسميات. لقد كان هناك التزام بعقيدة الإسلام ومبادئه النبيلة وهذا ما أضعف الميل القبلي لحد ما، لأن الإسلام ومبادئه وسيرة الرسول ﷺ، لم تزل تعيش في نفوس أولئك الرجال الأوائل. أما إذا كان يقصد بتعبيره الدولة الأموية وبروز بعض رجالات ثقيف فإنهم برزوا على مسرح الأحداث. لقدرات أهلتهم أن يتحملوا المسؤولية الملقاة على عاتقهم بكفاءة وإخلاص، سواء كان ذلك في المجال السياسي أو الإداري أو العسكري، ولكن لم نلاحظ أي تعصب قبلي ثقفي في هذا الجانب وأحسب أن الباحث لم يفطن إلى النصوص التي أشارت إلى «أن بعض رجالات ثقيف تخلى عن ثقيف ودخلوا في الإسلام أمثال يعلى بن مرة الثقفي، والمغيرة بن شعبة، بعد أن أحسوا بعدالة الإسلام، وكرهوا فكرة التعصب القبلي، ووقفوا مع الرسول ﷺ ضد مدينتهم وقبيلتهم»[٤]. ألا نلاحظ التناقض بين تلك الفكرة وهذه لأنه هناك يؤكد بروز العصبية الثقفية، وهنا يؤكد انتهاء تلك العصبية.

---

(١) صبحي الصالح، النظم الإسلامية نشأتها وتطورها، ط ٤، دار العلم للملايين، (بيروت، ١٩٧٨)، ص ٣٠٨ ـ ٣٠٩.

(٢) الشريف، دور الحجاز، ص ١١٣.

(٣) العبيدي، مدينة الطائف، ص ج من المقدمة.

(٤) العبيدي، مدينة الطائف، ص ١٥٨.

لقد أسهم الثقفيون في إدارة الأمصار إسهامًا فاعلًا، ولعل سبب ذلك يرجع إلى حالة التحضر التي عرف بها الثقفيون حيث كانت لهم صلات مباشرة مع الدول القائمة آنذاك كما أنهم عملوا بالتجارة سواء بشكل مباشر أو غير مباشر، حيث اقتبسوا من تلك الأقوام بعض السمات الحضارية، كما كان لثباتهم على الإسلام وإسهامهم في القضاء على الردة، واشتراكهم في الفتوح دور في اختيارهم لإدرة الأمصار[1]. كما اعتقد أن ظروف مدن الحجاز وقسوتها الطبيعية وغير الطبيعية، قد لعبت دورًا في صقل قدرات رجال ثقيف، فكانوا غير هيابين، أقوياء في الشدائد. وكانوا يقومون بواجبهم خير قيام.

توفي الرسول ﷺ وكان أمير الطائف عثمان بن أبي العاص الثقفي، فأقره أبو بكر الصديق رضي الله عنه وعندما توفي الأخير سنة ١٣ هـ/ ٦٣٤ م أقره الخليفة الجديد عمر بن الخطاب رضي الله عنه سنتين من خلافته وقد كتب عثمان إلى الخليفة عمر يستأذنه في الغزو فكان جواب عمر رضي الله عنه له أنا لا أعزلك ولكن استخلف من شئت[2]. فالخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان يعرف مقدرة عثمان بن أبي العاص الإدارية وإمكاناته في تسيير دفة الأمور ولهذا ظل محتفظًا بمنصبه طيلة هذه المدة.

وللتدليل على ما يتمتع به رجال ثقيف من عقلية متطورة تتماشى مع روح الإسلام والمبادىء الجديدة التي أتى بها نرى الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه عندما تولى الخلافة سنة ١٣ هـ/ ٦٣٤ م قال. كيف يقال لي خليفة رسول الله ﷺ وهو يطول، فقال له المغيرة بن شعبة أنت أميرنا ونحن المؤمنون إذن أنت أمير المؤمنين فقال له عمر رضي الله عنه ذاك هو وكان المغيرة بن شعبة أول من سلم على عمر بن الخطاب رضي الله عنه بالأمرة[3].

وعندما سار عتبة بن غزوان حتى أتى الخريبة[4] وكانت بها مسالح لكسرى ثم

---

(١) العبيدي، «إدارة الأمصار الإسلامية ودور الثقفيين فيها»، مجلة المؤرخ العربي، العدد ١٧، (بغداد، سنة ١٩٨١)، ص ١٣٨ ـ ١٣٩.

(٢) ابن حبيب، المحبر، ص ١٢٧.

(٣) أبو منصور عبد الملك بن محمد بن إسماعيل الثعالبي، لطائف المعارف تحقيق إبراهيم الأبياري وحسن كامل، دار إحياء الكتب العربية، (مصر ١٩٦٠)، ص ١٣ ـ ١٤.

(٤) الخريبة، موضع بالبصرة وسميت بهذا الاسم لأن المرزبان كان قد ابتنى فيها قصرًا ثم خرب. (ياقوت، معجم البلدان، ج ١، ص ٧٧).

سار حتى حرر الأبلة[١]، وكتب بذلك إلى الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه وبعث بالكتاب بيد نافع بن الحارث بن كلدة الثقفي فلما قدم على عمر رضي الله عنه تباشر المسلمون خيرًا فلما همّ نافع بالانصراف قال لعمر يا أمير المؤمنين أني قد افتليت فلاء بالبصرة واتخذت بها تجارة فأكتب إلى عتبة أن يحسن جواري فكتب عمر رضي الله عنه إلى عتبة بذلك، فخط عتبة لنافع خطة، فكان نافع أول من خط خطة بالبصرة وأول من افتلى بها الإفلاء وارتبط بها رباط[٢].

والذي يظهر من هذه الرواية أنه كان مع جيش عتبة عدد من الثقفيين وأن نافع قد استقر بالبصرة ولا بد أنه مارس نوعًا من النشاط التجاري. وأنه صحب عائلته معه إلى البصرة حيث استقر هناك وقام بدوره في هذا المصر الذي فتحه الله عليهم.

وفي سنة ١٨ هـ/ ٦٣٩ م كان طاعون عمواس بالشام حيث توفي فيه أبو عبيدة عامر بن الجراح وعامر بن غيلان الثقفي[٣]. وهذا يدل على أن بعض الثقفيين انتقل مع الفتوحات العربية الإسلامية إلى المناطق المحررة الجديدة كما استعمل الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه (١٣ ـ ٢٣ هـ/ ٦٣٤ ـ ٦٤٣ م) عثمان بن أبي العاص الثقفي على البحرين وعمان بعد أن ترك مكانه على ولاية الطائف يعلى بن عبد الله بن ربيعة[٤].

وفي خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه تولى المغيرة بن شعبة البصرة وهو أول من وضع ديوان البصرة[٥]. وكان المغيرة بن شعبة إداريًا من طراز خاص، حيث تطلب عمله في العراق اتقان اللغة الفارسية، فألم بشيء منها[٦].

وعندما نزل عثمان بن أبي العاص البصرة أقطعه الخليفة عثمان بن عفان ١٢ ألف جريب[٧]. ولا بد أن عثمان الثقفي قد عمل على زراعة هذه الأرض أو عمل

---

(١) الأبلة: بلدة على شاطىء دجلة البصرة العظمى في زاوية الخليج العربي وهي أقدم من البصرة. (ياقوت، معجم البلدان، ج ١، ص ٧٧).

(٢) أحمد بن داود الدينوري، الأخبار الطوال، ط ١، تحقيق عبد المنعم عامر، (القاهرة، ١٩٦٠)، ص ١١٧.

(٣) ابن الأثير، الكامل، ج ٢، ص ٥٥٨.

(٤) ابن حبيب، المحبر، ص ١٢٧. البلاذري، فتوح البلدان، ص ٩٢ ـ ٩٣. الطبري، تاريخ الرسل، ج ٣، ص ٤٧٩.

(٥) ابن قتيبة، المعارف، ص ٢٩٥.

(٦) الطبري، تاريخ الرسل، ج ٤، ص ٨٨.

(٧) ابن قتيبة، المعارف، ص ٢٦٩. (الجريب) يساوي ١٥٩٢ م (ينظر حمدان عبد المجيد=

على استطلاح الأرض غير الزراعية وبالتالي أسهم بالنشاط الزراعي للمنطقة. وهناك موضع بالبصرة يقال له شط عثمان نسبة إليه[١]. وبالبصرة حمام ينسب إلى عبد الله بن عثمان الثقفي[٢]. وكان الثقفيون إداريون من الدرجة الأولى حيث كانوا ملمين بكل جوانب الحياة وأسرارها، فهذا الأقرع بن السائب الثقفي الذي شهد فتح مهرجان قذف دخل منزل الهرمزان فوجد فيه سفط كنز فيه الياقوت والزبرجد فأخذ منه فصًا أخضر اللون وكتب إلى الخليفة عمر بذلك وطلب منه أن يهبه له. فلما عرض الخليفة عمر رضي الله عنه السفط على الهرمزان سأل عن الفص فقال له وهبته لصاحبنا فقال الهرمزان أن صاحبك يعلم قيمة ونوعية الجواهر[٣].

وكان السائب بن الأقرع الثقفي قد خرج مع الجيش الذي توجه إلى نهاوند سنة ٢١ هـ/ ٦٤١ م وكان حاسبًا كاتبًا وقد طلب منه الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه أن يقسم الغنائم بعد أن يمنّ الله على المسلمين نصره، لما تحقق النصر في نهاوند قام بواجبه خير قيام[٤].

وهذا يعلى بن منية الثقفي الوالي في خلاقة الخليفة عمر بن الخطاب على اليمن ينفذ أمر الخليفة بإجلاء أهل نجران استنادًا لوصية الرسول ﷺ من هو ليس بمسلم، وطلب منه إبقاء المسلمين منهم في أرضهم، ثم يمسح تلك الأرض، فنفذ يعلى بن منية أمر الخلافة على أحسن ما يرام[٥].

لقد حاول الإسلام في أول عهده أن يضعف التعصب القبلي، وأن يحل الولاء للأمة والعقيدة الإسلامية وكان بعض أمراء الطائف، وهم بالتأكيد من ثقيف، يكتبون إلى الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه بأن أصحاب النحل لا يؤدون ما كانوا يؤدونه إلى الرسول ﷺ، ومع ذلك يريدون أن نحمي لهم أوديتهم، فرد عليه الخليفة فإن أدوا إليك ما كانوا يؤدونه إلى الرسول ﷺ فاحم لهم، وإن لم يؤدوا فلا تحم لهم[٦]. من خلال هذا نرى أن مصلحة الأمة كانت فوق مصلحة القبيلة أي

---

= الكبيسي وعواد الأعظمي، دراسات في تاريخ الاقتصاد العربي الإسلامي، ط ١، (بغداد، ١٩٨٨)، ص ١٧٦.

(١) ابن سعد، الطبقات، ج ٥، ص ٥٠٩.

(٢) البلاذري، فتوح البلدان، ص ٣٤٨.

(٣) الجاحظ، البيان والتبيين، ج ٢، ص ٢٦٣.

(٤) الطبري، تاريخ الرسل، ج ٤، ص ١١٦ ـ ١١٧.

(٥) ن.م، ج٣، ص ٤٤٦.

(٦) أبو يوسف، الخراج، ص ٥٥ ـ ٥٦.

فوق العصبية القبلية فكان هذا الوالي حريصًا على تطبيق مبادىء الإسلام بشأن الخراج والعشر وغير ذلك من الأمور ذات النفع العام، وقد انتقل قسم من أهل ثقيف إلى البصرة[١]. وبالتأكيد قد مارس هؤلاء دورهم التجاري والزراعي في هذه المنطقة.

وفي خلافة عثمان بن عفان رضي الله عنه سنة (٢٣ ـ ٣٦ هـ/٦٤٣ ـ ٦٥٦ م) ولي المغيرة بن شعبة أذربيجان وآرمينية ثم عزل وولي بدله القاسم بن ربيعة بن أمية الثقفي[٢]. كما تولى المغيرة في سنة ٣٥ هـ/٦٥٥ م إمارة الطائف[٣] وكان على أصبهان السائب بن الأقرع الثقفي[٤].

وفي خلافة علي بن أبي طالب رضي الله عنه (٣٦ ـ ٤٠ هـ/٦٥٦ ـ ٦٦٠ م) كان واليه على أستان الزوابي[٥] سعد بن مسعود الثقفي[٦]. كما كان واليه على المدائن مسعد بن مسعود عم المختار بن أبي عبيد الثقفي[٧].

وقد غير الخليفة علي رضي الله عنه والي ثقيف فلم يكن ثقفيًا كما كان الاتفاق بين ثقيف والرسول ﷺ، فعندما توفي الخليفة علي رضي الله عنه كان واليه على الطائف قثعم بن العباس[٨] وبالتأكيد هناك الكثير من إداريّ ثقيف ممن تولوا مسؤولية الولاية وقد استطاعوا أن يؤدوا إلى الإسلام وإلى أمتهم خدمات جليلة حفظت ذكرهم ومآثرهم ورأيت أن أقف عند نسب أحدهم وهو زياد بن عبيد الثقفي الذي عرف في التاريخ بـ (زياد ابن أبيه) وأسلط الضوء عليه لا لأنه ثقفي المولد ولكنه على الأقل كان ثقفي التربية عرف فضائل ومآثر الناس الذين عاش بينهم وبالتأكيد تعلم منهم وتأثر بهم.

---

(١) يوليس فلهاوزن، تاريخ الدولة العربية من ظهور الإسلام إلى نهاية الدولة الأموية، ترجمة د. محمد عبد الهادي أبو ريدة (القاهرة، ١٩٥٨)، ص ١١٣.

(٢) البلاذري، فتوح البلدان، ص ٢٠٧.

(٣) ابن الأثير، الكامل، ج ٣، ص ١٨٦.

(٤) ن.م، ج ٣، ص ١٨٧.

(٥) أستان الزوابي: إحدى كور السواد من الجانب الغربي (ينظر ياقوت معجم البلدان، ج ١، ص ١٧٤).

(٦) الدينوري، الأخبار الطوال، ص ١٥٣.

(٧) ابن الأثير، الكامل، ج ٣، ص ٢٨٠.

(٨) الطبري، تاريخ الرسل، ج ٥، ص ١٥٥.

# زياد بن عبيد الثقفي

**نسبه:**

يرى بعض المؤرخين أنه «ادعاء معاوية بأخوته لزياد إنما هي من باب وضع الشيء في محله وقد كان معاوية مؤمنًا بأن عمله لم يكن وضع فضلًا منه منحه لزياد... ولكنه كان عملًا موضوعيًا[١]. ولكن من أين جاء معاوية بهذا الإيمان؟ هل جاء به من شهادة أبو مريم السلولي، أم من الأبيات الشعرية التي قالها أبوه؟، إن الحالة السياسية التي كان يمر بها معاوية جعلته يخالف السنة النبوية الشريفة حيث قال الرسول ﷺ: «الولد للفراش والعاهر للحجر»[٢]. فهل عمل معاوية بهذه السنة؟

وعندما جلب معاوية أبا مريم السلولي وكان هذا خمارًا في الطائف قبل الإسلام وقد شهد الواقعة بين أم زياد وأبي سفيان حيث أخذ يصف الواقعة أمام زياد[٣]. والسؤال الذي يثار هنا أين عزة الإنسان العربي بنفسه؟ وكيف يقبل التشهير بأمه أمام الناس لا سيما أن اعتزاز الإنسان العربي بشرفه لا يقدر بثمن وقد كانت تسيل الدماء من أجل ذلك فكيف يسمح زياد أن توصف أمه بما وصفت به أمام الناس وتعاب بتلك الصفات، والذي أظنه أن الباحثة لم تناقش الروايات التي وقفت بالضد من رواية معاوية.

وتعتقد الباحثة في موضع آخر أن عبد الله بن عامر بن كريز بن ربيعة بن عبد شمس قد عارض التحاق نسب زياد بأبي سفيان وذلك بدافع الحقد لأن العلاقة بينهما كانت غير جيدة منذ كان واليًا على البصرة في خلافة عثمان بن عفان رضي الله عنه[٤].

لكن هذا الكلام ورد بشكل مناقض في صفحات أخرى حيث تقول الباحثة «وفي ولاية ابن عامر ظهر زياد على مسرح الأحداث... إذ عينه ابن عامر كاتبًا وفي سنة ٢٩ هـ/ ٦٤٩ م استخلف ابن عامر زياد على البصرة... وهكذا يظهر ابن عامر

---

(١) رمزية عبد الوهاب الخيرو، إدارة العراق في صدر الإسلام، ط ١، دار الحرية للطباعة (بغداد، ١٩٧٨)، ص ٦١.

(٢) أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري، صحيح البخاري، ج ٥ (دار الطباعة العامرة ١٢٥٧ هـ)، ص ١٥٣.

(٣) الخيرو، إدارة العراق، ص ٦٠.

(٤) ن.م، ص ٧١.

كان يعتمد على زياد فيجعله نائبًا عنه عندما يضطر لترك البصرة»[1]. وهذا مما يؤكد أن علاقتهما كانت جيدة وليس مثلما ذهبت إليه الباحثة.

ويرى بعض المؤرخين أن استلحاق معاوية بن أبي سفيان لزياد لأن أباه من قبل قد اعترف ببنوته[2]. وعندي أن أبا سفيان لم يعترف ببنوته لزياد، ولكن الذي اعترف بذلك هو معاوية وهذا ردد شعرًا قاله علي أمام أبي سفيان في حضرة الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه وكان يردد هذا الشعر داخل نفسه فقط.

| | |
|---|---|
| أما والله لولا خوف شخص | يراني يا علي[3] من الأعادي |
| لبين أمره صخر بن حرب | ولم يكن المجمجم عن زياد |
| ولكني أخاف صروف كف | لها نقم ونفي عن بلادي |
| فقد طالت محاولتي ثقيفًا | وتركي فيهم ثمر الفؤاد[4] |

فأبو سفيان كان يخاف من غضب الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه ولماذا يغضب عليه؟. فالذي أعتقده أن الخليفة عمر رضي الله عنه سوف يسامحه في ذلك لأنه أتى بذنبه قبل الإسلام والإسلام يجب ما قبله.

وكان يمكن لأبي سفيان أن يعترف بأبوته لزياد بعد وفاة الخليفة عمر رضي الله عنه سنة ٢٣ هـ/٦٤٣ م ومجيء عثمان بن عفان رضي الله عنه على دست الخلافة والذي كان أبو سفيان[5] يأمن من جانبه.

وإن أول حكم تناقض مع أحكام الرسول ﷺ كان في زياد حيث تم إلحاقه بنسب أبي سفيان[6].

ويرى بعض المؤرخين أن خبر اعتراف أبي سفيان بزياد قد اختلق بالفترة اللاحقة[7]. وإذا كان هذا صحيحًا فإن المراد من ذلك هو إلحاق السوء بنسب زياد

---

(١) الخيرو، إدارة العراق، ص ٣٦.
(٢) علي إبراهيم حسن، التاريخ الإسلامي العام، ط ٢، (القاهرة، ١٩٥٩)، ص ٢٦٤.
(٣) علي: هو علي بن أبي طالب رضي الله عنه.
(٤) المسعودي، مروج الذهب، ج ٣، ص ٦.
(٥) توفي أبو سفيان سنة ٣٢ هـ. (ينظر ابن قتيبة، المعارف، ص ٣٤٤).
(٦) صلاح الدين المنجد، معجم بني أمية، ط ١، دار الكتاب الجديد، (لبنان، ١٩٧٠)، ص ٤٦.
(٧) طه حسين، الفتنة الكبرى، ج ٢، ط ٩، دار المعارف، (مصر، ١٩٧٦)، ص ٢٠٣.

لكي يبقى ملاصقًا لاسمه في التاريخ على الرغم مما قدمه من خدمات جليلة للدولة العربية الإسلامية.

وقد نسب أحد الباحثين المحدثين زياد إلى قبيلة ثقيف وهو أمر يحتاج إلى وقفة تأمل لأنه أسماه زياد ابن أبيه الثقفي[١]. لكن الباحث لم يأتِ بأدلة مقنعة لفرضيته هذه. ولا نعلم كيف استساغ الباحث الفاضل لنفسه أن يسميه زياد ابن أبيه الثقفي ولم يشخص أباه؟ هل لكونه عاش في ثقيف؟ وهو ينكر أباه، وينسبه إلى القبيلة فهو اعتراف بشكل غير مباشر بكل الطعون التي كانت توجه إلى سمية والدة زياد. وكان الخليفة عمر بن عبد العزيز (٩٩ ـ ١٠١ هـ/ ٧١٧ ـ ٧١٩ م) إذا كتب إلى عماله وجاء ذكر زياد قال زياد صاحب البصرة[٢].

ويعتقد الدكتور طٰه حسين أن عملية إلحاق زياد بأبي سفيان فيها مصلحة سياسية وهذه المصلحة السياسية واضحة كل الوضوح، لأن زياد كان أعلم بأهل العراق وكان يعرف كيف يسير الأمور في هذا الإقليم المضطرب فأراد معاوية أن يكفيه زياد شرق الدولة ليتفرغ هو إلى غربها[٣].

كانت أم زياد تسمى سمية بنت أبي بكرة[٤]. وهي من أهل زندورد[٥]، وقد ولدت زياد عام (الفتح) بالطائف[٦] ويقال إن سمية كانت أمةً للحارث بن كلدة وقد اعتقها وتزوجت عبيد الذي كان مملوكًا لرجل من ثقيف[٧]. وزياد أحد الإخوة الثلاثة أبا بكرة ونافعًا وكلهم من سمية وكل واحد من هؤلاء الإخوة نسب مجازًا إلى مكان؛ فزياد نسب إلى قريش وأبو بكرة إلى العرب ونافع إلى الموالي وقد صور لنا الشاعر يزيد بن مفرغ ذلك بقوله:

إن زيـــاد ونـــافـــعًـــا وأبـــا     بـكـرة مـن أعـجـب الـعـجـب
إن رجـــالًا ثـــلاثـــة خـــلـقـــوا     من رحم أنثى مخالفي النسب

---

(١) العبيدي، مدينة الطائف، ص ١٩٦. (٢) المنجد، معجم بني أمية، ص ٤٦.
(٣) طٰه حسين، الفتنة الكبرى، ج ٢، ص ٢٠٩.
(٤) ابن قتيبة، المعارف، ص ٣٤٦. (وهناك رواية أخرى ضعيفة تقول إن اسم أم زياد سمية بنت الأعور من بني عبد شمس بن سعد) ينظر (ابن قتيبة، المعارف، ص ٣٤٦).
(٥) ابن قتيبة، المعارف، ص ٢٨٨. (زندورد): مدينة كانت قرب واسط مما يلي البصرة. ينظر (ياقوت، معجم البلدان، ج ٣، ص ١٥٤).
(٦) ابن قتيبة، المعارف، ص ٣٤٦. (٧) الدينوري، الأخبار الطوال، ص ٢١٩.

ذا قـريـشـي فـيـمـا يـقـول وذا مـولـى وهـذا ابـن أمـة عـربـي[(١)]

إذن من هذا نستطيع أن نتبين لماذا أريد إلحاق التشويه ليس بزياد فقط ولكن بأمه أيضًا. ونحن نعرف قيمة الأم عند العربي وارتباط ذلك بقيمه ومبادئه التي يعتز بها.

وإن معاوية عندما اعترف بزياد أخًا له قام زياد وقال: «هذا أمر لم أشهد أوله ولا علم لي بآخره»[(٢)]. فزياد ذاته كان لا يعرف نسبه الجديد وقد أصبح رجلًا يعتمد عليه. وزياد يخاطب المغيرة بن شعبة عندما فاتحه هذا بالأمر «أأغرس عودًا في غير منبته ولا مدرة فتحييه ولا عرق فيسقيه»[(٣)]. فزياد نفسه كان غير مقتنع بهذا النسب.

ولعب المغيرة بن شعبة دورًا في الوساطة بين زياد ومعاوية إذ دبر المغيرة مسألة النسب هذه[(٤)]. وقد أهدى زياد إلى معاوية هدايا كثيرة عندما كان واليًا على العراق وخاطبه قائلًا: «لقد دوخت لك العراق، وجبيت لك برها وبحرها... وحملت إليك لبها وقشورها. فقال له يزيد لئن فعلت ذلك لقد نقلناك من ولاء ثقيف إلى عز قريش، ومن عبيد إلى أبي سفيان، ومن القلم إلى المنابر»[(٥)]. فيزيد بن معاوية كان يستكثر على زياد ذلك، وهو عمه حسب اعتراف أبيه معاوية. فكيف يستكثر ابن أخ على عمه ذلك إذا لم يشعر بداخله إن لهم عليه منّة بهذا النسب؟.

كان سعيد بن مسرح مولى حبيب بن عبد شمس من أنصار الإمام علي بن أبي طالب رضي الله عنه فلما قدم زياد الكوفة واليًا عليها خاف هذا فهرب وأتى الحسن بن علي رضي الله عنه فقام زياد فحبس أخاه وزوجته فكتب الحسن بن علي إلى زياد بشأن الرجل يطلب إجارته فرفض زياد طلب الحسن رضي الله عنه عندئذٍ اضطر الأخير أن يفاتح الخليفة معاوية بهذا الأمر واستجاب معاوية لطلب الحسن. فكتب إلى زياد قائلًا: « ...إذ كنت تنتسب إلى عبيد»[(٦)]. من هذا يتبين لنا أن

(١) ابن عبد ربه، العقد الفريد، ج ٧، ص ١٤٧ ـ ١٤٨.
(٢) ابن عبد ربه، العقد الفريد، ج ٤، ص ٢٠٠.
(٣) المسعودي، مروج الذهب، ج ٣، ص ٧.
(٤) ابن عبد ربه، العقد الفريد، ج ٥، ص ٢٩١ ـ ٢٩٢.
(٥) أبو عبد الله محمد الجهشياري، الوزراء والكتاب، ط ١١، حققه مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري وعبد الحفيظ شلبي، (القاهرة، ١٩٣٨)، ص ٢٧ ـ ٢٨.
(٦) عبد القادر بن بدران، تهذيب تاريخ دمشق الكبير، ج ٥، ط ٢، دار المسيرة، (بيروت، =

معاوية اعترف بالحقيقة بصورة صحيحة وكاملة عندما أكد أن والد زياد هو عبيد وليس غيره.

وهذا زياد يكتب إلى عائشة رضي الله عنه في بعض الأحيان من زياد بن أبي سفيان وكان يتمنى أن ترد عليه بهذا النسب ليكون له حجة، فتكتب له من عائشة أم المؤمنين إلى ابنها زياد[١].

فلو كان زياد مقتنعًا بهذا النسب لما كان يتمنى أن ترد عليه عائشة أم المؤمنين رضي الله عنه بهذا النسب.

إضافة إلى ما تقدم فإنه عندما تولى المهدي الخلافة (١٥٨ ـ ١٦٩ هـ/ ٧٧٤ ـ ٧٨٥ م) «أمر برد آل زياد إلى عبيد الثقفي وإسقاطهم من ديوان قريش وقد كتب الكتب بذلك فاعتمد ما رسم به»[٢]. فالمهدي لم يقم بذلك اعتباطًا بل بالتأكيد كان يعتمد على دلائل وحجج يستخدمها إذا ما احتاج إليها في حالة المحاججة في عدم صحة انتماء زياد إلى عبيد الثقفي.

من كل هذه الدلائل التي بين أيدينا نستطيع أن نؤكد أن زيادًا الثقفي هو ثقفي سواء بالنسب أو بالمنشأ أو التربية، فقد اجتمع له ما عرف عن بني قومه الثقفيين، من ذكاء ويقظة، ورجاحة عقل وقد استقر الأمر بزياد مع أقرب أقربائه بني بكرة[٣].

وكيف يجوز أن يعترف الأخ بأخيه علمًا أن أبا سفيان كان قد عاش حتى عام ٣٢ هـ وكان بمقدوره الاعتراف بأبوته لزياد.

وهذا مصعب بن الزبير يكلم عبيد الله بن أبي بكرة عندما وصل مصعب إلى البصرة بقوله: «أما والله لئن بقيت لألحقنكم بنسبكم»[٤].

كذلك كان لزياد أب معروف هو عبيد وهناك قول للرسول ﷺ: «من ادعى لغير أبيه وهو يعلم فالجنة عليه حرام»[٥].

---

= ١٩٧٩)، ص ٤٢١ ـ ٤٢٢.

(١) ابن خلدون، العبر، ج ٣، ص ١٥ ـ ١٦.

(٢) محمد بن علي بن طباطبا المعروف بابن الطقطقي، الفخري في الأداب السلطانية والدول الإسلامية، دار بيروت، دار صادر، (بيروت ١٩٦٠)، ص ١٨٠ ـ ١٨١.

(٣) لامنس، «مادة زياد»، دائرة المعارف الإسلامية.

(٤) الطبري، تاريخ الرسل، ج ٦، ص ١٥٤.

(٥) البخاري، صحيح البخاري، ج ٥، ص ١٠٣.

وقد اعترف زياد بذلك حين استلحقه معاوية بنسبه لقد كان عبيد أبا مبرورًا ووليًا مشكورًا[١] بعد هذا كله يمكننا أن نقول له بثقة واطمئنان زياد بن عبيد الثقفي.

كان زياد رجلًا ذا كفاية إدارية بارزة[٢]. إذ كان كاتبًا في الجيش العربي إبان معركة القادسية[٣]. وهو رجل مشهود له بالعقل والأدب، خرج مع المغيرة بن شعبة عندما أمره الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه واليًا على البصرة سنة ١٤ هـ/ ٦٣٥ م[٤]. كما أصبح كاتبًا لأبي موسى الأشعري عندما أصبح أميرًا على البصرة سنة ١٧ هـ/ ٦٣٨ م[٥]. وقد كسب زياد ثقة أبي موسى الأشعري لما وجد فيه نبلًا ورأيًا سديدًا[٦]. وأرسل الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه إلى أبي موسى الأشعري يستقدمه، فجاء هذا فسأله الخليفة عمن استخلف مكانه فقال له: لقد تركت مكاني زيادًا فلم يقبل الخليفة بذلك لأنه قال له لقد استخلفت غلامًا حدثًا. فرد أبو موسى عليه بأن زيادًا كان ضابطًا للأمور، وهو جدير بذلك. فطلب عمر رضي الله عنه من زياد أن يأتي إليه وأن يستخلف مكانه أحد خواصه، فلبى زياد أمر الخليفة واستخلف مكانه عمران بن حصين، فقال له الخليفة لئن كان أبو موسى قد استخلف غلامًا، فقد استخلفت كهلًا. وقد امتحنه الخليفة فرأى منه بلاغة وفصاحة كما توسم فيه مقدرة إدارية وحكمة سياسية[٧].

وفي سنة ٣٠ هـ/ ٦٥٠ م حفر زياد نهر الأبلة حتى انتهى به إلى موضع الجبل[٨]. وفي خلافة علي بن أبي طالب سنة (٣٦ ـ ٤٠ هـ/ ٦٥٦ ـ ٦٦٠ م) ولي زياد الخراج وبيت المال في البصرة، وكان واليها عبد الله بن العباس[٩]. فلا بد أن يكون زياد قد استفاد من عمله كاتبًا وأصبحت لديه خبرة في المجال الإداري، فضلًا عما يتمتع به من مزايا فتجمعت في شخصه الخبرة المكتسبة إلى جانب الصفات التي كانت موجودة فيه فخلقت منه إداريًا كفؤًا عمل في خدمة الدولة العربية الإسلامية.

---

(١) حسين، الفتنة الكبرى، ج ٢، ص ٢٠٨ ـ ٢٠٩.
(٢) Sir William Muir, The Caliphate its Rise Decline and Fall, (Beirut, 1963) p.297.
(٣) الطبري، تاريخ، ج ٣، ص ٤٨٩.
(٤) الدينوري، الأخبار الطوال، ص ٢١٩.
(٥) ن.م، ص ١١٨.
(٦) الطبري، تاريخ، ج ٤، ص ١٨٥. ابن أعثم الكوفي، الفتوح، ج ٢، ص ٢٩ ـ ٣٠.
(٧) الجهشياري، الوزراء والكتاب، ص ١٧ ـ ١٨.
(٨) خليفة بن خياط، تاريخ خليفة، ج ١، ص ١٤٢.
(٩) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج ٣، ص ٢٥٦.

وعندما امتنع أهل فارس عن دفع الخراج سأل الخليفة علي بن أبي طالب رضي الله عنه عن رجل يوليه البلاد فأشير عليه بزياد، فقال هو لها. فولاه كرمان وفارس سنة ٣٩ هـ/ ٦٥٩ م ووجه معه أربعة آلاف مقاتل، فسيطر على تلك المناطق حتى استقامت الأمور، فضرب به أهل فارس المثل في العدل، فكانوا يقولون ما رأينا سيرة أشبه بسيرة كسرى أنو شروان من سيرة هذا العربي. وقد استعمل الدهاء والحكمة في فرض سيطرته على تلك المناطق، وقد نزل اصطخر وحصن قلعة بها فسميت قلعة زياد[١]. تلك هي شخصية زياد بن عبيد الثقفي وستتعرف لاحقًا على جوانب مشرقة من مسيرته وهو يركز جل جهوده وأفكاره لخدمة الدولة العربية الإسلامية.

## إسهام الثقفيين في النشاط العسكري في صدر الإسلام

كان العرب قبل الإسلام قبائل متناثرة هنا وهناك على رمال تلك الصحراء المترامية من جزيرة العرب، لم تقم دولة موحدة تنظم حياتهم، وتلم شملهم، حتى جاء رسوله ﷺ بالهدى ودين الحق، فقاومته بعض تلك القبائل في بادىء الأمر لكنها لم تصمد أمام الحقيقة التاريخية، وأمام شعاع الحق والعدل فانتصر الإسلام عقيدة ورسالة، فآمنوا به، وتوفي الرسول ﷺ فحدثت الردة فكان لا بد للرجال المؤمنين أن يدافعوا عن عقيدتهم فانتصروا وكان لا بد من نشر الإسلام رسالة خير ومحبة خارج الجزيرة العربية، فتوجهت الجيوش العربية الإسلامية يحدوها الأمل في ذلك[٢].

وكانت خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه (١٣ ـ ٢٣ هـ/ ٦٣٤ ـ ٦٤٣ م) بداية المشروع في حركات التحرير والفتوح الواسعة، وأسهم الثقفيون في تلك الحركات إسهامًا فاعلًا.

### أ ـ جبهة العراق:

كانت هذه الجبهة من الجبهات العسكرية المهمة للدولة العربية الإسلامية، لأنها تقوم على الحدود الشرقية حيث امبراطورية الفرس الساسانيين التي كانت في حالة تنافس وصراع مرير مع الامبراطورية البيزنطية، ووقف الفرس بالضد من تيار العروبة والإسلام، فكان لا بد من التصدي لهم لأنهم حاولوا الاستهانة بقدرات الأمة

---

(١) الطبري، تاريخ الرسل، ج ٥، ص ١٣٧ ـ ١٣٨.
(٢) كمال، فتوح الشرق بعد القادسية، ط ١، دار الفكر، (القاهرة، ١٩٧٤)، ص ٩ ـ ١٠.

وعقيدتها. فكان لا بد للخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه أن يندب المسلمين للقتال وفعلًا انتدب الناس للعراق فلبى نداء الخليفة أبو عبيد بن مسعود الثقفي، وسعد بن عبيد الأنصاري، وتحدث الخليفة رضي الله عنه إلى الناس حاثًا إياهم على التطوع للقتال إلى جبهة العراق. ولما اجتمع البعث طلب من الخليفة أن يؤمر عليهم رجلًا من السابقين من الأنصار أو المهاجرين فلم يوافق الخليفة على ذلك وقال سوف أومر عليهم من كان أولهم انتدابًا، ثم دعا أبا عبيد الثقفي، وسليطًا وسعدًا. وقال لأبي عبيد أنت أمير الجيش فاسمع من أصحاب النبي ﷺ وأشركهم في الأمر[١].

خرج أبو عبيد الثقفي ومعه سعد بن عبيد وسليط بن قيس والمثنى بن حارثة الشيباني، وقد نصح الخليفة عمر رضي الله عنه أبا عبيد الثقفي بأن يكون متزنًا في قراره، لأنها الحرب والحرب لا يصلح لها إلا الرجل المكيث[٢]. وأن يسمع ويشاور أصحابه في الأمر. وقد التزم أبو عبيد بأوامر الخليفة وتوجيهاته وقد خرج أبو عبيد ومعه خمسة آلاف رجل[٣]. وقيل أربعة آلاف مقاتل[٤]. فأقام بخفان[٥] أيامًا وقد أعد الفرس عدتهم، وسلمت القيادة إلى جابان. واجتمع إليه بشر كثير وقد استعد أبو عبيد فنزل الجيش العربي الإسلامي على الفرس في النمارق[٦]، فانهزم أهل فارس وأسر جابان وقد أخذ هذا الأمان من مطر بن فضة التيمي، فأتى به إلى أبي عبيد فأراد المسلمون قتله فرفض أبو عبيد ذلك وقال: إني أخاف الله أن أقتله وقد آمنه رجل مسلم[٧]. من هنا نستطيع أن نؤكد قوة هذا الرجل القائد وإيمانه. فهو مؤمن بالإسلام حقًا، لأنه أوفى بعهد الله. وقد أعطى أحد المسلمين الأمان لرجل مشرك فما كان من أبي عبيد الثقفي إلا الالتزام بعهد ذلك الرجل المسلم. وأن أبا عبيد قد حقق غرضه بانتصاره الأول على الفرس فتمكن من تحقيق بعد (استراتيجي) وهو نشر الإسلام. ولكن ليس بقوة السيف وإنما بالالتزام بالعهد والوفاء به.

---

(١) الطبري، تاريخ الرسل، ج ٣، ص ٤٤٤ ـ ٤٤٥.

(٢) ن.م، ج ٣، ص ٤٤٥ ـ ٤٤٦.

(٣) الدينوري، الأخبار الطوال، ص ١١٣.

(٤) ابن أعثم الكوفي، الفتوح، ج ١، ص ١٦٥.

(٥) خفان: موضع قرب الكوفة وقيل فوق القادسية. ينظر (ياقوت، معجم البلدان، ج ٢، ص ٣٧٩).

(٦) النمارق: موضع قرب الكوفة. ينظر (ياقوت، معجم البلدان، ج ٥، ص ٣٠٤).

(٧) الطبري، تاريخ الرسل، ج ٣، ص ٤٥٠.

وقد انهزم الفرس من النمارق إلى كسكر[١] حيث كان بها نرسي وهذا ابن خالة كسرى وقد طلبت بوران ورستم من نرسي التوجه نحو كسكر ليحميها وكان يزرع بكسكر النرسيان[٢] وكان هذا لا يأكله إلا ذوو الشأن من أهل فارس. وقد نادى أبو عبيد بالجيش العربي بالتوجه إلى نرسي لطرد الجيش الفارسي فيما بين النمارق إلى بارق إلى درتا[٣]. وقال عاصم بن عمرو التميمي:

لَعَمري وما عَمْري علي بهيِّن  لقد صُبِّحتْ بالخزى أَهل النمارقِ
بأيدي رجالٍ هاجروا نحو ربِّهم  يجوسونهم ما بين دُرْتا وبارقِ[٤]

وقد أتى الخبر بهزيمة جابان إلى بوران ورستم وقد وصل ذلك إلى نرسي وأهل كسكر. وكان نرسي بأسفل كسكر فالتقى الجيشان في السقاطية[٥] فانهزم الفرس وفر نرسي من ساحة المعركة. وحصل المسلمون على غنائم كثيرة. وخاصة النرسيان فأكل منه الجيش وأطعموا كذلك الفلاحين وبعث أبو عبيد الثقفي البعوث من الجيش العربي إلى مناطق أخرى، وفي الوقت نفسه بعث بالخمس إلى الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه وبعدئذٍ التقى بجالنوس بباقسياثا من باروسما فهزمه[٦].

وقد وصل جالنوس إلى رستم وأخبره بهزيمته أمام أبي عبيد الثقفي، فجهز رستم جيشًا بقيادة جاذويه، ووجه معه فيلة فأقبل جاذويه ومعه جالنوس وقد تسلم جاذويه راية كسرى وتسمى (درفش كابيان) وكانت مصنوعة من جلد النمر عرضها ثمانية أذرع وطولها اثنا عشر ذراعًا. وأقبل أبو عبيد فنزل المروحة فبعث إليه جاذويه أما أن تعبروا إلينا وندعكم والعبور وأما أن تدعونا نعبر إليكم فقال الناس لا تعبر يا أبا عبيد، ننهاك عن العبور. وطلبوا منه أن يقول لهم أن يعبروا هم[٧].

---

(١) كسكر: قصبتها اليوم واسط، وهي كورة واسعة. ينظر (ياقوت، معجم البلدان، ج ٤، ص ٦٤١).
(٢) النرسيان: نوع من التمر يكون من أجوده. ينظر (ابن منظور، لسان العرب، مادة (نرس)).
(٣) درتا: موضع من نواحي الكوفة. ينظر (ياقوت، معجم البلدان، ج ٢، ص ٤٤٩).
(٤) الطبري، تاريخ الرسل، ج ٣، ص ٤٥٠ ـ ٤٥١.
(٥) السقاطية: ناحية بكسكر من أرض واسط. ينظر (ياقوت، معجم البلدان، ج ٣، ص ٢٢٦).
(٦) الطبري، تاريخ الرسل، ج ٣، ص ٤٥١ ـ ٤٥٣.
(٧) خليفة بن خياط، تاريخ خليفة، ج ١، ص ٩٢.

وحلف أبو عبيد الثقفي أن يعبر إليهم، فناشده سليط بن قيس، «إن العرب لم تلق مثل جنود فارس منذ كانوا، وأنهم قد حفلوا لنا واستقبلونا من الزهاء والعدة»[١]. ربما كان هذا تحديًا لقيادة أبي عبيد وإيمانه لأنه ربما استشعر بأنه أقل من المهمة المكلف بها، فاندفع دون أن يحسب النتائج بحساب دقيق.

ولهذا نرى جواب أبي عبيد الثقفي لسليط «لا أفعل جبنت والله»[١]، وكان الرسول بين أبي عبيد وجاذويه مرد أنشأه الخصي وقد أخبر هذا أبا عبيد الثقفي أن أهل فارس قد عيروهم فازداد أبو عبيد غضبًا وإصرارًا على العبور[٢].

وقال أبو عبيد «لا يكونون أجرأ على الموت منا بل نعبر إليهم»[٣]. فعبر العرب المسلمون من مكان ضيق وقد استمر القتال يومًا وشعر رجل من ثقيف أن النصر قد تأخر فشد هذا وشد آخرون من العرب المسلمين على الفرس فأصيب منهم ستة آلاف وقد ترجل أبو عبيد الثقفي عن فرسه نحو الفيل الأبيض وفعل آخرون من العرب المسلمين مثل ما فعل قائدهم وتقدموا إلى الفيلة وقطعوا أحزمتها فوقع من عليها على الأرض. ولكن مصرع أبي عبيد الثقفي تحت أرجل أحد الفيلة غير مسار المعركة، فبادر عبد الله بن مرثد الثقفي نحو الجسر فقطعه فأصبح المسلمون بين السيوف الفارسية والمياه فرموا أنفسهم في الفرات، وقد استشهد من المسلمين في ذلك اليوم أربعة آلاف بين غريق وشهيد، وقد تتابع من ثقيف سبعة على حمل اللواء بعد استشهاد أبي عبيد الثقفي ثم أخذ اللواء المثنى وحمى الناس حتى عقدوا الجسر وعبر عليه المسلمون[٤].

ولما وصل الخبر إلى الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: « . . . يرحم الله أبا عبيد لو كان عبر فاعتصم بالخيف أو تحيز إلينا ولم يستقتل لكنا له فئة»[٥]. وقد كان رأي الخليفة عمر رضي الله عنه أن أبا عبيد الثقفي لو بقي في مكانه ولم يعبر لكان ذلك أفضل للمسلمين ولقائده.

وبعد استشهاد أبي عبيد أخذ الراية أخوه الحكم الثقفي فاستشهد هو الآخر، ثم أخذ الراية قيس بن حبيب الثقفي أخو أبي محجن الثقفي فاستشهد هو الآخر، وقد

---

(١) الطبري، تاريخ الرسل، ج ٣، ص ٤٥٦. (٢) ن.م، ص ٤٥٦.
(٣) ابن الأثير، الكامل، ج ٢، ص ٣٠١.
(٤) الطبري، تاريخ الرسل، ج ٣، ص ٤٥٤ ـ ٤٥٧.
(٥) الطبري، تاريخ الرسل، ج ٣، ص ٤٥٥.

انسحب بالجيش العربي المسلم بعد ذلك المثنى بن حارثة الشيباني إلى منطقة التغلبية وكتب إلى الخليفة عمر رضي الله عنه بذلك فبكى الخليفة رضي الله عنه عندما علم باستشهاد أبي عبيد الثقفي وصحبه[١].

وقد سميت تلك المعركة وقعة القرقس، أو قس الناطف ويقال لها وقعة الجسر. وقد حدثت سنة ١٣ هـ/ ٦٣٤ م[٢].

وقد أورد لنا أحد المؤرخين أن أبا عبيد الثقفي قد أوصى بقيادة الجيش من بعده إذا استشهد ابنه وهب، ومن بعده ابنه الآخر مالك، ومن بعده ولده جبر، ومن ثم سليط بن قيس فإن استشهد هذا فأبو محجن الثقفي[٣]. ولكن هذه الرواية لم تؤكد من مصادر أخرى وقد رثى أبو محجن الثقفي أبا عبيد الثقفي:

| | |
|---|---|
| أنى تَسدَّت نحونا أمّ يوسفٍ | ومن دون مسراها فياف مجاهلُ |
| إلى فتيةٍ باللطفٌ نيلتِ سراتُهم | وغودر أفراسُ لهم ورواحلُ |
| وأضحى أبو جبرٍ خلاءً بيوتهُ | بما كان يعفوها الضعافُ الأراملُ |
| وما رمت حتى خرقوا برماحهم | ثيابي وجادتْ بالدماء الأباجلُ |
| وحتى رأيتُ مهرتي مُزْوئرة | لدى الفيْلِ يَدْمَى نَحْرها والشواكلُ |
| وما رُحْتُ حتى كنت آخر رائح | وصرّعَ حولي الصَالحون الأماثلُ[٤] |

يرى بعض الباحثين أن موقف أبي عبيد الثقفي في معركة الجسر كان السبب وراء حدوث الهزيمة، لأنه القائد الذي لا يريد أن يعرف غير النصر[٥]. ولا شك أن انتداب الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه لأبي عبيد الثقفي لم يكن اعتباطًا، ولكن جاء نتيجة لرأي الخليفة بأبي عبيد، بأنه الرجل المكيث الهادىء. ولكن نحن لا نعرف الظروف التي أحاطت بالمعركة، وخاصة الظروف المعنوية والنفسية علمًا أن في جيش أبي عبيد الثقفي الكثير من الصحابة الأنصار والمهاجرين، وبالتأكيد كان فيهم

---

(١) الدينوري، الأخبار الطوال، ص ١١٣ ـ ١١٤.
(٢) الطبري، تاريخ الرسل، ج ٣، ص ٤٥٤.
(٣) ابن أعثم الكوفي، الفتوح، ج ١، ص ١٦٩.
(٤) أبو محجن الثقفي، ديوان، ط ١، نشره د. صلاح الدين المنجد، دار الكتاب (بيروت، ١٩٧٠)، ص ٣٠ ـ ٣٣. أبو الفرج الأصفهاني، الأغاني، ج ١٨، ص ٢٩٦ ـ ٢٩٧.
(٥) شكري فيصل، حركة الفتح الإسلامي في القرن الأول الهجري، ط ١، دار العلم للملايين، (بيروت، ١٩٥٢)، ص ٧٣.

من يصلح لقيادة الجيش العربي المسلم، ولكن يبدو أن الخليفة كانت لديه قناعة كاملة في اختيار أبي عبيد. وربما كانت ثقة الخليفة بصلاحية هذا القائد جعلته يصر على رأيه في عبور النهر برغم إدراكه لمخاطر ذلك. ولكنها إرادة التحدي عند الإنسان عندما يستفز فجاءت النتائج عكس ما خطط لها أبو عبيد، وقد حمله التاريخ نتائج تلك المعركة وفي ظني أن أبا عبيد الثقفي لم يكن هو السبب الرئيسي في حصول هذه النتائج وفضلًا عن ذلك فإن الفرس قد استخدموا الفيلة في هذه المعركة علاوة على تفوقهم العددي.

وقد أبدى أبو عبيد دهشته عندما رأى هذه الفيلة فقال لأصحابه «ويحكم ما هذه الدابة فقيل له أيها الأمير هذا الفيل»[(١)].

ويعزو بعض المؤرخين سبب إخفاق حملة أبي عبيد بن مسعود الثقفي إلى القبائل العربية المنضوية تحت قيادته لأنها لم تكن تتمتع بكفاءة قتالية عالية، وكذلك أن الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه فرض أبا عبيد الثقفي على المثنى بن حارثة الشيباني الذي كان على دراية كافية بظروف المنطقة التي يقاتل فيها الجيش الإسلامي[(٢)]. إن حركة الفتح والتحرير كانت قد نشطت في خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه وكان اندفاع المسلمين لهذه الحركة اندفاعًا قل نظيره لأنه اندفاع من أجل تحرير الإنسان العربي والأرض العربية وإزاء عظم هذه المهمة كان لكل فرد عربي وقبيلة عربية أن يكون لها أثرها المميز في هذا التحرير، ولهذا كان اندفاع القبائل العربية كبيرًا لا سيما أن بعضها كان حديث العهد بالإسلام فأرادت أن تبرهن على حسن إسلامها وعمق إيمانها.

أما مسألة اختيار أبي عبيد الثقفي؛ فالذي يتبين لي أنه كان جديرًا بهذا الاختيار، وأنه لم يتقدم على المثنى بن حارثة الشيباني إلا لكونه أحد الصحابة وأول من تطوع للقتال. علمًا أن المثنى كان يقود المقاتلين العرب في العراق ضد الفرس، وقد تقدم أبو عبيد الثقفي وحقق جملة من الانتصارات التي تؤكد قوة إيمانه واندفاعه، وحتى معركة الجسر التي استشهد فيها أراها تدل على مبدئية هذا الرجل واندفاعه وقد اتخذ قرار خوضها ليبرهن لمعيته بأن قائدهم لا يهاب الموت في سبيل

(١) ابن أعثم الكوفي، الفتوح، ج ١، ص ١٦٨.
(٢) ناجي حسن، القبائل العربية في المشرق خلال العصر الأموي، ط ١، (بغداد، ١٩٨٠)، ص ٧٤.

نشر العقيدة. ولهذا استشهد وسقط معه من سقط دفاعًا عن مبدأ آمنوا به، واستطابوا الشهادة من أجله.

وشارك الثقفيون في تحرير الأبلة سنة ١٤ هـ/ ٦٣٥ م حيث كان فيها من الثقفيين المغيرة بن شعبة الثقفي وربيعة بن كلدة بن أبي الصلت الثقفي(١).

وفي معركة القادسية سنة ١٤ هـ/ ٦٣٥ م كان للثقفيين دور متميز في هذه المعركة التاريخية التي حطمت غطرسة الفرس وغرورهم، ومكنت الجيش العربي الإسلامي من الانسياح في أرض فارس لينشر عقيدة الإسلام ويرسخ اقتدار العرب المسلمين في الانتصار للمبادىء السامية.

ولما نزل العرب المسلمون بالقادسية قال لهم الفرس ارجعوا فأنتم لستم بعددنا وعدتنا، وقال الفرس للمسلمين ابعثوا لنا رجلًا عاقلًا من عندكم يخبرنا عن سبب مجيئكم إلينا فاختار سعد بن أبي وقاص، المغيرة بن شعبة الثقفي إذ توسم فيه قوة المنطق والمحاججة والدهاء والحنكة السياسية، فبعثه إلى قائد جيش العدو فمثل المغيرة المسلمين خير تمثيل، وعبر عن وجهة نظرهم بصدق وأمانة وإخلاص وكفاءة. ولم ترهبه الأبهة التي كانت تحيط بقائد جيش العدو(٢). وجاء حديث المغيرة الثقفي طافحًا بالثقة من نفسه ومن شموخ أمته، وقدرتها في تحدي الأعداء بالكلام والفعل، إذ خاطبه برباطة جأش، وثقة عاليتين قائلًا... قد علمت أن أمركم مضمحل وأنكم مغلوبون(٣).

وكان جواب رستم قائد العدو إذن نقتلكم، فجاء جواب المغيرة بن شعبة أن قتلتمونا دخلنا الجنة، ولمن قتلتم دخلتم النار. وخيرهم إما الإسلام أو الجزية أو القتال محذرًا إياهم من مغبة الإقدام على الخيار الأخير(٤).

إن المناقشة التي جرت بين رستم والمغيرة بن شعبة توضح بجلاء العنجهية الفارسية وروح الغطرسة التي يتعاملون بها.

(١) الطبري، تاريخ الرسل، ج ٣، ص ٥٩٥.
(٢) الطبري، تاريخ الرسل، ج ٣، ص ٥١٨ ـ ٥٢٠.
(٣) ن.م، ج ٣، ص ٥٢٢.
(٤) أبو يوسف الخراج، ص ٢٩. البلاذري، فتوح البلدان، ص ٢٥٧. الطبري تاريخ الرسل، ج ٣، ص ٥٢٥.

ومع ذلك فإن المراسلات بين الطرفين استمرت شهرًا، لأن قائدهم كان يعرف اقتدار العرب عند اشتداد الخطب، فحاول المساومة مع القائد العربي لكي لا يقع الصدام بينهما.

ولم يكن إرسال سعد بن أبي وقاص للمغيرة بن شعبة للتباحث بشأن دخول الفرس إلى الإسلام أو دفعهم الجزية اعتباطًا، بل جاء نتيجة لمعرفته لهذا الرجل الثقفي، وحنكته وقوته وجلده، فضلًا عن معرفته للغة الفارسية(١).

ونهض أبو محجن الثقفي بدور آخر في هذه المواجهة على الرغم من حبسه في قصر العذيب لمخالفة ارتكبها، فلما اشتد وطيس معركة القادسية طلب من زوج سعد بن أبي وقاص أن تطلق سراحه، وأن تعطيه فرس سعد البلقاء ليسهم في القادسية. وأقسم إن ظل حيًا أن يعود إلى سجنه، ففعلت ودوره مشهور في القادسية، وكيف أن سعدًا أطلق سراحه بعد أن عرف بلاءه في المعركة، وقد حلف أبو محجن الثقفي أن لا يعود إلى فعلته تلك(٢).

وأنشد أبو محجن الثقفي حين رأى الحرب:

كفى حَزَنًا أن تطعن الخيلُ بالقنا ... وأصبح مشدودًا عليّ وَثَاقيا
إذ قُمتَ عنّاني الحديدُ وغلقَت ... مصاريع من دونيْ تصمُّ المناديا(٣)

وقال أيضًا في ساحة القتال:

لا تسْألي الناس عن مالي وكثرته ... وسائلي القومَ عن ديني وَعنْ خُلقي
قد أطعن الطعنة النجلاء عن عرضٍ ... واكتم السر فيه ضربة العنق(٤)

وقد انصرف أبو محجن الثقفي بعد المعركة إلى محبسه فظنته امرأة أنه منهزم فعيرته بفراره:

من فارس كره الطعان يعيرني ... رمحًا إذا نزلوا بمرج الصفرِ

---

(١) الطبري، تاريخ الرسل، ج ٤، ص ٨٨.
(٢) البلاذري، فتوح البلدان، ص ٢٥٨ ـ ٢٥٩.
(٣) الثقفي، ديوان، ص ٣٧ ـ ٣٨. البلاذري، فتوح البلدان، ص ٢٦٠. قدامة بن جعفر، الخراج، ص ٣٥٩.
(٤) الثقفي، ديوان، ص ١٥. ابن عبد ربه، العقد الفريد، ج ١، ص ٥٤. (البيت الثاني في ديوان أبو محجن الثقفي غير موجود).

إن الكرام على الجياد مقيلهمُ فذرى الجياد لأهلها وتعطري[(١)]

وعندما انتهى أبو محجن من أداء دوره في القادسية رجع إلى السجن وقد وضع القيود في يديه وأنشد:

لقد عَلمتْ ثقيف غير فخرٍ بأنا نحنُ أجودُها سيوفا
وأكثرها دروعًا ضافياتٍ وأصبرها إذا كرهوا الوقوفا
وأنا رفدهم في كل يومٍ فإن غضُبوا فَسَلْ بهم عريفا
وليلة قادسٍ لم يشعروا بي ولم أشِعْر بمخرجي الزحوفا[(٢)]

إن هذه المهمة التي نهض بها أبو محجن الثقفي ترسم شخصية هذا الفارس العربي الأصيل الذي كان بإمكانه أن يبقى في السجن ويحافظ على نفسه وحياته، ولكنه اختار طريق الجهاد لعله ينال الشهادة التي من أجلها ركب صهوة جواده، وجاء من منفاه إلى أرض العراق مشاركًا إخوانه في العقيدة في الدفاع وتحرير الأرض والإنسان، وبذلك فإنه قد سجل لنفسه ولأبناء قومه الثقفيين مفخرة يعتزون بها من بعده، ويفاخرون بها فهو لم يبق في السجن ليلتمس لنفسه العذر، بل فك وثاقه ليشارك العرب المسلمين قتالهم في القادسية ويكون له دور يحفظ في سجل الخالدين، ويشير إلى نكران ذات، هذا العربي الأصيل الذي وضع قيم العروبة والإسلام فوق كل شيء، فاستحق مجد الحياة وخلود الآخرة.

وقد كان زياد بن عبيد الثقفي كاتبًا في القادسية[(٣)] وهذا يؤكد اعتماد سعد بن أبي وقاص على إداري ثقيف.

وفي سنة ١٥ هـ/ ٦٣٦ م حرر المغيرة بن شعبة الثقفي منطقة نهر تيري[(٤)] ودست ميسان بالعراق، حيث صالحهم المغيرة على ألف ألف درهم ومائة ألف درهم[(٥)] وكان هذا في ولاية المغيرة على

---

(١) الثقفي، ديوان، ص ٣٩. أبو الفرج الأصفهاني، الأغاني، ج ١٨، ص ٢٩٦.
(٢) الثقفي، ديوان، ص ٤٣. الطبري، تاريخ الرسل، ج ٣، ص ٥٤٩. للتفصيل ينظر الطبري، تاريخ الرسل، ج ٣، ص ٥٤٨ ـ ٥٥٠.
(٣) ابن الأثير، الكامل، ج ٢، ص ٤٥٢.
(٤) نهر تيري: بلد من نواحي الأحواز. ينظر (ابن عبد الحق، مراصد الاطلاع، ج ٣، ص ١٤٠١).
(٥) خليفة بن خياط، تاريخ، ج ١، ص ١٠١. البلاذري، فتوح البلدان، ص ٣٣٩.

البصرة[١]. وفي سنة ١٦ هـ/ ٦٣٧ م سار المغيرة بن شعبة إلى الأحواز فصالح البيرزان على ألفي ألف درهم وثمان مائة وتسعين ألفًا[٢].

وقد استعمل الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه النعمان بن مقرن المزني على قيادة الجيش في معركة نهاوند، وكتب إلى أهل الكوفة أن يمدوا النعمان بالجيش فأمدوه، وفيهم كان المغيرة بن شعبة الثقفي، وكان على رأس الجيش الفارسي ذو الحاجبين عظيم العجم[٣]. وقد أرسل النعمان بن مقرن المغيرة بن شعبة ليفاوض الفرس فمثل قومه بجدارة وإخلاص[٤].

وقد طلب الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه من السائب بن الأقرع الثقفي وكان رجلًا يعرف الحساب وكاتبًا بارعًا، أن يكون في جيش النعمان بن مقرن المزني[٥].

وقد سمي النعمان سبعة من القادة بعده كان آخرهم المغيرة بن شعبة[٦] وفعلًا تولى المغيرة بن شعبة الثقفي قيادة الجيش الإسلامي حيث كان على ميسرة النعمان يوم نهاوند (فتح الفتوح)[٧].

وأرسل الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه، السائب بن الأقرع الثقفي ليعد غنائم الحرب، وكان واثقًا من النصر، متوثقًا من الرجل الذي كلفه بهذه المسؤولية، وأنه سوف يقوم بها خير قيام. فكان السائب كما عهده الخليفة أمينًا على غنائم المعركة التي حدثت في سنة ٢١ هـ/ ٦٤١ م. حيث انتصر العرب المسلمون أعظم انتصار.

### ب ـ جبهة الخليج العربي وبلاد فارس:

بعد أن تم تحرير العراق بشكل كامل من الاحتلال الفارسي، واصلت الجيوش العربية الإسلامية تقدمها إلى بلاد فارس، يحدوها الأمل في نشر الإسلام، وقد كانت القوات العربية الإسلامية متهيئة قبل ذلك سواء في جنوب العراق أو في أماكن

---

(١) الدينوري، الأخبار الطوال، ص ١١٨.
(٢) خليفة بن خياط، تاريخ، ج ١، ص ١٠٥.
(٣) البلاذري، فتوح البلدان، ص ٣٠١.
(٤) الطبري، تاريخ الرسل، ج ٤، ص ١١٨.
(٥) الطبري، تاريخ الرسل، ج ٤، ص ١١٦.
(٦) ن.م، ج ٤، ص ١١٨.
(٧) البلاذري، فتوح البلدان، ص ٣٠٢.

أخرى، تنتظر الإشارة بالاندفاع إلى أعماق بلاد فارس، لتتشرف بنشر رسالة السماء السمحاء.

وقد أصبح العراق منطلقًا لهذه القوات إلى الشرق ففي سنة ٢١ هـ/ ٦٤١ م، وقيل في سنة ٢٢ هـ/ ٦٤٢ م توجه المغيرة بن شعبة الثقفي إلى أذربيجان حيث فتحها عنوة ووضع عليها الخراج[١]. وفي سنة ٢٣ هـ/ ٦٤٣ م توجه المغيرة بن شعبة إلى همذان ففتحها وقد فقد إحدى عينيه فيها[٢]. وقيل بل فقدها في معركة اليرموك[٣].

كما بعث أبو موسى الأشعري السائب بن الأقرع الثقفي إلى الصيمرة مدينة مهرجا نقذف ففتحها صلحًا وفرض الجزية على أهلها[٤].

وقام عثمان بن أبي العاص الثقفي في سنة ٢٣ هـ/ ٦٤٣ م بفتح أصطخر وذلك بعد قتال مرير مع المدافعين عنها[٥].

وتولى عثمان بن أبي العاص الثقفي سنة ٢٦ هـ/ ٦٤٦ م فتح نيسابور، كما أشرف على فتح قلعة بحرة ويقال لها قلعة الشيوخ[٦].

وفي سنة ٢٧ هـ/ ٦٤٧ م صالح عثمان بن أبي العاص الثقفي وأبو موسى الأشعري أهل آرمان على ألفي ألف ومائتي ألف درهم وصالح أهل درابجرد على ألفي ألف ومائتي ألف درهم[٧].

وفي سنة ٢٧ هـ/ ٦٤٧ م. كان فتح أصطخر الثاني على يد عثمان بن أبي العاص الثقفي[٨].

ومات بخراسان محمد بن الحكم بن أبي عقيل الثقفي عندما خرج في سنة ٣٠ هـ/ ٦٥٠ م مع سعيد بن العاص من الكوفة في جيش كبير إلى خراسان[٩].

---

(١) البلاذري، فتوح البلدان، ص ٣٢٢.
(٢) ن.م، ص ٣٠٦.
(٣) ابن قتيبة، المعارف، ص ٥٨٦.
(٤) البلاذري، فتوح البلدان، ص ٣٠٤.
(٥) الطبري، تاريخ الرسل، ج ٤، ص ١٥٧.
(٦) خليفة بن خياط. تاريخ، ج ١، ص ١٣٣.
(٧) ن.م، ج١، ص ١٣٤.
(٨) الطبري، تاريخ الرسل، ج ٤، ص ٢٥٧. ابن كثير، البداية والنهاية، ج ٧، ص ١٥٨.
(٩) الطبري، تاريخ الرسل، ج ٤، ص ٢٦٩ ـ ٢٧٠.

كما تم توجيه الجيوش العربية بقيادة قادة ثقفيين آخرين إلى مناطق أخرى ففي سنة ١٧ هـ/٦٣٨ م توجه عثمان بن أبي العاص الثقفي إلى أرمينية وقد استشهد فيها صفوان بن المعطل السلمي ثم أن عثمان صالح أهلها على الجزية وفرض على كل أهل بيت دينارًا واحدًا[١].

ولما تولى عثمان بن أبي العاص الثقفي البحرين وعمان سنة ١٥ هـ/٦٣٦ م وجه أخاه الحكم إلى البحرين ومضى هو إلى عمان، ومن هناك سير الجيش إلى تانة وقد حققت الحملة أهدافها[٢].

وكتب بذلك إلى الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه فكان رد عمر عليه «يا أخا ثقيف حملت دودًا على عود وأني أحلف بالله ألو أصيبوا لأخذت من قومك مثلهم»[٢].

كما وجه أخاه الحكم إلى بروص وأخاه الآخر المغيرة بن أبي العاص الثقفي إلى خور الديبل فلقي العدو وكان النصر حليف المسلمين[٢]. ولا شك أن عثمان بن أبي العاص بعمله هذا لم يكن يريد أن يضع المسلمين في موقف حرج. فالذين ركبوا البحر في اعتقادي كانت لهم خبرة في البحر من خلال العملية التجارية، والبحرين واقعة على ساحل الخليج العربي، وهو لم يصب إلى تحقيق مكانة رفيعة بقدر ما كان يهمه نشر الإسلام.

ويعتقد بعض الباحثين أن الحملة البحرية إلى تانة كانت عبارة عن سرايا وأنها لم تحقق شيئًا وأن هدفها كان الاستطلاع تمهيدًا للفتح[٣]. وأرى أنها حملات عسكرية متكاملة معدود لها أعدادًا جيدًا من حيث العدد والعدة. وأنها لم تكن سرايا محدودة الأثر بل كانت حملات عسكرية منظمة. غايتها معرفة قوة العدو، وهذه الحملات كانت في سنة ١٥ هـ/٦٣٦ م. فالعدو كان يعرف الكثير عن العرب ودينهم الجديد وبالتأكيد فإنه قد أعدّ العدة، وتحصن لاستقبال العرب المسلمين إذا ما حاولوا الوصول إلى الديبل، ثم أن عثمان بن أبي العاص ليس من المعقول، وهو القائد الإداري والعسكري من الطراز الخاص، يغامر بإرسال رجاله إلى هذه المناطق البعيدة

---

(١) ن.م، ج ٤، ص ٥٣.

(٢) البلاذري، فتوح البلدان، ص ٤٢٠. قدامة بن جعفر، الخراج، ص ٤١٣.

(٣) عبد الرزاق أحمد السامرائي، إقليم السند والبنجاب، رسالة ماجستير، مكتوبة على الآلة الطابعة، جامعة بغداد، كلية الآداب، ١٩٨٧، ص ٧٥.

دون أن يشعر بالخوف عليهم، ويحصل كل ذلك في خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه الذي كان من أحرص الناس على أرواح المسلمين. إذن هي حملات عسكرية كانت مؤهلة للقتال إذا ما داهمها الخطر.

ويرى الباحث ذاته أن ممانعة الخليفة لمثل هذه الحملات كانت ترجع إلى خوفه على المجاهدين المسلمين من ركوب البحر، كذلك عدم توفر وسائط النقل البحرية الكافية والمتوفر منها لم يكن أمينًا، كما أن توسع الفتوحات في عهد الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه لا يتلاءم مع أي توسع جديد وحجم القوات العربية الإسلامية لأن هذه القوات كانت قليلة قياسًا لسعة البلاد المفتوحة كما أن الدولة لم تكن تملك أي أسطول بحري آنذاك وكان الذين يركبون البحر يعتمدون على السفن التجارية[١].

لقد كان خوف الخليفة عمر رضي الله عنه مشروعًا، كما كان وضع القوات العربية الإسلامية غير سهل فقد كانت تقاتل في القادسية واليرموك، وكيف لنا أن نتصور قيام ثلاث حملات عسكرية بحرية على بلاد السند فهل هذا عجز في القوات العربية أم قوة واطمئنان وإيمان راسخ وعلى ركوب الأهوال في سبيل العقيدة. أما مسألة الأسطول البحري فأعتقد أن البحرين وعمان كانتا معروفتين منذ القديم بصناعة السفن لأنهما من المناطق الواقعة على البحر والسفن هي الصلة الوحيدة لهذه المناطق مع العالم الخارجي.

ولكن الباحث ذاته أشار إلى أن «هذه العمليات الأولية لفتح السند كانت ذات أثر ميداني بحري وبري... ولو أنها لم تسفر عن فتح السند بالمعنى الحقيقي ولكن العرب أصبحوا قاب قوسين أو أدنى منه»[٢]. فالفرق شاسع في كلام الباحث إذ كيف وصف تلك الحملات بالسرايا ثم كيف أصبح العرب قاب قوسين أو أدنى من الفتح؟

تلك إسهامات الثقفيين في معارك تحرير العراق وفتح المناطق القريبة منه في الجانب الشرقي والجنوب الشرقي من الدولة العربية الإسلامية، لقد كانوا قادة يقودون الجيوش إلى حيث النصر، وساسة يتفاوضون مع العدو باسم الأمة في سبيل نشر الإسلام، وجنودًا حملوا لواء العقيدة إلى هذه الآفاق فاستقرت أجسادهم حيث سقطوا

---

(١) السامرائي، إقليم السند، ص ٧٥ ـ ٧٦. (٢) ن.م، ص ٧٨ ـ ٧٩.

دفاعًا عن مبدأ آمنوا به وقدموا الدماء الزكية مع أبناء عمومتهم رخيصة في سبيل نشره وتثبيت لواء العروبة حيث قال تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ [آل عِمرَان: الآية ١١٠].

### جـ ـ جبهة الشام:

توجهت القوات العربية الإسلامية إلى الشام لتحريرها وكانت هذه القوات تتألف من أهالي المدينة والطائف وقبائل اليمن ونجد والحجاز، وكان الخليفة أبو بكر الصديق رضي الله عنه يحثهم على القتال ويرغبهم فيه[١].

وقد كانت معركة دومة الجندل[٢] اختبارًا لإيمان الثقفيين بالإسلام دينًا وعقيدة. لقد حدثت المعركة سنة ١٢ هـ/٦٣٣ م وانتصر فيها خالد بن الوليد[٣]. وفيها قدمت ثقيف الشهداء، وكان منهم نافع بن غيلان بن سلمة الثقفي وقد رثاه أبوه بقوله:

| | |
|---|---|
| ما بال عيني لا تغمض ساعة | إلا اعترتني عبرة تغشاني |
| يا نافع من للفوارس أحجمت | عن شدة مذكورة وتعاني |
| لو أستطيع جعلت مني نافعًا | بين اللهاة وبين عقد لساني[٤] |

وقد فقد المغيرة بن شعبة الثقفي إحدى عينيه في معركة اليرموك سنة ١٣ هـ/ ٦٣٤ م[٥]. ومما لا شك فيه أن أعدادًا كبيرة من الثقفيين قد خرجت إلى الشام للإسهام في القتال ونشر الإسلام، وكان الناس يفضلون جبهة الشام لكونها أرض الأجداد كما يقولون[٦].

### د ـ جبهة مصر:

وأسهمت ثقيف في تحرير مصر وكانت مشاركتهم فيها بأعداد قليلة نسبيًا وذلك

---

(١) البلاذري، فتوح البلدان، ص ١١٥. قدامة بن جعفر، الخراج، ص ٢٨٤. خالد الجنابي، تنظيمات الجيش العربي الإسلامي في العصر الأموي، ط ٢، (بغداد، ١٩٨٦)، ص ٢٠.

(٢) دومة الجندل: حصن وقرى بين الشام والمدينة. ينظر (ياقوت، معجم البلدان، ج ٢، ص ٤٨٧).

(٣) الطبري، تاريخ الرسل، ج ٣، ص ٣٧٨. ينظر للتفصيل، ص ٣٧٨ ـ ٣٨٠.

(٤) ابن عبد البر، الاستيعاب، ج ٤، ص ١٤٩١.

(٥) ابن قتيبة، المعارف، ص ٢٨٦.

(٦) الجنابي، تنظيمات الجيش، ص ٦٠ ـ ٦١.

بعد تحرير الإسكندرية سنة ٢٠ هـ/ ٦٤٠ م على يد عمرو بن العاص، حيث تجمعت هذه القبائل المشاركة بعضها إلى بعض[(١)].

وكان قدوم ثقيف إلى مصر قبل مقدم هوازن بوقت طويل، وقد اتخذوا من ركن المسجد من الناحية الشرقية خطة لهم[(٢)].

وقد أطلق عليهم لفظ أهل الراية وذلك أن عددًا من أفراد القبائل العربية قد شهدوا التحرير مع عمرو بن العاص ولم يكونوا بنسبة كبيرة، ليشكلوا مع أبناء قبائلهم جماعة كبيرة تقف تحت رايتها، وقد كره هؤلاء أن يكونوا تحت ظل راية غيرهم فقام عمرو بن العاص بعمل راية لم ينسبها لأحد فاجتمع أبناء قومه ممن ليس لديهم راية فوقفوا تحت ظل تلك الراية التي وضعها القائد عمرو بن العاص. ومن هنا جاءت تسمية أهل الراية وكانت هذه لهم كالنسب الجامع، وكان ديوانهم عليها[(٣)].

وظهر من الثقفيين في مصر بادىء الأمر حبيب بن أوس الثقفي وكان من شخصيات (الفتح)، وكانت له خطة بالفسطاط وقد نزل عنده يوسف بن الحكم وابنه الحجاج عندما قدما إلى مصر مع مروان بن الحكم. ولم يظهر للثقفيين وجود في مصر بعد ذلك إلا قليلًا من أمثال زرعة بن سهيل الثقفي وكان من قراء الكوفة وعبد الوهاب بن عبد المجيد الثقفي وكان من المحدثين الثقات[(٤)].

وهكذا فقد رأينا الثقفيين في العراق والشام ومصر في هذه الأرض العربية حيث انتقلوا من الطائف إلى هذه المناطق، ولم يشعروا بأنهم انتقلوا إلى موطن جديد بل هي أرضهم كما هي أرض العرب، فاندفعوا محررين هذه الأرض مع من اندفع منهم ناشرين لواء الإسلام والعقيدة. ولكن عندما تطلب الأمر الجهاد خارج هذه الأرض حملوا سيوفهم وحملوا الإسلام إلى البقاع الأخرى خارج الأرض العربية وكانوا كلهم

---

(١) تقي الدين أحمد بن علي المعروف بالمقريزي، الخطط المقريزية، ج ٢، مطبعة النيل، (مصر، ١٣٢٦ هـ)، ص ٧٦.

(٢) عبد الرحمٰن بن عبد الله بن عبد الحكم، فتوح مصر والمغرب، (القاهرة، ١٩٦١)، ص ١٥٣ .عبد الله خورشيد البري، القبائل العربية في مصر في القرون الثلاثة الأولى الهجرية، ط ١، (القاهرة، ١٩٦٧)، ص ١١٠.

(٣) ابن عبد الحكم، فتوح مصر والمغرب، ص ١٦٢. المقريزي، الخطط، ج ٢، ص ٧٧. البري، القبائل العربية، ص ٢١٧ ـ ٢١٨.

(٤) البري، القبائل العربية، ص ١١٠.

أمل مع أبناء عمومتهم أن يكونوا رسل سلام للإسلام وعقيدته فحفظ لهم التاريخ جهادهم وجهدهم في سبيل المبادىء التي ضحوا من أجلها.

## موقف الثقفيين من الصراع السياسي

مرت ظروف عصيبة على الدولة العربية الإسلامية وخاصة بعد استشهاد الخليفة عثمان بن عفان رضي الله عنه سنة ٣٥ هـ/ ٦٥٥ م. وقد تداخلت مجموعة من الظروف أدت بالنتيجة إلى حدوث مثل هذا الحدث الأليم حيث أصاب الأمة بنكسة لم تألفها سابقًا. وكان استشهاده طعنة لم توجه إلى شخصه حسب، بل وجهت إلى أمة العرب التي كان يمثلها بوصفه قائدها الأعلى وخليفة المسلمين.

وقد حاول أحد الباحثين أن يستعرض موقف قبيلة ثقيف من هذا الحادث وبالتالي الصراع السياسي فدخل في تفاصيل جانبية كثيرة ضيع فيما اعتقد أساس الموضوع لأنه دخل في الفتنة وأسبابها والنتائج التي تمخضت عنها[(١)].

وعلى الرغم من أن إسلام ثقيف كان متأخرًا نسبيًا فإنها أخلصت للدولة العربية الإسلامية بغض النظر عمن يكون مسؤولًا عن هذه الدولة، سواء كان من عامة قريش أو الأمنيين خاصة فإنها لم تؤمن كما أظن بالولاء الشخصي بقدر ما كان ولاؤها للإسلام وعقيدته السمحاء. ولهذا اندفع الثقفيون في مشارق الأرض ومغاربها قادة وإداريين وجنودًا يذودون عن الدولة ويوسعون رقعتها ويصدون عنها تيارات الحقد والعبث. ناشرين لواء الإسلام في كل أرض وطأتها أقدامهم وباعثين الأمل مع أبناء عمومتهم للناس الآخرين بأن الغد الآتي يحمل كل الخير في ظل الإسلام والسلام.

لكن الأيدي المغرضة كانت تتربص بالدولة وقيادتها، واستغلت أخطاء بسيطة هنا وهناك فتعالت بعض الأصوات واندفعت بعض النفوس الحاقدة دون هدف، وهب بعض الأشرار، لأن الحيف قد وقع عليهم، ولكن هناك من وقف ينتظر دون تدخل ينتظر أن تنفرج الأزمة ليواصل مسيرته. وحتى هذا البعض لم يستطع أن يرى رموز الدولة العربية الإسلامية يلحق بها الأذى ويقف عاجزًا لا يتحرك على الرغم من إيمانه بأنه لا يستطيع أن يفعل شيئًا ليرد الناس إلى طريق الصواب.

فعندما تحرك المناؤون للخليفة عثمان بن عفان رضي الله عنه كان بعض الناس ملتفين حوله لا يدافعون عن شخصه بقدر دفاعهم عن رمز الأمة ووحدتها.

---

(١) العبيدي، مدينة الطائف، ص ٢٠٩ ـ ٢٢٣.

فقد خرج مروان بن الحكم من دار عثمان في مجموعة من الرجال. كما خرج سعيد بن العاص في مجموعة أخرى وخرج المغيرة بن الأخنس بن شريق الثقفي وكان هذا حليف بني زهرة في مجموعة أخرى وحاول هؤلاء الذود عن رمز الأمة فقاتلوا قتالًا شديدًا وقد أبدى المغيرة بن الأخنس الثقفي دفاعًا مستميتًا وهو يقول:

قد علمت جارية عطبول    لها وشاح ولها حجول
أني بنصلِ السيف خنشليل[(١)]

فحمل عليه عبد الله بن بديل بن ورقاء الخزاعي وهو يقول:

إن تك بالسيف كما تقول    فأثبت لقرنٍ ماجدٍ يصولُ
بمشرفي حده مصقول

وقد قتل المغيرة بن الأخنس الثقفي على يد عبد الله الخزاعي[(٢)].

وعلى الرغم من موقف المغيرة هذا، فإن المعروف عن ثقيف أنها قد اعتزلت الاشتراك في معارضة الخليفة عثمان بن عفان رضي الله عنه[(٣)].

وبهذا فإن ثقيفًا لم تشترك في معارضة الدولة كما أنها لم تخرج مع من سمي (بالثائرين) ولم تؤيدهم، ولهذا فإن الموقف الفعلي لها كان الابتعاد عن الصراعات جهد الإمكان.

وبعد استشهاد الخليفة عثمان بن عفان رضي الله عنه سنة ٣٥ هـ/ ٦٥٥ م. تم انتخاب الخليفة علي بن أبي طالب رضي الله عنه خليفة للمسلمين وقد لاقى في خلافته صعوبات كبيرة في توحيد الأمة لأن الجرح لم يزل ينزف، وأن دم الخليفة عثمان رضي الله عنه لم يجف، ولم يزل هناك من يطالب بإنزال القصاص من قتلة الخليفة، وقد تعرضت الأمة لحالة من الاضطرابات الداخلية المؤقتة كادت تقوض أسسها ووحدتها.

وأسهمت ثقيف ورجالها في رأب الصدع الذي أصاب الدولة في أعقاب مقتل الخليفة عثمان بن عفان رضي الله عنه، وذلك أن المغيرة بن شعبة الثقفي قابل

---

(١) الطبري، تاريخ الرسل، ج ٤، ص ٣٨٢. (خنشليل): الجيد الضرب بالسيف (ابن منظور، لسان العرب (مادة خنشل).

(٢) الطبري، تاريخ الرسل، ج ٤، ص ٣٨٢. (٣) العبيدي، مدينة الطائف، ص ٢٢٥.

الخليفة الجديد الإمام علي رضي الله عنه وقال له: «إن لك حق الطاعة والنصيحة وأن الرأي اليوم تحرز به ما في غد، وأن الضياع اليوم تضيع به ما في غده، أقرر معاوية على عمله، وأقرر ابن عامر على عمله، وأقرر العمال على أعمالهم، حتى إذا أتتك طاعتهم وبيعة الجنود استبدلت أو تركت فقال علي رضي الله عنه حتى أنظر»[1].

ولكن يبدو أن المغيرة بن شعبة الثقفي غير رأيه في اليوم التالي وقال للخليفة علي رضي الله عنه «إني قد أشرت عليه بالأمس برأي وأن الرأي أن تعاجلهم بالنزوع فيعرف السامع من غيره ويستقبل أمرك وخرج»[1].

وقد جاء عبد الله بن العباس إلى الخليفة علي بن أبي طالب رضي الله عنه وسأله عن سبب وجود المغيرة عنده فحدثه بما أشار به المغيرة بن شعبة فقال عبد الله بن العباس لعلي رضي الله عنه: «أما أول ما أشار به عليك فقد نصحك، وأما الآخر فغشك»[2]. لقد أظهر ابن عباس المغيرة وكأنه إنسان غير مخلص في مشورته، وأنه لا تهمه سوى مصلحته الخاصة.

وقال المغيرة بن شعبة بعد أن خرج من مقابلة الخليفة علي رضي الله عنه:

| | |
|---|---|
| نصحت عليًا في ابن هند مقالة | فرددت، فلا يسمع لها الدهر ثانيه |
| وقلت له أرسل إليه بعهده | على الشام، حتى يستقر معاويه |
| ويعلم أهل الشام إن قد ملكته | وأم ابن هند عند ذلك هاويه |
| فلم يقبل النصح الذي جئته به | وكانت له تلك النصيحة كافيه[3] |

إن الحديث الذي دار بين المغيرة بن شعبة والخليفة علي رضي الله عنه جاء من منطلق أن المغيرة كان يعرف أن الخليفة علي رضي الله عنه كان معروفًا بمبدئيته وجرأته في قول الحق، وأنه قد خبر المغيرة بن شعبة وعرف فضله في الإسلام ودوره ودهاءه، فليس من المعقول أن يفرط الإمام علي رضي الله عنه بهكذا رجل، وكذلك أن المغيرة كان يتحدث مع الإمام علي رضي الله عنه الذي عرف بمصداقيته وقوته وسرعة بديهته. فالمغيرة لا يستطيع أن يخاتل ويقامر مع رجل المبادىء والقيم، فقد

(١) الطبري، تاريخ الرسل، ج ٤، ص ٤٣٨. المسعودي، مروج الذهب، ج ٢، ص ٣٥٤.
(٢) الطبري، تاريخ الرسل، ج ٤، ص ٤٤١. المسعودي، مروج الذهب، ج ٢، ص ٣٥٦.
(٣) المسعودي، مروج الذهب، ج ٢، ص ٣٧٤.

جاء في بادىء الأمر ناصحًا لأنه حريص على وحدة الدولة والأمة، ولكن عندما جاء في المرة الثانية فإنه قد عرف رأي علي رضي الله عنه وسياسته ولا يمكن أن يحيد عنها ولهذا جاء مؤيدًا لرأي الخليفة علي رضي الله عنه، ولكن مع إقرار في داخله أراد أن يعتزل مع أبناء قومه كل النتائج التي يمكن أن تتمخض عن مبدئية الخليفة علي رضي الله عنه، وسياسته، وسياسة معاوية بن أبي سفيان والي الشام الذي كان يطالب بدم عثمان. وكانت سياسة معاوية مرحلية تبعًا للظروف وفضلًا عن ذلك أن أوضاع الدولة العربية الإسلامية الداخلية كانت غير مستقرة وعليه كيف كان موقف ثقيف من ذلك.

ففي معركة الجمل سنة ٣٦ هـ/ ٦٥٦ م اعتزلت ثقيف هذا الصراع الداخلي ولم تحاول أن تكون طرفًا فيه مع أحد الفريقين. وقد طلب المغيرة بن شعبة من قومه اعتزال الفتنة فما كان من ثقيف إلا أن لبت طلبه[١].

كما أن زياد بن عبيد الثقفي كان في البصرة، وكان رأسًا من رؤوسها، كان قد اعتزل هذه الفتنة على الرغم من أن الخليفة علي رضي الله عنه قد عاتب عبد الرحمٰن بن أبي بكرة عندما جاءه مستأمنًا لكي يسلم عليه فسأله عن عمه زياد فقال له إنه مريض فنهض الخليفة علي رضي الله عنه وذهب لزيارته وتأكد من مرضه وقد طلب منه أن يتولى البصرة فلم يقبل، وطلب قبول اعتذاره عن ذلك وطلب أن يكون عبد الله بن عباس واليًا عليها بدلًا منه[٢].

ولكن مع هذا تشير بعض الروايات إلى اشتراك بعض الثقفيين في هذه المعركة حيث كان سعد بن مسعود بن قيس الثقفي عم المختار على سبع قيس عندما أمد أهل الكوفة الخليفة علي رضي الله عنه باثني عشر رجلًا حيث أن هؤلاء الرجال كانوا من كنانة وأسد وتميم والرباب ومزينة وبكر وتغلب ومذحج وبجيلة وخثعم والأزد[٣]. فثقيف لم تكن موجودة في هذه الجموع التي ذهبت من الكوفة للوقوف إلى جانب الخليفة علي رضي الله عنه. ومن هنا يتضح أن موقف سعد بن مسعود الثقفي كان موقفًا فرديًا وليس بالضرورة أن يمثل الأكثرية الثقفية لأننا لم نر ثقيفًا في هذه القبائل، على الرغم من أن بعض بطونها سكنت الكوفة.

---

(١) الطبري، تاريخ الرسل، ج ٤، ص ٤٥٣. ابن الأثير، الكامل، ج ٢، ص ٢٠٩.
(٢) الطبري، تاريخ الرسل، ج ٤، ص ٥٤٣. ابن الأثير، الكامل، ج ٣، ص ٢٥٦.
(٣) ابن الأثير، الكامل، ج ٣، ص ٢٣١ ـ ٢٣٢.

كما أشارت بعض الروايات إلى أن ثقيفًا قد وقفت بالضد من الخليفة علي رضي الله عنه في معركة الجمل حيث مال الثقفيون نحو السيدة عائشة والزبير وطلحة إذ ولي على ثقيف وقيس والأنصار عبد الله بن عامر بن كريز(١).

وبما أن هذه الرواية وردت عند مؤرخ واحد فمن الصعوبة الركون إليها لأن ثقيفًا لا يمكن أن تنقسم على نفسها في موضوع واضح المعالم وبالتالي تشوه مواقفها السابقة بهذا الموقف المعارض للدولة، ومركزيتها وهي (أي ثقيف) لم يكن لديها مطامع أو مصالح في هذا الصراع، سواء انتصر هذا الفريق أو ذاك. فهي ستظل تحافظ على موقعها الذي احتلته بجدارة. فثقيف كما أعتقد قد اعتزلت هذا الصراع لأن فيه حفظًا لوجودها وبلورة لمواقفها السابقة. أما مواقف بعض الأفراد فهذا لا يمكن تعميمه على جميع أبناء ثقيف إذ هو من باب المواقف الفردية ليس إلا.

وفي سنة ٣٧ هـ/ ٦٥٧ م كانت واقعة صفين بين الخليفة الراشد علي بن أبي طالب رضي الله عنه وما يمثله من شرعية، وبين معاوية بن أبي سفيان الوالي الذي خلعه الخليفة، لكنه رفض هذا الأمر، وطالب بالقصاص من قتلة الخليفة عثمان رضي الله عنه، وكان كل منهما له مبرراته وأسبابه في نشوب هذا الاقتتال الأخوي المؤلم.

وتشير بعض الروايات إلى أن المقاتلين الذين وقفوا إلى جانب الخليفة في معركة الجمل قد وقفوا معه في صفين، وكان الخليفة قد عقد الألوية والرايات وجعلها سبع رايات، حيث عقد لحمير وهمدان راية وولي عليها سعيد بن قيس الهمداني، وكذلك عقد لقيس وعبس وذبيان راية وجعل عليها سعد بن مسعود الثقفي، وقد شهد هؤلاء صفين(٢).

وهذه الرواية تقف بالضد من الرواية السابقة حيث أشارت تلك الرواية إلى أن ثقيفًا وقفت بالضد من سلطة الدولة المركزية أي من الشرعية. وفي هذه الرواية نرى ثقيفًا تقف مع سلطة الدولة المركزية وكأن ثقيفًا قد انقسمت على نفسها فلم تعد تستطيع أن توازن المواقف، وكأنها هنا تركض وراء مصالحها أينما وجدتها. ولا تبدو لنا تلك القبيلة صاحبة الموقف المبدئي الأساسي في الردة فقد ثبتت بعدما ارتدت القبائل العربية عن الإسلام على الرغم من أن إسلامها كان متأخرًا فإنها كانت جديرة

---

(١) الدينوري، الأخبار الطوال، ص ١٤٧. (٢) الدينوري، الأخبار الطوال، ص ١٤٦.

بالوفاء للعهد الذي قطعته على نفسها بأن تكون سيفًا بوجه أعداء الإسلام والعروبة، وهي لم يزل رجالها بعد لم تلمع أسماؤهم في عالم الإدارة والقيادة العسكرية في تلك الحقبة المبكرة، فكيف بعد مضي ستة وعشرين عامًا على إسلامها؟ وقد رفدت الدولة برجالات أصبح لهم باع طويل في السياسة والإدارة والقيادة العسكرية، كيف يقبل رجالاتها أن يتذبذب موقف قبيلتهم الذي علت به أسماؤهم وزها به أهلهم، وقد عرف رجال ثقيف بدهائهم وسعة تفكيرهم؟.

فهذا المغيرة بن شعبة الثقفي كان من دهاة العرب وعقلائها وأشرافها[١] فكيف يقبل لقبيلته أن يكون موقفها متذبذبًا هنا وهناك. فالذي أراه أنها قد اعتزلت هذه الفتنة أو الحرب، وانتظرت النتيجة لتقرر بعد ذلك موقفها في ضوء النتائج التي سيتمخض عنها هذا الاقتتال.

وقد اعتزل المغيرة بن شعبة في الطائف حتى حكم الحكمان[٢].

أما مسألة التحكيم التي حدثت بين الخليفة علي رضي الله عنه ومعاوية بن أبي سفيان فعلى الرغم مما أسفرت عنه من نتائج، فإن الثقفيين بشخص المغيرة بن شعبة الثقفي قد استطاعوا أن يحللوا الموقف ويصلوا إلى النتيجة قبل أن يصل إليها الحكمان من كلا الطرفين.

فقد جاء المغيرة بن شعبة لرجال من ذوي الشأن من قريش وقال لهم هل يستطيع أحد من الرجال أن يأتي الحكمين ويعلم منهما أنهما سيتفقان أم لا؟ فقالوا لا نعرف ذلك الرجل فقال المغيرة أنها لها[٣].

دخل المغيرة بن شعبة على عمرو بن العاص وقال له: «يا أبا عبد الله أخبرني عما أسألك عنه كيف ترانا معشر المعتزلة فإنا قد شككنا في الأمر الذي تبين لكم من هذا القتال ورأينا أن نستأني ونتثبت حتى تجتمع الأمة! قال أراكم معشر المعتزلة خلف الأبرار وأمام الفجار»[٤]. وقد انصرف المغيرة بعد ذلك من عمرو ولم يسأله شيئًا وذهب إلى أبي موسى الأشعري وسأله مثل ما سأل عمرًا فكان جواب أبي موسى

(١) شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، دول الإسلام ج ١، تحقيق فهيم محمد شلتوت ومحمد مصطفى إبراهيم، (مصر، ١٩٧٤) ص ٣٧.
(٢) الطبري، تاريخ الرسل، ج ٥، ص ١٦٤. ابن الأثير، الكامل، ج ٣، ص ٤٠٩.
(٣) الطبري، تاريخ الرسل، ج ٥، ص ٥٧. (٤) الطبري، تاريخ الرسل، ج ٥، ص ٥٨.

«أراكم أثبت الناس رأيًا فيكم بقية المسلمين»[١] فانصرف المغيرة ولم يسأله شيئًا آخر وجاء إلى أصحابه وقال لهم «لا يجتمع هذان على أمر واحد»[٢].

أما كيف سار التحكيم وكيف كانت النتائج فهذا أمر خارج إطار دراستنا ولكن الذي يعنينا أن المغيرة كانت له كلمة مسموعة عند أبناء قومه وقد اعتزلوا هذه الفتنة، ولهذا نراه قد استقر بالطائف موطنه الأصلي، ومما لا شك فيه أنه قد جمع حوله أبناء قومه، وأنه أدرك بحسه السياسي والإداري نية الحكمين فعمرو بن العاص لم يكن يرغب بالخليفة علي رضي الله عنه وكذلك معاوية وكان يرى أن ابنه عبد الله أحق بالخلافة منهما[٣]. وقد رأى المغيرة أن عمرو بن العاص سيسعى إلى ذلك ولكنه كان أي عمرو يفتقد إلى التأييد الشعبي لهذا الرأي، ولكنه كان لا بد أن يميل إلى معاوية، أما أبو موسى الأشعري فإنه كان يحرص على دماء المسلمين وكان على استعداد لأن يخلع الخليفة علي رضي الله عنه وكذلك أن لا يبايع معاوية ولهذا نرى رأيه كان مع الذين اعتزلوا هذه الحرب.

وعندما انتهى التحكيم اجتمع الخوارج في منزل شريح بن أوفى العبسي وطالبوا بتنفيذ حكم الله كما قالوا فخرجوا إلى المدائن، فتصدى لهم سعد بن مسعود الثقفي عامل الخليفة علي رضي الله عنه على المدائن فاتتلوا ساعة. وقد امتنع القوم عنهم[٤]. إن موقف سعد الثقفي هذا كان مع الأمة ضد العابثين بأمن الدولة الداخلي، علمًا أن تصدي سعد الثقفي لهؤلاء جاء دون أن يأتي له أمر الخلافة بالتصدي لهم[٥].

وفي سنة ٢٩ هـ/ ٦٥٩ م طمع أهل فارس وكرمان فكسروا الخراج وأخرجوا عمال تلك المناطق، فأخرج أهل فارس سهل بن حنيف، فاستشار علي رضي الله عنه فيمن يوليه أمر فارس فأشار عليه جارية بن قدامة بزياد بن عبيد الثقفي لأنه كما وصفه جارية رجل صلب الرأي، عالم بالسياسة، كاف لما يكلف به، واستطاع زياد أن يثبت الأمن بفارس وكذلك بكرمان وقد استقام الناس في ولايته وأحبوه[٦]. فموقف زياد بن

(١) ن.م، ج ٥، ص ٥٨.
(٢) ن.م، ج ٥، ص ٥٨. ابن الأثير، الكامل، ج ٣، ص ٣٣٠.
(٣) اليعقوبي، تاريخ، ج ٢، ص ١٩٠. الطبري، تاريخ الرسل، ج ٥، ص ٦٨.
(٤) ابن الأثير، الكامل، ج ٣، ص ٣٣٦.
(٥) ن.م، ج ٣، ص ٣٣٧.
(٦) الطبري، تاريخ الرسل، ج ٥، ص ١٣٧ ـ ١٣٨. ابن الأثير، الكامل، ج ٣، ص ٣٨١ ـ ٣٨٢.

عبيد الثقفي هنا بعد أن وضحت الصورة أمامه وصار هناك نوع من الاستقرار الداخلي مكن رجال ثقيف من أن يسيروا في الطريق الذي خدم الدولة العربية الإسلامية بغض النظر عن شخوصها ورموزها.

وكذلك كان موقف زياد بن عبيد عندما غادر عبد الله بن العباس ولاية البصرة فتركه على ولايتها سنة ٤٠ هـ/ ٦٦٠ م فحافظ على العهد وحمى بيت مال المسلمين على الرغم من الاضطرابات الداخلية التي ألمت بولاية البصرة في ذلك الوقت[١].

تلك هي مسيرة قبيلة ثقيف التي رأت أن الوقوف مع قيم الإسلام والمبادىء والعقيدة هو الطريق الأصوب، وأن المواقف المتقلبة وخلق الفتن والاضطرابات لم تكن من سياسة هذه القبيلة. فلم يكن ولاؤها كما اعتقد إلا للإسلام والدولة العربية، ولم يكن ذلك الولاء لعصر من عصور الدولة العربية كما اصطلح المؤرخون على تسميته بالعصر الراشدي والأموي والعباسي.

فكان همهم الأساس خدمة الدولة، وبالتالي ازدهارها. ولهذا سوف نرى لاحقًا أن أسماء كبيرة من هذه القبيلة قد لمعت في العصر الأموي وأخذت مكانها مع أبناء العروبة والإسلام الآخرين ليسهموا معًا في بناء صرح الحضارة العربية الإسلامية، كما سنرى أن أسماء جديدة قد برزت من هذه القبيلة في العصور الأخرى وقدمت خدماتها للدولة العربية الإسلامية في مختلف النواحي الإدارية والسياسية والعسكرية والعلمية. وبذلك فإن رجال ثقيف قد حفظوا لقبيلتهم مكانتها التي عرفت بها في التاريخ العربي، فكانوا عنوان فخرها، وسارية مجدها، الذي ظل محط اعتزاز أبنائها، يشيدون به ويعتزون بما رسخته فيهم قبيلتهم من قيم ومبادىء عربية أصيلة.

**الاستنتاجات:**

وبرزت لدينا خلال هذا الفصل مجموعة من الحقائق منها:

- إن ديانة التوحيد كانت معروفة بالطائف وذلك لوجود عدد من النصارى وغيرهم من أصحاب الديانات السماوية الأخرى، وربما عمل هؤلاء على نشر ديانتهم فيها فتأثر بهم عدد من سكان الطائف وإلا ماذا نسمي وجود الكثير من الألفاظ القرآنية في شعر أمية بن أبي الصلت الثقفي إلا دليل ملموس على هذه الحقيقة.

---

(١) ابن الأثير، الكامل، ج ٣، ص ٣٦٠. ينظر للتفصيل، ج ٣، ص ٣٦٠ ـ ٣٦٣.

ـ إن خروج الرسول ﷺ إلى الطائف كان نتيجة لظروف صعبة داخل مكة، فكان لا بد للرسول ﷺ أن يجد مكانًا يأمن به دعوته ونفسه، وبالتالي ليكون قريبًا من مكة فكانت الطائف اختياره الأمثل.

ـ في حصار الرسول ﷺ للطائف أراد أن يرغم الثقفيين على دخول الإسلام، ولكنه فك الحصار عنهم عندما وجد أن ذلك غير مجدٍ، وفعلًا كان فك الحصار عن الطائف خطوة كبيرة في إقدام ثقيف فيما بعد على إعلان إسلامها طوعيًا.

ـ عندما حدثت الردة ثبتت ثقيف على إيمانها وإسلامها وقد استطاع الثقفيون مع بعض أبناء عمومتهم المحافظة على وحدة الإسلام والدولة العربية الإسلامية، عندما شهروا سيوف الحق ضد الباطل.

ـ أسهم الثقفيون في إدارة الأمصار في صدر الإسلام إسهامًا فاعلًا، وذلك لجملة من الأسباب منها: حالة التحضر التي عرف بها الثقفيون، كما كان لثباتهم على الإسلام وفي القضاء على الردة وإسهامهم في حروب التحرير والفتح دورٌ في احتلالهم مراكز إدارية حساسة.

ـ وكان من نتيجة عمليات التحرير والفتوح أن استقر بعض الثقفيين في الأمصار الجديدة كالبصرة والكوفة وغيرهما.

ـ وتوضحت لدينا حقيقة تاريخية مهمة طالما غفل عنها المؤرخون بخصوص زياد بن عبيد الثقفي، حيث تبين لنا أنه ثقفيٌّ بالنسب والمنشأ والتربية، فقد جمع إلى جانب مميزاته الشخصية كل صفات أبناء قبيلة ثقيف التي عرفوا بها.

ـ امتازت ثقيف بأنها قدمت للدولة العربية الإسلامية في عصر صدر الإسلام قادة عسكريين وإداريين من طراز خاص، أمثال المغيرة بن شعبة الثقفي وزياد بن عبيد الثقفي وعثمان بن أبي العاص الثقفي وأبي عبيد الثقفي وأبي محجن الثقفي.

ـ وكحقيقة تاريخية تبين أن ثقفيًا قد اعتزلت الصراع السياسي الذي نشب بعد استشهاد الخليفة الراشد عثمان بن عفان رضي الله عنه وهي بذلك كانت مع وحدة الأمة والدولة، وعادت تمارس دورها المتميز بعد انفراج هذه الأزمة حيث حافظت على خطها العام الذي كان يؤمن بالأمة والدولة العربية بغض النظر عن رموزها.

# الفصل الثاني
# أثر الثقفيين الإداري والسياسي في العصر الأموي

- الدولة العربية الإسلامية في العصر الأموي
- إسهام الثقفيين في إدارة الأمصار في العصر الأموي
- أثر الثقفيين في إخماد الحركات المعارضة للدولة الأموية
- سمات رجال ثقيف الإدارية والسياسية في العصر الأموي

# [أثر الثقفيين الإداري والسياسي في العصر الأموي]

## الدولة العربية الإسلامية في العصر الأموي (٤١ ـ ١٣٢ هـ/ ٦٦١ ـ ٧٤٩ م)

سميت الدولة الأموية نسبة إلى مؤسسها معاوية بن أبي سفيان الذي يرجع نسبه إلى بني أمية. وقد اتخذ من دمشق عاصمة للدولة بدلًا من الكوفة، لأن دمشق قد آزرته ونصرته عندما ألمت بالدولة ظروف داخلية صعبة[١].

وقد استطاع معاوية بن أبي سفيان الذي تولى الخلافة سنة (٤١ ـ ٦٠ هـ/ ٦٦١ ـ ٦٧٩ م) بدهائه السياسي أن يسيطر على الأوضاع الداخلية الصعبة التي عاشتها الدولة العربية الإسلامية. كما أنه اعتمد على مجموعة من العناصر العربية شكلت في تلك الحقبة أركانًا مهمة في بناء الدولة، ولهذا نرى معاوية يسخِّر هذه العناصر مستخدمًا شتى الوسائل في سبيل تحقيق أهدافه. ومن أهم الأشخاص الذين آزروه عمرو بن العاص، والمغيرة بن شعبة الثقفي، وزياد بن عبيد الثقفي[٢]. حيث تولى هؤلاء إدارة أهم الأمصار التي شكلت نقاط إرباك للدولة فاستطاعوا بحزمهم وحسن إدارتهم أن يثبتوا كيان الدولة. وبما أن موضوع بحثنا يتركز حصرًا بالثقفيين، لذا سوف لا نتعرض إلى الدولة الأموية وأسس قيامها حتى لا نحيد عن صلب موضوعنا.

## إسهام الثقفيين في إدارة الأمصار في العصر الأموي

للولاة الثقفيين أثر مهم في إدارة شؤون الدولة العربية الإسلامية خلال العصر الأموي، ولا بد من الإشارة إلى حقيقة تاريخية مهمة توضَحت لي مؤداها أن رجال

---

(١) ثابت إسماعيل الراوي، تاريخ الدولة العربية، ط ١، مطبعة الإرشاد، (بغداد، ١٩٧٦)، ص ١٢٧.

(٢) ن.م، ص ١٤٥ ـ ١٤٩.

ثقيف، والبارزين منهم على وجه الخصوص كانوا يسيرون في ركب الدولة العربية الإسلامية واتجاهها العام، بغض النظر عن الحاكم والخليفة الذي يتولى مقاليد السلطة. لأن ولاءهم لم يكن لشخص ما بقدر ما كان ولاؤهم لعقيدة الإسلام ومبدأ العروبة الذي هو جزء أساسي منه.

وقد تميز رجال ثقيف؛ بعقلية كبيرة راجحة، ومقدرة فائقة. وكان المغيرة بن شعبة وزياد بن عبيد من أبرز ولاة الدولة الأموية[١].

تقلد المغيرة بن شعبة الثقفي ولاية الكوفة سنة ٤٢ هـ/ ٦٦٢ م[٢]. ويرى بعض المؤرخين أن المغيرة في ولايته للكوفة كان حريصًا على مسايرة الأمور، دون الحاجة إلى الاصطدام بالمعارضين لهذا نراه لم يحاول أن يخفف من حدة الاضطرابات التي كانت تثار بالكوفة ضد الأمويين لأنه كان يعتقد أنه لمن يشهدها وهو حي ولهذا طلب العافية لنفسه في أيامه الأخيرة. وكان أهل الكوفة راضين عن ذلك وقالوا فيه فيما بعد أنهم ما وليهم والٍ بعده مثله[٣]. وفي اعتقادي أن المغيرة بن شعبة كان مع نهج الدولة فهو رجل ملك لها وبالتالي فهو مقاتل وإداري من الطراز الخاص، أما كون أهل الكوفة كانوا راضين عنه فإن هذا قد يكون متأت من صواب السياسة التي أتبعها والتي كانت تتطلب منه الحنكة والمرونة سيما أن الكوفة شبهت مجازًا بالبركان الثائر فكان عليه أن يساير الأحداث بحيث لا يخل وقفه بالأمن الداخلي للولاية.

لقد لعب المغيرة بن شعبة دورًا واضحًا في تحقيق الوفاق والصلح والموادعة التي تمت بين الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه ومعاوية بن أبي سفيان، حيث أرسله معاوية إلى الحسن عليه السلام عندما كان في العراق فنجح هذا في استرضاء الحسن[٤]. وبذلك استطاع المغيرة بن شعبة أن يحقن دماء المسلمين وبالتالي أن يلم شمل أركان البيت العربي الداخلية لكي يتفرغ رجالات الدولة للأمور التي هي بلا شك تشكل مركز ثقل مهم للدولة العربية.

وقد وصفه الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه «كان أفضل من أن يخدع، وأعقل من أن يخدع»[٥]. وكان رجلًا يعتمد عليه في كل الظروف والمواقف الصعبة

(١) حتي، تاريخ العرب، ج ١، ص ١٤٤. (٢) ابن الأثير، الكامل، ج ٣، ص ٤٢١.
(٣) فلهاوزن، تاريخ الدولة، ص ١١٠ ـ ١١١.
(٤) عبد المنعم ماجد، التاريخ السياسي للدولة العربية، ج ٢، ط ٢، (مصر ١٩٦٠)، ص ٢٧.
(٥) ابن قتيبة، عيون الأخبار، ج ٣، مطبعة دار الكتب، (القاهرة، ١٩٣٠)، ص ٢٨٥.

وبالتأكيد أن ذلك جاء من خبرته في الحياة، وبالتالي فإنه قد استفاد من ذلك أثناء توليه السهام التي كان يكلف بها.

ولذلك عندما اجتمع عمرو بن العاص مع معاوية بن أبي سفيان مرة فقال له معاوية «من للناس فقال أنا وأنت والمغيرة بن شعبة وزياد، أما أنت فللتأتي، وأما أنا فللبديهة، وأما المغيرة فللمعضلات، وأما زياد فللصغيرة والكبيرة»[١]. فالمغيرة بن شعبة الثقفي للأمور الصعبة التي ليس لها مخرج إلا بتدبير عقل راجح.

كما وصف المغيرة بن شعبة بأنه إذا ما اعتلج في صدره أمران فإنه يختار أحزمهما[٢]. وقد زاد المغيرة بن شعبة في مسجد الكوفة وبناه[٣].

وكدلالة أكيدة على حسن إدارة المغيرة لولاية الكوفة أنه كان بينه وبين مصقلة بن هبيرة الشيباني نوع من النزاع فما كان من المغيرة إلا أن تنازل عن مكانته طمعًا في استرضاء مصقلة. لكن الأخير استعلى عليه وشتمه فقام المغيرة وقدمه إلى قاضي الكوفة شريح ليأخذ منه حقه فأقام القاضي الحد على مصقلة، فأقسم هذا أن لا يبقى في الكوفة ما دام المغيرة بن شعبة بها، خرج منها، ولم يعد إليها إلا بعد وفاة المغيرة فسأل عن مقابر ثقيف في الكوفة فقام جماعة من مواليه بإرشاده إليها ثم قاموا بالتقاط الحجارة فقال لهم مصقلة ماذا تفعلون قالوا ظننا أنك تريد أن ترجم قبر المغيرة فقال لهم ألقوا ما في أيديكم، وانطلق إلى قبر المغيرة فوقف عليه وقال والله لقد كنت ما علمت نافعًا لصديقك، ضائرًا لعدوك وسوف، أردد ما قاله المهلل في أخيه كليب:

إن تحتَ الأحجار حزمًا وعزمًا    وخصيمًا ألد ذا معلاق[٤]

ويرى بعض المؤرخين أن زياد بن عبيد هو الذي قال هذا الشعر في المغيرة وأضافوا عليه:

حية في الوجار أريد لا ينـ    ـفع منه السليم نفثه راقي[٥]

---

(١) جمال الدين أبي المحاسن يوسف بن تغري بردي، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، ج ١، مطبعة دار الكتب، (القاهرة، ١٩٢٩)، ص ١١٦.

(٢) أبو الفرج الأصفهاني، الأغاني، ج ١٦، ص ٤٢.

(٣) البلاذري، فتوح البلدان، ص ٢٧٦.

(٤) أبو الفرج الأصفهاني، الأغاني، ج ١٦، ص ٥٢.

(٥) الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج ٣، تحقيق د. محمد أسعد طلس، دار المعارف (مصر، ١٩٦٢)، ص ١٥.

فالمغيرة حتى وهو والٍ كان يعرف كيف يساير الناس ويكسب مرضاتهم لتكون ولايته ولاية استقرار وهدوء.

وفي سنة ٤٣ هـ/٦٦٣ م بلغ المغيرة بن شعبة بأن الخوارج خارجة عليه، وأنهم قد نصبوا عليهم رجلًا منهم[١]، فقام المغيرة في الناس خطيبًا فذكرهم بإدارته وسياسته في الكوفة، وكيف أنه يحب لهم العافية، ولا يحب لهم الأذى، وطلب منهم أن يكفوا عنه رجالهم الذين يريدون أن ينشروا في الكوفة الشقاق والخلاف، وأقسم أن هم خرجوا ليقتلهم جميعًا، فقام إليه معقل بن قيس الرياحي وطلب من المغيرة أن يسمي هؤلاء النفر الضال من الرجال إن كان يعرفهم. فقال المغيرة أنه لم يسم لي أحدًا. فقال له معقل أيه الأمير فليكفك كل امرىء من الرؤساء قومه فقبل ذلك المغيرة بن شعبة[٢]. وقد توعد المغيرة برؤساء القوم بقوله «فالذي لا إله غيره لا تحولن عما كنتم تعرفون إلى ما تنكرون، وعنما تحبون إلى ما تكرهون، فلا يلم لائم إلا نفسه وقد أعذر من أنذر»[٣]، وقد خرج رؤساء القوم إلى عشائرهم يطلبون منهم أن يرشدوهم إلى مدبري الفتنة[٤]. وهذا بالتأكيد يشير إلى حسن سياسة المغيرة وأنه أراد أن يدفع عن الكوفة إراقة الدماء وبالتالي حفظ أمنها، وهو بالتأكيد يدل على حسن ولايته وأنه يتابع كل صغيرة وكبيرة وإلا ما علم بخبر هؤلاء الخوارج، وما يدبرون إليه. لولا أنه كان يترصد حركتهم، ولكن في الوقت المناسب بعث إلى رؤساء القوم وطلب منهم مؤازرته في دفع هذه الفتنة عن البلاد وإلا فالويل والثبور لمن يخرج عن طاعته، وأن رؤساء القوم كانوا يعرفون من هو المغيرة بن شعبة.

كذلك أن حجر بن عدي وهو من رجالات الكوفة المعدودين والمعروفين بها كان هذا على غير وفاق مع المغيرة بن شعبة، وقد سأل المغيرة عن سبب سكوته عليه لأنه يحاول أن يجتزىء عليه ويضعف من مكانته في الولاية فكان رد المغيرة أني قد قتلته وأنه سيأتي من بعدي أمير يتصور حجر أنه مثلي فيفعل به كما يفعل بي الآن فيقتله، وأني قد قرب أجلي ولا أريد أن أقتل خيار هذه الولاية فيكونوا هم السعداء وأكون أنا الشقي[٥]. من هذا يتبين لنا أن المغيرة كان حريصًا على ألا يصطدم

(١) يشير بعض المؤرخين إلى أن اسم قائد هؤلاء الخوارج المستورد بن علقمة التيمي. ينظر (ابن الأثير، الكامل، ج ٣، ص ٤٢٥).
(٢) الطبري، تاريخ الرسل، ج ٥، ص ١٨٤. (٣) ن.م، ج ٥، ص ١٨٥.
(٤) ن.م، ج ٥، ص ١٨٥. ينظر للتفصيل ج ٥، ص ١٨٤ ـ ٢٠٩.
(٥) الطبري، تاريخ الرسل، ج ٥، ص ٢٥٤ ـ ٢٥٥. ابن الأثير الكامل، ج ٣، ص ٤٤٧.

برجالات الكوفة المعروفين، لأن ذلك سوف يجعل أهل الولاية في حالة صراع مستمر، وأن المغيرة قد وصل إلى مرحلة من العمر يريد من خلالها أن يختم حياته والناس في رضى عنه.

وفي سنة ٤٥ هـ/ ٦٦٥ م قدم زياد بن عبيد الثقفي الكوفة فقام ينتظر فيها أمارته عليها، فلما علم ذلك المغيرة بن شعبة سار إلى معاوية، وطلب منه أن يقيله وأن يعطيه منازل بقرقيسيا[١] ليكون بين قيس فخافه معاوية وطلب منه الرجوع إلى عمله فأبى ذلك، فازداد خوف معاوية أكثر، وألح عليه أن يرجع إلى عمله فعاد إلى الكوفة وطلب من زياد بن عبيد الخروج منها[٢].

وهناك رواية أخرى تشير إلى أن المغيرة لم يذهب إلى بلاد الشام وإنما معاوية أرسل بعهده إلى زياد وهو بالكوفة على البصرة. فولاه البصرة وخراسان وسجستان ثم أضاف إليه الهند والبحرين وعمان[٢].

وأنا أميل إلى الرواية الثانية لأن زيادًا كان صديق المغيرة بن شعبة[٣] وقريبه، ولا يمكن للمغيرة أن يفرط بزياد ويخرجه من الكوفة، لأن الاثنين على الأقل من قبيلة ثقيف فكيف يفرط أحدهما بالآخر؟.

ولعب المغيرة بن شعبة دورًا كبيرًا في عملية تنصيب يزيد بن معاوية للخلافة بعد أبيه، فهو الذي أوحى بفكرة الوراثة لمعاوية، وهو الذي أشار عليه باستخلاف يزيد[٤]. فقد أسهم المغيرة في خدمة الدولة، وخدم أمة العرب وتجنب جهد إمكانه إراقة الدماء، وقدم النصيحة والمشاورة في كل الأمور التي كان يؤخذ بها رأيه، معبرًا عن حسن نية ودراية لا تقدر في المواقف الصعبة.

وبعد تولي معاوية الخلافة سنة (٤١ ـ ٦٠ هـ/ ٦٦١ ـ ٦٧٩ م) رأى أن أهم الأمصار عنده هي الكوفة والبصرة ومصر، فولّى المغيرة بن شعبة الكوفة وولّى مصر عمرو بن العاص، أما البصرة فقد ولّاها لزياد بن عبيد الثقفي سنة ٤٥ هـ/ ٦٦٥ م.

---

(١) قرقيسيا: بلد على نهر الخابور وعندها مصب رافد الخابور في نهر الفرات. ينظر (ياقوت، معجم البلدان، ج ٤، ص ٣٢٨).

(٢) الطبري، تاريخ الرسل، ج ٥، ص ٢١٧. ابن الأثير، الكامل، ج ٣، ص ٤٤٧.

(٣) المغيرة بن شعبة الثقفي: توفي سنة ٤٩ هـ وقيل سنة ٥٠ هـ. ينظر (الطبري، تاريخ الرسل، ج ٥، ص ٢٣٢).

(٤) ابن قتيبة، الإمامة والسياسة، ج ١، ط ٢، مطبعة مصطفى البابي (مصر، ١٩٥٧)، ص ١٦٥ ـ ١٦٧. (منسوب).

وقد خطب زياد عندما قدم البصرة خطبة سميت البتراء[١] وذلك أنه لم يحمد الله فيها[٢]. وقيل إنها سميت البتراء لأن قائلها لم يبدأ فيها بالبسملة ذلك أن زيادًا بدأ كلامه بـ«الحمد لله على فضاله وإحسانه ونسأله المزيد من النعمة»[٣].

وقد تضمنت خطبة زياد في البصرة تحديد الطريق الذي سيسلكه في إدارة هذه الولاية، فقد هدد أهل الضلالة والفجور وتوعدهم، وكذلك وعد بأنه سوف يجازي الناس الذين يسيرون وفق النظام، ولا يحاولون العبث بالأمور الداخلية للولاية «ولم تسمعوا ما أعد الله من الثواب الكريم لأهل طاعته والعذاب الأليم لأهل معصيته»[٤]. كما أنه حدد الطريقة التي سوف يسلكها في إدارة ولاية البصرة «لين في غير ضعف وشدة في غير جبرية وعنف»[٥]. كما أنه ذكر أهل البصرة بالأمور والأفعال التي حدثت سابقًا، وطلب منهم الموادعة والمهادنة لأن الإنسان إذا سلك غير ذلك فإنه سوف لا يلوم إلا نفسه». وقد أحدثتم أحداثًا لم تكن وقد أحدثنا لكم ذنبًا وعقوبة، فمن غرق قومًا غرقته، ومن حرق على قوم حرقناه، ومن نقب بيتًا نقبت عليه قلبه، ومن نبش قبرًا دفنته فيه حيًا، فكفوا عني أيديكم وألسنتكم أكفف يدي»[٦].

كما ذكرهم بالعلاقة التي كانت تربطه ببعضهم، فإن هذه العلاقة قد انتهت فمن كان منهم محسنًا فليستمر على إحسانه وطيبته، ومن كان مسيئًا فليترك الإساءة». وقد كانت بيني وبين أقوام أحن فجعلت ذلك دبر أذني وتحت قدمي، فمن كان منكم محسنًا فليزدد إحسانًا ومن كان مسيئًا فلينزع عن إساءته»[٧].

وطلب في خطبته من الناس السمع والطاعة له، لأنه أصبح المسؤول عنهم أمام الله، وأنه سوف يسير بينهم بالعدل «عليكم السمع والطاعة فيما أجبنا، ولكم علينا العدل والإنصاف فيما ولينا»[٧].

كذلك وعد زياد بأن باب ولايته سوف تكون مفتوحة ولا يقصر بحق ثلاثة أشياء حتى وإن قصر في باقي الأمور، فإن جاءه طالب حاجة حتى وإن كان ذلك ليلًا فإنه سوف يلبي حاجته، وأنه سوف يؤدي العطاء والرزق في أوقاته ولا يؤخرها لأن أغلب

---

(١) البتراء: الخطبة التي لم تبدأ بالتحميد. ينظر (الجاحظ، البيان والتبيين، ج ٢، ص ٦).
(٢) الطبري، تاريخ الرسل، ج ٥، ص ٢١٧.
(٣) الطبري، تاريخ الرسل، ج ٥، ص ٢١٨. (٤) الجاحظ، البيان والتبيين، ج ٢، ص ٦٢.
(٥) الطبري، تاريخ الرسل، ج ٥، ص ٢١٩. (٦) ن.م، ج ٥، ص ٢٢٠.
(٧) الجاحظ، البيان والتبيين، ج ٢، ص ٦٤.

حياة الناس كانت تتوقف على ذلك العطاء لكي يعتاش منه هو وعائلته، كذلك وعد بألا يجمر بعثًا، لأن في ذلك تفكك للعلاقات الاجتماعية والأسرية، وبالتالي فإن البعوث إذا ما ظلت مجمرة بعيدة عن مواطنها الأصلية فإن ذلك سوف يولد عندها البرود وعدم الإنشداد للمعركة «واعلموا أني مهما قصرت عنه فإني لا أقصر عن ثلاث، لست محتجبًا عن طالب حاجة منكم ولو أتاني طارق بليل، ولا حابسًا رزقًا ولا عطاء عن إبانه، ولا مجمرًا لكم بعثًا»[١].

وقد استطاع زياد أن يسير بإدارة ولاية البصرة إلى شاطىء الأمان، حيث استعمل العقوبة وجرد لذلك السيف تارة، والمرونة تارة أخرى حتى أن الناس أمن بعضهم إلى بعض، بحيث كان الشيء يسقط من الرجل فلا يأخذه أحد حتى يأتي صاحبه فيجده في مكانه، فعاش الناس آمنين في دورهم، بحيث كانت أبوابهم مفتوحة لا يخافون أحدًا، وجعل زياد الشرطة أربعة آلاف رجل وأمر عليهم عبد الله بن حصن[٢].

وقال حارثة بن بدر الغداني في حق زياد:

فأنتَ إمامُ مَعْدَلهِ وقصدٍ ... وحَزْم حينَ تَحضُرك الأمُور
تصيب على الهَوَى منه وتأتي ... مُحبك ما يجُن لنا الضميرُ
بأمر الله مَنْصُورٌ معانٌ ... إذا جار الرعيةُ لا تجورُ
يدر على يَدَيك لما أرادوا ... من الدنيا لهم حَلَبٌ غزيرُ
وخافَ الحاضرون وكل بادٍ ... يُقيمُ على المخافة أو يَسيرُ
فلما قامَ سيف الله فيهم ... زيادُ قام أبلج مستنير[٣]

وقيل إن زيادًا هو الذي بنى مسجد وقصر البصرة[٤]. ولكن عتبة بن غزوان كان أول من اختار الأبلة ونزل بها وأن عتبة قد اختط مسجدها ودار الإمارة فيها، أما إذا قيل إن زيادًا قد هدمهما وأعاد بناءهما فهذا جائز.

ويرى بعضهم أن زيادًا قد تشبه بعمر بن الخطاب رضي الله عنه فأفرط[٥]. ولكن في أي ناحية كان يتشبه زياد بالخليفة عمر رضي الله عنه على الرغم من كون

---

(١) الطبري، تاريخ الرسل، ج ٥، ص ٢٢٠. (٢) ن.م، ج ٥، ص ٢٢٢ ـ ٢٢٣.
(٣) الطبري، تاريخ الرسل، ج ٥، ص ٢٢٣ ـ ٢٢٤.
(٤) أبو يوسف، الخراج، ص ٦٠.
(٥) الجاحظ، البخلاء، حققه طه الحاجري، (القاهرة، ١٩٤٨)، ص ٦٥.

الخليفة عمر رضي الله عنه يمثل حالة تاريخية نادرة في تاريخ الإنسانية لأنه كان رجل ذا صفات إيجابية كثيرة فإن تشبه زياد بعمر فتلك منزلة كبيرة لزياد.

وكان زياد يوصي بثلاث ويقول توصوا «بالشريف والعالم والشيخ، وفوالله لا يأتيني شريف بوضيع أستخف به إلا انتقمت له منه، ولا يأتيني شيخ بشاب أستخف به إلا أوجعته ضربًا، ولا يأتيني عالم بجاهل أستخف إلا نكلت به»[1]. وهذا يشير إلى أن سياسة زياد الداخلية كانت تأخذ بنظر الاعتبار بعض القياسات الأساسية، فالشريف هو ذلك الشخص المعروف في قومه المسموع له، والكبير في السن الذي علمته الحياة والتجارب يجب أن يحترم، والعالم الذي ألم بصنوف المعرفة والعلوم له منزلة عند زياد عندما ينصرف لعلمه.

وكان زياد ينطق بالحكمة، فقد سمع أن رجلًا يسب الزمان، فقال زياد لو كان يدري أن الزمان يعني السلطان لضربت عنقه[2].

وكان زياد يتابع عماله الذين يوليهم الإمارة على المناطق التابعة له، فقد رفعت إليه شكاية على أحد عماله فأرسل إليه فقال: يا هذا قد كثر شاكوك، وقل حامدوك، فإما أن تتيسر بالطريق الصحيح وإما العزل[3].

وقد استقامت له البصرة فكان يجبي منها ومن كورتها ٦٠ ألف ألف درهم ويعطي الذرية ١٦ ألف ألف درهم، وينفق على العمران والبنيان ألفي ألف، ويدخر في بيت المال ألفي ألف درهم، ويرسل الباقي إلى الشام[4]. وهو بهذا كان يأخذ مصلحة ولايته وأهلها بالأهمية.

وزياد أول من سير بين يديه بالحراب، وكذلك أنه أمر بالحرس إن ترابط حول المسجد، وجعل خراسان أرباعًا[5].

وقد وصف زياد بأنه كان قوي الشكيمة، شديد العزم، عالي الهمة ذا تدبير. وعندما تولى ولاية البصرة خافته الناس ورعبوا منه[6].

---

(١) الجاحظ، البيان والتبيين، ج ٢، ص ١٤٥.
(٢) أبو العباس محمد بن يزيد المبرد، الكامل في اللغة والأدب، ج ١، دار الفكر العربي، (القاهرة، لا.ت)، ص ١٦١.
(٣) المبرد، الكامل في اللغة، ج ١، ص ٣٠١.
(٤) ابن أعثم الكوفي، الفتوح، ج ٤، ص ١٨١.
(٥) ابن الأثير، الكامل، ج ٣، ص ٤٥١.
(٦) ابن الغملاس، ولاة البصرة ومتسلموها، ط ١، دار البصري (البصرة، ١٩٦٢)، ص ٧.

وكان زياد إذا أراد أن يولي أحدًا ولاية تابعة له يسلمه كتاب الولاية، وينصحه بقوله «إنا إن وجدناك أمينًا ضعيفًا استبدلنا بك لضعفك وسلمتك من معرتنا أمانتك»(١). إذن هو لا يريد الوالي الضعيف، لأن في ضعفه إخلال بالنظام.

«وإن وجدناك خائنًا قويًا استهنا بقوتك وأحسنا على خيانتك أدبك فأوجعنا ظهرك وأثقلنا عزمك»(٢). وكذلك هو لا يريد القوي الذي يتردد في قراره لأن في ذلك ضعفًا للولاية، وكذلك لا يريده خائنًا لأنه سوف يكون على استعداد لخيانة أولي الأمر.

«وإن وجدناك أمينًا قويًا، زدناك في عملك، ورفعنا لك ذكرك، وكثرنا مالك، وأوطأنا عقبك»(١). إذن هو بحاجة إلى الرجل الأمين القوي القادر على تحمل المسؤولية بجدارة، وبالتالي فإن زيادًا على استعداد لتوسيع مسؤولية هذا الوالي وأنه مستعد ليهب له العطايا والأموال وأن يصاهره.

وكان زياد مولعًا بالعمارة، ولذا شهدت البصرة في عهده نشاطًا ملحوظًا في عملية البناء والعمران، حيث حل الأجر محل اللبن، كما أعاد بناء المسجد ودار الإمارة(٣).

واستطاع زياد من خلال الوعود بالمناصب والمحاباة أن ينتهج سياسة جديدة في ولايته(٤). وأن السياسة التي طبقها تبعث على الدهشة لما كان موجود في البصرة من تكتل قبلي قوي وليس عشيرة قوية تحميه، فسلك طريقًا وسطًا بين جموع تلك القبائل فلم يكن يميل إلى واحدة منها وبالتالي فإنه أصبح مشرفًا عليها وقد امتدح الناس فعله هذا(٥). ولما اشتد الخوارج على البصرة خطب زياد بأهلها فقال: «يا أهل البصرة والله لتكفنني هؤلاء أو لا بد أن بكم، والله لئن أفلت منهم رجل لا تأخذون من عطائكم درهمًا فثار الناس بهم فقتلوهم»(٦). فزياد استعمل المؤثرات الاقتصادية في فرض سياسته من أجل تهدئة الأمن الداخلي ولا شك أنها كانت سياسة رشيدة عرفت طريقها إلى نفوس أهل البصرة.

---

(١) ابن قتيبة، عيون الأخبار، ج ١، ص ٥٥. (٢) ن.م، ج ١، ص ٥٥.

(٣) شارل بلات، الجاحظ في البصرة وبغداد وسامراء، ترجمة د. إبراهيم الكيلاني، دار اليقظة العربية، (دمشق، ١٩٦١)، ص ٣١.

(٤) Muir, the Caliphate, p.297.

(٥) حسن، القبائل العربية، ص ١٠٦ ـ ١٠٧. (٦) ابن الأثير، الكامل، ج ٣، ص ٤٦٣.

واهتم زياد في ولاية البصرة بأمور الزراعة فقد كان يتابع أمور الأراضي الزراعية الممنوحة للناس. فمن لم يزرعها لمدة سنتين أخذها منه، وكذلك اهتم بمسألة جوهرية أخرى وهي مسألة الإرواء وتنظيمها(١). وبالتأكيد فإن هذا سوف يحسن نوعية الإنتاج ويزيد من مساحة الأراضي الزراعية مما ينعكس إيجابيًا على المستوى المعاشي للمواطن.

ويشير بعض الباحثين إلى أن «اهتمام زياد بحفر الأنهار دليل على بعد نظره، وسعة إدراكه، ولا نستطيع أن نقول خبرته العلمية، ولكن عمق الإدراك قد يوصل في بعض الأحيان إلى الخبرة العلمية... حيث أدرك أهمية حفر الأنهار لإيصالها إلى قلب المدينة... كذلك يحتمل أن يكون في نفسه هدف آخر هو تخليده بخلود النهر»(٢)، يتبين من هذا الرأي أن زيادًا لم تكن لديه خبرة علمية ظنًا من الباحثة أن الخبرة تأتي من خلال الدراسة، وقد أشارت في صفحات سابقة إلى أن زيادًا كان دائمًا هو الأمير الفعلي على البصرة إبان إمارة المغيرة بن شعبة عندما كان هذا مشغولًا بالفتوحات(٣)، وفضلًا عن ذلك فإن الباحثة تشير إلى أن ما حدث في ولاية عبد الله بن عامر بن كريز على البصرة «من أعمار ومظاهر تقدم واتساع في البصرة من مبادرات زياد وجهوده لتوسيع وتطوير المدينة ودفعها لكي تحتل مكانتها الاجتماعية التي احتلتها فيما بعد»(٤). وهذا لم يأت من فراغ وإنما جاء عن دراية ودراسة لحاجة المدينة إلى الأعمار، سواء كان اقتصاديًا أو اجتماعيًا فزياد كان على دراية كاملة بأحوال المجتمع في ولاية البصرة وعندما تولى مسؤولية إمارتها، فإنه بالتأكيد سعى إلى تطويرها على الأصعدة كافة.

وكان زياد يقول «أحسنوا إلى المزارعين فإنكم لا تزالون سمانًا ما سمنوا»(٥). وهذا القول يؤكد لنا حرص زياد على توفير الظروف الملائمة للمزارعين، وكذلك مد يد العون لهم ليسهموا في توفير الغذاء للمواطنين، وبالتالي فإن ذلك سيحسن من مستواهم الاقتصادي والمالي.

وقد تولى زياد إمارة الكوفة إلى جانب البصرة وذلك في سنة ٤٩ هـ/ ٦٦٩ م وقيل سنة ٥٠ هـ/ ٦٧٠ م(٦). وعندما وصل إلى الكوفة خطب في الناس في المسجد

---

(١) بلات، الجاحظ، ص ٣٦.
(٢) الخيرو، إدارة العراق، ص ٤٠.
(٣) ن.م، ص ٢٩.
(٤) ن.م، ص ٤٠.
(٥) ابن قتيبة، عيون الأخبار، ج ١، ص ١٠.
(٦) الطبري، تاريخ الرسل، ج ٥، ص ٢٣٤.

الجامع، وبعد أن انتهى من خطبته رجم بالحصى، فطلب من خاصته أن يقفوا على أبواب المسجد، ثم وضع له كرسي على باب المسجد فدعا الناس إلى الخروج بعد أن يقسموا بأنهم لم يرموه بالحصى، فمن أدى اليمين تركه يخرج، ومن لم يحلف منعه حتى اجتمع من هؤلاء ثلاثين وقيل ثمانين فقطع أيديهم في ذلك المكان(١). وتستحق هذه الرواية الوقوف عندها. إذ ليس من الحكمة بعد أن أنهى خطبته رجم بالحصى. وهل أن الذين رموه لا يعرفون من هو زياد؟ علمًا أنه كان واليًا على البصرة منذ سنة ٤٥ هـ/ ٦٦٥ م. وقد وصلت إلى مسامعهم أخباره وشدته، وهو الرجل المعروف بحنكته وإدارته الناجحة. أما عملية تقطيع الأيدي فقد أريد بها تشويه سمعته في الكوفة.

وعندما سار إلى الكوفة استخلف على البصرة سمرة بن جندب، وكان يضم ستة أشهر بالكوفة وستة أشهر بالبصرة(٢).

وكانت تزين مجلس زياد في الكوفة كتابات «الوالي شديد في غير عنف، لين في غير ضعف، الأعطية لإبانها والأرزاق لأوقاتها، البعوث لا تجمر. المحسن يجزى بإحسانه، والمسيء يؤخذ على يديه»(٣). وهذه بالتأكيد هي السياسة التي سار عليها زياد في الكوفة حيث أعطى كل ذي حق حقه.

ولما رأى زياد أن مسجد الكوفة كان لا يتناسب مع حجم المصلين وسعه وزاد فيه، كما قام بعمل جليل خدمة للسنة النبوية حيث فرش مسجد الكوفة والبصرة بالحصى، لأن الناس قبل ذلك عندما كانوا ينتهون من الصلاة ينفضون أيديهم من الأتربة التي علقت بها، فخاف زياد أن يعتقد الناس في الأيام المقبلة أن ذلك سنة في الصلاة ففرش صحنها بالحصى(٤).

وكان زياد أول من جمع له المصران الكوفة والبصرة(٥). وهذا يعود إلى ثقة الخليفة معاوية بقدرته الإدارية والسياسية في إدارة هذين المصرين والمناطق التابعة لهما.

---

(١) ن.م، ج٥، ص ٢٣٤ ـ ٢٣٥. ابن الأثير، الكامل، ج ٣، ص ٤٦٢.
(٢) ابن الأثير، الكامل، ج ٣، ص ٤٦١.
(٣) ابن قتيبة، عيون الأخبار، ج ٥، ص ٢١١.
(٤) البلاذري، فتوح البلدان، ص ٢٧٦.
(٥) ابن قتيبة، المعارف، ص ٥٧١. المسعودي، مروج الذهب، ج ٣، ص ٢٥.

وقد عمل زياد على تهدئة الأوضاع الداخلية في العراق نتيجة للظروف التي كانت سائدة قبل ذلك، فعمل على نقل ٥٠,٠٠٠ شخص من القبائل العربية في العراق إلى خراسان[١].

وقد قيل غير هذا الرقم حيث أشير إلى ٢٥ ألف من أهل الكوفة نقلهم زياد إلى خراسان[٢].

ويرى بعضهم أن زيادًا أول من ضرب الدنانير والدراهم ونقش عليها لفظة (الله)، وأنه محا عنها بعض الشارات والنقوش الأعجمية. وزياد أول من أجلس الناس على الكراسي بين يديه من أمراء العرب[٣].

وسلك زياد سياسة متوازنة بين القبائل العربية فجعل رؤساءهم مسؤولين أمامه عما تحدثه قبائلهم، ولم يكن يمتلك من الوسائل كما كان يملكها من سبقه من الولاة، بل أنه عرف كيف يسخر تلك الوسائل في خدمة الولاية والدولة، وكان يعلن للناس ما يريد أن يتخذه من إجراءات. وكان الناس على ثقة كبيرة بأنه عند قوله سيفعل، وكان زياد جادًا بالقيام بالواجبات المكلف بها كونه عاملًا من عمال الدولة[٤].

وحرص زياد على اختيار عماله من الأكفاء، وخصص أرزاقًا كافية لهم فجعل لكل واحد منهم ألف درهم[٥].

وفي سنة ٥١ هـ/ ٦٧١ م خطب زياد في الكوفة وكان ذلك في يوم جمعة فأطال الخطبة وقد أخر ذلك الصلاة، فقال له حجر بن عدي، الصلاة، وكان حجر رجل له مكانة في الكوفة، وقد كرر قوله أكثر من مرة حول الصلاة بينما زياد يلقي خطبته، فثار حجر وثار معه الناس. فلما رأى ذلك زياد قطع خطبته وصلى بالناس، وبعد الانتهاء من الصلاة، كتب زياد إلى معاوية بأمر حجر وكيف يجمع حوله الناس للخروج على معاوية والبراءة منه، وقد هول زياد الأمور. فكتب له معاوية أن شده في الحديد، ثم أحمله لي، فرضخ حجر لأمر معاوية فحمل إلى معاوية في بلاد الشام حيث أمر بقتله ومن حمل معه إلى بلاد الشام[٦]. على الرغم من أن حجرًا بن عدي

---

(١) لامنس، «مادة زياد»، دائرة المعارف الإسلامية.
(٢) حسن، القبائل العربية، ص ٨٣. (٣) الزركلي، الأعلام، ج ٣، ص ٨٩ ـ ٩٠.
(٤) فلهاوزن، تاريخ الدولة، ص ١٢٣ ـ ١٢٥. (٥) الخيرو، إدارة العراق، ص ١١٩.
(٦) الطبري، تاريخ الرسل، ج ٥، ص ٤٧٣ ـ ٤٧٤. ينظر للتفصيل، ص ٤٧٣ ـ ٤٨٨. ابن=

كان رجلًا معروفًا في الكوفة وله أتباع كثيرون علاوة على كونه كان ينتسب إلى قبيلة كندة، نرى أن زيادًا تجنب القصاص منه برغم محاولته استمالته إلى جانبه. وعندما أخفق زياد في مد الجسور مع حجر نراه يكتب إلى معاوية ليكون الخليفة هو صاحب الأمر في ذلك، وليتجنب زياد اضطرابات داخلية محتملة إذا أقدم على فعل ما هو بنفسه، فهو بالتأكيد كان باستطاعته معاقبته ولكنه فضل ترك الأمر إلى معاوية بوصفه خليفة المسلمين وهو صاحب الكلمة الأولى.

وقد سأل الخليفة عبد الملك بن مروان (٦٥ ـ ٨٦ هـ/ ٦٨٤ ـ ٧٠٥ م) عباد بن زياد عن سيرة زياد من سيرة الحجاج فقال: «إن زيادًا قدم العراق وهي جمرة تشتعل فسبل أحقادهم وأوى أدواءهم وضبط أهل العراق»[١].

وقال عمر بن عبد العزيز (٩٩ ـ ١٠١ هـ/ ٧١٧ ـ ٧١٩ م) بشأن زياد وإدارته للعراق «سعى لأهل العراق سعي الأم البرة، وجمع لهم جمع الذرة»[٢]. «وأصلح بأهل العراق العراق، وترك أهل الشام بشأمهم، وجبى العراق مائة ألف ألف وثمانية عشر ألف ألف درهم»[٣]. هكذا كانت سياسة زياد في العراق سياسة منصفة لهم. حتى أن خلفاء بني العباس وخاصة المنصور (١٣٦ ـ ١٥٨ هـ/ ٧٥٣ ـ ٧٧٤ م) كان يقول الخلفاء ثلاثة «معاوية وكفاه زياد وعبد الملك وكفاه الحجاج وأنا ولا كافي لي»[٤]. فالخليفة السياسي المنصور كان معجبًا بسياسة زياد[٥] وحنكته وإدارته التي ساس بها أهل العراق.

ومن ولاة الدولة الأموية الكفوئين عبيد الله بن أبي بكرة الثقفي. الذي تولى إمارة سجستان سنة ٥٠ هـ/ ٦٧٠ م وعزل عنها سنة ٥٣ هـ/ ٦٧٢ م. وقد اشتهر بالكرم وكان غنيًا. وروي أنه كان ينفق على أربعين دارًا عن يمينه، ومثلها عن يساره، ومثلها من أمامه وخلفه. وكانت هذه المصاريف تشمل كل ما تحتاج إليه العائلة[٦].

---

= الأثير، الكامل، ج ٣، ص ٢٥٦ ـ ٢٥٧. ينظر للتفصيل، ص ٢٥٦ ـ ٢٧٧.

(١) ابن عبد ربه، العقد الفريد، ج ٥، ص ٢٩٣ ـ ٢٩٤.

(٢) ابن عبد ربه، العقد الفريد، ج ٥، ص ٢٩٢.

(٣) المبرد، الكامل في الأدب، ج ٣، ص ٢٦١.

(٤) اليعقوبي، تاريخ، ج ٢، ص ٣٨٧.

(٥) زياد بن عبيد توفي سنة ٥٣ هـ. ينظر (الطبري، تاريخ الرسل، ج ٥، ص ٢٨٨).

(٦) الذهبي، تاريخ الإسلام، وطبقات المشاهير والأعلام، ج ٣، مكتبة القدسي، (مصر، ١٩٤٧)، ص ١٨٩.

وقد قال الخليفة عبد الملك (٦٥ ـ ٨٦ هـ/ ٦٨٤ ـ ٧٠٥ م) في حقه «أن هذا الرجل الأدغم[١] سيد أهل المشرق»[٢]. ومدحه يزيد بن مفرغ الحميري بقوله:

يــســائــلــنــي أهــل الــعــراق فقلت عبيد الله حلف المكارم

فــتــى حــاتــمي بــسـجـسـتـان داره وحسبك منه أن يكون كحاتمِ[٣]

وفي سنة ٧٨ هـ/ ٦٩٧ م تولى عبيد الله بن أبي بكرة[٤] ولاية سجستان مرة ثانية وسار على رأس حملة عسكرية إلى بلاد رتبيل وقد لحقت بالجيش العربي الهزيمة وصور لنا أعشى همدان جسامة الخسارة في قوله:

أسمعتَ بالجَيش الذين تمزَّقُوا وأصابهم رَيْبُ الزَّمان الأَعوج

لَبثوا بكابُلَ يأكلون جِيادهم في شرّ منزله وشرٌّ مُعرَّج

لم يلق جيشٌ في البلاد كما لقوا فلِمثلهم قُلْ لِلنوائح تَنشج[٥]

وثمة رجل ثقفي آخر شهدت له سوح الإدارة والسياسة بالحنكة والمقدرة والعزم ذلكم هو عبيد الله بن زياد الثقفي[٦] الذي ولاه معاوية خراسان سنة ٥٣ هـ/ ٦٧٢ م ثم نقله إلى ولاية البصرة سنة ٥٥ هـ/ ٦٧٤ م[٧]. ثم تولى الكوفة في خلافة يزيد (٦٠ ـ ٦٤ هـ/ ٦٧٩ ـ ٦٨٣ م) حيث عمل خمس سنوات على البصرة وثلاث سنوات على الكوفة والبصرة أي بقي ثماني سنوات واليًا على البصرة والكوفة[٨]. ويعد عبيد الله ثاني والثقفي يتولى العراقيين معًا بعد أبيه زياد بن عبيد[٩]. وقد عرف عن عبيد الله أنه كان يجمع المثالب وذلك للفائدة منها ضد خصومه[١٠].وكثيرًا ما كان يجالس الشعراء

---

(١) الأدغم: الأسود الأنف. ينظر (ابن منظور، لسان العرب، مادة (دغم)).

(٢) ابن قتيبة، المعارف، ص ٢٨٩.

(٣) الذهبي، تاريخ الإسلام، ج ٣، ص ١٩٠.

(٤) عبيد الله بن أبي بكرة: توفي سنة ٧٩ هـ. ينظر (الذهبي، دول الإسلام، ج ١، ص ٥٧).

(٥) ابن قتيبة، المعارف، ص ٣٨٩.

(٦) كان عمر عبيد الله بن زياد عندما تولى خراسان ٢٥ سنة، وقد تولاه سنة ٥٣ هـ. ينظر (الطبري، تاريخ الرسول، ج ٥، ص ٢٩٧).

(٧) لقد كان والي البصرة سمرة بن جندب فعزله معاوية بن أبي سفيان عنها سنة ٥٤ هـ وولاها عبد الله بن عمرو بن غيلان الثقفي حيث مكث فيها ستة أشهر ثم عزل عنها وتولاها عبيد الله بن زياد سنة ٥٥ هـ. ينظر (خليفة بن خياط، تاريخ، ج ١، ص ٢١١).

(٨) ابن قتيبة، المعارف، ص ٣٤٧. (٩) ن.م، ص ٥٧١.

(١٠) البلاذري، أنساب الأشراف، ج ٤، ق ٢، ص ٧٤.

وكان يغري بعضهم على بعضهم الآخر، فقد طلب يومًا من الحارث بن بدر أن يهجي أنس بن زنيم فقال:

وحدثت عن أنس أنه قليل الأمانة خوانها
بصير بما ضر منه الصديق وشر الإخلاء عورانها

فقال أنس:

أتتني رسالة مستكرة فكان جوابي غفرانها[١]

وقيل إن عبيد الله كان سريع الانفعال بحيث إذا غضب على رجل ألقاه من فوق قصر الكوفة[٢]. والذي أظنه أن هذا مبالغ فيه لأنه لو غضب على عشرين رجلًا فهل من المعقول أن يرميهم جميعهم من فوق قصر الكوفة فيقتلهم؟.

وقد مدحه بعض الشعراء فقال:

علمني جودك ما لم أكنْ أحسنه من جيد الشعرِ
فصرت في الناس أخا ثروة وصرت ذا جاهٍ وذا قدرِ[٣]

ويتبين لي أن عبيد الله كان جوادًا كريمًا وقد أصبح بعد تأميره ذا مال كثير وذاع صيته بين الناس وقد واجهت عبيد الله بن زياد في ولايته للكوفة سنة ٦٠ هـ/ ٦٧٩ م مسألة مهمة جدًا وهي إرسال الحسين بن علي رضي الله عنه مسلم بن عقيل في محاولة للحصول على مبايعة أهل الكوفة له، وقد استطاع عبيد الله أن يحد من فعالية مسلم بن عقيل بعد أن التف حوله بعض أهل الكوفة، حيث بعث عبيد الله إلى وجوه أهل الكوفة وطلب منهم التخلي عن مناصرة مسلم، فلما تحرك مسلم بمن معه تحدث إلى أتباعه وجوه أهل الكوفة وطلب منهم عدم مؤازرة مسلم لأنه سوف تراق دماء كثيرة وفعلًا انفض عن مسلم جمع كثير فبقي وحده، والتجأ إلى دار امرأة وقد بعث إليه عبيد الله جمعًا من أصحابه فلم يشعر مسلم إلا والدار محاصرة فخرج إليهم فقاتلهم حتى قتل[٤]. فاستطاع عبيد الله، أن يحافظ على أمن الكوفة الداخلي وهو لم يزل واليًا محدثًا عليها وهكذا كانت عملية إحضاره لوجوه الكوفة قد أتت ثمارها من خلال عدم إهدار دماء كثيرة.

---

(١) البلاذري، أنساب الأشراف، ج ٤، ق ٢، ص ٨١.
(٢) ن.م، ج ٤، ق ٢، ص ٨٤. (٣) ابن الفقيه، مختصر كتاب، ص ٢.
(٤) الطبري، تاريخ الرسل، ج ٥، ص ٣٤٧ ـ ٣٥٠.

ويعد عبيد الله بن زياد أول من جمع له العراقيين وسجستان وخراسان وعمان[١]. وهذا يعود إلى نجاح عبيد الله في مهامه التي أوكلت إليه حيث أن الخلافة الأموية أضافت إليه مناطق نفوذ جديدة لأنه كان ذا مقدرة إدارية فذة.

وقد بنى في الكوفة البيضاء[٢] وجعل باب القصر الأبيض الذي كان يعود لكسرى عليها، كذلك بنى الحمراء وهي على طريق المربد ـ البصرة ـ فكان يقضي الشتاء في الحمراء والصيف في البيضاء[٣].

وكان عبيد الله يروي الشعر ويحفظه[٤].

وقد ضرب عبيد الله الدرهم[٥] وعليه اسمه بالحروف البهلوية، ونقش على الطوق بالحروف الكوفية: بسمـ الله، وبعضها بسمـ الله ربي، وذلك في المدن التالية:

نيسابور سنة ٥٣ هـ، ٥٨ هـ، أبرشهر سنة ٦٠ هـ، أصطخر سنة ٦٠ هـ، ٦١ هـ، ٦٢ هـ، البصرة سنة ٥٦ هـ، ٥٧ هـ، ٥٨ هـ، ٥٩ هـ، ٦٠ هـ، ٦١ هـ، ٦٢ هـ، سجستان سنة ٥٦ هـ، ٥٧ هـ، ٥٨ هـ، ٦٣ هـ، نهاوند سنة ٥٧ هـ، ٥٨ هـ، ٥٩ هـ، ٦٠ هـ، ٦٢ هـ، ٦٣ هـ[٦].

ولما توفي معاوية بن يزيد سنة ٦٤ هـ/ ٦٨٣ م عمت الفوضى بعض الولايات في الدولة العربية الإسلامية، حيث بدأت الحركات الداخلية المعادية تنشط لتأخذ دورها السياسي، ففي البصرة أتى سلمة بن ذويب الحنظلي التميمي يدعو إلى مبايعة عبد الله بن الزبير وقد التف حوله بعض الناس وأيدوه، فدعا عبيد الله بن زياد[٧]

---

(١) ابن عبد ربه، العقد الفريد، ج ٥، ص ٢٩٣.

(٢) البيضاء: دار عمرها عبيد الله بن زياد وقد أمر أن لا يمنعوا أحدًا من دخولها. ينظر (ياقوت) (معجم البلدان، ج ١، ص ٥٣٠).

(٣) ابن كثير، البداية والنهاية، ج ٨، ص ٢٨٧.

(٤) المنجد، معجم بني أمية، ص ١١٨.

(٥) ويشير البعض إلى أن عبيد الله أول من ضرب الدراهم الزيوف وذلك عندما هرب من البصرة. ينظر (الثعالبي، لطائف المعارف، ص ١٤١).

(٦) ناصر السيد محمود النقشبندي، الدرهم الإسلامي، ج ١، مطبعة الحكومة (بغداد، ١٩٦٩)، ص ٢٦ ـ ٢٧.

(٧) بعد وفاة معاوية بن يزيد قام عبيد الله خطيبًا بأهل البصرة وذكر لهم فضله وكيف أصبح حالهم في ولايته وإن لهم الكلمة في توليه رجل آخر فبايعوه على السمع والطاعة وبعد ذلك خالفوه. ينظر (الطبري، تاريخ الرسل، ج ٥، ص ٥٠٤ ـ ٥٠٥).

خاصته وطلب منهم شد إزره للمقاتلة، فقالوا له ليس هناك خليفة نقاتل من أجله فإن حلت الهزيمة مدنًا، عند ذلك أرسل ابن زياد إلى الحارث بن قيس بن صهباء الأزدي وطلب منه أن يحمله إلى دار مسعود بن عمرو وهو من الأزد ليستجير به ففعل ذلك الحارث. ثم أن البصرة أمست دون أمير فبايع الناس عبد الله بن الحارث بن نوفل، وقد جددت الأزد وربيعة الحلف بينهما وقد أنفق عبيد الله أموالًا كثيرة فيهم، لأنه نقل بيت مال البصرة إلى دار مسعود الأزدي. وفي حلفهم اتفقوا على رد ابن زياد إلى إمارته، ومشت الأزد وعليها مسعود الأزدي وربيعة وعليها مالك بن مسمع، فدخل مسعود المسجد الجامع وصعد المنبر، وعبد الله بن الحارث في دار الإمارة. وقد سارت تميم وعليها عبس بن طلق بن ربيعة بن صريم إلى المسجد وقد حدث هناك قتال بين الأزد وتميم ثم أتت تميم مسعودًا وأنزلته من المنبر وقتلته وذلك في أول شوال سنة ٦٤ هـ/ ٦٨٣ م. فانهزم أصحابه فلما علم بذلك عبيد الله بن زياد سار إلى الشام[١].

وهناك رواية أخرى تشير إلى أن عبيد الله استجار بمسعود الأزدي حيث أرسل الأخير معه مائة من الأزد حتى قدم ابن زياد إلى الشام، وقد استخلف عبيد الله على البصرة مسعود الأزدي، فرفضت بنو تميم وقيس هذا الأمر وقالوا لا نولي أمرنا إلا رجلًا نرضاه، فقال مسعود لقد استخلفني عبيد الله وليس لكم إلا الطاعة فجاءت تميم الأحنف بن قيس وشاورته في الأمر، وكانت الخوارج قد بدأت تعبث بالبصرة فنزلوا نهر الأساورة. وقد قيل إن الأحنف بعث إليهم أن الرجل الذي في القصر أي دار الإمارة، هو عدو لكم ولنا، وجاء قسم من الخوارج إلى المسجد الجامع حيث كان يبايع مسعود من كان يأتيه من الناس. فرماه رجل من أهل فارس يسمى مسلم بسهم فقتله فقيل قتلته الخوارج، فسارت الأزد إليهم فتقاتلوا مع الخوارج وطردوهم من البصرة.

ثم قيل للأزد أن تميمًا هي التي قتلت مسعود، فخرجت تميم وعلى رأسها الأحنف بن قيس فالتقى الطرفان الأزد وبني تميم ومن معهم من قيس وقد وقع الكثير من القتلى بينهم ثم أن بني تميم بعد ذلك دفعت دية مسعود[٢]. واعتقد أن الرواية

---

(١) الطبري، تاريخ الرسل، ج ٥، ص ٥٠٣ ـ ٥١٩. ابن الأثير، الكامل، ج ٤، ص ١٢٩ ـ ١٣٦.

(٢) الطبري، تاريخ الرسل، ج ٥، ص ٥٠٥ ـ ٥٢٦. ابن الأثير، الكامل، ج ٤، ص ١٣٦ ـ ١٤٢.

الثانية أقرب إلى الخط العام لمسار التاريخ، لأن عبيد الله بن زياد عرف علل القوم فلما حوصر في البصرة ولم يجد هناك منقذًا له جاء إلى مسعود الأزدي واستخلفه على الإمارة ونجا هو بنفسه، وكان عبيد الله يعلم أن هناك صدامات سوف تقع بين القبائل العربية في البصرة فأراد بذلك أن يصرف أنظارها عن الوضع العام للدولة، وبالتالي لكي لا تكون في ميزان القوى المعادية لمسار الدولة العربية الإسلامية، بل جعلها تعيش في صراع داخلي.

ويعتقد أحد الباحثين أن «الدافع الحقيقي لقتل مسعود إنما هو محاولته فرض نفسه أميرًا على البصرة»[١]. إن عبيد الله بن زياد كان قد أطمع مسعودًا بخلافته على ولاية البصرة، وأنه كان على دراية بأن صراعًا سيقع من بعده لعدم اتفاق القبائل العربية بالبصرة على رجل ترضاه.

ويرى الباحث ذاته أن «مسعودًا كان كارهًا أول الأمر لالتجاء ابن زياد إليه ليقينه أن هذا الأمر سيؤدي حتمًا إلى وقوع الفتنة بين القبائل بالبصرة... علمًا أن مسعودًا اضطر إلى قبول ابن زياد في داره وبسط حمايته عليه»[٢]. ولكن لو تساءلنا لماذا كان مسعود مضطرًا؟ إذا لم يكن ابن زياد قد أطمعه بمنصب الولاية. هذا فضلًا عن احتمال أن عبيد الله بن زياد[٣] أراد من وراء اختياره لمسعود أن يثير القبائل العربية الأخرى على قبيلة الأزد وحلفائها من القبائل، وبذلك يقع الاقتتال بينهم الأمر الذي سيؤول إلى أضعاف الجميع وهذا ما يؤدي إلى تعزيز سيطرة الدولة.

وفي سنة ٥٣ هـ/ ٦٧٢ م تولى عبّاد بن زياد الثقفي إدارة سجستان وبقي فيها حتى وفاة معاوية بن أبي سفيان سنة ٦٠ هـ/ ٦٧٩ م[٤].

وفي سنة ٥٤ هـ/ ٦٧٣ م عزل معاوية سمرة بن جندب عن البصرة وولّاها عبد الله بن عمرو بن غيلان الثقفي[٥]. وولّى معاوية بن أبي سفيان عبد الله الثقفي الكوفة سنة ٥٨ هـ/ ٦٧٧ م[٦].

---

(١) النص، العصبية القبلية، ص ٣١١. (٢) ن.م، ص ٣٠٩.
(٣) عبيد الله بن زياد: قتل سنة ٦٧ هـ. ينظر (ابن قتيبة المعارف، ص ٣٤٧).
(٤) خليفة بن خياط، تاريخ خليفة، ج ١، ص ٢٠٦.
(٥) ن.م، ج١، ص ٢١١. (٦) الطبري، تاريخ الرسل، ج ٥، ص ٣٠٩.

كما ولى معاوية عبد الرحمٰن بن زياد خراسان وذلك في سنة ٥٩ هـ/ ٦٧٨ م. حيث كانت خراسان جزءًا من إدارة أخيه عبيد الله بن زياد الذي كان على البصرة وخراسان[١].

ويشير بعضهم إلى أن عبد الرحمٰن بن زياد ضرب درهمًا وعليه اسمه عندما تولى خراسان من سنة ٥٨ هـ/ ٦٨٠ م وذلك في المدن والسنين التالية آرجان سنة ٥٤ هـ، دار بجرد سنة ٥٤ هـ، نهر تيري سنة ٥٤ هـ[٢]. والذي اعتقده أن ذلك لا يتلاءم مع الحقيقة التاريخية التي تشير إلى أن تولى عبد الرحمٰن ولاية خراسان كان سنة ٥٩ هـ/ ٦٧٨ م، فكيف تسنى له ضرب مثل هذه النقود في تلك الأماكن وفي مثل تلك السنين التي لم يكن قد تولى إمارة هذه المناطقة فيها بعد؟.

وعندما أصبح يزيد بن معاوية خليفة سنة (٦٠ ـ ٦٤ هـ/ ٦٧٩ ـ ٦٨٣ م) ولي سلم بن زياد خراسان وكان من أشهر وأجود بني زياد وفيه قال الشاعر:

عتبت على سلم فلما هجرته وخالطت أقوامًا بكيت على سلم[٣]

وقد قال يزيد لسلم عندما ولاه: «إن أباك كفى أخاه عظيمًا وقد استكفيتك صغيرًا»[٤]. ويبدو لي أن سلمًا كان صغير السن عندما تولى إمارة خراسان. وقد بقي على إمارته هذه حتى وفاه يزيد بن معاوية سنة ٦٤ هـ/ ٦٨٣ م. وتشير النصوص إلى أن أهل خراسان أحبوا سلم بن زياد، ونستطيع أن نتلمس ذلك من أكثر من عشرين ألف شخص من هذه الولاية سموا أولادهم باسم (سلم)[٥]. وهذه دلالة على حسن إدارته وسيرته الحسنة فيهم.

وقد ضرب سلم درهمه في ولاية خراسان وعليه اسمه بالحروف (البهلوية) وعلى الطوق بسمـ الله، وبعضها بسمـ الله العزيز، وذلك في المدن التالية:

أبرشهر سنة ٦٣ هـ/ ٦٤٠ هـ.

مرو سنة ٦٢ هـ، ٦٣ هـ، ٦٤ هـ.

---

(١) ن.م، ج ٥، ص ٣١٥.
(٢) النقشبندي، الدرهم الإسلامي، ج ١، ص ٢٧.
(٣) ابن قتيبة، المعارف، ص ٣٤٨.
(٤) ابن قتيبة، عيون الأخبار، ج ٢، ص ١١٠.
(٥) الطبري، تاريخ الرسل، ج ٥، ص ٥٤٥.

مرو الروذ سنة ٦٣ هـ[١].

وولّى سلم بن زياد أخويه أبا عبيدة على كابل، ويزيد بن زياد على سجستان[٢]. لقد قام أولاد زياد من بعده بالسير على خطى أبيهم في خدمة الدولة العربية الإسلامية واستطاعوا السيطرة على جلّ مناطق الشرق وجعلها تسير في ركب الدولة العربية، كما تم في عهد سلم تدفق القبائل العربية إلى خراسان بموجات كبيرة[٣].

ومن شخصيات ثقيف التي أبلت بلاء حسنًا في مسيرة الدولة العربية الإسلامية الحجاج بن يوسف الثقفي الذي كان معلمًا في الطائف[٤]. وقد كان خطيبًا كذلك[٥] وكان الحجاج يسمى كليب[٦].

وقال مالك بن الريب في الحجاج:

فماذا عسى الحجاج يبلغ جهده     إذا نحنُ جاوزنا حفير زياد
فلولا بنو مروان كان ابن يوسف     كما كان عبدًا من عبيد أياد
زمان هو العبد المقر بذلة     يراوح غلمان القرى ويغادي[٧]

ولا أظن أن الحجاج ارتفع نجمه بواسطة بني مروان لأنه لولا إدارته الناجحة، وسياسته المحنكة، وحزمه الشديد، لما جمع له العراقيين، ولما تولاهما عشرين عامًا.

وقال آخر:

أينسى كليب زمان الهزالِ     وتعليمه سورة الكوثر
رغيف له فلكة ما ترى     وآخر كالقمر الأزهر[٧]

وإذا كان يعلم القرآن فإن ذلك فخر لكل إنسان تعلم شيئًا وعلمه، وإن كان يأخذ عليه أجرًا.

---

(١) النقشبندي، الدرهم الإسلامي، ج ١، ص ٢٧.
(٢) ابن قتيبة، المعارف، ص ٣٤٨.
(٣) حسن، القبائل العربية، ص ١٧٨.
(٤) ابن حبيب، المحبر، ص ٤٧٥.
(٥) الجاحظ، البيان والتبيين، ج ١، ص ٣٤٦.
(٦) ابن قتيبة، المعارف، ص ٥٤٨.
(٧) ن.م، ص ٥٤٨.

ويصور لنا بعضهم الحجاج منذ كان طفلًا إذ ولد مشوهًا وأبى أن يأخذ حليب أمه إلا بعد لعقه للدم وإطلاء وجهه به، ثم بعد ذلك أخذ حليب أمه. فكان بعد ذلك لا يصبر عن سفك الدماء[١]. وهذه الرواية تحتاج إلى مناقشة إذ كيف يعقل أن طفلًا صغيرًا يستسيغ رضاعة الدم إلا إذا أراد مؤرخنا المسعودي البرهنة على كون الحجاج كان يحب الدم منذ كان صغيرًا والذي أرجحه أنها رواية غير صحيحة، لأنها غير منطقية ولا يقبلها المنهج العقلي والنقد التاريخي السليم. لقد كان أول ظهور للحجاج الثقفي في شرطة روح بن زنباع نائب عبد الملك بن مروان على الشام[٢]. ثم بدأ شخصه بالظهور في عالم السياسة والإدارة.

وأول عمل إداري أسند إلى الحجاج كان إدارة تبالة[٣] وقد كره أن يتولاها لأنها لا تتلاءم مع قدراته فرجع عنها وعندئذٍ ضرب بها المثل: أهون من تبالة على الحجاج[٤].

وفي سنة ٧٢ هـ/ ٦٩١ م خرج عبد الملك بن مروان لحرب مصعب بن الزبير الذي كان واليًا من قبل أخيه عبد الله بن الزبير على العراقيين وقد كان الحجاج في جيش عبد الملك حيث قيل كان على مقدمة الجيش وقيل على ساقته[٥]. ومهما يكن من أمر فقد أسهم في هزيمة مصعب.

وفي سنة ٧٣ هـ/ ٦٩٢ م. تولى الحجاج بن يوسف الثقفي إدارة مكة واليمن واليمامة[٦]. وكذلك قيل المدينة المنورة[٧]. وفي سنة ٧٤ هـ/ ٦٩٣ م أعاد الحجاج بناء الكعبة وأرجعها إلى عهدها الأول الذي كانت عليه في عهد الرسول ﷺ[٨]. وبذلك أزال ما أحدثه ابن الزبير فيها.

---

(١) المسعودي، مروج الذهب، ج ٣، ص ١٢٥.
(٢) الزركلي، الأعلام، ج ٢، ص ١٧٥.
(٣) تبالة: هي بلدة مشهورة من أرض تهامة، بين تبالة ومكة اثنان وخمسون فرسخًا. ينظر (ياقوت، معجم البلدان، ج ٢، ص ٩).
(٤) ابن قتيبة، عيون الأخبار، ج ٣، ص ٢٣٣.
(٥) المسعودي، مروج الذهب، ج ٣، ص ١٠٥.
(٦) الطبري، تاريخ الرسل، ج ٦، ص ١٩٤.
(٧) البلاذري، أنساب الأشراف، ج ٥، ص ٣٣٣.
(٨) ابن الأثير، الكامل، ج ٤، ص ٣٦٥.

وفي سنة ٧٥ هـ/ ٦٩٤ م ولي الحجاج الكوفة بعهد من الخليفة عبد الملك بن مروان (٦٥ ـ ٨٦ هـ/ ٦٨٤ ـ ٧٠٥ م) وذلك بعد وفاة واليها بشر بن مروان، وتشير رواية (الطبري) إلى أنه دخل الكوفة في اثني عشر راكبًا على النجائب[١] فتوجه توًا إلى المسجد الجامع فصعد المنبر وقد اجتمع إليه الناس فقال:

أنا ابن جلا وطلّاع الثنايا     متى أضع العمامة تعرفوني[٢]

وقد ألقى خطبة بيّن فيها سياسته العامة في الولاية وهدد وتوعد. «وإني لأرى رؤوسًا قد أينعت وحان قطافها»[٣].

وإن اختياره لولاية الكوفة كونه أصلح رجل لها. «وإن أمير المؤمنين عبد الملك نثر كنانته ثم عجم عيدانها فوجدني أمرها عودًا»[٤]. وإن سياسته يتزامن بها القول مع الفعل. «إني والله لا أعد إلا وفيت»[٥].

وقد طلب من الناس اللحاق بجيش المهلب بن أبي صفرة، وهدد بالقتل من لم يلتحق بعد ثلاثة أيام، فقام إليه عمير بن ضاري التميمي ثم الحنظلي كان شيخًا كبيرًا وطلب من الحجاج أن يرسل بدله ولده. فقال له الحجاج ألست الذي غزا الخليفة عثمان بن عفان رضي الله عنه. فقال بلى، فقال الحجاج للحرس الذي بجانبه اقتله[٦].

وهناك رواية أخرى تشير إلى أن عمير بن ضابيء التميمي جاء إلى الحجاج فقال عنبسة بن سعيد للحجاج أتعرفه؟ قال لا، قال: إنه أحد قتلة الخليفة عثمان بن عفان رضي الله عنه. فأمر الحجاج بقتله، وأمر مناديًا فنادى أن عميرًا جاء بعد ثلاثة أيام من دعوة الأمير الحجاج بالالتحاق بجيش المهلب فأمر بقتله، ألا فإن ذمة الله بريئة ممن بات الليلة[٧]. وأنا أميل إلى هذه الرواية لأن الحجاج أراد بفعله هذا تحقيق أمرين

---

(١) يشير بعض المؤرخين إلى أن الحجاج دخل الكوفة في اثني عشر ألف راكب؟ ينظر (الدويهي، تاريخ المسلمين، مخطوط، ورقة رقم ٢١).
(٢) الطبري، تاريخ الرسل، ج ٦، ص ٢٠٢. (٣) الطبري، تاريخ الرسل، ج ٦، ص ٢٠٣.
(٤) الطبري، تاريخ الرسل، ج ٦، ص ٢٠٣. المسعودي، مروج الذهب، ج ٣، ص ١٢٧.
(٥) الطبري، تاريخ الرسل، ج ٦، ص ٢٠٤. ابن الأثير، الكامل، ج ٤، ص ٣٧٦.
(٦) الطبري، تاريخ الرسل، ج ٦، ص ٢٠٤ ـ ٢٠٧. المسعودي، مروج الذهب ج ٣، ص ١٢٩.
(٧) الطبري، تاريخ الرسل، ج ٦، ص ٢٠٧. المسعودي، مروج الذهب، ج ٣، ص ١٢٩ ـ ١٣٠.

أولهما أنه في اعتقاده قد عاقب من أسهم أو شارك في قتل الخليفة عثمان رضي الله عنه، أما الأمر الآخر فإنه قد أنذر أهل الكوفة بالالتحاق بجيش المهلب ومن لا يفعل يكون مصيره هذا.

«فخرج الناس فازدحموا على الجسر... وقد عبر الجسر تلك الليلة أربعة آلاف... وقال المهلب قدم العراق رجل ذكر»[(١)].

ووصف الحجاج بعضهم بأنه من أعظم بناة الدولة العربية الإسلامية إن لم يكن أكبرهم، لأن همه كان تقوية سلطة الدولة المركزية، وتوسيع رقعتها وذلك بالتوسع بالفتوح[(٢)]. وربما كان في هذا الوصف نوع من المغالاة ولكنه بالتأكيد يعبر عن مكانة الحجاج ومنزلته في تاريخ الدولة العربية الإسلامية في العصر الأموي.

وعند خروج الحجاج إلى البصرة بعد أن ولاه الخليفة عبد الملك أمرة العراقيين سنة ٧٥ هـ/ ٦٩٤ م وزعمت بعض الروايات التاريخية أنه توجه إلى تلك الولاية ومعه ألف رجل من مقاتلة أهل الشام، وأربعة آلاف من أخلاط الناس. وصادف دخوله البصرة يوم الجمعة وفي صلاتها فأمر جماعة أن يقف كل مائة رجل على باب من أبواب المسجد الجامع يحملون السيوف تحت ملابسهم، وقد أمر رجاله أن هم سمعوا الجلبة داخل المسجد الجامع فلا يخرج رجل من المسجد إلا مقتولًا. وكان للمسجد ثمانية عشر بابًا، دخل الحجاج المسجد ومعه مائة رجل وخلفه مائة رجل وفي الوقت المحدد ألقى خطبته بعد أن صعد المنبر وهدد وتوعد بالعذاب والقتل، وشهر سيفه بوجه الناس، فحصبه الناس. فخلع عمامته وكانت هذه إشارته إلى رجاله فحانت ساعة قطف الرقاب وكان مجموع ما قتل في تلك الوقيعة بضعة وسبعين ألفًا[(٣)]. والشيء الذي يستوقفنا هنا هل أن الحجاج ذهب للولاية أم ذهب للقتال؟، ثم كم كانت مساحة المسجد لكي يأخذ كل هذا العدد الهائل من الناس؟ وهل يعقل أن يستفتح رجل ولايته بهذا العدد من القتلى؟ ثم لماذا لم يفعل ذلك في الكوفة التي دخلها ومعه اثنا عشر رجلًا؟

---

(١) الطبري، تاريخ الرسل، ج ٦، ص ٢٠٧، المسعودي، مروج الذهب، ج ٣، ص ١٣١.
(٢) محمد عبد الحي شعبان، الثورة العباسية، ط ١، ترجمة عبد المجيد حسيب القيسي، دار الدراسات الخليجية، (أبو ظبي، ١٩٧٧)، ص ١٣٢.
(٣) ابن قتيبة، الإمامة والسياسة، ج ٢، ص ٣٢ ـ ٣٣.

والحجاج هو القائل «امرؤ أتت عليه ساعة من عمره لم يذكر فيها ربه أو يستغفر من ذنبه. . . لجدير أن تطول حسرته يوم القيامة»[١].

فكيف يهل له أن يتحمل ذنب آلاف من الناس الذين قتلهم دون سبب؟

ووصف الحجاج الدنيا يومًا فقال: «إن الله كتب على الدنيا الفناء وعلى الآخرة البقاء، فلا فناء لما كتب عليه البقاء ولا بقاء لما كتب عليه الفناء»[٢]. ولما كان رأي الحجاج في الدنيا والآخرة هذا، فإنه بالتأكيد كان يضع آخرته نصب عينيه في كل عمل يقوم به.

وهناك رواية أخرى تشير إلى أن الحجاج عندما خرج إلى البصرة استخلف على الكوفة أبا يعفور عروة بن المغيرة بن شعبة الثقفي وعندما وصل إلى البصرة تهدد وتوعد بأهلها وطلب من الناس الخروج إلى المهلب في جيش، فأتاه رجل من بني يشكر وطلب إعفاءه من المشاركة، وأنه لا يريد في سبيل ذلك عطاءه، فلم يقبل الحجاج فقتله، ففزع الناس لذلك وتزاحموا على قنطرة رامهرمز للالتحاق بالمهلب[٣]. وهذه الرواية أقرب إلى القبول من سابقتها، لأن الحجاج في بداية ولايته للبصرة فبالتأكيد لا يريد أن يلوث ولايته بقتل سبعين ألف رجل، أما كونه قتل رجلًا واحدًا فهذا جائز، والسبب الظاهر للناس بأنه امتنع عن الالتحاق بجيش المهلب.

وكانت أول حادثة واجهت الحجاج بالبصرة هي حادثة عبد الله بن الجارود العبدي، حيث امتنع الحجاج عن إعطاء الزيادة التي أقرها ابن الزبير لهم، فرفض ذلك ابن الجارود وصحبه ووقع القتال بين الطرفين وقتل ابن الجارود وجماعة من أصحابه، وكانت هذه الحادثة سنة ٧٥ هـ/ ٦٩٤ م[٤].

وقد وصف الحجاج بأنه كان «مرهوب الجانب لا تأخذه في الحق لومة لائم. . . إنه التاريخ البعيد عن الهوى»[٥]. من هذا نستشف أن الحجاج كان رجل دولة من الطراز الخاص، رجل لا يعرف غير الجد في حياته.

---

(١) المبرد، الكامل في اللغة، ج ١، ص ١٦١.
(٢) المسعودي، مروج الذهب، ج ٣، ص ١٥١.
(٣) الطبري، تاريخ الرسل، ج ٦، ص ٢١٠. (٤) ن.م، ج٦، ص ٢١٠ ـ ٢١١.
(٥) لامنس «مادة الحجاج»، دائرة المعارف الإسلامية.

لقد كان الهدف من ولاية الحجاج على البصرة هو نشر الأمن، وإقرار النظام. وبالتالي إقرار السيطرة الأموية في كافة أنحاء المشرق[١].

وقد وصفت عقول الناس بأنها متشابهة من حيث الذكاء إلا ما كان من الحجاج بن يوسف وإياس بن معاوية[٢] فإن ذكاءهما لا يوصف[٣].

وقام الحجاج بخطوة اقتصادية كبيرة وذلك بضربه الدراهم في سنة ٧٦ هـ/ ٦٩٥ م وتعريبها[٤]. وقيل ضربها في سنة ٧٥ هـ/ ٦٩٤ م[٥]. والأرجح أن سنة ٧٥ هـ/ ٦٩٤ م هي بداية التعريب للنقود لأن الخليفة عبد الملك بن مروان (٦٥ ـ ٨٦ هـ/ ٦٨٤ ـ ٧٠٥ م) ضرب الدنانير وعربها في دمشق سنة ٧٤ هـ/ ٦٩٣ م. وإن ضرب الدراهم في ولاية الحجاج سنة ٧٥ هـ/ ٦٩٤ م ثم عممها على جميع المناطق الخاضعة لإمارته[٦]. وقد ضرب دراهم بغلية كتب عليها بسم الله الحجاج ثم كتب عليها الله أحد الله الصمد[٧].

كما قام الحجاج بخطوة أخرى في ميدان استقلال الدولة وذلك بتعريبه للدواوين حيث كانت تكتب باللغة الفارسية في العراقيين وأقاليم المشرق فأمر صالح بن عبد الرحمن أن يعرب الديوان الذي كان مسؤولًا عنه زاذان فروخ الذي حاول أن يعطي صالحًا مائة ألف درهم على أن يظهر عجزه فرفض ذلك صالح[٨]. وقد تولى الحجاج إدارة العراقيين[٩]. وبذلك يكون الحجاج ثالث وآل ثقفي جمع له العراقيين حيث سبقه إلى ذلك زياد بن عبيد وابنه عبيد الله بن زياد[١٠].

---

(١) صالح أحمد العلي، التنظيمات الاجتماعية والاقتصادية في البصرة في القرن الأول الهجري. ط ١، مطبعة المعارف (بغداد، ١٩٥٣)، ص ١٠٨.

(٢) إياس بن معاوية: قاضي البصرة يضرب به المثل في الفطنة والذكاء. ينظر (شمس الدين أحمد بن محمد بن خلكان، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، ج ١، حققه إحسان عباس، مطبعة الغريب، (بيروت، ١٩٦٨) ص ٢٤٧ ـ ٢٥٠.

(٣) الجاحظ، البيان والتبيين، ج ١، ص ١٠٠.

(٤) ابن قتيبة، المعارف، ص ٣٥٧. (٥) البلاذري، فتوح البلدان، ص ٤٥٣.

(٦) حمدان الكبيسي وعواد الأعظمي، دراسات في تاريخ الاقتصاد العربي الإسلامي، ط ١، (بغداد، ١٩٨٨)، ص ١٤٩.

(٧) البلاذري، فتوح البلدان، ص ٤٥٢.

(٨) ن.م، ص ٢٩٨. الجهشياري، الوزراء والكتاب، ص ٣٨.

(٩) ابن قتيبة، المعارف، ص ٥٧١. (١٠) ن.م، ص ٥٧١.

وفي سنة ٧٧ هـ/ ٦٥٦ م ولي الحجاج أبناء المغيرة بن شعبة الثقفي عندما علم بأنهم رجال يعتمد عليهم حيث ولي عروة الكوفة، ومطرف المدائن، وحمزة على همدان، وكانوا في أعمالهم أحسن الناس[١].

وفي سنة ٧٨ هـ/ ٦٩٧ م ضم الخليفة عبد الملك إلى الحجاج ولاية خراسان وسجستان[٢]. فولى الحجاج في السنة نفسها عبيد الله بن أبي بكرة الثقفي سجستان والمهلب بن أبي صفرة خراسان[٣].

وولّى الحجاج في سنة ٧٩ هـ/ ٦٩٨ م مجاع بن سعد بن مرة بن عبيد مكران، وفي السنة ذاتها ولّى الحجاج هارون بن ذراع النمري ثغر الهند[٤]. وولّى البصرة القاسم بن محمد الثقفي[٥].

وقد كان ولاه الحجاج يهابونه ويخافونه، فعندما عين الحجاج عبيد بن أبي مخارق على الفلوجة فاستعان هذا بدهقان في طلب المشورة منه لأنه كان يخاف الحجاج فقال له الدهقان وهو جميل بن صهيب أيهما أحب إليك، رضا الحجاج، بيت المال، رضا نفسك، فقال له الوالي أحب أن أرضي كل هؤلاء، ولكن أخاف الحجاج لأنه جبار عنيد[٦].

وكان الحجاج حريصًا على أموال الدولة، فقد كسر أهالي أصبهان الخراج ولم يدفعوه، فجاءه ابن عم له أعرابي فولاه أصبهان فعرف هذا كيف يجعلهم يدفعون الخراج فقال الحجاج فيه «أنا معاشر آل محمد ـ يعني جده ـ ولدنا نجيب»[٧]. فهذا هو الحجاج قاسيًا مع عماله الذين يتهاونون في عملهم محبًا للذين يؤدون عملهم بصورة صحيحة.

ووصف الحجاج بأنه كان مهيب الطلعة فصيحًا[٨].

---

(١) ابن الأثير، الكامل، ج ٦، ص ٢٦٠. (٢) الطبري، تاريخ الرسل، ج ٦، ص ٣١٩.
(٣) خليفة بن خياط، تاريخ خليفة، ج ١، ص ٢٧٥.
(٤) ن.م، ج١، ص ٢٧٦ ـ ٢٧٧.
(٥) أبو المعالي أطهر المباركبوري، العقد الثمين، المطبعة الحميدية، (الهند، ١٩٦٨)، ص ١٨١.
(٦) المسعودي، مروج الذهب، ج ٣، ص ١٤٦.
(٧) ن.م، ج٣، ص ١٧٠ ـ ١٧١.
(٨) أبو الفلاح عبد الحي بن العماد الحنبلي، شذرات الذهب، ج ١، المكتبة التجارية، (بيروت، لا.ت)، ص ١٠٦.

«وقد قيل إن الحجاج قد تشبه بزياد فأهلك الناس»[١]. إن ظروف زياد غير ظروف الحجاج التي تولى فيها العراقين. إن الحجاج عندما جاء كانت قد سبقته دعوة عبد الله بن الزبير، وكذلك حركة المختار وكيف عبث الموالي أتباعه في الكوفة، كذلك حركة الزنج قد أخذت شوطًا[٢]. كل ذلك أرهق العراقين ماديًا وبشريًا، فكانت الظروف قاسية، حيث الفتن والاضطرابات وليس من السهولة القضاء على ذلك إلا بالقوة فكانت سياسة الحجاج الشديدة.

وقد قام الحجاج بخطوات اقتصادية مهمة، حيث اهتم بالزراعة[٣]. وكذلك أقام التجارة على قواعد من الطمأنينة والثقة حيث قام بإصلاح نظام الموازين والمكاييل والمقاييس[٤]. وشهدت ولاية الحجاج ظاهرة هجرة بعض الفلاحين للأمصار، وأثرت هذه سلبًا في الإنتاج الزراعي، مما جعل الحجاج يصدر أمرًا بإرجاعهم إلى أراضيهم الأصلية والختم على يد كل واحد منهم اسم قريته ليعاد إليها، وبلا ريب فإن عملية العود قد سببت الكثير من المشاكل للمدن بعد أن استقر هؤلاء بها منذ زمن[٥].

وأسهم الحجاج من جانبه بتوفير بعض لوازم العملية الزراعية حيث جعل من بيت المال بنك تسليف للفلاحين[٦]. وكان يريد من ذلك الإسهام في تطوير الزراعة وبالتالي توفير ظروف معاشيه أفضل للفلاحين.

وكان من إسهام الحجاج في الزراعة أنه منع ذبح البقر لكي يكثر عددها وبالتالي لتسهم في الحراثة والزراعة[٧]. وقالت فيه ليلى الأخيلية[٨] في هذا الجانب:

إذا ورد الحجاج أرضًا مريضة  تتبع أقصى دائها فشفاها

---

(١) ابن قتيبة، عيون الأخبار، ج ٣، ص ٣٢٩.
(٢) محمود الجومرد، الحجاج رجل الدولة المفترى عليه، ط ١، مطبعة الأديب (بغداد، ١٩٥٨)، ص ٦٩.
(٣) لامنس، «مادة الحجاج»، دائرة المعارف الإسلامية.
(٤) بروكلمان، تاريخ الشعوب، ج ١، ص ١٧٧.
(٥) العلي، التنظيمات الاجتماعية، ص ٨٤ ـ ٨٥.
(٦) ن.م، ص ٢٥٤.
(٧) أبو القاسم عبيد الله المعروف بابن خرداذبه، المسالك والممالك، (بريل ١٨٨٩)، ص ١٥. ابن حوقل، صورة الأرض، ق ١، ص ٢٣٤.
(٨) ليلى الأخيلية: ليلى بنت عبد الله بن الرحال شاعرة فصيحة ذكية جميلة. ينظر (محمد بن شاكر بن أحمد الكتبي، فوات الوفيات، ج ٢، حققه محمد محيي الدين عبد الحميد، مطبعة السعادة (مصر، ١٩٥١) ص ٢٨٩ ـ ٢٩١.

شفاها من الداء العضال الذي بها غلام إذا هز القناة سقاها[١] وفي ولاية الحجاج تم حفر أحد الأنهر في الأنبار[٢].

وذكر البلاذري أن الحجاج جبى السواد أربعين ألف ألف درهم[٣]. في حين ذكر الماوردي أن جباية السواد في ولاية الحجاج بلغت مائة ألف ألف وثمانية عشر ألف ألف درهم[٤]. وبالتأكيد أن الحروب التي خاضها الحجاج والمشاكل الداخلية التي أثيرت إبان ولايته، قد أثرت تأثيرًا مباشرًا على ذلك من حيث أن قسمًا كبيرًا من الفلاحين قد ترك أرضه حيث أسهم مع الحجاج أو ضده، وبالتالي أن تجهيز الجيوش كان يتطلب الكثير من الأموال، كل ذلك أسهم في إرباك جباية السواد.

ولدينا عدة روايات أشارت إلى بناء الحجاج لمدينة واسط أحدها ذكرت أن البناء كان سنة ٧٥ هـ/ ٦٩٤ م وأخرى سنة ٧٨ هـ/ ٦٩٧ م وأخرى سنة ٨٣ هـ/ ٧٠٢ م وأخرى سنة ٨٤ هـ/ ٧٠٣ م[٥] وأخرى سنة ٨٤ هـ/ ٧٠٣ م. وقد انتهى منها سنة ٨٦ هـ/ ٧٠٥ م، وقد أنفق عليها من الأموال ما يعادل خراج العراق لمدة خمس سنوات[٦].

والرأي الأرجح أنه قد أسسها سنة ٨٣ هـ/ ٧٠٢ م، وذلك بعد استقرار الأوضاع الداخلية في العراق. وكذلك استقرار أوضاع الدولة العامة.

وواسط هي بين البصرة والكوفة[٧]. وقد بنى فيها مسجدها وقصرها وقبة الخضراء[٨]. وقد وصفت «واسط بأنها جنة بين حماة وكنة تحسد أنها ودجلة والزاب

---

(١) ابن عبد ربه، العقد الفريد، ج ١، ص ٢٥١. أبو حيان التوحيدي، البصائر والذخائر، ص ٧٩.

(٢) البلاذري، فتوح البلدان، ص ٢٧٣ ـ ٢٧٤.

(٣) ن.م، ص ٢٧٠.

(٤) أبو الحسن علي بن محمد الماوردي، الأحكام السلطانية والولايات الدينية المطبعة المحمودية، (مصر، لا.ت)، ص ١٦٩.

(٥) أسلم بن سهل الرزاز المعروف ببحشل، تاريخ واسط، ط ١، تحقيق كوركيس عواد، دار المعارف، (بغداد، ١٩٦٧)، ص ٢٢.

(٦) بحشل، تاريخ واسط، ص ٢٢.

(٧) علي بن عيسى، مخطوط عجائب البلدان والجبال والأحجار، جامعة بغداد، مكتبة كلية الأداب، الدراسات العليا، تحت رقم ١٤، ورقة رقم ٨٢.

(٨) البلاذري، فتوح البلدان، ص ٢٨٨.

يتباريان عليها»[١]. ويوحي إلينا هذا الوصف طبيعة المكان الذي اختير لبناء واسط من طبيعة تربتها وكذلك توفر المياه.

ونقل إليها الحجاج الكثير من الناس[٢].

ويرى بعضهم أن هناك أسبابًا مهمة جعلت الحجاج يشرع ببناء واسط منها الجانب العسكري والسياسي والاقتصادي والطبيعي الصحي[٣]. وقد شق فيها الحجاج الأنهار وزرع الأشجار، وعمل على جعلها أجمل وأحسن من مدينتي الكوفة والبصرة[٤]. ولكنها لم تصمد أمام تطور الحياة فقل دورها ونشاطها لأنها كانت مدينة أمير.

والحجاج أول من أجرى في النهر نوعًا من السفن المقيرة والمسمرة، وهو أول من عمل المحامل للحج[٥].

المهم أن الحجاج استطاع أن يؤدي دوره على أكمل صورة وكان الخليفة عبد الملك معجبًا به حتى سمّى أحد أولاده باسم الحجاج وقال:

سميت الحجاج بالحجاج

بالناصح المغاور الرماح

نصحًا لعمري غيرني مزاح[٦].

ومن هنا يتضح أن الحجاج حصل على ثقة الخليفة عبد الملك وذلك لحسن إدارته وتصرفه في كافة الأمور التي أسندت إليه.

وقيل لرتبيل عن سبب إعطائه الحجاج الأتاوة ولم يعطها لغيره من الولاة فقال: «كان الحجاج رجلًا لا ينظر فيما أنفق إذا ظفر ببغيته، ولو لم يرجع إليه درهم وأنتم لا تنفقون درهمًا إلا إذا طمعتم في أن يرجع إليكم مكانه عشرة»[٧].

---

(١) ابن الفقيه، مختصر كتاب البلدان، ص ٩٣.
(٢) محمد ضياء الدين الريس، الخراج والنظم المالية للدولة الإسلامية، ط ٢، مطبعة لجنة البيان العربي (القاهرة، ١٩٦١)، ص ٢٢١.
(٣) عبد القادر سلمان المعاضيدي، واسط في العهد الأموي، ط ١، دار الحرية (بغداد، ١٩٧٦)، ص ١٠٣ ـ ١١٠.
(٤) المعاضيدي، واسط، ص ١١١.
(٥) الجومرد، الحجاج رجل الدولة، ص ١٨٢ ـ ١٨٣.
(٦) البلاذري، أنساب الأشراف، ج ١١، ص ١٥٥.
(٧) البلاذري، فتوح البلدان، ص ٣٩٢.

إن الحجاج لم يستغل منصبه ليقتني المال والأثاث والعقار، على الرغم من سيطرته على منطقة واسعة دام حكمه فيها عشرين سنة وكانت كثيرة الخيرات[١].

وقال عنه الوليد بن عبد الملك (٨٦ ـ ٩٦ هـ/ ٧٠٥ ـ ٧١٤ م) «أن الخليفة عبد الملك قد وصف الحجاج بأنه جلدة ما بين عيني وأنفي وأنا أقول إنه جلدة وجهي كله»[٢].

وزعم أن الحجاج قتل مليون شخص خلال فترة حكمه[٣]. وهل يعقل هذا الرقم الكبير من القتلى! ثم هل جاء الحجاج لكي يقتل ويذبح الناس أم جاء للإدارة والإعمار. ويذكر المسعودي رقمًا آخر مغايرًا للرقم السابق حيث يعتقد أن الحجاج قتل ١٢٠ ألفًا، ويصف سجن الحجاج بأنه لم يكن له سترًا، وكان هذا السجن لا يقي الناس لا من الحر والبرد[٤]؟ وكيف لنا أن نصدق هذا، وكيف يصف سجن الحجاج هل رآه هو أم نقل إليه الخبر فنقله إلينا دون أن يعلق عليه.

ونقل لنا المسعودي رواية رفعها إلى أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنها أنها سمعت الرسول ﷺ يقول: «إنه يخرج من ثقيف كذاب ومبير. فأما الكذاب فهو المختار بن عبيد الثقفي، وأما المبير فما أظنك إلا هو»[٥]. فهل كان الحجاج مبيرًا فعلًا أم أن الظروف التي أحاطت به جعلت حقبة من حكمه بها نوع من الشدة والحزم، ثم لا ننسى بأنه كان عاملًا للدولة فعليه أن يقوم بواجبه بالشكل المطلوب، ومن يستطيع أن يجزم أن هذا الحديث للرسول ﷺ كان المقصود به الحجاج.

وقد أوصى الخليفة عبد الملك عند وفاته سنة ٨٦ هـ/ ٧٠٥ م. بالحجاج حيث أوصى بنيه «أكرموا الحجاج فإنه الذي وطأكم المنابر ودوخ لكم البلاد وأذل الأعداء»[٦]. وهذا اعتراف صريح من عبد الملك بفضل الحجاج على الدولة العربية الإسلامية.

---

(١) الجومرد، الحجاج، ص ٨٦.
(٢) ابن عبد ربه، العقد الفريد، ج ٥، ص ٣٣٦.
(٣) الثعالبي، لطائف المعارف، ص ١٤١.
(٤) المسعودي، التنبيه والأشراف، لا.ط، بيروت ١٩٦٥، ص ٣١٨.
(٥) المسعودي، مروج الذهب، ج ٣، ص ١١٥.
(٦) ابن الأثير، الكامل، ج ٤، ص ٥١٨.

وقد قال عنه الخليفة العباسي المنصور (١٣٦ ـ ١٥٨ هـ/ ٧٥٣ ـ ٧٧٤ م) «أن الخلفاء ثلاثة معاوية وكفاه زياد وعبد الملك وكفاه الحجاج وأنا ولا كافي له»[١].

وفي سنة ٨٣ هـ/ ٧٠٢ م ولى محمد بن القاسم الثقفي فارس[٢]، وقد قام هذا ببناء شيراز وتعد قصبة إقليم فارس[٣]. وأظن أن هذا العمل كاف أن يخلد هذا الرجل إلى جانب فتوحاته في أرض السند والبنجاب[٤].

وولي أبو العلاء بن يزيد بن أبي مسلم دينار الثقفي مولاهم الذي كان كاتبًا للحجاج وكان فيه همه لكل أمر حيث تولى خراج العراقين سنة ٩٥ هـ/ ٧١٣ م[٥]. وقال فيه الخليفة الوليد بن عبد الملك (٨٦ ـ ٩٦ هـ/ ٧٠٥ ـ ٧١٤ م) «مثلي ومثل الحجاج وابن أبي مسلم كرجل ضاع منه درهم فوجد دينارًا»[٦]. وولاه يزيد بن عبد الملك (١٠١ ـ ١٠٥ هـ/ ٧١٩ ـ ٧٢٣ م) إفريقية ومكث بها إلى حين مقتله سنة ١٠٢ هـ/ ٧٢٠ م[٧].

وتولى محمد بن يوسف الثقفي اليمن، وقد أساء معاملة الرعية وسيطر على أراضيهم وفرض على أهل اليمن خراجًا جعله كوظيفة عليهم[٨]، وكانت ولايته في خلافة عبد الملك بن مروان (٦٥ ـ ٨٦ هـ/ ٦٨٤ ـ ٧٠٥ م) وقد توفي باليمن[٩]. وذلك سنة ٩١ هـ/ ٧٠٩ م[١٠]. إلا أن هذه الزيادة في الضريبة رفعت عن سكان اليمن في خلافة عمر بن عبد العزيز (٩٩ ـ ١٠١ هـ/ ٧١٧ ـ ٧١٩ م).

وأسهم الثقفيون في الشؤون الإدارية في بلاد الأندلس، ففي خلافة سليمان بن عبد الملك (٩٦ ـ ٩٩ هـ/ ٧١٤ ـ ٧١٧ م) ولي الحر بن عبد الرحمٰن الثقفي الأندلس

---

(١) اليعقوبي، تاريخ، ج ٢، ص ٣٨٧.
(٢) خليفة بن خياط، تاريخ، ج ١، ص ٢٨٩.
(٣) ياقوت معجم البلدان، ج ٣، ص ٣٨٠.
(٤) البنجاب: حول فتح السند والبنجاب. ينظر (السامرائي، إقليم السند والبنجاب، ص ٨٨ ـ ١١٩).
(٥) ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج ٦، ص ٣٠٩.
(٦) ن.م، ج ٦، ص ٣٠٩.
(٧) الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج ٤، ط ١، تحقيق شعيب الأرنؤوط ومأمون الصاغرجي، مؤسسة الرسالة، (السعودية، ١٩٨١)، ص ٥٩٣ ـ ٥٩٤.
(٨) البلاذري، فتوح البلدان، ص ٨٤.
(٩) ابن قتيبة، المعارف، ص ٣٩٦.
(١٠) ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج ٢، ص ٥٤.

وذلك في سنة ٩٨ هـ/ ٧١٦ م ووفد الأندلس ومعه أربعمائة رجل من رجالات إفريقية، وبقي في الولاية سنتين وثمانية أشهر وبعدئذٍ استبد له الخليفة عمر بن عبد العزيز (٩٩ ـ ١٠١ هـ/ ٧١٧ ـ ٧١٩ م) بالسمح بن مالك الخولاني[١]. وكان أمر ولاية الحر الثقفي على الأندلس صادرًا من قبل والي إفريقية محمد بن يزيد[٢]، وكانت أول مشكلة واجهها قضية مقتل عبد الله والي المغرب وعبد العزيز والي الأندلس وهما أبناء موسى بن نصير[٣].

وثمة ثقفي آخر تولى أمورًا إدارية في اليمن هو يوسف بن عمر الثقفي، الذي أحسن السيرة، وصان الحدود، وأقام العدل الأمر الذي جعل الخليفة هشام بن عبد الملك (١٠٥ ـ ١٢٥ هـ/ ٧٢٣ ـ ٧٤٢ م)، يختاره لولاية أكثر أهمية فكتب له بولاية العراقين وذلك في سنة ١٢٠ هـ/ ٧٣٧ م. سار يوسف واستخلف ابنه الصلت بن يوسف على اليمن[٤].

وبعد يوسف بن عمر الثقفي رابع والٍ يتولى إدارة العراقين معًا[٥]. وكان يتولى العراقين قبل يوسف الثقفي خالد بن عبد الله القسري حيث تولى سنة ١٠٥ هـ/ ٧٢٣ م ويعود سبب عزل خالد القسري عن العراقين لأنه كان في ذمته للخلافة ٣٦ ألف ألف درهم فلما جاء يوسف الثقفي قبض عليه وطالبه بدفع المال الذي بذمته فقام أصحابه الدهاقون وتكفلوا بدفع المال على أن يطلق سراحه فوافق على ذلك الوالي يوسف الثقفي[٦].

وتشير رواية أخرى إلى أن الخليفة هشام اعتقد أن لخالد القسري بالعراق أموالًا وقد حفر أنهارًا وقد بلغت غلته ٢٠ ألف ألف درهم. ومن الأنهار التي حفرها خالد نهر باسمه كان يغل ٥ آلاف ألف درهم، وكان خالد يقول مظلوم ما تحت قدمي من شيء إلا وهو لي وقد كتب خالد إلى الخليفة هشام كتابًا أغاظه فيه، فرد عليه هشام

(١) ابن عذاري المراكشي، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، ج ١ ط ١، تحقيق ج. س. كولان وإلفي بروفنسال، دار الثقافة، (بيروت، ١٩٦٧)، ص ٤٧. خالد الصوفي، تاريخ العرب في الأندلس، ط ١، دار النجاح (بيروت، ١٩٧١)، ص ٢٠٧.
(٢) ابن عذاري، البيان المغرب، ص ٤٧. الصوفي، ص ٢٠٧.
(٣) خالد الصوفي، ص ٢٠٧. فروخ، تاريخ صدر الإسلام، ص ١٦٨.
(٤) خليفة بن خياط، تاريخ، ج ٢، ص ٣٧٣.
(٥) ابن قتيبة، المعارف، ص ٥٧١.
(٦) اليعقوبي، تاريخ، ج ٢، ص ٣٢٣.

بكتاب عنفه فيه وذكر في الكتاب «كيف لا تكون ولاية العراقين شرفًا لك، وأنت من قبيلة بجيلة القليلة الذليلة»[١].

وأظن أن الرواية الثانية أقرب إلى الصحة لأن الخليفة وجد سببًا مهمًا في عزل خالد القسري عن العراقين بعد أن أصبح غير جدير بولايتهما.

كان يوسف بن عمر الثقفي شديدًا في تعامله الإداري، حيث تعامل بقسوة مع الطباعين وأصحاب العيار الذين يقومون بضرب النقود، فقطع الأيدي، فكانت النقود اليوسفية من أجود نقود بني أمية حيث أن الخليفة المنصور لم يكن يقبل الخراج إلا من النقود اليوسفية[٢] والهبيرية والخالدية[٣].

وتشير بعض النصوص إلى أن الوالي يوسف الثقفي وزن يومًا درهمًا فوجده ينقص حبة فضرب كل عامل ١٠٠٠ سوط من العمال الذين أسهموا في ضربه. وكان عدد العمال ١٠٠ عامل، فضرب في نقص حبة (١٠٠,٠٠٠) مائة ألف سوط[٤]. وهذا يدل على اهتمامه بمراقبة شؤون الولاية الإدارية والاقتصادية والمالية. وبالتأكيد فإن حزمه هذا قد يؤدي بالآخرين إلى عدم الانزلاق إلى الخطأ.

ويشير بعضهم إلى أنه لما ولي يوسف بن عمر الثقفي العراقين كان الإسلام ذليلًا، والحكم فيه إلى أهل الذمة[٥]. أما كون الإسلام ذليلًا فهذا غير صحيح لأن الإسلام لم يكن يومًا هكذا، لا كدين ولا دولة، لأنه ما أن تخبو جذوة الإسلام في هذا المكان حتى تبدأ وهاجه في مكان آخر من المعمورة وهذه من مميزات الحضارة العربية الإسلامية أما إذا كان يقصد بأن الدهاقين قد سيطروا على مقاليد السلطة والأمور في ولاية خالد القسري[٦]. فهذا جائز لأنهم تمكنوا في البلاد وأصبحت لهم منزلة كبيرة.

---

(١) الطبري، تاريخ الرسل، ج ٧، ص ١٤٦ ـ ١٥٢.
(٢) النقود اليوسفية والهبيرية والخالدية سميت بهذه الأسماء نسبة إلى ولاة العراق وهم يوسف بن عمر الثقفي وعمر بن هبيرة، وخالد بن عبد الله القسري. ينظر (المقريزي، شذور العقود في ذكر النقود، المطبعة الحيدرية، (النجف، لا.ت) ص ١٠ ـ ١١.
(٣) البلاذري، فتوح، ص ٤٥٤.
(٤) ابن الأثير، الكامل، ج ٤، ص ٤١٧.
(٥) ابن الأثير، الكامل، ج ٥، ص ٢٢٥.
(٦) اليعقوبي، تاريخ، ج ٢، ص ٣٢٣.

وقد واجه يوسف بن عمر الثقفي في ولايته للعراقين حركة قوية قام بها زيد بن علي سنة ١٢١ هـ/٧٣٨ م، حيث ادعى يزيد بن خالد القسري أن له أموالًا عند زيد بن علي، ومحمد بن عمر بن علي أبي طالب وداود بن علي بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب، وإبراهيم بن سعد بن عبد الرحمٰن بن عوف، وأيوب بن سلمة بن عبد الله بن الوليد بن المغيرة المخزومي، فكتب فيهم يوسف بن عمر إلى الخليفة هشام فدعاهم الخليفة إليه، وكلمهم فيما ادعى عليهم يزيد. فأنكروا ذلك، فبعثهم الخليفة إلى يوسف ليجمعهم مع يزيد، وكتب إليه كتابًا طلب فيه الجمع بينهم وبين يزيد فإن اعترفوا فيردهم إليه، وإن أنكروا فيطلب بينة من يزيد. فإن لم تجد عنده بينة فعليهم أن يقسموا بالله أنه لم يستودعهم شيئًا. فجاؤوا إلى يوسف بن عمر وسألهم عن المال فأنكروا ذلك، فطلب من يزيد مواجهتهم فلما رآهم أنكر أن يكون له في ذمتهم مالًا فغضب لذلك يوسف، فعذبه أشد العذاب، ثم أن يوسف استحلفهم وأفرج عنهم جميعًا، وأقام زيد بن علي بالكوفة، وقام إليه نفر من الناس يحثونه على الخروج وعصيان أمر بني أمية، وكان يوسف بن عمر يتابع كل حركاته ويرصدها، وطلب منه مرارًا الخروج من الكوفة وكان يتعلل بهذا السبب أو ذاك وقد اشتد عوده بعد أن وجد من يشجعه على ذلك، وكان يوسف في الحيرة وحاول زيد بن علي أن يجمع حوله الناس فأرسل إلى أهل السواد وأهل الموصل. واستعد للخروج مع أصحابه فانطلق سليمان بن سراقة البارقي إلى يوسف وأخبره خبره، فاستطاع يوسف أن يعرف موعد خروج زيد وقد أخاف هذا زيد فتعجل بخروجه مع جماعته في صفر سنة ١٢٢ هـ/ ٧٣٩ م. وكان شعاره بامنصور أمت أمت بامنصور. ولم يكن مع زيد عند خروجه إلا (٢١٨) رجلًا، وقد استطاع يوسف الثقفي من إخماد هذه الحركة الداخلية حيث قتل زيد بن علي[1].

وهناك رواية أخرى تشير إلى أن زيدًا كان يريد الخلافة لنفسه، ويرى أنه أهل لذلك. وكان دائمًا يردد ذلك على لسانه. وتشترك هذه الرواية مع الرواية السابقة في مسألة الوديعة وكيف جاء إلى الكوفة والتف حوله الناس، ولكن الذي يثير الانتباه في هذه الرواية هي أن أهل المدائن والبصرة وواسط والموصل وأهل خراسان والري

---

(١) الطبري، تاريخ الرسل، ج ٧، ص ١٦٠ ـ ١٨٦. ابن الأثير، الكامل، ج ٥، ص ٢٣٠ ـ ٢٤٦.

وجرجان والجزيرة كلهم كانوا قد أقاموا بالكوفة شهورًا، وقد أعد له يوسف بن عمر الثقفي العدة، ومن ثم التقى الفريقان وانهزم أصحاب زيد بعد مقتله[١].

وأعتقد أن الرواية الأولى جديرة بالقبول، لأن الحكم الأموي قد استقر بعد إخماد الحركات المناهضة له. كذلك أنه ليس من المعقول أن يوسف بن عمر يترك زيدًا يجمع الجموع ومن ثم يخرج عليه دون أن يكون له رد فعل.

والسؤال الذي يثار هنا هو لو لم يكن موضوع يزيد بن خالد القسري وادعاؤه للمال المودع لدى زيد بن علي، هل كان هذا يأتي إلى الكوفة، ويحاول إرباك أمنها الداخلي... أي أنه كان على استعداد للقيام بحركته قبل قدومه إلى الكوفة، أم أن هذا الشعور تولد بعد مجيئه للكوفة؟ وواجه يوسف بن عمر الثقفي حركة أخرى هي حركة المنصورية وهم اتباع أبو منصور العجلي الذي ألحد في دعواه وادعى أنه عرج به إلى السماء، وقد وقف يوسف الثقفي على دعوته وإبعادها فقتله[٢].

واستمر يوسف بن عمر طيلة خلافة هشام على العراقين، وفي خلافة الوليد بن يزيد (١٢٥ ـ ١٢٦ هـ/ ٧٤٢ ـ ٧٤٣ م) أقره على العراقين أيضًا[٣].

ويشير الطبري إلى أن الخليفة الوليد بن يزيد عزله عن العراقين وولاه المدينة ومكة والطائف[٤]. وفي اعتقادي أن هذا صحيح، لأن الوليد بعد خلافته هم أن يعزله عن العراقين فقدم له يوسف[٥] أموالًا عظيمة[٦]. وقد تولى إدارة العراقين بعد عزل يوسف منصور بن جهور وذلك في سنة ١٢٦ هـ/ ٧٤٣ م[٧].

وفي خلافة هشام (١٠٥ ـ ١٢٥ هـ/ ٧٢٣ ـ ٧٤٢ م) قتل الحكم بن عوانة أمير السند، فتولى إمارتها عمرو بن محمد الثقفي بإشارة من يوسف بن عمر بعد أن كتب

---

(١) ابن الطقطقي، الفخري في الآداب، ص ١٣٢ ـ ١٣٣.
(٢) بلات، الجاحظ في البصرة، ص ٢٨٣.
(٣) ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج ٧، ص ١٠٩.
(٤) الطبري، تاريخ الرسل، ج ٧، ص ٢٢٦ ـ ٢٢٧.
(٥) يوسف بن عمر الثقفي: قتل في خلافة مروان بن محمد (١٢٧ ـ ١٣٢ هـ) حيث كان مسجونًا قتله يزيد بن خالد القسري بعد أن أعطى أمره إلى مولى أبيه أبي الأسد. ينظر (ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج ٧، ص ١١١).
(٦) الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج ٥، تحقيق شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة (السعودية، ١٩٨١)، ص ٤٤٣.
(٧) الطبري، تاريخ الرسل، ج ٧، ص ٢٧٠.

إلى الخليفة هشام بذلك وقد بنى عمرو مدينة دون البحيرة أطلق عليها اسم المنصورة[١]. وشارك أخوه عمرو بن محمد الثقفي وهم القاسم ويوسف في الحياة السياسية والإدارية للدولة العربية الإسلامية في العصر الأموي[٢].

## أثر الثقفيين في إخماد الحركات المعارضة للدولة العربية الإسلامية

أسهم الثقفيون إسهامًا فاعلًا في إخماد بعض الحركات التي ناهضت الدولة العربية الإسلامية سياسيًا وفكريًا وحاولوا الحد من تأثيراتها السلبية تجاه الدولة العربية وسيادتها وأمنها، وأننا في استعراضنا لهذا الموضوع سوف لن نقف عند بعضها لأنها كانت قد استعرضت من قبل باحثين آخرين لكننا سوف نتطرق إليها لنبين إسهامات الثقفيين في القضاء عليها، وأن لكل حركة من هذه الحركات أهدافًا ومبادىء معلنة لكي تستقطب حولها أكبر عدد ممكن من الناس، وبالتالي فإن لبعض هذه الحركات أهدافًا غير معلنة - سرية - ربما تكون شخصية أو سياسية أو اقتصادية أو اجتماعية، تفصح عنها بعد السيطرة على مقاليد السلطة تعمل جاهدة على تحقيقها. وفي هذه الحالة قد تتخلى عن كل أو بعض أهدافها المعلنة عند تسلمها زمام السلطة. وضمن إطار بحثنا سوف لن نخوض في هذا الجانب بشكل عميق لأن ذلك قد يبعدنا عن مضمون رسالتنا هذه وأهدافها التي تركز على أثر الثقفيين في القضاء على الحركات المناهضة للدولة العربية الإسلامية حصرًا.

كان أول ظهور للخوارج في أربعين رجلًا وكان من رؤسائهم نافع بن الأزرق وعطية بن الأسود، وكان على البصرة في ذلك الوقت عبيد الله بن زياد الثقفي[٣].

وقد اشتد عليهم عبيد الله سنة ٥٨ هـ/ ٦٧٧ م. فقتل بعضهم، منهم عروة بن أدية أخو أبي بلال مرداس بن أدية[٤]. وقد أرسل إليهم عبيد الله الثقفي أسلم بن ربيعة في ألفي فارس فلحق بهم في قرية أسك من الأحواز فوقع بينهم قتال شديد وقتل فيه خمسون من أصحاب أسلم، فلما علم بذلك عبيد اغتاظ فقتل كل من اتهم برأي الخوارج فبلغ من قتلهم بالتهمة والظنة (٩٠٠) رجل على حد رواية

(١) اليعقوبي، تاريخ، ج ٢، ص ٣٢٤. (المنصورة): مدينة بأرض السند وهي مدينة كبيرة كثيرة الخيرات، ينظر (ياقوت، معجم البلدان، ج ٥، ص ٢١١).
(٢) المعاضيدي، البطل العربي محمد بن القاسم الثقفي، بحث غير منشور.
(٣) الدينوري، الأخبار الطوال، ص ٢٦٩. (٤) ابن الأثير، الكامل، ج ٣، ص ٥١٧.

«الدينوري»[١]. ويبدو أن هذا الرقم مبالغ فيه علمًا أن البصرة كانت تمر بظروف داخلية صعبة خاصة وأن نوعًا من الصراع القبلي كان قد تأجج بين سكانها.

ثم ولّى عبد الله الثقفي المهلب بن أبي صفرة قتال الخوارج[٢]. وعندما فرّ عبيد الله بن زياد الثقفي من البصرة خاف سكانها انفراد الخوارج فأمروا عليهم مسلم بن عبيس القرشي، ووجهوا معه (٥) آلاف فارس لحرب الخوارج، فلحق بهم بمكان يسمى الدولاب، فدارت بين الطرفين معركة قوية قتل من جراها مسلم بن عبيس وفر أصحابه، فأمر أهل البصرة عليهم عثمان بن معمر القرشي وتقدم هذا ومعه (١٠) آلاف فاقتتل الطرفان قتالًا شديدًا فقتل عثمان وانهزم أصحابه[٣]. وهذا يقودنا إلى الاعتقاد أن عدد الذين انضموا إلى الخوارج كبير. وبالتالي فإنهم لم ينضموا عن إيمان بعقيدة الخوارج وإنما الذي اعتقده أن بعضهم كانوا خارجين عن السلطة، دفعتهم ظروفهم الخاصة إلى الانضمام إلى الخوارج فليس من المعقول أن يزداد عددهم بهذه السرعة، إلا إذا كانت هناك عوامل خارجية ساعدت على ازدياد عددهم.

وكتب أهل البصرة إلى عبد الله بن الزبير يسألونه أن يوجه إليهم إمامًا فندب إليهم الحارث بن عبد الله بن أبي ربيعة، فشاور هذا أهل البصرة في من يتولى حرب الخوارج، فأشاروا عليه بالمهلب بن أبي صفرة. وقد كتب الحارث بن عبد الله إلى عبد الله بن الزبير بأن يكتب إلى المهلب بن أبي صفرة ليوليه حرب الخوارج ففعل. وعندما أوكلت هذه المهمة إلى المهلب انتخب عشرين ألف رجل من أهل البصرة وسار إلى الخوارج وجاءهم إلى نهر تستر فهزمهم ولحق بهم بالأحواز وقتل رئيسهم نافع بن الأزرق، وسار الخوارج إلى فارس ووراءهم المهلب وولّى عليهم عبد الله بن ماحور فالتقوا بمدينة سابور وانهزم الخوارج إلى منطقة كركان[٤] فاتبعهم المهلب حتى أخرجهم من كرمان، وكان يلاحقهم طيلة حياة عبد الله بن الزبير[٥].

---

(١) الدينوري، الأخبار الطوال، ص ٢٦٩ ـ ٢٧٠.
(٢) محمد البشبيشي، الفرق الإسلامية، ط ١، المطبعة الرحمانية، مصر، ١٩٣٢)، ص ٤٢.
(٣) الدينوري، الأخبار الطوال، ص ٢٧٠.
(٤) كركان: مدينة مشهورة تقع بين طبرستان وخراسان. ينظر (ياقوت، معجم البلدان، ج ٤، ص ٤٥٢).
(٥) الدينوري، الأخبار الطوال، ص ٢٧٠ ـ ٢٧٥.

وعندما تولى الخلافة عبد الملك بن مروان سنة (٦٥ ـ ٨٦ هـ/ ٦٨٤ ـ ٧٠٥ م) وولّى العراقين للحجاج بن يوسف الثقفي، عمل هذا جاهدًا على ملاحقة الأزارقة في كل حدب وصوب، وولّى تلك المهمة المهلب بن أبي صفرة وعبد الرحمٰن بن مخنف فقتل هذا أثناء اصطدامه بالخوارج فقال فيه الشاعر:

ثوى سيد الأزدين أزد شنوءة وازدِ عمان رهن رمسٍ بكازر

وضاربَ حتى مَات أكرم ميتةٍ بأبيض صاف كالعقيقةِ باترِ

وقد تولى المهلب مقاتلتهم بسابور سنة تقريبًا[1]. فكان صاعقة عليهم وعندئذٍ صارت له المنزلة العليا عند بني أمية[2].

حاول الحجاج أن يجلب الخوارج إلى صفه لكي لا يراق مزيد من الدم فضلًا عن هدر الأموال. وحاول في رسالة موجهة إلى قطري بن الفجاءة أن يبين له أن خروجه لم يكن لأسباب عقائدية حسب وإنما لأسباب اقتصادية فقال. «فأنت مرقت من الدين مروق السهم من الرمية وقد علمت حيث تجرثمت وذاك أنك عاصي لله ولولاة أمره... خرجت لتنال شبعة فلحق بك طغام صلوا بمثل ما صليت به من العيش»[3].

وقد بقي قطري بن الفجاءة يقاتل عشرين سنة. وكان يسلم عليه بالخلافة[4]. وضرب سنة ٧٥ هـ/ ٦٩٤ م نقودًا في مدينة زرنج[5] في إقليم سجستان[6]. من هذا يتبين لنا أن قطري بن الفجاءة استغل مذهب الخوارج وعقائدهم ووظفها لخدمة أغراضه الشخصية وإلا ماذا نفسر ادعاءه الخلافة؟

ولكن سرعان ما وقع الخلاف بين الخوارج وذلك سنة ٧٧ هـ/ ٦٩٦ م، فانقسموا إلى قسمين قسم ذهب مع عبد ربه الكبير، أما البقية فأخذوا جانب قطري بن

---

(١) الطبري، تاريخ الرسل، ج ٦، ص ٢١١ ـ ٢١٥. ابن الأثير، الكامل، ج ٤، ص ٣٨٨ ـ ٣٩٠.

(٢) البشبيشي، الفرق الإسلامية، ص ٤٢.

(٣) الجاحظ، البيان والتبيين، ج ٢، ص ٣١٠.

(٤) ابن قتيبة، المعارف، ص ٤١١.

(٥) زرنج: عاصمة إقليم سجستان، ويجري في وسطها نهر الهند مند. ينظر (اليعقوبي، البلدان، ط ٣، المطبعة الحيدرية (النجف، ١٩٥٧)، ص ٤٥.

(٦) Cliford Edumund Bosworth, Sistan Under The Arabs From the Islamic Conquest to the rise of Saffarids, 30- 250- 661- 864, (Rome, 1968) p.76.

الفجاءة، وقد قاتلهم المهلب فأخرجهم من فارس كلها. وأرسل الحجاج إلى المهلب البراء بن قبيصة وكتب معه كتابًا إلى المهلب يطلب فيه العجل في استئصالهم فأخرج المهلب أولاده على رؤوس الكتائب، وخرج الناس معهم في راياتهم والبراء ينظر إليهم حيث اصطدم الرجال بالرجال والكتائب تحمل الواحدة على الأخرى وظلوا كذلك إلى منتصف النهار فجاء إلى المهلب البراء فمدح بنيه ورجاله وقال له أنك المعذور في المطاولة ثم عاد البراء إلى الحجاج وقص له ما رأى من قتال المهلب للخوارج وأنه معذور في المطاولة وكتب المهلب كتابًا إلى الحجاج بذلك[1].

إن الانقسام الذي وقع بين الخوارج أدى بالتالي إلى التصادم بين الطرفين، فكتب المهلب بذلك إلى الحجاج «أن الله قد ألقى بأس الخوارج بينهم فخلع معظمهم قطريًا وبايعوا عبد ربه... وهم يقاتل بعضهم بعضًا»[2]. لقد كان المهلب ينقل الصورة التي عليها الموقف إلى الحجاج لكي يتلقى منه التوجيهات اللازمة للقضاء على الخوارج، وهذا يقودنا إلى القول إن المهلب مع كونه القائد الفعلي للجبهة العسكرية، لكنه كان يرسم الصورة للحجاج لكي يأتمر بأمره.

وقد رد الحجاج على كتاب المهلب «إذا أتاك كتابي هذا فناهضهم على حال اختلافهم وافتراقهم قبل أن يجتمعوا»[3]. أراد الحجاج في كتابه أن يستغل اختلافهم لكي ينتهي منهم. ولكن المهلب وهو القائد الميداني رد على كتاب الحجاج «لست أرى أن أقاتلهم ما داموا يقتل بعضهم بعضًا... فإن تموا على ذلك فهو الذي نريد وفيه هلاكهم، وإن اجتمعوا لم يتجمعوا إلا وقد رقق بعضهم بعضًا»[4]. وقد كف عنه الحجاج[5].

وقد وصف بعضهم الحجاج «بأنه كان نافد الصبر يستعجل الأمور خاصة في حربه للخوارج»[6]. لكن الحجاج لم يكن قليل الصبر ولكنه بالتأكيد كان بحاجة إلى

---

(١) الطبري، تاريخ الرسل، ج ٦، ص ٣٠٠ ـ ٣٠٣.

(٢) ن.م، ج ٦، ص ٣٠٣.

(٣) الطبري، تاريخ الرسل، ج ٦، ص ٣٠٣. ابن الأثير، الكامل، ج ٤، ص ٤٣٩.

(٤) الطبري، تاريخ الرسل، ج ٦، ص ٣٠٣ ـ ٣٠٤. ابن الأثير، الكامل، ج ٤، ص ٤٣٩.

(٥) الطبري، تاريخ الرسل، ج ٦، ص ٣٠٤. ابن الأثير، الكامل، ج ٤، ص ٤٣٩.

(٦) عبد الواحد ذنون طه، العراق في عهد الحجاج بن يوسف الثقفي، ط ١، مطبعة جامعة الموصل، (العراق، ١٩٨٥)، ص ٧٧.

ذلك الجيش وإلى تلك الأموال، وأنه لم يكن ذا رأي متصلب عنيدًا متسرعًا في حكمه حتى وإن هفا هفوات معينة وأنه إن شعر في تلك الهفوات مصدر أذى للأمة تراجع عنها، وهو يعرف تقدير الأمور، فالمهلب كان على مساس مع الخوارج وهو أدرى بهم منه. والحجاج في العراق كان عليه إمداد المهلب بما يحتاج إليه من أموال ورجال والمهلب هو صاحب القرار الأول في القتال وبذا نرى الحجاج يسلمه زمام الأمور بعد أن اطمأن إليه.

سار قطري بن الفجاءة باتباعه نحو طبرستان، وبايع عامة الخوارج عبد ربه الكبير ونهض إليهم المهلب وبعد قتال شديد قتل عبد ربه الكبير وجمعا كبيرًا من أصحابه، وقال الشاعر وهو يجسد هذه الملحمة البطولية الرائعة:

| | |
|---|---|
| لقد مسَّ منا عبد رب وجنده | عقاب فأمسى سبيهم في المقاسِم |
| سما لهم بالجيش حتى أزاحهم | بكرمان عن مثوى من الأرض ناعم |
| وما قطري الكفر إلا نعامة | طريدٌ يدوي ليلة غير نائمِ[1] |

وأرسل المهلب إلى الحجاج مبشرًا إياه بالنصر فشكره الحجاج على ذلك[2].

وسير الحجاج وراء قطري بن الفجاءة سفيان بن الأبرد بجيش عظيم من أهل الشام فأتى هذا الري، وكذلك سير الحجاج إسحٰق بن محمد بن الأشعث مع جيش الكوفة وجعله تحت إمرة سفيان بن الأبرد لحقوا به في شعب من شعب طبرستان فقاتلوه فتفرق عنه أصحابه، ووقع قطري عن دابته في أسفل الشعب بعد أن تدحرج فمات وكان ذلك في سنة ٧٧ هـ/ ٦٩٦ م[3].

لقد كان الحجاج في مثل هذه العمليات يشرف بشكل مباشر أو غير مباشر على القتال، فكان يرسل عنه من ينيبه لأغراض المتابعة ونقل الصورة إليه، ويكفيه أنه استطاع أن يعبىء الرجال للمهلب لمقاتلة الخوارج فقال المهلب في ذلك: «قدم العراق رجل ذكر»[4]. فقد سخر الحجاج كل ما استطاع من موارد ورجال في سبيل القضاء أو الحد من نشاط هذه الحركة التي استعصت على الكثير، وبالتالي استهلكت

(١) الطبري، تاريخ الرسل، ج ٦، ص ٣٠٤ ـ ٣٠٩.
(٢) ابن الأثير، الكامل، ج ٤، ص ٤٤٠.
(٣) الطبري، تاريخ الرسل، ج ٦، ص ٣٠٩ ـ ٣١٠.
(٤) ن.م، ج ٦، ص ٢٠٧.

الكثير من الموارد المالية والبشرية، وعطلت بعض طاقات الدولة إلى أن استطاع القضاء عليها.

وفي خلافة يزيد بن معاوية (٦٠ ـ ٦٤ هـ/ ٦٧٩ ـ ٦٨٣ م) حدثت ثورة الحسين بن علي رضي الله عنه تلك الثورة التي انتهت باستشهاده رضي الله عنه حيث جاء إلى الكوفة فلم يسانده إلا نفر قليل(١).

ولما علم عبيد الله بن زياد بسير الحسين رضي الله عنه بعث الحصين بن تميم التميمي، وكان على شرطته وأمره أن ينزل القادسية وكان عبيد الله قد أرسل الحر بن يزيد التميمي في ألف فارس وأمره أن لا يقاتل الحسين رضي الله عنه وإنما عليه أن يلازمه وأن لا يفارقه حتى يدخل الكوفة، واقترب الحر من الحسين رضي الله عنه وذكره بالله سبحانه وتعالى، وإن هو أصر على موقفه هذا فإنه مقتول لا محالة ورد له الحسين قول الشاعر:

سأمضِي وما بالموتِ عارٌ على الفتى ... إذا ما نَوَى حقًا وجاهدَ مسلمَا

وآسى الرجالَ الصالحينَ بنفسِه ... وفارق مثبورًا يَغُش وُيرْغما

فتنحىٰ عنه الحر، وطلب الطرماح بن عدي من الحسين عدم المسير إلى الكوفة واللجوء إلى جبل آجا حيث يمتنع به وأنه سوف يوافيه بـ (٢٠) ألف طائي إن تعرض إلى أي اعتداء. فقال له الحسين رضي الله عنه جزاك الله وقومك خيرًا، أنه قد كان بيننا وبين هؤلاء القوم، قول، لسنا نقدر معه على الانصراف(٢). أن الحسين رضي الله عنه كان يشعر بالخطر الذي يداهمه في كل ساعة ولكنها المبادىء التي شب عليها تأبى عليه إلا أن يموت من أجل الذود عنها والانتصار لشرفها. والحسين رضي الله عنه في هذا الموقف كان وفيًا للوعد الذي أعطاه، ولكن هل حافظ الآخرون على العهد؟

ونزل الحسين قرية تسمى العقر(٣) وذلك يوم الخميس وهو الثاني من محرم سنة ٦١ هـ/ ٦٨٠ م، فأرسل عبيد الله بن زياد، عمر بن سعد بن أبي وقاص من الكوفة

---

(١) الطبري، تاريخ الرسل، ج ٥، ص ٣٨٢ ـ ٣٩٧. فاروق عمر فوزي، التاريخ الإسلامي وفكر القرن العشرين، ط ١، مؤسسة المطبوعات العربية (بيروت ١٩٨٠)، ص ٤٧.

(٢) الطبري، تاريخ الرسل، ج ٥، ص ٤٠٠ ـ ٤٠٦.

(٣) العقر: عقر بابل قرب كربلاء من الكوفة. ينظر(ياقوت، معجم البلدان، ج ٤، ص ١٣٦).

في أربعة آلاف رجل إلى دستبي[١] وكان الديلم قد خرجوا عليها فكتب عبيد الله بولاية الري لعمر بن سعد وطلب منه الخروج إليها. فلما كان من أمر الحسين ما كان، طلب عبيد الله بن زياد من عمر بن سعد وهو ما زال بحمام أعين أن يسير إلى الحسين رضي الله عنه فامتثل عمر بن سعد لأمر الوالي عبيد الله وسار إلى الحسين رضي الله عنه مستفسرًا في أول الأمر عن سبب خروجه ومجيئه فكان جواب الحسين رضي الله عنه لرسول عمر: إن أهل الكوفة كتبوا إليه أن يأتي إليهم، فإن غيروا مبايعتهم فإني منصرف عنهم، وقد نقل عمر بن سعد ذلك إلى عبيد الله بن زياد الذي أمره أن يأخذ البيعة من الحسين رضي الله عنه وأصحابه ليزيد بن معاوية[٢].

وكتب عمر بن سعد إلى عبيد الله بن زياد بأن الحسين قد وافق على الرجوع إلى المكان الذي أتى منه، وأنه على استعداد أن يأتي إلى الخليفة يزيد ويضع يده في يده. فلما قرأ عبيد الله الكتاب وافق على ذلك، لكن شمر بن ذي الجوشن قام إلى عبيد الله وأفحمه ضد الحسين فغير عبيد الله بن زياد رأيه[٣]. وكان من نتيجة ذلك استشهاد الحسين رضي الله عنه مع أصحابه[٤]. من خلال هذا يتبين لنا أن عبيد الله قد تسرع في حكمه على الحسين رضي الله عنه لأنه لو قبل نصيحة عمر بن سعد بن أبي وقاص لكان ذلك خيرًا له وللمسلمين، ولكن موقف شمر بن ذي الجوشن كان سباقًا إلى تغليظ قلب عبيد الله على الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه، فآلت النتيجة إلى استشهاد الحسين عليه السلام.

وفي أعقاب استشهاد الحسين رضي الله عنه أعلن أنصار عبد الله بن الزبير البيعة له، وكان قد بايعه بعض الناس سرًا سنة ٦١ هـ/ ٦٨٠ م. وقام يزيد بإعداد جيش وأسند قيادته إلى مسلم بن عقبة وقال إن حدث لك حدث فأمير الجيش بعدك حصين بن نمير، وطلب منه أن يدعو القوم ثلاثًا فإذا لم يستجيبوا فأدخل المدينة وأبحها ثلاثة أيام، وكان أهل المدينة قد اتخذوا خندقًا في جانب المدينة، واقتتل القوم قتالًا شديدًا، وقد مات مسلم بن عقبة وذلك في آخر محرم سنة ٦٤ هـ/ ٦٨٣ م.

---

(١) دستبي: كورة كبيرة كانت مقسومة بين الري وهمذان. ينظر (ياقوت معجم البلدان، ج ٢، ص ٤٥٤).

(٢) الطبري، تاريخ الرسل، ج ٥، ص ٤٠٨ ـ ٤١٢.

(٣) ن.م، ج ٥، ص ٤١٤.

(٤) ن.م، ج ٥، ص ٤٥٣. (للتفصيل: ينظر الطبري، تاريخ الرسل، ج ٥، ص ٤٠٠ ـ ٤٧٠).

فاستلم قيادة الجيش حصين بن نمير السكوني، وتوفي يزيد بن معاوية سنة ٦٤ هـ/ ٦٨٣ م. وقد مكث الحصين يقاتل ابن الزبير أربعين يومًا وقد حاصرهم[(١)].

وتشير بعض الروايات إلى أن ابن الزبير سمع بموت يزيد ولم يسمع به الحصين وقد صاح ابن الزبير بالجيش الأموي أن طاغيتكم قد هلك، وقال الحصين لابن الزبير أنه سوف ينصرف عنه بعد أن يأذن له بالطواف حول البيت ففعل فانصرفوا[(٢)].

وهناك رواية أخرى تشير إلى أن خبر وفاة يزيد لم يعلم به الحصين فمر به ثابت بن قيس بن المنقع النخعي فأخبره بوفاة يزيد، فبعث الحصين إلى ابن الزبير وحدد له موعدًا للالتقاء به وقال إن يزيدًا قد مات وأنت أحق الناس بالخلافة هلم نبايعك وأخرج معي إلى الشام فلا يختلف عنك اثنان. وكان جواب ابن الزبير أنه لا يهدر الدماء وأقسم أنه لا يفعل فقال له الحصين أدعوك إلى الخلافة وتعدني بالقتل والهلاك[(٣)]؟.

وأظن أن الرواية الثانية أقرب إلى الحقيقة التاريخية لأن موقف الحصين كان ينطلق من حصول فراغ سياسي في السلطة، ولم يكن هناك من جدير يتحمل المسؤولية أفضل من ابن الزبير، ومهما يكن من أمر فإن جيش الحصين رجع إلى الشام بعد مبايعة معاوية بن يزيد خليفة وبقي هذا ثلاثة أشهر ثم توفي سنة ٦٤ هـ/ ٦٨٣ م.

ولما علم مروان بن الحكم والي المدينة بذلك أراد أن يبايع ابن الزبير، ولكن بإشارة من عبيد الله بن زياد الثقفي الذي غادر البصرة عدل مروان عن رأيه وبويع بالخلافة سنة ٦٤ هـ/ ٦٨٣ م[(٤)].

وقد قام ابن الزبير بإرسال الوفود إلى الولايات للحصول على البيعة له، وقد قام هذا بتعيين الولاة على الأمصار حيث ولي عمر بن عبيد الله على الأردن، كما كتب بولاية الكوفة إلى عمر بن مسعود بن أمية بن خلف الجمحي[(٥)]. وبعد ذلك كتب بولاية الكوفة إلى أخيه مصعب بن الزبير الذي سار إليه عبد الملك بن مروان في

(١) الطبري، تاريخ الرسل، ج ٥، ص ٤٧٥ ـ ٥٠١.
(٢) ن.م، ج ٥، ص ٥٠١. (٣) ن.م، ج ٥، ص ٥٠١ ـ ٥٠٢.
(٤) الطبري، تاريخ الرسل، ج ٥، ص ٥٣٠ ـ ٥٣٤.
(٥) ابن الأثير، الكامل، ج ٤، ص ١٤٢ ـ ١٤٤.

خلافته سنة ٧١ هـ/ ٦٩٠ م ودارت معركة كبيرة عند دير الجاثليق[١] حيث قتل مصعب من قبل زائدة من قدامة الثقفي[٢]. وكان الحجاج بن يوسف الثقفي على مقدمة جيشه وقيل كان على ساقته[٣]. وقيل إن مقدمة الجيش ومؤخرته كانت تحت قيادة الحجاج[٤]. وقد نال الحجاج إعجاب وتقدير عبد الملك إليه وذلك لما بذله من جهود خالصة قبل المعركة وأثناءها[٥].

ويسهم الثقفيون بشخص الحجاج الثقفي، بالقضاء على أخطر حركة هددت كيان الدولة الأموية إذ يتولى الحجاج بن يوسف الثقفي أمر قيادة الجيش المتوجه إلى الحجاز لإخماد حركة عبد الله بن الزبير سنة ٧٢ هـ/ ٦٩١ م. ويروي (الطبري) أن تعداد جيش الحجاج بلغ ألفي مقاتل[٦]، وقيل بلغ ثلاثة آلاف، وقيل خمسة آلاف[٧]. فسار الحجاج بالجيش إلى الطائف ولم يعرض للمدينة ولا طريقها وكان يبعث البعوث إلى عرفة وكذلك كان يفعل ابن الزبير فيقتتلون وغالبًا ما كنت تنهزم بعوث ابن الزبير وترجع خيول الحجاج مظفره[٨].

ويعتقد بعضهم أن الحجاج بمسيره إلى الطائف جاء بناء على إشارة من الخليفة عبد الملك حيث أتاه الهيثم بن الأسود النخعي وطلب من الخليفة أن يوصي الحجاج بالكعبة، وأن لا يهتك أستارها، ولا يرمي أحجارها، وأن يأخذ على ابن الزبير بشعابها وفجاجها حتى يموت ابن الزبير جوعًا. فأمر عبد الملك الحجاج بذلك[٧].

وبعد ذلك كتب الحجاج إلى عبد الملك يطلب منه الإذن في قتاله ومناجزته فوافق عبد الملك على ذلك[٩]. من هذا نفهم أن الحجاج لم يتصرف دون علم عبد الملك بل كان يشاوره في كل صغيرة وكبيرة.

---

(١) دير الجاثليق: دير قديم البناء رحب الفناء من طسوج مسكن. ينظر (ياقوت، معجم البلدان، ج ٢، ص ٥٠٣).
(٢) ابن الأثير، الكامل، ج ٤، ص ٣٢٣ ـ ٣٢٨.
(٣) المسعودي، مروج الذهب، ج ٣، ص ١٠٥.
(٤) JEAN BERTER, D'AL-HADJDADJ IBN YOUUSIF (PARIS, 1904) p.32.
(٥) Ibid, p.32.
(٦) الطبري، تاريخ الرسل، ج ٦، ص ١٧٤.
(٧) البلاذري، أنساب الأشراف، ج ٥، ص ٣٥٧.
(٨) البلاذري، أنساب الأشراف، ج ٥، ص ٣٧٥. الطبري، تاريخ الرسل، ج ٦، ص ١٧٤.
(٩) الطبري، تاريخ الرسل، ج ٦، ص ١٧٤.

تقدم الحجاج إلى مكة ونصب المنجنيق على جبل أبي قبيس ثم كتب إلى عبد الملك يسأله المدد ويستأذنه في حصار الزبير فأذن له في ذلك، وأرسل له المدد بقيادة طارق بن عمرو فسار في خمسة آلاف من أصحابه، وكان الطعام يصل إلى الجيش الأموي بسهولة[١]. أما ابن الزبير فمحاصر واستمر حصاره ستة أشهر وسبع عشرة ليلة، وقيل ثمانية أشهر وسبع عشرة ليلة. وكان المنجنيق يرمي على ابن الزبير فتفرق عنه أصحابه[٢]. وقلت مؤونة جيشه في الوقت الذي كانت في المدينة كميات كبيرة من القمح والشعير والذرة والتمر وكان لا يعطي أصحابه إلا ما يسد الرمق[٣].

وأثناء الحصار سنة ٧٣ هـ/ ٦٩٢ م حج عبد الله بن عمر فأرسل إلى الحجاج يطلب منه الكف والتوقف عن الضرب بالمنجنيق لكي يتمكن هو ووفود البيت الحرام من أداء مراسم الحج والطواف فوافق الحجاج على ذلك، وقد عاود الحجاج الضرب بالمنجنيق بعد انصراف الحجاج عن بيت الله الحرام[٤].

وقد أصابت الناس مجاعة أيام ابن الزبير، وكان عامله على وادي القرى الجراح بن حصين بن الحارث الجعفي، وكان لابن الزبير بها تمر كثير فسرق فلما قدم عليه أخذ يضربه ويعنفه[٥].

من خلال هذا العرض نجد أن ابن الزبير لم تكن لديه الإمكانية في التصرف فيما يعانيه أصحابه، وإلا لماذا أدخر كميات كبيرة من الطعام أليس لمثل هذه الأيام الصعبة، وهذا مما يشير إلى عدم تمتعه بمقدرة إدارية وسياسية تمكنه من إدارة شؤون أصحابه؟

وقد اتبع الحجاج أسلوب الأمان لأصحاب ابن الزبير، فلحق به عدد كبير منهم[٦]. ويبلغ عدد من خرج منهم ١٠ آلاف رجل[٧].

وعن حصار الكعبة عبر أحدهم عن ذلك بقوله:

ولم أر جيشًا عز بالحج قبلنا ... ولم أر جيشًا مثلنا كلهم خرس

---

(١) الطبري، تاريخ الرسل، ج ٦، ص ١٧٥. (٢) ن.م، ج ٦، ص ١٨٧.
(٣) البلاذري، أنساب الأشراف، ج ٥، ص ٣٦١.
(٤) ن.م، ج ٥، ص ٣٦٠.
(٥) البلاذري، أنساب الأشراف، ج ٥، ص ٣٦٣.
(٦) ن.م، ج ٥، ص ٣٦٤. (٧) الطبري، تاريخ الرسل، ج ٦، ص ١٨٨.

دلفنا لبيت الله نرمي ستوره بأحجاره نهب الولائد للعرس
دلفنا لهم يوم الثلاثاء من منى بجيش كصدر الفيل ليس له رأس[(١)]

وتشير النصوص إلى أن الجزء الذي تعرض له الحجاج بالمنجنيق هو ذلك الجزء الحديث البناء الذي أحدثه ابن الزبير[(٢)].

ويرى بعضهم أن الحجاج في حصاره لابن الزبير قد استعمل النفط والنار في رميه بالمنجنيق حتى أن الستارات قد احترقت فصارت رمادًا والحجاج يرتجز ويقول:

أما تراها ساطعًا غبارها والله فيما يزعمون جارها
فقد وهت وصدعت أحجارها ونفرت منها معًا أطيارها
وحان من كعبة دمارها وحرقت منها معًا أستارها
لما علاها نفطها ونارها[(٣)]

وهذه أول إشارة ترد إلى أن الحجاج استعمل النفط والنار في ضربه لابن الزبير، والذي أظنه أن هذه غير صحيحة، لأن أغلب الروايات التاريخية اتفقت على أن الحجاج استعمل الحجارة فقط في رميه، أما كون أن الكعبة احترقت فربما يعود السبب في ذلك إلى أصحاب ابن الزبير أو أن الظروف أسهمت في ذلك، ومهما يكن فقد قتل ابن الزبير ودخل الحجاج مكة فبايع الناس عبد الملك بن مروان[(٤)].

وبعد مقتل ابن الزبير تقدمت أسماء بنت أبي بكر من الحجاج وقالت له قال الرسول ﷺ: «يكون في أمتي رجلان أفّاك ومبير فأما الأفاك فصاحبك عبد الملك وأما المبير فأنت يا حجاج»[(٥)]. أنها اجتهادات تطلقها عندما نشعر أن الظلم وقع علينا، وأن هذا الحديث قد أتى في هذه الصورة مغاير عن حديث روي عن الرسول ﷺ

---

(١) الجاحظ، الحيوان، ج ٧، ص ١٠٢.
(٢) عبد الأمير دكسن، الخلافة الأموية ٦٥ ـ ٨٦ هـ، ط ١، دار النهضة (بيروت، ١٩٧٣)، ص ٢١٣.
(٣) ابن أعثم الكوفي، الفتوح، ج ٦، ص ٢٧٦.
(٤) الطبري، تاريخ الرسل، ج ٦، ص ١٨٨ ـ ١٩٣.
(٥) ابن أعثم الكوفي، الفتوح، ج ٦، ص ٢٨٠ ـ ٢٨١.

حيث قال ﷺ: «أن في ثقيف كذابًا ومبيرًا»[١]. حيث قيل إن الكذاب هو المختار بن عبيد الثقفي، والمبير هو الحجاج بن يوسف الثقفي[٢].

تلك هي صورة الحجاج وإبعاد شخصيته فقد استطاع أن يقضي على منافس قوي للخلافة الأموية، وقد خدمت عبد الله بن الزبير الكثير من الظروف، ولكن قوة الحجاج وصلابته أهلته أن يقضي عليه وعلى امتدادات حركته التي شملت العراقين والحجاز وغيرها من المناطق. إن الحجاج في موقفه هذا كان منفذًا لإرادة السلطة التي هو جزء منها، وأن اختيار عبد الملك له للقضاء على حركة ابن الزبير لم يكن بالأمر السهل، فقد عرف إمكانات وقدرات هذا الرجل الذي حاز على احترام وتقدير الخليفة له وذلك أن عبد الملك عرف الحجاج منذ استلامه عملية تنظيم الجيش الأموي وإعادة الانضباط فيه بإشارة من روح بن زنباع[٣].

إن أسلوب تعامل الحجاج مع الحدث كان له الأثر الكبير في القضاء على ابن الزبير، حيث استعمل الشدة والحصار، ثم أعطى الأمان لأتباع ابن الزبير، علاوة على أن الظروف قد خدمت الحجاج حيث انفك أصحاب ابن الزبير عنه، وذلك لسوء تدبيره. وقد أخذت حركة ابن الزبير وقتًا طويلًا قرابة ١٢ سنة واستطاع الحجاج بالثقة التي أولاها له عبد الملك أن ينتهي منها إلى الأبد.

ويسهم الحجاج بن يوسف الثقفي في إخماد حركة أخرى مناوئة للأمويين ذلك أن عددًا من الزنج الموجودين في ولاية البصرة تحركوا في أواخر أيام مصعب بن الزبير تحت قيادة رجل اسمه رياح شيرزنجي (معناه بالفارسية أسد الزنج)، فأوكل الحجاج الثقفي مهمة إخماد حركة هؤلاء إلى صاحب شرطة البصرة زياد بن عمرو الذي جهز جيشًا بقيادة ابنه حفص لقتالهم. إلا أن حفص قتل[٤].

وقد تبع شيرزنجي الكثير من الزنج، لقب نفسه أمير المؤمنين[٥]. وهو بذلك استغل الدين لأغراض شخصية بحتة، وكان بذلك يهدف إلى التفاف الناس حول حركته.

---

(١) أبو عبد الله أحمد بن حنبل، المسند، ج ٢، (القاهرة، ١٣١٣ هـ)، ص ٨٧.

(٢) المسعودي، مروج الذهب، ج ٣، ص ١١٥.

(٣) BERIER, D'AL HADJD JADJ, p.30.

(٤) البلاذري، أنساب الأشراف، ج ١١، ص ٣٠٤ ـ ٣٠٥. ابن الأثير، الكامل، ج ٤. ص ٣٨٨.

(٥) البلاذري، أنساب الأشراف، ج ١١، ص ٣٠٥.

وشكلت هذه الحركة خطرًا على مركز الحجاج الإداري والسياسي، الأمر الذي دعاه إلى أن يقصد البصرة بنفسه ويحث أهلها إلى التصدي لهؤلاء المتمردين وكان الحجاج قد خاطب أهل البصرة قائلًا: «أن عبيدكم وكساحيكم... تأسوا بكم، وأيم والله لئن لم تخرجوا إلى هؤلاء الكلاب فتكفوني أمرهم لأعقرن نخلكم»(١). فانتدب بعضهم بعضًا، ووجه إليهم الحجاج كراز بن مالك السلمي فقاتل الزنج أشد قتال حتى صاروا إلى صحارى دورق(٢) وقد قتل صاحبهم شيرزنجي(٣).

وهكذا استطاع الحجاج الثقفي أن يخمد صوتًا معارضًا جديدًا للدولة من خلال حثه للناس بالوعد والوعيد على الجلد والمطاولة في الدفاع والقتال عن مدينتهم وأموالهم بوجه هذه الحركة الجديدة والموجة التي لا بد لها أن ترتد من حيث أتت. ونجاح الحجاج في صون إمارة البصرة، بعد أن دفع الشر عنها، ولقن الأشرار أقسى الدروس وأمرها.

وما أن تولى الحجاج ولاية العراقين سنة ٧٥ هـ/ ٦٩٤ م. حتى بدأ يفرض هيمنة الدولة الأموية، على جميع المناطق الخاضعة لسيطرته التي امتدت جنوبًا حتى عمان، وكانِ الأخوان سعيد وسليمان أولاد عباد بن الجلندا بن المستقر قد حافظا على استقلال منطقتهما منذ عهد الرسول ﷺ وكان لبعد عمان عن مركز الدولة أثر في ذلك(٤). كذلك يمكن القول إن ولاية العراقين لم يأتها رجل يعرف كيف يدبر أموره مثل الحجاج بن يوسف الثقفي. على الرغم من انشغاله بعدة جبهات فإنه كان يدير شؤون ولايته بكفاءة عالية، وصبر وجلد. وأراد إخضاع عمان إلى سلطانه المباشر. ولهذا شعر ابنا الجلندا أن محاولة الا حتفاظ بنفوذهما بات يهدده الخطر ولهذا قاما بحركة مناوئة للدولة.

لم يتمكن الحجاج من إعادة النظام والاستقرار إلى هذه المنطقة إلا بعد سلسلة من المعارك العسكرية، وكانت أول حملة أرسلها قبل حركة ابن الأشعث وكان الأزد

(١) البلاذري، أنساب الأشراف، ج ١١، ص ٣٠٥.
(٢) صحارى دورق: كورة بالأحواز. ينظر (ابن عبد الحق، مراصد الاطلاع، ج ٢، ص ٥٤٠).
(٣) البلاذري، أنساب الأشراف، ج ١١، ص ٣٠٦.
(٤) سرحان بن سعيد الأزكوي، كشف الغمة الجامع لأخبار الأمة، مخطوط محفوظ في مكتبة الدراسات العليا، جامعة بغداد، كلية الآداب تحت رقم ٢٠٠٥، ورقة (رقم ٣٢٦). دكسن، الخلافة الأموية، ص ٢٤٠ ـ ٢٤١.

في عمان يستغلون الصحراء التي تحد عمان من الغرب حيث تستخدم كملجأ لهم أثناء عملية الانسحاب، وأرسل الحجاج حملة عسكرية بقيادة القاسم بن شعوة المزني، ولكن هذه الحملة أخفقت وقتل قائدها، فكتب الحجاج بذلك إلى الخليفة عبد الملك، ووضع الحجاج الثقفي زعماء أزد البصرة تحت المراقبة لكي لا يساعدوا الخارجين في عمان[١]. فازد عمان كانوا يلقون الدعم من إخوانهم أزد البصرة لأنهم يعتقدون أنهم يواجهون ـ عدوًا واحدًا ـ!

ثم أرسل الحجاج حملة جديدة بقيادة مجاعة بن شعوة المزني وهو أخو القاسم، وبلغ تعدادها أربعين ألف مقاتل، وقد قسمت هذه الحملة إلى قسمين القسم الأول سلك الطريق البري، والقسم الآخر سلك طريق البحر، وقد استطاع سليمان بن الجلندا من دحر الحملة البرية. أما الحملة البحرية فكان يقودها مجاعة وقد استطاعت هذه الحملة أن تتقدم وانسحب سعيد بن الجلندا إلى الجبال ليلًا وحوصر هناك وعندما علم أخوه سليمان بذلك رجع لمساعدته وقد استطاع فك الحصار عن أخيه، وكان سليمان قبل ذلك قد أحرق (٥٠) سفينة من مجموع السفن التي اشتركت في الحملة العسكرية التي أرسلها الحجاج[٢]. ويخيل لي أن الرقم الذي أشار إلى عدد السفن التي أحرقت كبير جدًا.

وقد هرب مجاعة وقسم من أتباعه إلى مكان يسمى جلفار[٣] وكتب إلى الحجاج يطلب المدد، فأرسل له (٥) آلاف مقاتل من أهل الشام بقيادة عبد الرحمٰن بن سليمان، ولما سمع سعيد وسليمان ابنا الجلندا بذلك وما حصل من تناقص في عدد مؤيديهما انسحبا مع عوائلهما وممتلكاتهما إلى ساحل إفريقيا الشرقي[٤].

ويبدو أن هذه الحركة كانت تخفي وراءها طموحًا شخصيًا وسياسيًا، حيث أراد ابنا الجلندا الانفصال عن الدولة الأموية. ودليلنا على ذلك أنهما لم يقاتلا عن مبدأ معين وأيد ذلك هروبهما مع عوائلهما وممتلكاتهما وترك أصحابهم يلقون العقاب،

(١) الأزكوي، كشف الغمة، ورقة (رقم ٣٢٦). دكسن، الخلافة الأموية، ص ٢٤١ ـ ٢٤٢.
(٢) الأزكوي، كشف الغمة، ورقة رقم ٣٢٦. دكسن، الخلافة الأموية، ص ٢٤٢.
(٣) جلفار: بلد بعمان كثير الغنم والجبن والسمن. (ياقوت، معجم البلدان، ج ٢، ص ١٥٤).
(٤) الأزكوي، كشف الغمة، ورقة رقم ٣٢٧. دكسن، الخلافة الأموية، ص ٢٤٢ ـ ٢٤٣.

فالذي يؤمن بمبدأ يجب أن يقاتل من أجله فإما أن يحققه أو يموت دونه. وولى الحجاج الثقفي عمان بعد ذلك الخيار بن سبرة المجاشعي[١].

وفي سنة ٧٦ هـ/ ٦٩٥ م كان في أرض الموصل والجزيرة ناسك صالح يدعى صالح بن مسرح التميمي وكان هذا صاحب عبادة وقد التف حول جماعة من مؤيديه. وتدارس معهم أحوال البلاد وما آلت إليه أمور الرعية، فتراسل مع بعض أصحابه حول ذلك الموضوع وجاءته الردود مؤيدة له وكان رد شبيب بن يزيد الشيباني له. «إنك كنت أردت الشخوص وقد كنت دعوتني إلى ذلك فاستجبت... فإنك شيخ المسلمين ولن نعدل بك منا أحدًا»[٢].

وقدم شبيب بن يزيد على صالح، واتفقا على الخروج في صفر سنة ٧٦ هـ/ ٦٩٥ م. وكان رأي صالح أن يدعو ـ أعداءه ـ أولًا وأن من يستجيب له وإلى رأيه فإنه لا يقاتله وقد دعا صالح أصحابه إلى اتباع. «تقوى الله ولا يقاتلوا أحدًا إلا أن يكونوا قومًا يريدونكم... فإنما أنكم خرجتم غضبًا لله حيث انتهكت محارمه وعصي في الأرض»[٣]. وهنا نرى أن صالحًا هذا ألبس دعوته غطاء دينيًا، وهو الستار الذي تعودت عليه غالبية الحركات المعارضة في تلك الحقبة، ولكن من خول صالحًا هذه الصلاحية لكي ينيب عن المسلمين؟

وخرج صالح وأخذ دواب محمد بن مروان في رستاق الجزيرة وهو أميرها وكان خروج صالح في مائة وعشرين رجلًا وقيل في مائة وعشرة رجال فأرسل لهم محمد بن مروان، عدي بن عدي بن عميرة الكندي في ألف رجل فانهزم عدي وأصحابه وأخذ صالح كل غنائم الجيش[٤].

وإبان قيام صالح بن مسرح يؤازره شبيب بن يزيد الشيباني بالتحرك بالجزيرة الفراتية وأنهما تغلبا على الجيش الأموي مرتين، وانحازا نحو الموصل وعندئذٍ انبرى الحجاج بن يوسف الثقفي للتصدي إليهما، فسير لهما الحارث بن عمير الهمداني في ٣ آلاف مقاتل من أهل الكوفة، وخرج صالح نحو جلولاء وخانقين ووراءه الحارث فالتقيا في قرية يقال لها المدبج من أرض الموصل وكان مع صالح ٩٠ رجلًا ودارت

---

(١) الأزكوي، كشف الغمة، ورقة رقم ٣٢٧.
(٢) الطبري، تاريخ الرسل، ج ٦، ص ٢١٦ ـ ٢١٨.
(٣) ن.م، ج ٦، ص ٢١٩ ـ ٢٢٠.
(٤) ابن الأثير، الكامل، ج ٤، ص ٣٩٤ ـ ٣٩٥.

بين الطرفين معركة شديدة قتل فيها صالح ودارت على أصحابه الدائرة، وطلب شبيب من أصحابه الانسحاب إلى حصن كان موجودًا في تلك المنطقة فدخلوا فيه فقام الحارث بن عمير بحرق باب الحصن على أمل أن يخرجوا إليهم. أما شبيب فقد أخذ البيعة من أصحابه وكان عددهم ٧٠ رجلًا وما هي إلا ساعات حتى أتوا باللبود[١] فبلوها بالماء ثم ألقوها على الجمر ثم ساروا عليها وهجموا على الحارث وجيشه، فقتل الحارث وانهزم أصحابه ومضى شبيب في أرض الموصل وتخوم أرض جوخي ثم ارتفع نحو أذربيجان[٢].

وفي الوقت نفسه كتب الحجاج إلى سفيان بن أبي العالية وأمره بالمسير نحو الدسكرة[٣] حتى يأتيه جيش الحارث بن عميرة الهمداني، وقد تجمعت الجموع لسفيان وسار بها وراء شبيب إلى خانقين، وكان شبيب قد نصب لهم كمينًا بقيادة أخيه مصادًا، ودار بين الطرفين قتال شديد انهزم فيه أصحاب سفيان وصبر سفيان لشبيب في مائتين من أصحابه ثم انسحب هذا إلى بابل مهروز، وكتب الحجاج إلى سورة بن أبجر وطلب منه أن يناجز شبيبًا وجماعته فسار هذا في ٥٠٠ من مقاتلي المدائن، فجاء شبيب ودخل المدائن فأصاب بها دواب ثم رحل إلى النهروان، فلما علم به سورة سار إليه بـ(٣٠٠) فارس من أصحابه وشد هذا على أصحاب شبيب فصمد له شبيب وهزمه فالتحق سورة بن أبجر بالمدائن وسد عليه الأبواب، ولحق به شبيب يرجو إصابة عسكره. فتصدى له أهالي المدائن بالنبل والحجارة، ثم ارتحل شبيب إلى تكريت. أما جيش المدائن فقد لحق بالكوفة، فسرح الحجاج الجزل بن سعيد بن شرحبيل لمقاتلة شبيب وطلب هذا عدم اشتراك الجند الذين هزموا في المعارك معه، لأن الرعب قد دخل قلوبهم، فوافق الحجاج على ذلك، وخرج مع (٤) آلاف مقاتل، وسار وراء شبيب وكان الجزل لا يسير إلا على تعبئة، ولا ينزل مكانًا إلا تخندق به، وقد نزل الجزل دير يزدجرد، فشد عليه شبيب فلم يستطع أن يصيب من أصحاب الجزل شيئًا، وقد طال ذلك على الحجاج[٤]. وبلا ريب، فإن شبيب بن يزيد قد

(١) اللبود: رداء سميك مصنوع من صوف الغنم يلبس في المناطق الباردة. (ابن منظور، لسان العرب، مادة (لبد)).

(٢) الطبري، تاريخ الرسل، ج ٦، ص ٢٢١ ـ ٢٢٦.

(٣) الدسكرة: قرية كبيرة ذات منبر بنواحي نهر الملك غربي بغداد. (ياقوت، معجم البلدان، ج ٢، ص ٤٥٥).

(٤) الطبري، تاريخ الرسل، ج ٦، ص ٢٢٦ ـ ٢٣٣.

أتعب الحجاج لكثرة الجيوش التي هزمها. فضلًا عن أن هذه الجيوش كانت تحتاج إلى موارد مالية كبيرة يمكن الاستفادة منها في مجالات أخرى.

ويرى بعضهم أن شبيبًا كان يتبع أسلوب حرب العصابات[١]. وهذا صحيح فقد كان على الحجاج أن يغير من أسلوب معاركه مع هذا النمط من الحركات، ولكنه اتبع أسلوب التنظيم العسكري المعروف، لأن قوات الحجاج كانت نظامية مدربة على وفق سياقات عسكرية صرفة.

وقد بعث الحجاج سعيد بن مجالد على ذلك الجيش بدلًا من الجزل، وطلب منه أن يزحف إليهم. أما شبيب فقد سار إلى براز الروز[٢] ولحق به سعيد بن مجالد وتقدم إليه ودارت معركة شديدة بين الطرفين قتل فيها سعيد بن مجالد. وقاتل الجزل حتى جرح وحمل إلى المدائن بين القتلى، وكتب إلى الحجاج بما جرى. أما شبيب فإنه خرج يريد الكوفة، ولما علم بذلك الحجاج عبأ الفرسان حيث بعث سويد بن عبد الرحمٰن السعدي في (٢٠٠٠) فارس وقال له اخرج إلى شبيب فألقه وجاء هذا إلى السبخة[٣] وكذلك أمر الحجاج عثمان بن قطن أن يخرج بالناس إلى السبخة، لكن شبيبًا غير مسار طريقه فلم يدخل الكوفة حيث سار إلى الحيرة ووراءه سويد ثم سار إلى الأنبار حتى دخل دقوقاء[٤] حتى ارتفع شمالًا موهمًا الجيش الأموي بأنه يريد مغادرة العراق. وكان الحجاج قد رحل إلى البصرة وجعل على الكوفة عروة بن المغيرة بن شعبة الثقفي الذي وصلته الأخبار أن شبيبًا عاد ثانية يريد دخول الكوفة فكتب عروة إلى الحجاج بذلك[٥]. فما كان من الأخير إلا عاد مسرعًا فدخلها عند صلاة الظهر. أما شبيب فقد دخل السبخة صلاة المغرب ثم تقدم نحو الكوفة وضرب قصر الحجاج وقال «اخرج إلينا يا ابن أبي رغال»[٦]. وهو بذلك أراد أن يسيء إلى أصل الحجاج الثقفي وقبيلته فضلًا عن محاولته جعل الحجاج الثقفي خائنًا عندما ربط بينه وبين خيانة أبي رغال الذي خان الأمة في حقبة سابقة.

---

(١) دكسن، الخلافة الأموية، ص ٢٩٨.

(٢) براز الروز: من طساسيج السواد ببغداد من الجانب الشرقي. ينظر (ياقوت، معجم البلدان، ج ١، ص ٣٦٤).

(٣) السبخة: الأرض الملحة. ينظر (ياقوت، معجم البلدان، ج ٣، ص ١٨٣).

(٤) دقوقاء: مدينة بين أربل وبغداد. ينظر (ياقوت، معجم البلدان، ج ٢، ص ٤٥٩).

(٥) الطبري، تاريخ الرسل، ج ٦، ص ٢٣٤ ـ ٢٤٠.

(٦) اليعقوبي، تاريخ، ج ٢، ص ٢٧٤.

ومن ثم توجه إلى المسجد الأعظم وقتل ناسًا كانوا يصلون به[١]. غير آبه ببشاعة الجرم الذي أقدم عليه.

وفي الطريق سلم النضر بن قعقاع الذهلي على شبيب بالإمارة فقال له أحد أصحابه أنه أمير المؤمنين[٢]. وهذا يبين لنا طبيعة الأهداف الدنيوية والمطامع الشخصية التي كانت تقف وراء التستر بستار الدين والزهد.

وقد وجه الحجاج إليه بشر بن غالب الأسدي في ٢٠٠٠ رجل وزائدة بن قدامة في ٢٠٠٠ رجل وأبا الضريس مولى بني تميم في ١٠٠٠ رجل من الموالي وأعين صاحب حمام أعين مولى بشر بن مروان في ١٠٠٠ رجل واجتمعوا في أسفل الفرات، وأرسل الحجاج وراء شبيب زحر بن قيس في ١٨٠٠ فارس وطلب منه أن يتبع شبيب حيثما يدركه. أما إذا ذهب فليس به شأن. وقد التقى زحر بن قيسي وشبيب واقتتلا قتالًا شديدًا هزم فيه زحر بعد أن جرح. وسار شبيب يريد جماعة الأمراء الأربعة، ولما علم بذلك الحجاج أرسل إليهم وجعل أميرهم زائدة بن قدامة الثقفي، وكانوا مجتمعيين بروز بار، وجاءهم شبيب، وقد تقاتل القوم قتالًا شديدًا قتل على أثره زائدة بن قدامة الثقفي، وانهزم الجيش، وقد طلب شبيب برفع السيف عن الناس ودعاهم إلى البيعة[٣] وكل واحد من هؤلاء الذي يعطي البيعة له يسلم على شبيب بإمرة المؤمنين[٤].

وبعد ذلك أرسل الحجاج حملة عسكرية بقيادة عبد الرحمٰن بن محمد بن الأشعث ومعه ٦ آلاف رجل وطلب منه اللحاق بشبيب والقضاء عليه، وقد طاول عبد الرحمٰن بن الأشعث شبيبًا، وقد كتب عثمان بن قطن إلى الحجاج بذلك فجعله الحجاج أمير الجيش، وكان عثمان على المدائن، فأرسل الحجاج مطرف بن المغيرة على المدائن بدلًا من عثمان بن قطن. ولما أصبح هذا أمير الجيش تقاتل هو وشبيب عند نهر حولايا[٥] في رذان[٦] الأعلى من أرض جوخي وقد قتل عثمان، ثم طلب عبد الرحمٰن من الجيش الانسحاب وجاء إلى الكوفة فاختبأ فيها حتى أخذ له الأمان

---

(١) الطبري، تاريخ الرسل، ج ٦، ص ٢٤١. (٢) الطبري، تاريخ الرسل، ج ٦، ص ٢٤٢.
(٣) ابن الأثير، الكامل، ج ٤، ص ٤٠٨ ـ ٤١١.
(٤) الطبري، تاريخ الرسل، ج ٦، ص ٢٤٦.
(٥) نهر حولايا: نهر بنواحي النهروان. ينظر (ياقوت، معجم البلدان، ج ٢، ص ٣٢٢).
(٦) رذان: قرية بنواحي نسا. ينظر (ابن عبد الحق، مراصد الاطلاع، ج ٢، ص ٦١٣).

من الحجاج. وقد كتب الحجاج إلى عبد الملك بتلك الحركة وبين له كيف أن الجيش قد عجز عن صد شبيب الذي كان يريد الكوفة[١]. إن طبيعة المعارك كانت تفرض عدم إشراك من هزم في معارك سابقة مع شبيب في معارك لاحقة لأن نفسية هذا المقاتل ضعيفة، وهذا مما يثير الخوف والفزع في نفس المقاتل عند اصطدامه بالآخرين، فضلاً عما يولده من زعزعة ثقة رفاقه المقاتلين.

لقد لبى الخليفة عبد الملك بن مروان طلب الحجاج فأرسل إليه سفيان بن الأبرد في (٤) آلاف وبعث إليه حبيب بن عبد الرحمٰن الحكمي من مذحج في ألفين. أما الحجاج فقد بعث على رأس جيش الكوفة عتاب بن ورقاء، أما شبيب فقد جاء إلى أطراف المدائن وجرت مفاوضات بينه وبين مطرف بن المغيرة بن شعبة لم تسفر عن شيء، فسار شبيب إلى عتاب بن ورقاء وإلى جند الشام ودارت بين الطرفين معركة عنيفة قتل فيها عتاب بن ورقاء، وقد رفع عن الناس السيف بعد مبايعته، وفي هذه الأثناء دخل جند الشام الكوفة بقيادة سفيان بن الأبرد الكلبي وحبيب بن عبد الرحمٰن الحكمي وقد بانت على الحجاج علامات السرور، وأقبل شبيب إلى موضع حمام أعين، فأرسل إليه الحجاج الحارث بن معاوية بن زرعة الثقفي في ألف من المقاتلة فعالجهم شبيب فقتل الحارث الثقفي وانسحبت البقية إلى الكوفة. وجاء شبيب إلى السبخة مرة أخرى فأخرج إليه الحجاج أكثر من شخص على أنه الحجاج فكان يشد عليه شبيب فيقتله، وكان يقول أرحتكم منه، فلما رأى الحجاج أنه لا مفر من مقابلة شبيب فامتطى بغلة ثم خرج بأهل الشام[٢].

وخاطب الحجاج جيشه بقوله: «لا يغلبن باطل هؤلاء الأرجاس حقكم، غضوا الأبصار، واجثوا على الركب، واستقبلوا القوم بأطراف الأسنة»[٣]. وهذا يقودنا إلى الاعتقاد أن الحجاج في هذه المرة وجد أنه لا بد من وضع نهاية لهذا الحركة، وما هي إلا لحظات يتزامن بها الصبر مع الجلد، والمطاولة مع الثقة بإحراز الغلبة فيكون النصر حليف الرجال المؤمنين الذائدين عن الدولة العربية الإسلامية وعقيدتها.

ثم تقدم شبيب بعد أن عبأ نفسه ودارت معركة كبيرة كان النصر فيها لجيش الحجاج، وقد قتل مصاد أخو شبيب وقتلت غزالة امرأته، فلما علم شبيب بذلك وثب

---

(١) الطبري، تاريخ الرسل، ج ٦، ص ٢٤٩ ـ ٢٦٠.
(٢) الطبري، تاريخ الرسل، ج ٦، ص ٢٥٨ ـ ٢٦٩.
(٣) ابن الأثير، الكامل، ج ٤، ص ٤٢٦.

على خيله وهرب من ساحة المعركة هو ومن معه، فأرسل الحجاج وراءه حبيب بن عبد الرحمٰن الحكمي في ثلاثة آلاف رجل[١].

وكان الحجاج قد نادى في أصحاب شبيب أنه من رجع عنه فهو آمن، وكذلك أرسل إلى عماله أن يفعلوا الشيء نفسه، فانسحبت جماعة كبيرة عن شبيب[٢]. وبالتأكيد فإن هذه سياسة جديدة اتبعها الحجاج في هذه الظروف وقد آتت ثمارها.

وفي الأنبار التقى شبيب وحبيب بن عبد الرحمٰن وسقط من أصحاب حبيب حوالي ١٠٠ رجل ومن أصحاب شبيب ٣٠ رجلًا، وقد أرسل الحجاج من جهة أخرى سفيان بن الأبرد والتقى هو وشبيب عند جسر دجيل الأحواز[٣] ودارت بين الطرفين معركة قوية لم تؤد إلى نتيجة حاسمة انسحب على أثرها شبيب على أمل أن يعاود الهجوم في اليوم الثاني، وإذا أصبح اليوم التالي عاود الهجوم، وبينما هو يعبر الجسر زلت فرسه فسقط بالماء فصاح مرافقوه غرق أمير المؤمنين فانصرفوا راجعين وكبر سفيان وجنده لهذا النصر، وكانت نهايته سنة ٧٧ هـ/ ٦٩٦ م[٤].

وقد أجاز شبيب إمامة النساء على المسلمين[٥]. وبذلك قد خالف الكثير من الفرق الإسلامية الأخرى، لأنه لا تجوز إمامة النساء.

ويشير بعضهم إلى أن شبيبًا كان ناقمًا على عبد الملك لأنه رفض أن يعطيه عطاء عندما نزل هذا على روح بن زنباع الجذامي في دمشق، لأن عبد الملك لم يكن يعرف له حسبًا ولا نسبًا. فلما رجع روح بن زنباع وأبلغ شبيب أن الخليفة يجهله قال له أرجو أن يعرفني بعد يومي هذا. وكان شعار شبيب أن لا حكم إلا لله ولو كره المشركون ونحن المطالبون بدم الأزارقة[٦]. المهم أن خروج شبيب لهذا الغرض أو غيره، فإنه بالتأكيد قد أربك الدولة العربية الإسلامية، وشكل خطرًا على ولاية الحجاج بن يوسف الثقفي.

---

(١) ن.م، ج ٤، ص ٤٢٦ ـ ٤٢٧. (٢) الطبري، تاريخ الرسل، ج ٦، ص ٢٧٧.
(٣) دجيل الأحواز: نهر بالأحواز ومخرجه من أرض أصبهان. ينظر (ياقوت، معجم البلدان، ج ٢، ص ٤٤٣).
(٤) الطبري، تاريخ الرسل، ج ٦، ص ٢٧٧ ـ ٢٨١.
(٥) البشبيشي، الفرق الإسلامية، ص ٤٤.
(٦) ابن أعثم الكوفي، الفتوح، ج ٧، ص ٨٤ ـ ٨٦.

لهذا نرى أن الحجاج نفسه خرج لمقاتلته عندما وجد أنه لا مفر من ذلك[١]. معبرًا بذلك عن موقف المسؤول الذي ينتخي لشرف الواجب، وينهض لمقاتلة من أراد تمزيق وحدة الدولة بوصفه مسؤولًا عن أمن وسلامة المناطق الشرقية من الدولة العربية الإسلامية. ونجح الحجاج في مهمته، ولكن بعد أن قدم الكثير من التضحيات المادية والبشرية التي لا بد منها.

ومرة أخرى ينهض الحجاج الثقفي لمطاولة أعداء الدولة الأموية، وذلك على أثر هزيمة جيش المسلمين الذي كان يقوده عبيد الله بن أبي بكرة الثقفي أمام رتبيل سنة ٧٩ هـ/ ٦٩٨ م عندها قرر الحجاج إرسال جيش بقيادة عبد الرحمٰن بن محمد بن الأشعث الكندي[٢].

ويشير بعضهم إلى أن ابن الأشعث خرج إلى سجستان ليطلب ميراثًا له[٣].

وتألف الجيش من ٤٠ ألف مقاتل ٢٠ ألفًا من الكوفة و٢٠ ألفًا من البصرة وقد أعطى لهم الحجاج عطاياتهم وجهزهم بالخيول وسمي هذا الجيش جيش الطواويس. وتقدم ابن الأشعث على رأس الجيش إلى سجستان سنة ٨٠ هـ/ ٦٩٩ م، وخاطب أهالي سجستان بأن الحجاج قد ولاه أمرهم، وأنه أمره أن يناجز عدوهم، وتقدم ابن الأشعث ودخل أرض رتبيل، وأخذ يعين العمال على النواحي التي سيطر عليها. وقد تباطأ ابن الأشعث في تقدمه لكي يعرف الطريق والبلاد، وكتب بذلك إلى الحجاج[٤].

أما الحجاج فقد أجابه «بأن كتابك أتاني. . . وهو كتاب امرىء يحب الهدنة ويستريح إلى الموادعة. . . وأنه لم يحملك عليه إلا ضعفك. . . فامض لما أمرتك

---

(١) العامري، غربال الزمان، مخطوط، ورقة رقم ١٩ و٢٠.
(٢) الطبري، تاريخ الرسل، ج ٦، ص ٣٢٦ ـ ٣٢٧. المسعودي، مروج الذهب ج ٣، ص ١٣١. مؤلف مجهول، غرر السير، نسخة الدكتور عبد الأمير دكسن، ورقة ٣١ أ. جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمٰن بن علي بن الجوزي، المنتظم في تواريخ الملوك والأمم، مخطوط في المجمع العلمي العراقي تحت رقم ١١٢٨/ ورقة رقم ١٩٠أ. أبو محمد عبد الله بن أسعد بن علي بن سليمان اليافعي، مرآة الجنان وعمرة اليقظان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان، ج ١، مؤسسة الأعلمي (لبنان، ١٩٧٠) ص ١٦١.
(٣) البلاذري، أنساب الأشراف، ج ١١، ص ٣٠٩.
(٤) الطبري، تاريخ الرسل، ج ٦، ص ٣٢٧ ـ ٣٢٨.

به»[١]. كذلك أردفه بكتاب آخر «أمر من قبلك من المسلمين فليحرثوا وليقيموا فإنها دارهم حتى يفتحها الله عليهم»[٢]. ثم أردفه بكتاب آخر «امض لما أمرتك به... وإلا فإن إسحٰق أخوك أمير الناس»[٣].

فالحجاج كان يستحث ويستعجل ابن الأشعث الذي يعرف الموقف بسجستان جيدًا لأنه على مساس مباشر بالأحداث.

امتعض ابن الأشعث من عجلة الحجاج فدعا الناس إليه وقال: «يا أيها الناس أني لكم ناصح، ولصلاحكم محب، ولكم في كل ما يحيط بكم نفعة ناظر... وقد كتبت إلى أميركم الحجاج فجاءني منه كتاب يعجزني ويضعفني ويأمرني بتعجيل الوغول بكم في أرض العدو، وهي البلاد التي هلك إخوانكم فيها بالأمس»[٤]. فقال الناس لا بل تعصي عدو الله ولا نسمع له ولا نطيعه وقال مطرف بن عامر بن واثلة الكناني أن أباه أول من خلع الحجاج فتصايح الناس من كل جانب مؤيدين له[٥].

وقال عبد المؤمن بن شبث بن ربعي التميمي «عباد الله أنكم أن أطعتم الحجاج جعل هذه البلاد بلادكم ما بقيتم وجمركم تجمير فرعون الجنود... ولن تعاينوا الأحبة فيما أرى أو يموت أكثركم بايعوا أميركم وانصرفوا إلى عدوكم... فوثب الناس إلى عبد الرحمٰن فبايعوه فقال تبايعونني على خلع الحجاج عدو الله وعلى النصر لي وجهاده... ولم يذكر خلع عبد الملك»[٦].

ولما عزم ابن الأشعث بالمسير إلى العراق كتب بينه وبين رتبيل كتاب الصلح[٧] فإن تم له النصرة على الحجاج وقف عنه وإن خسر المعركة مع الحجاج اتخذناه ملجأ لنا[٨]. ويبدو لي أن عجالة الحجاج الثقفي وإصراره على ضرورة تقدم جيش المسلمين لمنازلة عدوهم، لا تبرر خروج ابن الأشعث على الوالي والدولة. فلو لم

---

(١) ابن الأثير، الكامل، ج ٤، ص ٤٥٥ ـ ٤٦١.
(٢) الطبري، تاريخ الرسل، ج ٦، ص ٣٣٤ ـ ٣٣٥.
(٣) ابن الأثير، الكامل، ج ٤، ص ٤٦١. (٤) الطبري، تاريخ الرسل، ج ٦، ص ٣٣٥.
(٥) ابن الأثير، الكامل، ج ٤، ص ٤٦٢ ـ ٤٦٣.
(٦) الطبري، تاريخ الرسل، ج ٦، ص ٣٣٦.
(٧) في كتاب الصلح هذا تعهد ابن الأشعث أن لا يأخذ الجزية من رتبيل أبدًا أن ظهر هو. ينظر (ابن الجوزي، المنتظم، مخطوط، ورقة رقم ٩٧ب).
(٨) اليعقوبي، تاريخ، ج ٢، ص ٢٧٨.

يكن هناك نيات دفينة لدى القائد ابن الأشعث، لما سوغت له نفسه على مصالحه رتبيل ومقاتلة جند المسلمين. لكنها الأطماع التي تدفع بأصحابها إلى ارتكاب المخالفات حتى ولو كانت تؤدي إلى إزهاق أنفس بريئة.

سار ابن الأشعث يريد الحجاج وبين يديه أعشى همدان يقول:

| | |
|---|---|
| من عاشق أمسى بزابلستان | إن ثقيفًا منهم الكذابان |
| كذابها الماضي وكذاب ثانِ | أمكن ربي من ثقيف همدان[1] |

وعندما دخل الناس فارس خلعوا الخليفة عبد الملك وبايعوا ابن الأشعث، وقد بلغ ذلك الحجاج فكتب إلى عبد الملك يستحثه إرسال المدد له. وقد حاول المهلب أن يثني ابن الأشعث عن مراده. أما كتاب الحجاج إلى عبد الملك فقد أخافه فأرسل إلى خالد بن يزيد فأقرأه الكتاب فقال له خالد لا تخاف إن كان الحدث من سجستان أما إذا كان من خراسان فإننا نخافه[2]. وأعتقد أن سبب ذلك أن غالبية القبائل العربية كانت تسكن خراسان فكان الأمويون يحسبون لها ألف حساب وفعلًا فإن رايات العباسيين التي انطلقت من خراسان حملها عربها.

وقام الحجاج بالبصرة وتجهز ليلقى ابن الأشعث، وعبد الملك يرسل إلى الحجاج يوميًا ١٥٠ رجلًا من الشام، والاتصال مستمر بين الحجاج والخليفة عبد الملك لمتابعة الموقف، والتقت مقدمة الحجاج ومقدمة ابن الأشعث فانهزم أصحاب الحجاج الأمر الذي اضطره إلى أن ينسحب من البصرة إلى الزاوية وكان عامله عليها الحكم بن أيوب بن الحكم الثقفي، وقد بايع جلّ أهل البصرة ابن الأشعث وقد خندق الحجاج عليه وخندق ابن الأشعث على البصرة ودارت بين الطرفين معارك ضارية انهزمت عامة قريش وثقيف الذين كانوا مع الحجاج. أما الحجاج فقد جثا على ركبتيه مدافعًا وحمل سفيان بن الأبرد فهزم ميمنة ابن الأشعث فحملوا البشرى إلى الحجاج فخر ساجدًا. أما ابن الأشعث فرحل إلى الكوفة، واجتمع الطرفان في دير الجماجم[3]، وقد وقف بعض القراء من أهل المصريين إلى جانب ابن الأشعث لأنهم كانوا يكرهون الحجاج[4].

---

(١) الطبري، تاريخ الرسل، ج ٦، ص ٣٧٧. (٢) ن.م، ج ٦، ص ٣٣٩.

(٣) دير الجماجم، بظاهر الكوفة على سبعة فراسخ منها. ينظر(ياقوت، معجم البلدان، ج ٢، ص ٥٠٣).

(٤) الطبري، تاريخ الرسل، ج ٦، ص ٣٤٠ - ٣٤٧.

وقد وصلت الإمدادات إلى الحجاج والناس يخرجون كل يوم بعضهم إلى بعض فيقتتلون دون إحراز نتيجة حاسمة. وأراد عبد الملك أن يحقن دماء المسلمين فأرسل إلى ابنه عبد الله بن عبد الملك وبعث إلى أخيه محمد بن مروان بأرض الموصل وطلب منهما الحضور إليه، وحضرا كليهما في جندهما فطلب منهما أن يعرضا على أهل العراق لكي يحقن الدماء نزع الحجاج عنهم، وأن يجري عليهم العطاء كما يجري على أهل الشام، وأن يكون ابن الأشعث واليًا ما دام حيًّا على أي منطقة من أرض العراق. فإن قبلوا ذلك عزل الحجاج ومحمد بن مروان أمير العراق، وإن أبوا فالحجاج أمير جماعة أهل الشام وأن يكون محمد بن مروان وعبد الله بن عبد الملك تحت إمرة الحجاج، وكان هذا الأمر بالنسبة إلى الحجاج قاسيًا إن قبل به أهل العراق. وقد تقدم عبد الله بن عبد الملك ومحمد بن مروان إلى أهل العراق بتلك الخصال التي طرحها الخليفة عبد الملك، فلم يقبل العراقيون بذلك[1].

إن عبد الملك بعرضه هذا شخص وبشكل واضح حجم حركة ابن الأشعث مما دفع الخليفة إلى إرسال أخيه وولده، والخليفة ذاته كان على استعداد للتخلي عن الحجاج إذن يمكننا أن نعرف حجم هذه الحركة وخطرها الداهم. لكن يثار سؤال هنا لماذا لم يقبل ابن الأشعث بعروض الخلافة إذا كان همه هو التخلص من الحجاج. لقد كان بإمكانه القبول وبالتالي التخلي عن أصحابه فيقل ذلك جمعهم، ولكن طموحه وطموح من خرج معه كان أكبر من الحجاج وخلعه.

رجع ابن الخليفة وأخوه إلى الحجاج وقالا له اعمل برأيك، وقد اجتمع الناس بدير الجماجم وكانت الواقعة سنة ٨٣ هـ/ ٧٠٢ م[2].

وكانت تصل إلى أهل العراق من أصحاب ابن الأشعث الإمدادات وما يحتاجون إليه من الكوفة وسوادها، أما أهل الشام وأهل البصرة من مقاتلي الحجاج فقد قل عندهم الطعام وارتفعت الأسعار وقد استمرت المعارك في دير الجماجم مائة يوم انهزم فيها ابن الأشعث، وأظن الحجاج عفوا على من رجع من أصحاب ابن الأشعث، وعاد إلى الكوفة وانهزم ابن الأشعث إلى سجستان فأرسل وراءه عمارة بن تميم في

(١) الطبري، تاريخ الرسل، ج ٦، ص ٣٤٧ ـ ٣٤٩. ابن الأثير، الكامل، ج ٤، ص ٤٦٩ ـ ٤٧١.

(٢) الطبري، تاريخ الرسل، ج ٦، ص ٣٤٩. ابن الأثير، الكامل، ج ٤، ص ٤٧١.

٣٠ ألفًا من أهل الشام ودارت بين الطرفين معارك فر على أثرها ابن الأشعث إلى رتبيل، وأرسل الحجاج إلى رتبيل الرسائل يطلب فيها بتسليم ابن الأشعث، وفي الوقت نفسه تعهد لرتبيل أن لا يغزو بلاده عشر سنين وأن يؤدي بعد ذلك في كل سنة تسعمائة ألف درهم. وأمام هذا العرض السخي سلم رتبيل ابن الأشعث إلى عمارة بن تميم، وتجنب ابن الأشعث وقوعه في يد الحجاج لذا ألقى بنفسه من فوق قصر فمات وذلك في سنة ٨٤ هـ/ ٧٠٣ م[١].

الآن سنحاول التعرف على أسباب قيام هذه الحركة وبالتالي نجيب عن سؤال يمكن أن يثار في هذا الاتجاه وهو كيف تصرف الحجاج مع هذه الحركة.

يرى بعض المؤرخين أن العلاقة المتوترة بين الحجاج الثقفي وعبد الرحمٰن بن الأشعث كانت أساسًا لقيام هذه الحركة، فقد احتاج الحجاج إلى من يقوم على إدارة شرطته فقيل له إنه لا يصلح لها إلا عبد الرحمٰن بن الأشعث فلما علم ابن الأشعث بذلك قال مثلي يتقلد سيفًا ويمشي بين يدي ابن أبي رغال وأنه أي (ابن الأشعث) كان يطمح إلى إدارة العراقين إذا لم تكن الخلافة[٢].

فابن الأشعث كانت له مواقف مسبقة من الحجاج وأعتقد أن مواقفه هذه ليست من الحجاج فحسب بل كان يرى نفسه وهو سليل أسرة عظيمة في العرب كيف أصبح وفي أي موقف، وهذا الحجاج ابن من وكيف أصبح وأي مكانة احتل؟

وعندما وجه الحجاج ابن الأشعث إلى سجستان جاء إليه إخوته وطلبوا منه عدم إرساله لأنهم كانوا يتخوفون منه لأن في رأسه كل عظيمة، وخافوا أن يخرج عليه، فقال لهم الحجاج أن هذا ليس أول تحاسد بين الإخوة وأنكم حسدتموه لأنه ليس من أُمكم[٣]. فإخوته كانوا يعرفون طموحه وبالتأكيد جمعهم مجلس وتحدث عن طموحه لهم وقد أتته الفرصة فكيف لا يستغلها؟

وقد قام ابن الأشعث عندما عزم على الخلع بكتابة كتاب على لسان الحجاج يأمره فيه بقتل فلان وفلان وآخرين ذكر أسماءهم، وقد أرسل إليهم ابن الأشعث وأعلمهم أن الحجاج قد أرسل إليه يطلب منه القصاص منهم فما هو ذنبهم فيقسمون

(١) الطبري، تاريخ الرسل، ج ٦، ص ٣٥٠ ـ ٣٩١.
(٢) ابن أعثم الكوفي، الفتوح، ج ٧، ص ١٠٩.
(٣) ابن أعثم الكوفي، الفتوح، ج ٧، ص ١١٥. مؤلف مجهول، غرر السير، ورقة رقم ٣١.

بأنهم لم يفعلوا شيئًا[١]. وبذلك أراد ابن الأشعث أن يغلظ قلوب الناس على الحجاج فلم يكن لهم مهربًا إلا تأييد ابن الأشعث ضد الحجاج إذا لم يكن ذلك حبًا بابن الأشعث فحبًا بحياتهم.

وقد اشترك في حركة ابن الأشعث الحسن البصري وسعيد بن الحسين[٢]. فضمت حركة ابن الأشعث في جوانبها كل العناصر التي كانت تبغض الحجاج لاعتبارات سياسية واقتصادية واجتماعية ودينية.

وتوضح الروايات التاريخية العلاقة المتوترة بين الحجاج وابن الأشعث فقد كان الحجاج يقول «ما نظرت إلى هذا قط إلا اشتهيت أن أضرب عنقه»[٣]. وقال ابن الأشعث «والله لأجهدن في قطع خيط رقبته»[٤].

وكان الحجاج يبغضه[٥]. وكان ابن الأشعث يقول: «إن لم أحاول أن أزيله عن سلطانه فاجهد الجهد إذا طال بي وبه البقاء»[٦].

ولكن هل أن العلاقة المتوترة بين الحجاج الثقفي وعبد الرحمٰن بن الأشعث تدفع الحجاج إلى أن يجهز خصمه وعدوه بالشكل الذي تصوره لنا الروايات التاريخية بـ٤٠ ألف مقاتل مجهزين بكامل سلاحهم لكي ينقلب في الأخير ضد الحجاج؟ أنا لا أعتقد ذلك، فربما أراد الحجاج من ذلك كسب ابن الأشعث إلى جانبه، وربما أراد أن يمارس هيبته وتسلطه على ابن الأشعث ليشعره بسلطانه عليه.

لقد كان ابن الأشعث يقوم حينًا مع الحجاج ولا يزيده الحجاج إلا إكرامًا ولا يظهر له إلا قبولًا وفي نفس الحجاج ما فيها من شموخ وزهو بنفسه حتى أنه كان ليقول إذا رآه مقبلًا «أما والله يا عبد الرحمٰن إنك لتقبل علي بوجه فاجر وتدبر عني بقضاء غادر وأيم الله لتبتلين حقيقة أمرك على ذلك»[٧].

من هذا يظهر أن ابن الأشعث وإن لم تكن لديه نيات مسبقة ومستعجلة بالعصيان لسلطة الحجاج، ولكن اعتزاز ابن الأشعث بنفسه وأسرته أبى على نفسه

---

(١) ابن أعثم الكوفي، الفتوح، ج ٧، ص ١١٧.
(٢) الدويهي، تاريخ المسلمين، ورقة رقم ٢٢.
(٣) الدينوري، الأخبار الطوال، ص ٣١٧. (٤) ن.م، ص ٣١٧.
(٥) الطبري، تاريخ الرسل، ج ٦، ص ٣٢٧. (٦) ن.م، ج ٦، ص ٣٢٧.
(٧) ابن قتيبة، الإمامة والسياسة، ج ٢، ص ٣٧.

قبول استفزازات الحجاج إليه من خلال رسائله إليه، عندئذٍ ثارت ثائرة ابن الأشعث حيث حرك معه عواطف العراقيين وكيف أنهم تركوا أهلهم وأوطانهم وأرسلوا إلى هذه المسافات البعيدة وهذه الأرض الوعرة[١].

ولكن الغرور ركب ابن الأشعث حيث أعمى بصيرته فما أن وصل إلى أرض إصطخر حتى خلع عبد الملك بن مروان وسمّى ابن الأشعث نفسه «ناصر المؤمنين» وذكر أنه القحطاني الذي ينتظره اليمانية، وأنه يعيد الملك فيها فقيل له أن القحطاني على ثلاثة أحرف فقال اسمي عبد وأما الرحمٰن فليس من اسمي[٢] فلو رضي بتنازلات الخلافة له وللعراقيين كان أسلم ولكن الغرور والفخر جعلاه لا يقدر الأمور ولا يوازنها.

وقد كانت معالجة الحجاج لهذه الحركة معالجة موفقة حيث استطاع أن يقضي على حركة هددت الخلافة ذاتها في الشام، إذ جعلت الخليفة عبد الملك يرسل ولده وأخاه ليقفا على حقيقتها ويحاولا معالجتها، وعندما فشلا في مهمتهما سلما إدارة المعركة إلى الحجاج الثقفي وقد استطاع هذا القضاء عليها نهائيًا وطارد قائدها إلى سجستان.

ويرى بعضهم «إن كره أهل العراق لمحاولات الحجاج لجعل الحكم الأموي (حكم أهل الشام) فعالًا في العراق»[٣]. وهذا في تصوري غير جائز لأن الدولة العربية الإسلامية دولة واحدة وهي ما زالت قريبة من عهد الرسول ﷺ والخلفاء الراشدين ﷺ من حيث فهم الناس لمبدأ لا يرون هناك فاصل حدودي بين أهل الشام وأهل العراق، ففي معركة اليرموك التي قادها خالد بن الوليد اشترك العراقيون في هذه المعركة إلى جانب إخوانهم من أهل الشام.

## سمات رجالات ثقيف الإدارية والسياسية في العصر الأموي

توضحت لدينا في هذا الفصل سمات مهمة لرجال ثقيف منها:

- امتاز رجال ثقيف بعقلية كبيرة ودراية واسعة بحيث مكنهم ذلك من احتلال مواقع إدارية وسياسية مهمة في العصر الأموي، فكان زياد بن عبيد الثقفي والمغيرة بن

---

(١) Bosworth, Sistan Under The Arabs, p.59.

(٢) المسعودي، التنبيه والأشراف، ص ٣١٤. (٣) دكسن، الخلافة الأموية، ص ٢٥٦.

شعبة الثقفي وعبيد الله بن زياد الثقفي والحجاج بن يوسف الثقفي خير من مثل هذا الاتجاه.

ـ كانت إدارة زياد بن عبيد الثقفي للعراقيين من أهم فترات الحكم الأموي في هذا الجزء من الدولة العربية الإسلامية خلال العصر الأموي لأنه استطاع أن يسير بالعراقيين إلى شاطىء الأمان حتى قال عنه الخليفة عمر بن عبد العزيز (٩٩ ـ ١٠١ هـ/ ٧١٧ ـ ٧١٩ م) سعى لأهل العراق سعي الأم البرة وجمع لهم جمع الذرة. وكان الخليفة العباسي المنصور معجبًا بسياسة وإدارة زياد بن عبيد الثقفي.

ـ وأمسى الحجاج بن يوسف الثقفي من ألمع رجالات ثقيف إدارة وسياسة وحربًا بالرغم من محاولات بعض المؤرخين تشويه صورته في التاريخ سواء بنسبة أعمال سلبية إليه أو تفخيم تلك الأعمال. فإنه يبقى رمزًا للحزم والإدارة والسياسة في الأوقات العصيبة.

ـ ومن الملفت للنظر أنه تولى إدارة العراقيين أربعة ولاة من ثقيف خلال حقبة البحث، وهذا يعود في اعتقادي إلى مقدرتهم السياسية والإدارية وإلى ثقة الخلافة الأموية برجالات هذه القبيلة.

ـ وتوضح كذلك أن الشدة والحزم كانت نمط إدارة رجالات ثقيف حيث لم يتمتع بها والٍ دون آخر بل كانت هذه الصفة الغالبة عليهم، فهذا يوسف بن عمر الثقفي حين اكتشف نقصًا في أوزان النقود ضرب (١٠٠٠) سوط لكل عامل وكان عددهم (١٠٠) عامل أي ضربهم (١٠٠,٠٠٠) مائة ألف سوط. وكذلك كانت شدتهم وحزمهم مع الحركات المعارضة للدولة الأموية لأنهم كانوا حريصين على وحدة الدولة والأمة.

# الفصل الثالث
# إسهام بعض الثقفيين
# في مُعَارَضة الدَّولة الأَمَويَّة

- حركة المختار بن أبي عبيد الثقفي
- حركة مطرف بن المغيرة بن شعبة الثقفي
- الظواهِر التي توضّحت في هذا الفصل



# إسهام بعض الثقفيين
# في معارضة الدولة الأموية

خلال مدة الدراسة هذه التي امتدت منذ قيام الدولة العربية الإسلامية حتى نهاية العصر الأموي. وقفنا على حركتين معارضتين شارك فيهما بعض الثقفيين ضد الدولة الأموية. إن هذه المعارضة لم تكن موجهة ضد الدولة ذاتها أو ضد عقيدة الإسلام، بل كانت موجهة ضد مراكز هذه الدولة. ونقصد الخلافة في شخص معين، أو وال فرض نفسه وخضعت لسيطرته مناطق واسعة، فانتشرت الحركات المعارضة هنا وهناك فما كان منه إلا أن قضى عليها بحد السيف.

فحركة المختار الثقفي الذي ادّعى ما ادّعى أخذت واجهة دينية، واستطاعت أن تستقطب الكثير من العناصر المؤيدة لها، خاصة غير عربية. وقد غالى المختار في حركته، فادّعى النبوّة وعلم الغيب، فسقط لأنه لم يكن عنده مبدأ واضح يدافع عنه، وإنما كانت له مطامح ومصالح خاصة سنحت الظروف له أن يظهرها، وبالتالي قتل من جرائها.

أما حركة مطرف بن المغيرة بن شعبة فقد كان رجلًا ناسكًا ورعًا، لكنه بمفرده لا يستطيع أن يغير مسار أمة خطت طريقها، ورسم القدر لها شأنها. ولهذا نراه يدعو إلى صلاح هذه الأمة، والتمسك بدينها، والرجوع إلى سنة الرسول ﷺ والخلافة الراشدة، لكنه سقط بعد أن وجد نفسه وحيدًا لا سند له في دعوته.

وعلى كل حال إن هاتين الحركتين تشكّلان حالات فردية في ثقيف لا يمكن أن نعمّم ذلك على كل القبيلة التي بقيت حافظة لدورها ومكانتها في دعم وحدة الدولة وكيانها.

## حركة المختار بن أبي عبيد الثقفي

المختار بن أبي عبيد بن مسعود بن عمرو الثقفي من الأحلاف[1]. ولد في السنة

---

(١) ابن قتيبة، المعارف، ص ٤٠٠.

التي هاجر فيها الرسول ﷺ إلى المدينة المنورة، وشارك مع أبيه (أبي عبيد) حين أرسله الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه إلى العراق، وكان عمره ثلاث عشرة سنة[١]. وكان يقول «والله لأعلون منبرًا بعد منبر، ولأفلَّنَّ عسكرًا بعد عسكر، ولأخيفن أهل الحرمين، ولأذعرن أهل المشرقين والمغربين وأن خبري لفي زبر الأولين»[٢].

وعندما جاء مسلم بن عقيل الكوفة سنة ٦٠ هـ/ ٦٧٩ م نزل دار المختار فبايعه هذا مع من بايعه من أهل الكوفة. ولما خرج مسلم بن عقيل قبل موعده، وكان المختار في قرية له بخطرانية[٣] تدعى لقفا، فلما سمع المختار بخروج مسلم جاء في موال له. وكان عبيد الله بن زياد قد عزم أمره على وضع نهاية لمسلم بن عقيل، وقد مر هانىء بن أبي حية الوادعي وسأل المختار عن سبب وقوفه عند باب الفيل فكان جواب المختار أن خطيئتكم لعظيمة، فقال هانىء أنك والله قاتل نفسك، وقد دخل هانىء على عمرو بن حريث الذي سلمه عبيد الله بن زياد مسؤولية القضاء على مسلم بن عقيل فأخبره ما جرى بينه وبين المختار، وكان يجلس عند عمرو بن حريث، عبد الرحمٰن بن أبي عمير الثقفي فقال له عمرو قم إلى ابن عمك وقل له لا يجعل على نفسه سبيلًا، فأخبر هذا المختار وأعطاه الأمان حتى أن وصل الأمر إلى عبيد الله بن زياد، وقد مشى تحت راية عمرو بن حريث، ولما علم عبيد الله بن زياد بأمره قال له أنت المقبل في الجموع لتنصر ابن عقيل، فقال له المختار لم أفعل ذلك ولكني أقبلت وكنت تحت راية عمرو بن الحريث، وقد شهد له عمرو بذلك، وعندئذٍ رفع ابن زياد قضيبًا بيده وضرب وجه المختار فشتر عين المختار وأمر بسجنه. وقد أرسل المختار إلى عبد الله بن عمر زوج أخته صفية سأله أن يكتب إلى يزيد بن معاوية ليكتب هذا إلى عبيد الله بن زياد لكي يطلق سراحه، وقد تم له ما أراد[٤].

ورحل المختار إلى الحجاز فلقاه ابن العرق مولى ثقيف فسأله عما أصاب عينه فقال المختار «قتلني والله إن لم أقطع أنامله وأباجله[٥] وأعضاءه إربًا إربًا. فقال له ما

(١) البلاذري، أنساب الأشراف، ج ٥، ص ٢١٤.

(٢) ن.م، ج ٥، ص ٢١٤.

(٣) خطرانية: ناحية من نواحي بابل. ينظر (ياقوت، معجم البلدان، ج ٢، ص ٣٧٨).

(٤) الطبري، تاريخ الرسل، ج ٥، ص ٥٦٩ ـ ٥٧١. ابن الأثير، الكامل، ج ٤، ص ١٦٨ ـ ١٦٩.

(٥) أباجله: الرجل هو الحسن الجسم الخصيب في جسمه. (ابن منظور، لسان العرب، مادة=

علمك بذلك رحمك الله؟ فقال له ما أقول لك فاحفظه عني حتى ترى مصداقه وسأله عن عبد الله بن الزبير، فقال له لجأ إلى البيت، فقال المختار... أما أنه رجل العرب اليوم أما إنه أن يخطط في أثري ويسمع قولي أكفه أمر الناس... إن الفتنة قد أرعدت وأبرقت... فإذا رأيت ذلك وسمعت به بمكان قد ظهرت فيه فقل إن المختار في عصابة من المسلمين يطلب يوم المظلوم الشهيد»[١]. فالمختار كان يخطط لكل شيء وقد استغل حادثة استشهاد الحسين عليه السلام لكي يتخذها ستارًا لحركته وتحقيق أهدافه.

سار المختار بن أبي عبيد الثقفي مع المغيرة بن شعبة فقال هذا للمختار أني لأعرف كلمة لو دعا بها أريب[٢] لاستمال بها أقوامًا ولا سيما العجم. فقال له المختار وما هي يا عم؟ قال يدعوهم إلى نصرة آل محمد والطلب بدمائهم فظلت في نفس المختار[٣]. إن هذه الفكرة كانت عالقة في ذهنه، وعندما بدأت طموحاته تتبلور اتخذها غطاء لطموحاته فعندما حوصر وأصبحت نهايته وشيكة قال. «أنا رجل من العرب رأيت ابن الزبير انتزى على الحجاز، ورأيت نَجْدة انتزى على اليمامة، ومروان على الشام فلم أكن دون أحد من رجال العرب فأخذت هذه البلاد فكنت كأحدهم»[٤].

فالمختار كان يرى نفسه كأي رجل طموح له الحق أن يفرض نفسه مثلما فرض غيره نفسه، وكان لكل واحد من هؤلاء حجة في ادعائه، فوجد المختار أن المطالبة بدم آل البيت سوف تسهل له الطريق، وبالتالي فسوف يلتف حوله الكثير من الناس وستضيع أهدافه الشخصية وطموحاته ضمن هذه الدعوة وأنها ستحقق كل ما يصبو إليه.

وقصد المختار عبد الله بن الزبير من أجل أن يبايعه على أن يعطيه ما يرضيه، لكنه خرج إلى الطائف خال الوفاض، ومكث هناك سنة[٥]. وزعم هناك أنه

---

= (بجل)).

(١) الطبري، تاريخ الرسل، ج ٥، ص ٥٧١ ـ ٥٧٢. ابن الأثير، الكامل، ج ٤، ص ١٦٩ ـ ١٧٠.

(٢) أريب: مفزع. ينظر (ابن منظور، لسان العرب، مادة (ريب)).

(٣) البلاذري، أنساب الأشراف، ج ٥، ص ٢٢٣.

(٤) الطبري، تاريخ الرسل، ج ٦، ص ١٠٧. (٥) الطبري، تاريخ الرسل، ج ٥، ص ٥٧٣.

«صاحب الغضب ومبير الجبارين»[١] فوصفه ابن الزبير بقوله: «لقد انبعث كذابًا متكهنًا»[٢].

هكذا وصفه ابن الزبير قبل أن يبايعه فكيف استطاع أن يصفه بهذا الوصف القاسي والدقيق إذا لم يكن قد بان من أمره شيء وهل يعقل أن يطلق ابن الزبير كلامه جزافًا؟ إذن لا بد من وجود ملامح معينة استند إليها ابن الزبير في تهجمه على المختار.

ثم انقضى العام فجاء المختار مكة فبايع عبد الله بن الزبير بعد أن وافق هذا على شروطه؛ بأن لا يقضي أمرًا دونه، وأن يكون أول من يأذن له. وإذا ظهر ابن الزبير يستعين بالمختار على أفضل عمله[٣]. فهي مبايعة سياسية أكثر مما هي مبايعة عقائدية مبدئية، اختلطت فيها الطموحات الشخصية بالسياسية.

وشهد المختار مع عبد الله بن الزبير حصار مكة الأول من قبل الحصين بن نمير السكوني، وبقي معه حتى وفاة يزيد بن معاوية سنة ٦٤ هـ/ ٦٨٣ م. حيث وجد أن ابن الزبير لا يعير له أهمية وأخذ يتساءل عن أحوال الكوفة وأهلها وبعدئذٍ استقر رأيه على التوجه إليها، فقصدها، فلقيه سلمة بن مرثد فسأله المختار عن أهل الكوفة فقال إنهم قد ضلوا طريقهم، فقال المختار إني أنا راعيها[٤].

كان قدومه للكوفة في منتصف رمضان سنة ٦٤ هـ/ ٦٨٣ م. وكان القوم مجتمعين لسليمان بن صرد الذي يطالب بدم آل البيت، وكان المختار يدعو إلى الشيء نفسه، وأنه مرسل من قبل المهدي محمد بن علي ابن الحنفية وقد التف حوله الكثير، وكان يعيب سليمان بن صرد ويقول إنه لا خبرة له بالحرب[٥]. ولكن أما كان الأجدر بالطرفين أن يلتقيا لا سيما أن هدفهما واحد؟ فالهدف في الظاهر كان واحدًا ولكن نياتهم كانت مختلفة.

---

(١) ن.م، ج ٥، ص ٥٧٤. ابن الأثير، الكامل، ج ٤، ص ١٧٠.
(٢) ابن أعثم الكوفي، الفتوح، ج ٥، ص ٢٧٤. ابن الأثير، الكامل، ج ٤، ص ١٧٠ - ١٧١.
(٣) ابن الأثير، الكامل، ج ٤، ص ١٧٠ - ١٧١.
(٤) الطبري، تاريخ الرسل، ج ٥، ص ٥٧٧ - ٥٧٨.
(٥) ابن الأثير، الكامل، ج ٤، ص ١٦٣.

وكان أول من بايع المختار بالكوفة إسماعيل بن كثير وأخوه عبيدة بن عمرو من بني هند حيث أبلغهم أن ابن الحنفية قد بعثه إليهم أمينًا ووزيرًا وقد أمره بقتال الملحدين، وأخذ ثأر آل البيت، والذود عن الضعفاء[١].

وأخذ المختار ينشر فكرته هذه وبأنه جاء بناء على طلب من ابن الحنفية فبايعه الكثير من أتباع سليمان بن صرد، وقد خرج هذا نحو الجزيرة بمن معه فكانت موقعة عين الوردة[٢] سنة ٦٥ هـ/ ٦٨٤ م حيث قتل سليمان بن صرد وانهزم أصحابه على يد جيش الدولة الأموية بقيادة عبيد الله بن زياد الثقفي[٣].

وعند خروج سليمان بن صرد إلى الجزيرة اجتمع رؤساء الكوفة ووجهاء القوم وقالوا إن المختار يشكل خطرًا علينا فساروا إليه ووضعوه في السجن[٤]، وكان يقول: «إما ورب البحار والنخيل والأشجار... والملائكة الأبرار والمصطفين الأخيار لأقتلن كل جبار بكل لدن خطار ومهند بتار في جموع من الأنصار... حتى إذا أقمت عمود الدين... وشفيت غليل صدور المؤمنين»[٥].

وبعد أن علم بهزيمة أصحاب سليمان بن صرد كتب وهو في السجن إلى رفاعة بن شداد بعد أن قدم من عين الوردة «لم يكن صاحبكم الذي به تنصرون إني أنا الأمير المأمور... وأمير الجيش وقاتل الجبارين... فأعدوا واستعدوا أبشروا واستبشروا أدعوكم إلى كتاب وسنة نبيه ﷺ وإلى الطلب بدماء أهل البيت»[٦]. فلما علم عبد الله بن يزيد، وإبراهيم بن محمد خرجا في الناس فأطلقا سراحه[٧].

وقد نزل المختار داره وأخذ الناس يتوافدون عليه. أما عبد الله بن الزبير فقد بعث عبد الله بن مطيع واليًا على الكوفة فلم تستقم الكوفة إليه، وأراد أن يقبض على المختار فلما علم بذلك تظاهر بالمرض، وقد جمع المختار أصحابه، وشك بعض أصحاب المختار بأنه مرسل من قبل ابن الحنفية فقرروا السير إلى ابن الحنفية والتأكد

---

(١) الطبري، تاريخ الرسل، ج ٥، ص ٥٧٩ ـ ٥٨٠.
(٢) عين الوردة: وهو رأس عين المدينة المشهورة بالجزيرة. ينظر (ياقوت، معجم البلدان، ج ٤، ص ١٨٠).
(٣) الطبري، تاريخ الرسل، ج ٥، ص ٥٨٠ ـ ٦٠٥.
(٤) ابن الأثير، الكامل، ج ٤، ص ١٧٢ ـ ١٧٣.
(٥) الطبري، تاريخ الرسل، ج ٥، ص ٥٨١. (٦) الطبري، تاريخ الرسل، ج ٥، ص ٦٠٦.
(٧) الطبري، تاريخ الرسل، ج ٥، ص ٦٠٦، ابن الأثير، الكامل، ج ٤، ص ٢١١ ـ ٢١٢.

منه، فلما أتوا ابن الحنفية وأبلغوه بما جاء به المختار وأنه مرسل من قبله[١]. كان جواب ابن الحنفية «أما ما ذكرتم من دعاكم إلى الطلب بدمائنا فوالله لوددت أن الله انتصر من عدونا بمن شاء من خلقه»[٢]. إن ابن الحنفية بهذا التصريح لم يعين المختار وزيرًا وأميرًا كما ادعى فابن الحنفية كان يتمنى أن (يؤخذ ثأرهم) من شاء من عباد الله.

جاء هؤلاء الذين خرجوا إلى ابن الحنفية وبشروا المختار بعد أن توجس خيفة من افتضاح أمره، وقد ارتفعت همته بعد هذه الزيارة وزاد رصيده بين الناس، وقرر الخروج بهم، وقد طلب منه أن يضم إلى صفه إبراهيم بن الأشتر، فخرج القوم إلى إبراهيم، فوافق على أن يولوه الأمر، فقال له الناس، إن المختار جاءنا من قبل المهدي وهو الرسول المأمور بالقتال فلم يجبهم ابن الأشتر، وبعد مضي أيام سار إليه المختار مع عدد من رجاله وكان الشعبي بينهم، وقد سلم المختار ابن الأشتر رسالة من ابن الحنفية إليه[٣].

بسم الله الرحمن الرحيم

«من محمد المهدي إلى إبراهيم بن مالك الأشتر سلام عليك، فإني أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو، أما بعد فإني قد بعثت إليكم بوزيري وأميني ونجيبي الذي ارتضيته لنفسي وقد أمرته بقتال عدوي والطلب بدماء أهل بيتي فأنهض معه بنفسك وعشيرتك ومن أطاعك، فإنك أن نصرتني وأجبت دعوتي وساعدت وزيري كانت لك عندي بذلك فضيلة ولك بذلك أعنة الخيل وكل جيش غاز وكل مصر ومنبر وثغر ظهرت عليه فيما بين الكوفة وأقصى بلاد الشام... والسلام عليك»[٤].

وسأل إبراهيم بن الأشتر المختار من يعلم صحة هذه الرسالة. فشهد جماعة من أصحاب المختار منهم يزيد بن أنس، وأحمر بن شميط فقالوا إن الرسالة من ابن الحنفية[٥].

---

(١) الطبري، تاريخ الرسل، ج ٦، ص ٩ ـ ١٣. ابن الأثير، الكامل، ج ٤، ص ٢١٢ ـ ٢١٤.
(٢) البلاذري، أنساب الأشراف، ج ٥، ص ٢٢١. ابن الأثير، الكامل، ج ٤، ص ٢١٤.
(٣) البلاذري، أنساب الأشراف، ج ٥، ص ٢٢١ ـ ٢٢٢. ابن الأثير، الكامل، ج ٤، ص ٢١٤ ـ ٢١٥.
(٤) الطبري، تاريخ الرسل، ج ٦، ص ١٦. ابن الأثير، الكامل، ج ٤، ص ٢١٥ ـ ٢١٦.
(٥) الطبري، تاريخ الرسل، ج ٦، ص ١٧. ابن الأثير، الكامل، ج ٤، ص ٢١٦.

أما الشعبي فقد ساورته الشكوك بكون الرسالة من ابن الحنفية فأتى أصحاب المختار الذين كانوا معه عند إبراهيم بن الأشتر وكان يسأل كل واحد على حده هل رأيت ابن الحنفية يكتب تلك الرسالة؟ وكان جوابهم جميعًا نعم، وأخيرًا جاء الشعبي إلى أبي عمرة كيسان وهو مولى وسأله نفس السؤال فقال له هذا أنه لم يشهد كتابة الرسالة غير أن المختار عندنا ثقة[1]. ويخيل لي أن الشعبي نفسه لم يكن واثقًا من صحة هذه الرسالة وقد زادت تلك الشكوك أكثر عندما شهد أقرب الناس إلى المختار بأنه لم يشهد كتابتها.

إن القراءة النقدية الداخلية لهذه الرسالة توضح لنا أن المختار عندما أرسل أول الأمر إلى إبراهيم بن الأشتر لغرض البيعة فإن هذا طلب الرئاسة، فالمختار عرف هدف الرجل ولهذا نراه في كتاب ابن الحنفية المزعوم يقول له لك أعنة الخيل، وكل جيش غاز، وكل مصر ومنبر، كذلك أن ابن الحنفية في رسالته هذه يقول بعثت إليكم بوزيري وأميني، ونحن نعرف أن الوفد الكوفي الذي ذهب إلى ابن الحنفية لم يصرح بهذه المعاني، ولكن هذه التعابير وردت على لسان المختار عندما التقى بالوفد عندما رجع.

وبعد ذلك بايع ابن الأشتر المختار، وكان إبراهيم بن الأشتر وحميد بن مسلم الأزدي صديقين يلتقيان معًا، وكان المختار يلتقي بإبراهيم كل مساء وقد قرروا الخروج ليلة الخميس ١٤ ربيع الأول سنة ٦٦ هـ/ ٦٨٥ م. وقد علم عبد الله بن مطيع أن المختار خارج عليه فأعد واستعد لذلك، وكان إبراهيم بن الأشتر ذاهب إلى المختار كعادته، وكان ذلك يوم الاثنين، أي قبل الموعد المقرر بيومين، فدارت معركة بين ابن الأشتر وأصحابه من جهة وأصحاب إياس بن مضاب الذي كان على شرطة الكوفة فقتل إياس. ولما علم المختار بذلك أمر رجاله أن يستعملوا النيران وأن ينادوا يا منصور أمت[2]. وكذلك أن ينادوا بالثارات الحسين، ودارت معارك عنيفة وقوية بين أصحاب المختار وبين أعوان عبد الله بن مطيع وقد حوصر هذا في قصره[3].

---

(١) الدينوري، الأخبار الطوال، ص ٢٨٩ ـ ٢٩٠.

(٢) شعار يا منصور أمت: أن المنصور هو الشخص الذي ينتظره اليمانيون ليعيد إليهم سلطانهم، ومعناه يا منصور اليمن أمت أعداء أهل اليمن، وكانت تسكن الكوفة الكثير من قبائل اليمن وفي رفع الشعار هذا استقطاب لهم. (دكسن، الخلافة الأموية، ص ٧٦).

(٣) الطبري، تاريخ الرسل، ج ٦، ص ١٧ ـ ٣١.

وخاطب ابن مطيع أصحابه بقوله: «لقد علمت الذين صنعوا هذا منكم من هم، وقد علمت إنما هم أراذلكم وسفهاؤكم وطغاكم وإخساؤكم ما عدا الرجل أو الرجلين»[١]. وهذا يؤكد لنا أن في جماعة المختار عددًا كبيرًا من العبيد والموالي وخلطاء الناس وأن عدد رجال ثقيف فيهم قليل جدًا.

ويرى بعضهم «أن المختار قد أحسن استعمال الموالي كسلاح في يده وكان يهدد به مصالح الأشراف من العرب... فقد وعد الموالي بتحقيق العدالة... ووعد العبيد بالحرية أن انضموا إليه»[٢]. والملاحظ هنا أن دعواته للمساواة بين العرب والموالي، والحرية للعبيد، ولكنه استخدمهم كقوة فاعلة في جيشه وبالتالي وحد مصالحهم مع مصلحته فأصبح كلا الطرفين بحاجة إلى الآخر.

وعندما سار إبراهيم بن الأشتر إلى حرب الجيش الأموي جاء إليه عمير بن الحباب وقال له: «لقد اشتد غمي مذ دخلت عسكرك وذلك أني لم أسمع فيه كلامًا عربيًا حتى انتهت إليك»[٣]. فجلّ جيش المختار لم يكن عربيًا ولا ثقفيًا، وإنما إذا جاز لي أن أسميه أنه جيش (مرتزقة) جمعه من هنا وهناك لا يجمعهم هدف ولا لغة ولا مبدأ.

وقد خرج ابن مطيع وفتح أصحابه باب القصر وأخذ الأمان من ابن الأشتر وبايعوا المختار، وقد أصاب المختار من بيت مال الكوفة ٩ آلاف ألف درهم. ووزع الأموال على أصحابه، وعين عبد الله بن كامل اليشكري على شرطته وعلى حرسه كيسان أبا عمرة وهو مولى عرينة، وبعث العمال إلى أرمينية وأذربيجان والموصل والمدائن وحلوان[٤].

وكان مروان بن الحكم قد بويع بالخلافة بالشام سنة ٦٤ هـ/ ٦٨٣ م، فسير عبيد الله بن زياد لمحاربة التوابين فكانت معركة عين الوردة سنة ٦٥ هـ/ ٦٨٤ م. التي أشرنا إليها آنفًا، والتي قتل فيها سليمان بن صرد. وكان مروان بن الحكم قد جعل لعبيد الله بن زياد ما غلب عليه من أرض العراق، وفي أعقاب النصر الذي حققه عبيد الله بن زياد في معركة عين الوردة توجه إلى الموصل، وكان عبد الرحمٰن بن سعيد عامل المختار عليها قد انسحب إلى تكريت. ثم أرسل المختار ليزيد بن أنس

---

(١) ن.م، ج ٦، ص ٣١.
(٢) فاروق عمر، التاريخ الإسلامي، ص ٥٩.
(٣) الدينوري، الأخبار الطوال، ص ٢٩٤.
(٤) الطبري، تاريخ الرسل، ج ٦، ص ٣١ ـ ٣٤.

إلى الموصل في ثلاثة آلاف مقاتل فتصدى له جيش عبيد الله ودارت معارك لم تؤد إلى نتيجة، وقد توفي يزيد بن أنس من شدة المرض فدفنوه ثم بدأ جنده بالانسحاب لأنه لا قبل لهم بمقاتلة جيش عبيد الله بن زياد، ولما علم المختار بذلك أرسل إبراهيم بن الأشتر وطلب منه أن يناجز عبيد الله بن زياد وأن يجمع إلى جنده جيش يزيد بن أنس فخرج هذا فعسكر بحمام أعين، وقد التقى أشراف الكوفة لأنهم شعروا أن المختار قد أهانهم من خلال تقريبه لمواليهم وجعلهم شركاء في فيء الأشراف، ذهب شبث بن ربعي إلى المختار ونقل إليه استياء الأشراف من تصرفاته مع الموالي، فكان جواب المختار أنه على استعداد أن يستجيب إلى مطالبهم ولكن على أن يقاتل أشراف الكوفة معه ابن الزبير وبني أمية[1]. فهو في هذه اللحظة كان مستعدًا أن يتخلى عن الموالي وعن شعاراته، ولكن عندما رفض أشراف الكوفة ذلك انحاز بشكل كامل إلى الموالي لأنهم كانوا أداته الأخيرة التي يمكن الاعتماد عليها لا سيما أنهم وجدوا فيه منقذهم وأملهم الذي يرجونه ثم أن أشراف الكوفة دخلوا على عبد الرحمٰن بن مخلف فدعوه أن يقاتل معهم المختار فلم يوافق لأنه توقع أنهم سيختلفون فيما بينهم، واعتقد أن الغلبة ستكون للمختار الثقفي الذي سيؤازره العبيد والموالي[2]. وهذه إشارة صريحة إلى كون جيش المختار خليط من أجناس مختلفة.

وبعد خروج إبراهيم بن الأشتر ووصوله ساباط[3] وثب أشراف الكوفة أمثال عبد الرحمٰن بن سعيد بن قيس الهمداني، وزحر بن قيس الجعفي، وإسحٰق بن محمد بن الأشعث وغيرهم على المختار، فأرسل هذا إلى إبراهيم بن الأشتر يعجله بالرجوع إليه، وأحاط الناس بالمختار من كل جانب حتى انقطع عنه الماء إلا قليل، وتعمد المختار أن يجري مع أهل الكوفة حوارًا ليكسب من خلاله الوقت لكي يأتي ابن الأشتر وينقذه من المأزق الذي أحاط به. ومن سوء طالع أهل الكوفة أن دب الخلاف بينهم، وفي الوقت نفسه وصل جيش ابن الأشتر ودار قتال شديد كانت الغلبة فيه لأصحاب المختار وكانت هذه المعركة سنة ٦٦ هـ/ ٦٨٥ م[4].

أما أشراف الكوفة فقد خرجوا إلى البصرة[5].

---

(١) ن.م، ج ٦، ص ٣٨ ـ ٤٤.
(٢) الطبري، تاريخ الرسل، ج ٦، ص ٤٤ ـ ٤٥.
(٣) ساباط: موضع بالمدائن. ينظر (ياقوت، معجم البلدان، ج ٣، ص ١٦٦).
(٤) الطبري، تاريخ الرسل، ج ٦، ص ٤٥ ـ ٥١.
(٥) الدينوري، الأخبار الطوال، ص ٣٠١.

كذلك أن المختار أخذ يقتل مَن شارك في مصرع الحسين بن علي عليه السلام[١].

ودعي إلى مبايعة المختار في البصرة سنة ٦٦ هـ/ ٦٨٥ م. حيث دعا إلى ذلك المثنى بن مخرمة العبدي، وقد وقعت معارك بين جماعة المختار وابن الزبير حيث انهزم أصحاب المختار إلى الكوفة[٢]. فلو كانت أهدافهم واحدة أو على الأقل هناك أسس يلتقون عليها لتمكن عبد الله بن الزبير والمختار بن أبي عبيد الثقفي من توحيد جهودهما لمقاتلة عدوهما المشترك بني أمية، ولكن اختلافهما في الأساسيات جعلهما يتقاتلان فيما بينهما بحيث أنهى أحدهما الآخر مما سهل الأمر على الخليفة عبد الملك بن مروان من القضاء على آل الزبير.

وقد كتب المختار الثقفي إلى عبد الله بن الزبير بأنه سامع مطيع له، وقد أراد المختار من ذلك كسب الوقت لكي يعد نفسه إعدادًا كاملًا، كما أنه لم يطلع أحدًا من أصحابه على مراسلاته فأرسل ابن الزبير، عمر بن عبد الرحمٰن بن الحارث المخزومي عاملًا على الكوفة. فلما علم المختار بذلك أرسل إليه من يمنعه من دخول الكوفة، فانصرف عامل عبد الله بن الزبير إلى البصرة[٣].

وقام عبد الملك بإرسال حملة عسكرية لمحاربة عبد الله بن الزبير فوجد المختار أن الفرصة سانحة له فكتب إلى ابن الزبير أن يمده بمدد أن أراد فقبل هذا على أن يكون في طاعته، فأرسل المختار (٣) آلاف فارس جلهم من الموالي يقودهم شرحبيل بن ورس من همدان وطلب منه دخول المدينة وأراد بذلك أن يسيطر عليها ويعين عليها واليًا من قبله ثم يقاتل عبد الله بن الزبير، ولكن ابن الزبير الذي خبر المختار أرسل إلى المدينة عباس بن سهل في ألفين وقال له أن رأيت القوم في طاعتي فأقبل منهم وإلا فقاتلهم، وقد كان قائد عبد الله بن الزبير أفطن من قائد المختار فعرف مكيدة المختار عند لقائه ودارت بين الطرفين معركة قوية قتل فيها شرحبيل بن ورس قائد المختار وعدد من أصحابه، فلما علم المختار بذلك كتب إلى ابن الحنفية بالأمر[٤]. وكان جواب ابن الحنفية عليه «فليتق الله وليكفف عن الدماء»[٥].

---

(١) ن.م، ص ٢٩٩.

(٢) الطبري، تاريخ الرسل، ج ٦، ص ٦٦ ـ ٦٨.

(٣) الطبري، تاريخ الرسل، ج ٦، ص ٧١ ـ ٧٢. ابن الأثير، الكامل، ج ٤، ص ٢٤٦.

(٤) الطبري، تاريخ الرسل، ج ٦، ص ٧٣ ـ ٧٤. ابن الأثير، الكامل، ج ٤، ص ٢٤٧ ـ ٢٤٩.

(٥) الطبري، تاريخ الرسل، ج ٦، ص ٧٥.

وحاول عبد الله بن الزبير أن يأخذ البيعة من ابن الحنفية ومن معه من أهل بيته وقد كرهوا البيعة فحبسهم ابن الزبير وتوعدهم شرًا، وأشار بعض من كان مع ابن الحنفية أن يرسل إلى المختار لعله ينقذهم ففعل، ولما وصل كتاب[1] ابن الحنفية إلى المختار أقسم أن ينصره[2]. وبهذا فقد آتت المختار الفرصة التي كان ينتظرها ليثبت لابن الحنفية أنه الرجل الذي يعتمد عليه، وكذلك يقول للآخرين بأنه رجل ابن الحنفية فلولا ذلك لما أرسل إليه.

فأرسل المختار رجالًا من عنده قدر عددهم ١٥٠ رجلًا يقودهم أبو عبد الله الجدلي فسار بهم حتى المسجد الحرام ثم انتهوا إلى زمزم وأطلقوا سراح ابن الحنفية وقد انسحب عبد الله بن الزبير بعد أن اجتمع مع ابن الحنفية في شعب علي أربعة آلاف رجل[3].

ويقال إن أصحاب المختار كانوا يسمون الخشبية لأن أكثرهم كانوا يقاتلون بالخشب، وقيل إنهم سموا بالخشبية لأن الذين وجههم المختار لنجدة ابن الحنفية عندما حبسه ابن الزبير أخذوا بأيديهم الخشب الذي أعده ابن الزبير لحرق ابن الحنفية وأصحابه، ربما سموا بهذا الاسم لأنهم عندما دخلوا الحرم كرهوا دخوله بسيوف مشهورة فدخلوه ومعهم الخشب[4]. وفي رواية أخرى أنهم سموا بالخشبية لأن إبراهيم بن الأشتر عندما لقي عبيد الله بن زياد كان أكثر جند إبراهيم معهم الخشب فسموا الخشبية[5]. ويرى بعضهم أنهم سموا بالخشبية لأن عدد من قتل مع المختار عندما التقى مع مصعب بن الزبير ٧ آلاف رجل فأطلق عليهم مصعب اسم الخشبية[6]. ويبدو أن الرأي الأخير هو المرجح لأن الهالة التي صورت لمصعب بن

---

(١) نص كتاب ابن الحنفية إلى المختار الثقفي.

بسم الله الرحمن الرحيم

من محمد بن علي ومن قبله من آل رسول الله إلى المختار بن أبي عبيد ومن قبله من المسلمين، أما بعد فإن عبد الله بن الزبير أخذنا، فحبسنا في حجرة زمزم، وحلف بالله الذي لا إله إلا هو لنبايعه أو ليضرمنها علينا بالنار، فياغوثاه. ينظر (اليعقوبي، تاريخ، ج ٢، ص ٢٦١).

(٢) المسعودي، مروج الذهب، ج ٣، ص ٧٦ - ٧٧.

(٣) الطبري، تاريخ الرسل، ج ٦، ص ٧٦ - ٧٧.

(٤) البلاذري، أنساب الأشراف، ج ٥، ص ٢٣١.

(٥) ابن قتيبة، المعارف، ص ٦٢٢.

(٦) المسعودي، مروج الذهب، ج ٣، ص ٩٩.

الزبير عن المختار جعلته يحسب له ألف حساب ولكن عندما التقى به رآه كيف كان سهل المنال.

ويتبادر إلى الذهن تساؤل هو لماذا لم يتوجه ابن الحنفية إلى الكوفة مع المختار بل توجه إلى الطائف؟ فيرى بعضهم أن ابن الحنفية لم يذهب إلى الكوفة، لأنه لم يكن يثق بالمختار وكذلك بعدم ذهابه فإنه سوف يتجنب عداوة كل من الخليفة عبد الملك بن مروان وعبد الله بن الزبير[١]. ويمكننا أن نضيف إلى ذلك أن المختار سوف يستغل وجود ابن الحنفية في الكوفة ويحاول أن يجمع اتباعًا جددًا له بدعوى وجود ابن الحنفية في الكوفة، كذلك أن ابن الحنفية رأى أن وجوده في الكوفة وهي تشكل في ذلك مركزًا معارضًا أوليًا ومعنى ذلك أنه سيقف على رأس المعارضين في الكوفة. وهو بذلك سوف يصطدم بشكل مباشر مع الخليفة عبد الملك بن مروان وعبد الله بن الزبير، علمًا أن ابن الحنفية كان يميل إلى المهادنة والابتعاد عن العنف في الحصول على حقه الذي يدعيه في الخلافة.

وشيع المختار إبراهيم بن الأشتر عندما خرج لحرب عبيد الله بن زياد وذلك يوم السبت لثمان بقين من ذي الحجة سنة ٦٦ هـ/ ٦٨٥ م. وعندما وصلوا إلى دير عبد الرحمن ابن أم الحكم الثقفي وإذا أصحاب المختار قادمين وقد حملوا كرسيًا يستنصرون به ويقول أمر الكرسي حوشب البرسمي يا رب عمرنا في طاعتك وانصرنا على الأعداء واذكرنا ولا تنسنا وأصحابه يقولون آمين آمين فلما رأى ذلك ابن الأشتر قال اللّهم لا تؤاخذنا بما فعل السفهاء سنة بني إسرائيل[٢].

وسار ابن الأشتر إلى تخوم العراق ووغل في أرض الموصل وتعجل ليلتقي عبيد الله بن زياد في الخازر[٣] وجاء عبيد الله بن زياد ونزل قريبًا منهم ودارت معركة قوية جدًا قتل فيها عبيد الله بن زياد في منطقة الخازر سنة ٦٧ هـ/ ٦٨٦ م. وسار ابن الأشتر إلى الموصل وبعث عماله عليها، وقد هلت البشرى على المختار عندما علم بانتصار إبراهيم بن الأشتر وقتل عبيد الله بن زياد[٤].

---

(١) دكسن، الخلافة الأموية، ص ٩٢.
(٢) الطبري، تاريخ الرسل، ج ٦، ص ٨١ ـ ٨٢.
(٣) الخازر: نهر بين أربل والموصل ثم بين الزاب الأعلى والموصل وهو موضع. (ياقوت، معجم البلدان، ج ٢، ص ٣٣٧).
(٤) المسعودي، مروج الذهب، ج ٣، ص ٩٧.

أما بشأن الكرسي فقيل إن الطفيل بن جعدة بن هبيرة كان له جار زيات عنده كرسي قديم، وقد خطرت للطفيل فكرة معينة، أخذ الطفيل الكرسي من الزيات، وذهب إلى المختار يسره بأن جعدة كان لديه كرسي يرى فيه أثره من علم الله فطلب المختار منه جلبة فلما أتى به وكان قد نظف وشرب بالزيت أمر للطفيل ١٢ ألف درهم، ثم أن المختار دعا إلى الصلاة وقال إن هذا فينا يعني الكرسي مثل التابوت في بني إسرائيل فكشفوا عنه أثوابه فكبرت السبئية ورفعوا أيديهم وكانوا يخرجون بالكرسي في كل ملحمة قتال ويتباركون به[١].

وهناك رواية أخرى تشير إلى المختار الثقفي قال لآل جعدة بن هبيرة بن أبي وهب المخزومي وكانت أم جعدة أم هانىء بنت أبي طالب أخت علي بن أبي طالب عليه السلام لأبيه وأمه، ائتوني بكرسي علي بن أبي طالب رضي الله عنه فقالوا: إنه ليس عندنا، وقد أصر على طلبه فذهبوا وآتوه بكرسي فقالوا له أنه هو فقبله منهم فخرجت شبام وشاكر ورؤوس أصحاب المختار وقد زينوا الكرسي وعصبوه بالحرير[٢]. وأرجح هذه الرواية التي وردت بشأن الكرسي لأن اتخاذ هذا السبب سيضفي عليه طابعًا دينيًا وسوف يستغل المختار هذه المسألة الدينية لكي يعمق الصلة الروحية بين أتباعه بهذا الكرسي الذي ادعى أنه كرسي الإمام علي بن أبي طالب رضي الله عنه.

وقال أعشى همدان:

شهدتُ عليكم أنكمْ سَبَّئية ... وإنّي بكم بأشرطَةَ الشركِ عارفُ
وأقسمُ ما كرسيكم بسَكينةٍ ... وإن كان قد لُفَّتْ عليه اللّفائفُ
وإن ليس كالتابوتِ فينا وإن سَعتَ ... شِبام حواليْهِ ونَهْد وخارفُ

وقال غيره:

ابلغ أَبا إسحٰق إنْ جِئتَه ... أني بكرْسيكم كافِرُ
تنزوَ شبامٌ حول أعوادِه ... وتحملُ الوحْيَ له شاكر
محمرَّة أعيُنُهم حولَهُ ... كأنهنّ الحمّص الحادرُ[٣]

---

(١) الطبري، تاريخ الرسل، ج ٦، ص ٨٢ ـ ٨٣.

(٢) الطبري، تاريخ الرسل، ج ٦، ص ٨٣ ـ ٨٤. ابن الأثير، الكامل، ج ٤، ص ٢٥٩ ـ ٢٦٠.

(٣) الطبري، تاريخ الرسل، ج ٦، ص ٨٤.

ولم يكتف المختار بذلك بل عندما دخل عليه رفاعة بن شداد، وكانت بجنب المختار وسادتان فقال لرجل من خاصته اجلب وسادة لفلان فقلت وهاتان الوسادتان! فرد المختار قام عن إحداهما جبريل وعن الأخرى ميكائيل[١]. كذلك كتب إلى أهل البصرة بلغني أنكم تكذبونني وتكذبون رسلي وقد كذبت الأنبياء من قبلي ولست بخير من كثير منهم»[٢] وقد أطلق على المختار الثقفي الكذاب لأنه كان يدعي أن جبريل عليه السلام يأتيه بالوحي[٣] كما ادعى علم الغيب[٤].

وقال فيه بعضهم:

كفرت بوحيكم وجعلت نذرًا      علي هجاءكم حتى المماتِ
أرِي عيني ما لم تَرَيَاهُ      كلانا عالم بالترهاتِ[٥]

حاول المختار أن يستغل سذاجة بعض الناس ليمرر عليهم أهدافه وطموحاته التي توسعت مع توسع وانتشار حركته التي بدأت صغيرة وانتهت كذلك فحاول أن يستغل الدين أبشع استغلال لكي يضفي على نفسه طابعًا دينيًا بحيث يجعل الناس يلتفون حوله ويصدقون أقواله.

تولى مصعب بن الزبير إمارة البصرة سنة ٦٧ هـ/ ٦٨٦ م بعهد من أخيه عبد الله بن الزبير، فجاء أشراف الكوفة إلى مصعب وشكوه المختار وسألوه النصرة لهم، وأعد مصعب العدة وهيأ العسكر وفيهم المهلب بن أبي صفرة، وأرسل مصعب إلى عبد الرحمٰن بن مخنف وطلب منه أن يجمع إليه من استطاع من أهل الكوفة لبيعة مصعب سرًا وخذل المختار، وبلغ المختار أن مصعبًا في طريقه إليه فأعد جيشًا وضع عليه أحمر بن شميط، وكان عدد الموالي في جيش المختار كبيرًا جدًا وقد أغاظ ذلك عبد الله بن وهيب الذي كان على ميسرة أحمر بن شميط، فجاء إلى هذا وطلب منه أن ينزل الموالي من على ظهور الخيل لكي لا يفروا من ساحة المعركة إذا دارت عليهم وإن كانوا رجالة فإنهم سوف يثبتون وكان رأيه هذا غشًا لما كانوا لقوا منهم بالكوفة. وجاء الفريقان حمام أعين ودعا كل منهما البيعة

(١) البلاذري، أنساب الأشراف، ج ٥، ص ٢٣٣.
(٢) ابن عبد ربه، العقد الفريد، ج ٥، ص ١٦٩.
(٣) الذهبي، دول الإسلام، ج ١، ص ٥١.
(٤) الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج ٣، ص ٣٥٣.
(٥) ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج ١، ص ١٧٨.

لصاحبه ثم بدأ القتال بين الفريقين وكان سجالًا قتل فيه ابن شميط والكثير من الموالي[١].

فقال الأعشى:

| | |
|---|---|
| ألا هـل أتـاك والأنـبـاء تـنـمـي | بـمـا لاقـت بـجـيـلة بـالـمـذار |
| كـأن سـحـابـة صَـعَـقـت عـلـيـهـم | فـعـمـتـهـم هُـنـالـك بـالـدمـار |
| ومـا إن سَـرنـي إهـلاك قـومـي | وإن كـانـوا وجَـدُك فـي خـيـار |
| ولـكـنـي سـررت بـمـا يـلاقـي | أبـو إسـحـٰق مـن خـزي وعـارِ[٢] |

ولما علم المختار بتلك الهزيمة قال: «قتلت العبيد قتلة ما سمعت بمثلها... وقال ما من الموت بد وميتة أموتها أحب إلي من مثل ميتة ابن شميط»[٣].

وأقبل مصعب إلى المختار في الماء والبر، وخرج المختار بأصحابه إلى حروراء وحال بينهم وبين الكوفة. وكان المختار قد استعد للحصار حيث حصن قصره وأدخل فيه عدة الحصار. وتزاحف الفريقان ودنا بعضهم من بعض واقتتلوا أشد قتال، فتفرق أصحاب المختار، فركب بمن بقي معه عائدًا إلى قصره، ومصعب بن الزبير وراءه فقطع عنه الماء والغذاء. وكان المختار يخرج بأصحابه ليغير على جند مصعب فيرمى من فوق البيوت بالحجارة والماء القذر، وقد اشتد الحصار على المختار وأصحابه فخرج مع تسعة عشر رجلًا من أصحابه فقاتل حتى قتل، وقد كانت مدة حصار مصعب للمختار أربعة أشهر، وقد بايع إبراهيم بن الأشتر مصعبًا، وأرسل هذا إلى زوجتي المختار وسألهما عن المختار فقالت أم ثابت سمرة بنت جندب أقول فيه ما تقولون أنتم فيه. فقال لها مصعب اذهبي، أما عمرة بنت النعمان بن بشير الأنصاري فقالت رحمه الله كان عبدًا صالحًا فقتلها مصعب، وقد قتل المختار سنة ٦٧ هـ/٦٨٦ م[٤].

بعد هذا العرض السريع لحركة المختار لا بد من مناقشة بعض الآراء التي طرحها بعض المؤرخين. إن حركة المختار قد جمعت بين صفوفها الكثير من الفرق

(١) الطبري، تاريخ الرسل، ج ٦، ص ٩٣ - ٩٧. ابن الأثير، الكامل، ج ٤، ص ٢٦٦ - ٢٦٩.

(٢) الطبري، تاريخ الرسل، ج ٦، ص ٩٧ - ٩٨.

(٣) الطبري، تاريخ الرسل، ج ٦، ص ٩٨. ابن الأثير الكامل، ج ٤، ص ٢٧٠.

(٤) ابن الأثير، الكامل، ج ٤، ص ٢٧٠ - ٢٧٥.

والجماعات ذات الأهداف المختلفة، ولكن وبالتأكيد أن كل واحدة من هذه (الفئات) كانت تسعى لتحقيق أهدافها الخاصة عن طريق استغلال هذه الحركة.

فالسبئية الذين يرجعون إلى عبد الله بن سبأ اليهودي صار لهم شأن سياسي في حركة المختار وقد جعل من بعضهم جيشًا له[١].

وكان الموالي نصيبهم من هذه الحركة حيث وجدوا فيها معبرًا عن طموحهم في المساواة بينهم وبين العرب المسلمين وقد شكلوا تهديدًا للدولة الأموية أثناء هذه الحركة[٢]. إن المساواة التي نادوا بها مع من أرادوها مع الذين حملوا الإسلام بأرواحهم وقدموها رخيصة في سبيل المبادىء التي أمنوا بها فهل يريدون المساواة مع من حررهم من الاستعباد والطغيان، وهل كانت أمة العرب قد استعبدتهم، أن بعض الموالي لم ينصهر مع العروبة والإسلام فوجد في حركة المختار ما يعبر به عن طموحه.

لقد وصف بعضهم المختار بأنه رجل بعيد عن المبادىء مستعد للوقوف إلى جانب الذي يكون أكثر فائدة له[٣]. أي كان رجلًا (انتهازيًا) وهذا صحيح.

ويشير بعض المؤرخين إلى مميزات حركة المختار بأنه نقل الإمامة من أبناء فاطمة رضي الله عنها إلى محمد ابن الحنفية وهو ابن الإمام علي رضي الله عنه من خؤلة الحنفية، كذلك أن تعاليم المختار تتسم بمحتواها الديني العقائدي حيث أطلق فكرة المهدي على شخص ابن الحنفية كما استخدم فكرة البداء التي مكنته من تغيير آرائه من حين لآخر، كذلك ظهر بمظهر النبي، وكان دخول الموالي في حركته ككتلة قوية ومناداته بضرورة المساواة بينهم وبين الأشراف من العرب[٤].

وتعقيبًا على ذلك نقول هل كان المختار جادًا في دعوته لآل البيت أم أنه حاول أن يتخذ ذلك ستارًا لدعوته؟. وقد حاول المختار جاهدًا أخذ موافقة علي بن الحسين بن علي رضي الله عنه الذي رفض بإصرار دعوة المختار، وحتى ابن الحنفية رفضها على الرغم أنه دعا إليه لأنه شك في دعوته، إما بشأن أفكاره فإنها لم تتبلور بالشكل الذي عليه في حياة المختار كما أعتقد، وإنما تبلورت وأخذت شكلها النهائي

---

(١) فلهاوزن، تاريخ الدولة العربية، ص ٦٤.

(٢) فلهاوزن، تاريخ الدولة العربية، ص ٢٦٩.

(٣) Muir, the Caliphate, p.336.

(٤) فاروق عمر، التاريخ الإسلامي، ص ٤٩.

بعد انتهاء المختار، فظهرت المختارية، والخشبية، والكيسانية وهي تسميات لشكل واحد. أما دخول الموالي في الحركة فقد أضفى عليها طابع العالمية أي أن حركة المختار ضمت في جوانبها فضلًا عن العرب، الموالي من الفرس وغيرهم الذين شكلوا قوة كبيرة في حركة المختار، ولكن هل الموالي كانوا فعلًا حريصين على أخذ ثأر الحسين عليه السلام وعائلته أم أن دورهم تبلور واتخذ هذا الاتجاه بحيث وجدوا في هذه الحركة متنفسًا جديدًا للتعبير عن الحقد ضد العروبة والإسلام؟.

وقد وصف بعض المؤرخين المختار بأنه «أستاذ قدير في فن الدعاية كما هو واضح من أشعاره وتنبؤاته ومن حملة الكرسي»[1]. والحقيقة أن المختار لم يكن (أستاذًا) بقدر ما كان يعرف كيف يستغل الأمور والمواقف، ويوظفها لصالحه بحيث يجعل من يستمع إليه يصدقه. فقد كان يعرف كيف يدخل إلى نفوس الناس ويكسبهم إلى جانبه ليصبحوا مؤيدين له!.

ويقول بعض المؤرخين: «إن ثورة المختار أول ثورة استلمت الحكم عن طريق تنظيم حزبي منظم»[2] لا يجوز أن نطلق عليها (ثورة) لأن لهذا المصطلح معنى أعمق، وهو التغيير الجذري الشامل، ثم كيف قامت على تنظيم حزبي منظم؟ إذا كان لكل طرف من روافدها هدف معين كان يبغيه في نفسه إذن سوف تكون الوسائل مختلفة، لأن الأهداف متناقضة، ولكنهم يلتقون في هدف واحد وهو العداء لبني أمية. ولكن لو فرضنا جدلًا أنهم استطاعوا الوصول إلى هدفهم الرئيسي هل من الممكن أن يلتقوا ويصبوا في رافد واحد؟ الجواب كلا، لأن عند ذلك سوف يبدأ التناحر ما بين الأطراف التي جمعها هدف واحد، فالتنظيم لم يكن تنظيمًا حزبيًا منظمًا بالمعنى الدقيق، لأنه ترآى لنا كيف تساقط أعضاء هذا التنظيم الواحد تلو الآخر.

ولكن الذي يعنينا هل كانت حركة المختار باتجاهاتها العامة تعبر عن موقف قبيلة ثقيف، أم موقف فردي؟ بالتأكيد كانت تعبر عن موقف شخصي لفرد منها حاول أن يظهر على مسرح الأحداث، وربما دفعته إلى ذلك مكانة قبيلته وعائلته. بحيث أعتقد أنها سوف تناصره وتشد من أزره طالما كان ينتسب إليها. ولكن ثقيفًا كما عرفناها ظلت مؤمنة بالخط القويم الذي سارت عليه، مخلصة للدولة العربية الإسلامية ومركزيتها ونستطيع أن نتلمس ذلك من أصناف الجند الذين قاتلوا مع المختار الثقفي، ذلك أن عدد الثقفيين بينهم كان قليلًا جدًا.

---

(١) شعبان، الثورة العباسية، ص ٢٣٤. (٢) حسن، القبائل العربية، ص ٨٩.

## حركة مطرف بن المغيرة بن شعبة الثقفي

في سنة ٧٧ هـ/٦٩٦ م ولى الحجاج بن يوسف أبناء المغيرة بن شعبة الثقفي عندما علم بأنه يمكن الاعتماد عليهم، حيث ولى عروة الكوفة ومطرف المدائن وحمزة همدان، وكانوا عند حسن ظن الحجاج[١].

وجاء مطرف بن المغيرة المدائن وسار في أهلها سيرة حسنة حيث كان خير عامل قدم عليهم[٢].

جاء بشر بن الأجدع الهمداني فقال لمطرف:

| | |
|---|---|
| إلى الفتى الماجِدِ الفياض نَعرفُه | في الناس ساعة يغْلَى كل مردُود |
| من الأكارمِ أنسابًا إذا نُسبُوا | والحامل الثَّقل يومَ المغرَم الصَّيدِ |
| إني أعيذُكَ بالرحمـٰن من نَفَرِ | حمر السِّبال كأسْدِ الغابةِ السودِ |
| فرسان شيبان لم تسمع بمثلهم | أبناء كل كريم النجل صنديد |
| شدوا على ابن حصينٍ في كَتيبةٍ | فغادَرُوهُ صريعًا ليلة العيدِ |

فقال له مطرف أنك إنما جئت ترعبنا وتخوضنا فكتب إلى الحجاج بشأن شبيب الذي قدم من ساتيدما[٣]، يطلب منه المدد فأمده الحجاج[٤].

وكان شبيب بن يزيد الشيباني قد تزعم الحركة التي كان يقودها صالح بن مسرح التميمي الذي خرج سنة ٧٦ هـ/٧٩٥ م بعد وفاته[٥].

لقد كان مطرف بن المغيرة في المدائن وجاء شبيب ونزل مدينة بهرسير الدنيا، فلم يكن بينها وبين المدائن إلا جسر دجلة فقطعه مطرف بن المغيرة، وأرسل هذا إلى شبيب إن أبعث لي رجالًا من أصحابك أدارسهم القرآن وانظر فيما تدعون إليه[٦]. وبالتأكيد إن مطرفًا أراد أن يعرف حقيقة دعوة صالح عن قرب، وبالتالي لكي يعرف سر هذه الانتصارات التي يحققها أمام جيوش الدولة الأموية.

---

(١) ابن الأثير، الكامل، ج ٦، ص ٢٦٠. (٢) الطبري، تاريخ الرسل، ج ٦، ص ٢٨٤.

(٣) ساتيدما: هو جبل بالهند لا يعدم ثلجه أبدًا. ينظر (ياقوت، معجم البلدان، ج ٣، ص ١٦٨).

(٤) الطبري، تاريخ الرسل، ج ٦، ص ٢٨٥ ـ ٢٨٦.

(٥) الطبري، تاريخ الرسل، ج ٦، ص ٢٢١ ـ ٢٢٦.

(٦) الطبري، تاريخ الرسل، ج ٦، ص ٢٢٨. ابن الأثير، الكامل، ج ٤، ص ٤٣٤.

ويرى بعضهم أن دعوة مطرف هذه ربما كانت تعبر عن مشاركة مطرف الوجدانية للخوارج وقضيتهم[١]. إن مطرفًا لم تكن له أية ميول خارجية، ولكن وصف بأنه كان رجلًا دينًا ورعًا شريفًا مطاعًا في الناس[٢].

ويرى بعض المؤرخين أن مطرفًا وشبيبًا كانا متفقين فقط كونهما يعارضان النظام[٣]. إذن لماذا تولى ولاية المدائن؟

وافق شبيب على إرسال عدد من أصحابه على أن يرسل مطرف مقابلهم عددًا من أصحابه يتخذهم رهينة وذلك لأن شبيبًا خاف أن يغدر به مطرف، فلما جاء أصحاب شبيب مطرفًا سلم أحدهم على مطرف السلام على من خاف مقام ربه وعرف الهدى وأهله فرد عليه مطرف السلام[٤]. ترى كيف يستعملون عبارات منمقة تدل في الظاهر على ورعهم وإيمانهم الديني، الذي عرفوا كيف يستغلونه لتحقيق أهداف خارج إطار الدين.

وقد طلب مطرف من أصحاب شبيب أن يعلموه أمرهم، فقال أحدهم وهو سويد بن سليم «أننا ندعو إلى كتاب الله وسنة رسوله ﷺ وأن الذي نقمنا على قومنا الاستئثار بالفيء وتعطيل الحدود والتسلط بالجبرية فقال لهم مطرف ما دعوتم إلا إلى الحق»[٥].

بعد ذلك طلب منهم سماع رأيه ودعوته لكي يجتمعوا معًا ويصبحوا يدًا واحدة فقال مطرف «أدعوكم إلى أن نقاتل هؤلاء الظلمة العاصين... وأن ندعوهم إلى كتاب الله وسنة نبيه ﷺ وأن يكون هذا الأمر شورى بين المسلمين يؤمرون عليهم من يرضون لأنفسهم على مثل الحال الذي تركهم عليها عمر بن الخطاب رضي الله عنه»[٥]. وهنا يتضح لنا أن مطرف بن المغيرة لم تكن لديه أية أطماع دنيوية وإلا ما دعاهم إلى هذه الدعوة ويبدو لي أنه أراد أن يتبين بدقة مطامح ومصالح شبيب وأصحابه من خروجهم على الدولة الأموية.

خرج الوفد عائدًا إلى شبيب ليخبره نتيجة المفاوضات فطلب الرجوع إليه والمذاكرة معه، لأنه طمع فيه. فما أن أصبح الصباح حتى قدم سويد بن سليم إلى

---

(١) دكسن، الخلافة الأموية، ص ٣٠٠.

(٢) ابن كثير، البداية والنهاية، ج ٩، ص ٧٨.

(٣) ذنون، العراق في عهد الحجاج، ص ٨٩.

(٤) الطبري، تاريخ الرسل، ج ٦، ص ٢٨٦. (٥) ن.م، ج ٦، ص ٢٨٧.

مطرف وقال له لقد لقينا أمير المؤمنين (يقصد شبيب) فطلب منا أن نلقاك لنحمل لك الجواب. فقال: «ألست تعلم أن اختيار المسلمين منهم خيرهم لهم فيما يرون رأي رشيد... فإذا قال لكم نعم فقولوا له فإنا قد اخترنا لأنفسنا أرضانا فينا وأشدنا اضطلاعًا لما حمل... أما بشأن الشورى وقريش فقولوا له أن أهل الحق لا ينقصهم عند الله أن يقلوا ولا يزيد الظالمين خيرًا... وأن دخولنا فيما دعوتنا إليه من الشورى خطيئة وعجز ورخصة إلى نصر الظالمين ووهن لأنا لا نرى أن قريشًا أحق بهذا الأمر من غيرها من العرب... ونحن أول من أنكر الظلم وغير الجور وقاتل الأحزاب فإن اتبعنا فله ما لنا وعليه ما علينا وهو رجل من المسلمين وإلا يفعل فهو كبعض من نعادي ونقاتل من المشركين، فقال له مطرف لقد فهمت... أرجع يومك هذا حتى ننظر في أمرنا»[١] فشبيب في رده على مطرف قد بين أن خروجه بسبب الظلم الذي حل بالبلاد، ولكن مطرفًا في دعوته كان منصفًا فلم يثمن شيئًا لنفسه، عكس شبيب في رده حيث يبين هو صاحب الأمر، وأنه انتخب أمير المؤمنين، وهذا يظهر أن في دعوته مصالح شخصية؟

جمع مطرف أهل ثقاته وهم سليمان بن حذيفة المزني والربيع بن يزيد الأسدي والنضر بن صالح ويزيد بن أبي زياد مولى المغيرة بن شعبة وقال لهم إني كاره للسلطان وقد اجتمعت مع شبيب وكنت أتمنى أن يستجيب لدعوتي لخلعه الحجاج وعبد الملك، فقال له سليمان بن حذيفة المزني والأسدي أخفي هذا الكلام ولا تخرجه وكأن شيئًا لم يكن، فقال يزيد بن أبي زياد مولى المغيرة أن الحديث سوف يصل إلى الحجاج فالتمس مكانًا غير المدائن لأن الحجاج سوف يصل إليك ويهلكك. مكث مطرف في المدائن ثلاثة أيام فخرج وخرج بعده أصحابه، وأمرهم أن يلتقوا به في الدسكرة فجاءهم إلى هناك. وهناك نادى على أصحابه وأمرهم بالجهاد ضد الظلم وأنه قد خلع الحجاج وعبد الملك فمن أراد صحبتي فليتبعني ومن أبى فليذهب حيث شاء[٢]. فمطرف كان مؤمنًا بهدف معين ولكنه لم يجبر أصحابه على اتباعه بل خيرهم في ذلك.

وقد دعا إلى كتاب الله وسنة نبيه الكريم ﷺ، وإلى قتال الظلمة، وإلى الشورى بين المسلمين، فوثب عليه أصحابه فبايعوه، وخرج مطرف من الدسكرة متوجهًا إلى

(١) الطبري، تاريخ الرسل، ج ٦، ص ٢٨٧ ـ ٢٨٨.
(٢) الطبري، تاريخ الرسل، ج ٦، ص ٢٨٩ ـ ٢٩٠. ابن الأثير، الكامل، ج ٤، ص ٤٣٤ ـ ٤٣٥.

حلوان، وقد عين الحجاج في هذه السنة أي سنة ٧٧ هـ/ ٦٩٦ م، سويد بن عبد الرحمٰن السعدي على حلوان وماسبذان، وقد احتار هذا في أمره فلا يستطيع أن يقاتل مطرفًا وهو وبهذه الحالة فإن ذلك سوف يغضب الحجاج عليه، فجمع له سويد أهل البلد والأكراد، وأخذ هؤلاء ثنية حلوان وجاء إلى مطرف الحجاج بن جارية الخثعمي حيث سمع بخروجه بثلاثين رجلًا وقد سر ذلك مطرف أخرج سويد ابنه القعقاع على رأس القوة وهو يتمنى أن لا يقاتلهم وسرح لهم مطرف الحجاج بن جارية بمن معه وقد اتفق الطرفان على أن لا يدخل مطرف حلوان، وبينما هم يمرون بالثنية تصدى لهم الأكراد فاقتتلوا وهزم الأكراد وسار مطرف إلى همذان فتركها وسار إلى مائة دينار لأن أخاه حمزة كان على همذان فخاف أن يتهم أخوه بمساعدته، وكتب إلى أخيه يطلب المساعدة بالمال والسلاح والطعام وأرسل ذلك بيد يزيد بن أبي زياد مولى المغيرة بن شعبة، وقد لبى أخوه المساعدة التي طلبها مطرف الثقفي منه وسار بأصحابه حتى أتى قم وقاشان وأصبهان وكتب إلى السويد بن سرحان الثقفي وإلى بكير بن هارون البجلي، يدعوهم إلى إطاعة الله ورسوله والجهاد ضد من ترك حكم الكتاب وإذا تحقق النصر جعلنا الأمر شورى بين الأمة، وقد لبى هاذان نداء مطرف فخرجا سرًا مع مائة من أهل الري وأتوا مطرفًا، وكتب البراء بن قبيصة وهو عامل الحجاج الثقفي على أصبهان، بأن مطرفًا قد جمع الجموع وأن الناس توافيه بأصبهان[1]. لم يكن مطرف يبغي شيئًا في دعوته بل كان يريد صلاح الأمة وبالتالي الرجوع إلى ما كانت عليه في عهد الرسول ﷺ والخلافة الراشدة، لأن في دعوته التي وجهها إلى السويد الثقفي وبكير بن هارون دعاهم إلى الجهاد في سبيل الله «فمن قبل هذا منا كان أخانا في ديننا ولينا في محيانا ومماتنا ومن رد ذلك علينا جاهدناه واستنصرنا الله عليه. . . وكفى تركه الجهاد في سبيل الله غبنا وبمداهنة الظالمين»[2].

أما الحجاج فبدأ بإرسال الإمدادات إلى البراء بن قبيصة حتى وصل العدد إلى ٥٠٠ رجل وكان البراء في ٢٠٠٠ رجل، وقد علم الحجاج بموقف حمزة من أخيه مطرف فأراد عزله فخشي أن يمكر. فأرسل الحجاج الثقفي بعهده إلى قيس بن سعد العجلي وهو على شرطة حمزة بأن يتولى همذان وأن يحبس حمزة بن المغيرة، فعمل بما أشار عليه الحجاج[3].

---

(١) الطبري، تاريخ الرسل، ج ٦، ص ٢٩٠ ـ ٢٩٤. ابن الأثير، الكامل، ج ٤، ص ٤٣٥.
(٢) الطبري، تاريخ الرسل، ج ٦، ص ٢٩٣. (٣) ابن الأثير، الكامل، ج ٤، ص ٤٣٦.

وكتب الحجاج الثقفي إلى عدي بن وتاد الأيادي وهو عامله على الري يأمره بالمسير إلى مطرف الثقفي وأن يكون البراء بن قبيصة تحت إمرته، وسار عدي يصحبه تقريبًا ٦ آلاف مقاتل، فلما علم مطرف خندق على نفسه، وسار الطرفان إلى بعضهما، ثم طلب مطرف من بكير بن هارون أن يخرج إليهم يدعوهم إلى كتاب الله وسنة نبيه فخرج إليهم وذكرهم بأنهم أبناء عمومة وأنهم أهل ملة واحدة وذكرهم بأفعال عبد الملك بن مروان والحجاج الثقفي وأنهما جباران يقتلان الناس بالظنة وكذلك إذا غضبا، فتنادوا من كل جانب كذبت يا عدو الله، واقتتل الطرفان قتالًا مريرًا قتل فيه مطرف بن المغيرة بن شعبة سنة ٧٧ هـ/ ٦٩٦ م[١].

وكان الحجاج يقول إن مطرفًا ليس ابن المغيرة بن شعبة وإنما هو ابن مصقلة بن سبرة الشيباني لأن كليهما يدعيان بأنه ولده، وقد لحق بالمغيرة وجلد مصقلة[٢].

بعد هذا العرض لحركة مطرف بن المغيرة بن شعبة لا بد من الإشارة إلى أن مطرفًا لم تكن لديه أية دوافع سياسية أو شخصية لينفذها من خلال حركته وإنما هو رجل دين ورع أحبه الناس وتعلقوا به، ولكنه كان يشعر بالأسى والظلم الذي كان يقع هنا وهناك، ولكنه فرد لا يستطيع أن يغير مجرى دولة بكاملها. ولما علم بحركة شبيب وما وصلت إليه تصور أنه سيجد فيها ضالته حيث سيتمكن عن طريقها إحقاق الحق، ولكن تبين له أن لهذه الحركة دوافع غير معلنة عرفها بعد أن التقى بوفد من أصحاب شبيب، أن هذا اللقاء كان سيعلمه الحجاج وهو في كلتا الحالتين مقتول فأراد أن يجهر بصوته لعله يجد هناك من يسانده بعد أن يعلن مبادئه، فكانت نهايته التي وضعها بيده سنة ٧٧ هـ/ ٦٩٦ م.

## وتوضّحت خلال هذا الفصل بعض الظواهر منها

- إن الحركات المعارضة للدولة الأموية كانت تطمح إلى تحقيق بعض الأغراض سواء شخصية أو سياسية أو اقتصادية أو اجتماعية أو دينية، أما بخصوص مواقف بعض رجالات ثقيف المعارضة للدولة الأموية فهي لم تكن تحمل أبعادًا عميقة على المستوى الشخصي أو السياسي أو الاقتصادي أو الاجتماعي أو الديني بل كانت ذات

(١) الطبري، تاريخ الرسل، ج ٦، ص ٢٩٥ ـ ٢٩٩.
(٢) ابن الأثير، الكامل، ج ٤، ص ٤٣٧. ابن خلدون، العبر، ج ٣، ص ٣٤٢.

مفاهيم فردية سعى بعض رجالاتها إلى تحقيق ذاتهم الشخصي أو تصور بعضهم أن بمقدوره أن يغير مجرى هذه الأمة.

- وتبيّن لنا أن حركة المختار بن أبي عبيد الثقفي هي حركة فردية أراد المختار من خلالها نشر مفاهيمه وأفكاره فالتف حوله بعض المستفيدين وأراد من ذلك تحقيق مصالح شخصية بحتة، وتصور أن مكانته ومكانة قبيلته - ثقيف - ستحقق أغراضه، لكنه سقط بعد أن دفع ثمن ذلك حياته.

- أما حركة مطرف بن المغيرة الثقفي فإنه أراد تصحيح أوضاع أمة اختط القدر طريقها ورسمت هي إطارًا لديمومتها وعنوانها فتصور مطرف أن بمقدوره فعل ذلك وأن دعوته ستلاقي التأييد لكنه سقط لأنه ليس بمقدور فرد أن يغير مسار التاريخ.

- إن الحركة المختارية والمطرفية تمثلان حالات فردية ضمن إطار قبيلة كبيرة كثقيف فلا يمكن أن نعمم حالات الانزلاق هذه، لأن مسار القبيلة العام كان وظل مع الدولة العربية الإسلامية ومع وحدة الأمة بغض النظر عن رموز هذه الدولة فكانت ثقيف بذلك مؤمنة بالإسلام فكرًا وعقيدة ومنهجًا.

# الفصل الرابع
# الجُهد العَسكرِي للثقفيين

- نظرة عامة عن الجيش العَربي الإسلامي
- إسهام الثقفيين في فتح بلاد ما وراء النهر
- أثر الثقفيين في فتح السند
- دور الثقفيين العسكري في بلاد الروم البيزنطيين
- استقرار بعض الثقفيين في المغرب العَربي والأندلس ودورهم العسكري
- السمات العسكرية للقادة الثقفيين

# [الجهد العسكري للثقفيين]

## نظرة عامة عن الجيش العربي الإسلامي

توسّعت الفتوحات العربية الإسلامية في العصر الأموي، وأحدثت أبعادًا جديدة، الأمر الذي أسهم في تطور الجيش واكتسب خبرات قتالية مضافة، كما تنوعت أسلحته وزاد عدده، وتطورت أساليب تدريبه وتعبئته.

وبعد أن توسّعت رقعة الدولة العربية الإسلامية استدعت الحاجة وطبيعة الظروف التي كانت تمر بها تكوين جيش قوي يأخذ على عاتقه عملية الدفاع عن الأمة وعقيدتها السمحاء وتعاليمها السامية الإنسانية.

وقد تطورت الأسلحة التي استخدمها العرب المسلمون في قتالهم ضد الأعداء خلال العصرين الراشدي والأموي، حيث كانوا يستخدمون السيف والرمح والقوس والسهم وكذلك استخدموا أسلحة ثقيلة نسبيًا مثل المنجنيق والدبابة وسلالم الحصار.

ويرى بعض الباحثين أن الدولة الأموية تميزت بسياستها العربية التي سارت عليها ومضمون هذه السياسة اعتماد الدولة على العرب في كثير من مرافق الحياة[1]. غير أن الذي يتبين لي أن الدولة العربية الإسلامية في العصر الأموي أبعدت العناصر غير العربية عن الأماكن الإدارية الحساسة فقط مثل الجيش، لأنه كان يشكل الأداة الرئيسية في التصدي لأعداء الأمة ونشر الإسلام وفي هذه الحالة لا بد أن تكون أغلب عناصره من العرب، لأن اندفاعهم سوف يكون أقوى، لأنهم يدافعون عن وجودهم وعن دولتهم وعقيدتهم، ولكن لا بد من الإشارة هنا إلى أن الدولة الأموية لم تهمل العناصر غير العربية، خاصة تلك التي أظهرت ولاءها للدولة وعقيدتها، ولهذا نراها

---

(١) الراوي، تاريخ الدولة العربية، ص ١٣٠.

استفادت من خبرة هؤلاء في مرافق الدولة الأخرى. ومثالنا على ذلك صالح بن عبد الرحمٰن السجستاني الذي قام بتعريب ديوان العراق من اللغة الفارسية إلى اللغة العربية إبان ولاية الحجاج بن يوسف الثقفي (٧٥ ـ ٩٥ هـ/ ٦٩٤ ـ ٧١٣ م) على العراقين.

لقد كرّم الله العرب بالإسلام، فأصبح هذا الدين، فكرًا وعقيدة، جزءًا من شخصية العربي. يدافع عنه ويستشهد في سبيله، لأنه بذلك يدافع عن وجوده وعن قيمه التي آمن بها. فراح يركب المصاعب ويتحمل المشاق ويقدم أغلى التضحيات في سبيل نشر العقيدة، وتخليص البشرية من الظلام الذي كانت تدور في فلكه سواء في المشرق أو المغرب.

والمستشرق الفرنسي (روجيه غارودي) يبدي أسفه لأن العرب المسلمين قد توقفوا في انتشارهم في حمل الإسلام عند معركة بواتيه سنة ١١٤ هـ/ ٧٣٢ م لأن ذلك حجب لنور الإسلام من الانتشار في أوروبا[١].

«إن الدين الإسلامي كان تعبيرًا عن تطور أمة ونضجها، وتطور مرحلة تاريخية ونضج عالمي متعطش إلى التقدم، فصار هناك لقاء ما بين الأمة ورسالتها باعتباره نضجًا فكريًا وعقليًا ينسجم مع متطلبات تلك المرحلة. فصار هناك التقاء بين أهداف الأمة الخاصة بها من خلال الرسالة وأهداف الإنسانية باعتبارها متطلبات إنسانية عالمية، وهذا يعني أن الإسلام جاء جوابًا قوميًا وعالميًا»[٢].

من هذا يتبين لنا أن الدولة العربية الإسلامية كانت بحاجة إلى تكوين جيش يأخذ على عاتقه الدفاع عن حدود الأمة ونشر الإسلام.

ويعتقد بعض الباحثين «أن عدم رغبة الخلافة الأموية في خلق جيش نظامي دائم مرتبط بالدولة وموال لها ومدافع عن قضيتها كان من أهم نقاط الضعف في الخلافة الأموية»[٣]. ويبدو لي أن هذا الحكم غير دقيق، إذ لا بد أن يكون للدولة جيش يدافع عن حدودها ويتولى إخماد الحركات المناوئة لها. لكن من المحتمل ألا تتواءم

(١) إلياس فرح، مقدمة في دراسة المجتمع العربي والحضارة العربية، (بغداد ١٩٧٩)، ص ٧٥.
(٢) فرح، مقدمة في دراسة، ص ٦٨.
(٣) فاروق عمر وآخرون، النظم الإسلامية، دراسة تاريخية، ط ١، دار الحكمة، (بغداد، ١٩٨٧)، ص ١٥٢.

مواصفات هذا الجيش بتشكيلاته وأنظمته مع تشكيلات وأنظمة الجيوش النظامية الحديثة.

ثم كيف تمت الفتوحات الإسلامية في العصر الأموي بحيث وصلت إلى بلاد السند ورابط الجيش العربي الإسلامي هناك، وقامت أكثر من حملة عسكرية بحرية لمحاصرة عاصمة الروم البيزنطيين القسطنطينية، ثم لماذا أوجد ديوان الجند. منذ عهد الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه (١٣ ـ ٢٣ هـ/ ٦٣٤ ـ ٦٤٣ م) لكي تدون به أسماء المقاتلة، ولكي يتم صرف العطاء لهم؟ ثم أن هذا الديوان تطور في العصر الأموي لأن عدد المقاتلة قد ازداد وبالتأكيد كان الديوان بحاجة إلى سجلات أكثر، وإلى عمال يقومون بإدارته.

ولو نظرنا نظرة ضيقة للموضوع لقلنا إن تأييد بلاد الشام للخلافة الأموية كان يكفي لتشكيل جيش نظامي مؤيد لها وأن غالبية الجيش العربي الإسلامي يتكون من القبائل العربية التي انصهرت في بوتقة الإسلام وأصبح ولاؤها له.

ويشير الباحث الفاضل في موضع آخر إلى بروز بوادر لوحدات جيش في العصر الأموي شبه نظامية «ككتيبة الحرس الخاص بالخليفة... كما نظم الأمويون مسالح وهي كتائب ترابط في المدن غير المستقرة أو المهمة وكانت تحت قيادة صاحب المسلحة، كما ظهرت في أواخر العصر الأموي كتائب بأسماء قادتها، وكانت أقرب إلى فرق عسكرية نظامية»[١]. فالعصر الأموي قد عرف تكوين الجيش النظامي وكذلك ظهرت هناك أساليب قتالية جديدة مبتكرة عربية خالصة ظهرت لحاجة الأمة لها نتيجة لاحتكاكها بالأمم الأخرى.

لقد كانت فكرة التجنيد الإلزامي تراود ذهن الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه وذلك «عندما دون الديوان ورتب للمسلمين أرزاقهم السنوية خرجت فكرته إلى حيز الوجود، فاقترنت نشأة الديوان بنشأة التجنيد النظامي الرسمي»[٢]. أو ما يشبه ذلك.

وقد استمرت تلك الفكرة في العصر الأموي، وخير دليل على ذلك عندما أمر الحجاج بن يوسف الثقفي العراقيين بالمسير لمقاتلة الخوارج[٣]. إذن كان هناك جيش

---

(١) فاروق عمر، النظم الإسلامية، ص ١٥٢.
(٢) الصالح، النظم الإسلامية، ص ٤٨٨ ـ ٤٨٩.
(٣) الطبري، تاريخ الرسل، ج ٦، ص ٢٠٧. الصالح، النظم الإسلامية، ص ٤٩٠.

يقترب بمضمونه من مفهوم الجيش النظامي، إذ كان يتواءم مع المستجدات الظرفية حينذاك، مهيىء ومدرب للدفاع عن حدود الدولة العربية الإسلامية أما تكوين هذا الجيش ووحداته فإنه كان مكونًا من القبائل العربية المسلمة، حيث انصهرت جميعها ضمن بوتقة الإسلام، حتى وإن بقي نظام قتالها قبليًا. فإن أفرادها كانوا يقاتلون باسم الأمة والإسلام.

وقبيلة ثقيف كانت ضمن القبائل التي أمدت الدولة العربية برجالات أسهموا في الذود عن حمى الدولة ومبادىء الرسالة، من خلال مشاركتهم في جحافل الإيمان، قادة للعمليات العسكرية، أو مشرفين على الحملات، أو مقاتلين شجعان، دافعوا عن المبادىء بكل شرف الانتماء، وسمو الانتساب إلى صفوف مقاتلي الدولة العربية الإسلامية.

وقد كان العراق مركزًا للحركات الحربية الشرقية ومع هذا فقد كان حاله يشبه نارًا ملتهبة سرعان ما تشتعل فلا يستطيع بعض ولاته التوجه نحو الفتوحات لأنهم لا يملكون السيطرة على العراقين.

ولكن في ولاية الحجاج الثقفي استطاع إخماد كافة الحركات المعارضة ومن ثم توجه نحو الفتوحات[١]. ومن المؤكد أن العراق كان مركز استقطاب للحركات المعارضة للدولة الأموية، ولكنه بقي قاعدة أساسية للانطلاق نحو المشرق. وقد قام ولاته بالكثير من الفتوحات منطلقين من أرضه وقد أسهم أبناء المصرين بذلك[٢].

وثقيف كغيرها من القبائل العربية سكنت البصرة والكوفة، ففي البصرة اتخذوا لهم خطة قريبة من المسجد الجامع حيث سكنت الشخصيات المهمة من ثقيف، فسكن عبد الله بن أبي بكرة شمال المسجد الجامع، وكذلك دور عبيد الله بن أبي بكرة، وربيعة بن كلدة[٣].

كذلك نزلت ثقيف الكوفة عندما اختطها سعد بن أبي وقاص سنة ١٧ هـ/٦٣٨ م وذلك في ودعة الصحن[٤]. وأسهم أبناؤها مع أبناء القبائل العربية الأخرى بالفتوحات

---

(١) فيصل، حركة الفتح، ص ١٩٠.
(٢) خليفة بن خياط، تاريخ خليفة، ج ١، ص ١٩٨.
(٣) العلي، «خطط البصرة»، مجلة سومر، م ٨، ج ٢ (بغداد، ١٩٥٢)، ص ٢٩٩.
(٤) الطبري، تاريخ الرسل، ج ٤، ص ٤٥.

التي اتجهت إلى المشرق الإسلامي، حيث تم فتح بلاد ما وراء النهر وبلاد السند[١]. كما أسهم الثقفيون بالفتوحات في المغرب العربي وغيرها من المناطق.

## إسهام الثقفيين في فتح بلاد ما وراء النهر

في سنة ٤٧ هـ/ ٦٦٧ م. وجه زياد بن عبيد الثقفي الحكم بن عمرو الغفاري إلى خراسان واليًا فغزا جبال الغور وفراوندة ففتحها عنوة بعد أن أصاب بها غنائم وسبايا[٢].

وفي سنة ٥٠ هـ/ ٦٧٠ م ولّى زياد بن عبيد الثقفي الذي كان على المصرين سنان بن سلمة بن المحبق ثغر الهند بعد مقتل راشد بن عمرو الجديري، فقام سنان بحملة عسكرية على القيقان[٣] فتصدى له قوم كثيرون، فقال سنان لأصحابه أبشروا فأنتم بين الجنة والغنيمة[٤]. أي أنهم إن استشهدوا فأنهم سيدخلون الجنة وإن انتصروا فأنهم سوف يفوزون بالغنيمة.

وقد تناول سنان سبعة أحجار وقال لأصحابه إن رأيتموني قد حملت على القوم فشدوا أزري، فلما شارفت الشمس على المغيب رمى بالحجر الأول بوجه القوم وكبّر، ثم رمى بالأحجار حجرًا بعد آخر فلما زالت الشمس رمى بالحجر السابع وكبر وحمل معه القوم فاقتتلوا، وانتصر أصحاب سنان، وقد سأل قوم سنان صاحبهم لماذا فعل هكذا بالأحجار فقال لهم سنان أن الرسول ﷺ كان يفعل ذلك[٥]. إن زياد الثقفي كان مشرفًا على هذه الحملة العسكرية باعتبار المشرق كان تابعًا لوالي العراقين وفي سنة ٥١ هـ/ ٦٧١ م وجه زياد بن عبيد الثقفي الربيع بن زياد الحارثي أميرًا على خراسان وقد قام هذا بفتح بلخ صلحًا، كما تقدم إلى قهستان وفتحها عنوة، كما عبر الربيع ما وراء النهر فصلى هناك ركعتين وكان أول من فعل ذلك ثم قفل راجعًا[٦].

---

(١) إبراهيم أحمد العدوي، التاريخ الإسلامي آفاقه السياسية وأبعاده الحضارية، مكتبة الأنجلو المصرية، (القاهرة، ١٩٧٦)، ص ٢٣٣.
(٢) الطبري، تاريخ الرسل، ج ٥، ص ٢٢٩. ابن الأثير، الكامل، ج ٣، ص ٤٥٢.
(٣) القيقان: منطقة في بلاد السند. ينظر (ياقوت، معجم البلدان، ج ٤، ص ٤٢٣).
(٤) خليفة بن خياط، تاريخ خليفة، ج ١، ص ١٩٨.
(٥) ن.م، ج ١، ص ١٩٨.
(٦) الطبري، تاريخ الرسل، ج ٥، ص ٢٨٥ ـ ٢٨٦.

ويرى بعض الباحثين «أن زياد بن عبيد الله الثقفي قد أعطى للعمليات العسكرية زخمًا جديدًا اتسم بالجدية والتصميم الحازم في اتجاه فتح مناطق جديدة... وأن سبب تعثر الفتوحات في هذه الجهات حتى عهد أسرة زياد أنها ترجع إلى صعوبة المواصلات، وبعد المسافة، والمقاومة الشديدة من قبل أهالي الإقليم»(١). ومن الثابت تاريخيًا أن زياد بن عبيد الثقفي عندما تولى إمارة العراقين (٤٥ ـ ٥٣ هـ/ ٦٦٥ ـ ٦٧٣ م) اندفع بالفتوحات وكذلك فعل أبناؤه من بعده. والسبب كما أظن أن العراقين لم يأتهما والٍ حازم مقتدر حتى جاء زياد. وقد سار أبناؤه من بعده على طريق والدهم. وليس تعثر الفتوحات كما يقول الباحث صعوبة المواصلات وبعد المسافة والمقاومة من أهالي الأقاليم، لأن زياد بن عبيد عندما تولى إدارة العراقين واتجه نحو الفتوحات لم يكن في مقدوره تقصير المسافات، ولا شق طرق مواصلات جديدة، ولا يوجد في مصادرنا ما يشير إلى أن مقاومة أهالي الأقاليم قد خفت. إن هذه المصاعب تهون ولا يبالي بها أمام إرادة الإنسان الصلبة، وعزيمته التي لا تلين وإيمانه الصادق بحتمية النصر. فكان زياد بن عبيد الثقفي من هذا النوع من الرجال وكذلك أبناؤه من بعده.

وقد استطاع الربيع بن زياد من أسر عبد الرحمٰن والد صالح بن عبد الرحمٰن السجستاني الذي عرّب ديوان العراق في ولاية الحجاج على العراقين(٢).

ويرى بعض المؤرخين أن عبيد الله بن زياد الثقفي كان على خراسان فقطع نهر جيجون إلى بخارى على الإبل، فكان بذلك أول عربي قطع النهر، وقد استطاع فتح بعض أجزاء من بخارى كما صالح أهل طبرستان على خمسمائة ألف درهم في السنة وكان ذلك سنة ٥٤ هـ/ ٦٧٣ م(٣). أما المناطق التي فتحها من بخارى فهي زامين وجزء من بيكند(٤). فعبيد الله بن زياد الثقفي عبر النهر ولم يتوقف كما فعل الربيع بن زياد الحارثي بل سار إلى بخارى وفتح قسمًا منها، وبذلك يكون أول عربي يصل إلى تلك المنطقة.

وكان عبيد الله بن زياد ذا بأس شديد في القتال فكان يحمل على العدو فيطعن فيهم ويختفي بين صفوفهم، ثم يحمل عليهم مرة ثانية وهكذا. وقد بقي في خراسان

(١) السامرائي، إقليم السند، ص ٨٤ ـ ٨٥. (٢) قدامة بن جعفر، الخراج، ص ٣٩٢.
(٣) خليفة بن خياط، تاريخ، ج ١، ص ٢١٠. الذهبي، دول الإسلام، ج ١، ص ٣٩.
(٤) خليفة بن خياط، تاريخ ج ١، ص ٢١٠ ـ ٢١١.

سنتين[١]. وبالتأكيد أن أصحاب عبيد الله عندما شاهدوا قائدهم الميداني بهذه الشجاعة والبسالة اندفعوا إلى القتال لأن عزيمتهم من عزيمة قائدهم.

واستعان عبيد الله بن زياد الثقفي عند دخوله بخارى برماة من أهلها وقد قدر عددهم بألف رام، اتخذهم حرسًا له وهذا يعني أن أمور المسلمين مال إلى نوع من الاستقرار في هذا الجزء[٢]. ولكن هل كان هؤلاء مسلمين قبل مجيء عبيد الله؟ فإن كان الجواب بالإيجاب فهذا يعني أن الإسلام قد سبقه أم أنهم أسلموا مع تحرك عبيد الله بن زياد الثقفي إليهم؟.

وفي سنة ٥٣ هـ/ ٦٧٢ م غزا عباد بن زياد القندهار[٣] فوصل إلى بيت الذهب، وجمع له الهنود الجموع وخرجوا له، فتصدى لهم عباد فهزمهم، وقد بقي عباد على سجستان واليًا حتى وفاة معاوية سنة ٦٠ هـ/ ٦٧٩ م[٤].

وفي سنة ٦١ هـ/ ٦٨٠ م تولى سلم بن زياد الثقفي خراسان وسجستان، وعندما توجه إلى مقر ولايته الجديدة خرجت معه زوجته، أم محمد ابنة عبد الله بن عثمان بن أبي العاص الثقفي، فقطع بها نهر جيحون، فكانت أول امرأة من العرب تعبر النهر. وكان أمراء خراسان قبله يغزون فإذا حل الشتاء رجعوا إلى مرو الشاهجان[٥]، وكان ملوك خراسان يجتمعون بعد انصراف العرب المسلمين بمدينة مما يلي خوارزم، وكان المسلمون يطلبون من أمرائهم أن يتوجهوا بهم إلى تلك المدينة فلا يفعلون خشية من العدو. فلما قدم سلم بن زياد خراسان قدم عليه المهلب بن أبي صفرة، فوجهه في ستة آلاف، وقيل أربعة آلاف، إلى تلك المدينة فحاصرها، وأذعن أهلها له فصالحوه على نيف وعشرين ألف ألف درهم، كما تعاهدوا أن يبيعوه الرأس بنصف ثمنه والدابة كذلك حتى يوفوا بتعهدهم[٦].

---

(١) الطبري، تاريخ الرسل، ج ٥، ص ٢٩٧.
(٢) فيصل، حركة الفتح، ص ٢١٣ ـ ٢١٤.
(٣) القندهار: منطقة في بلاد السند. (ياقوت، معجم البلدان، ج ٤، ص ٤٢٣).
(٤) خليفة بن خياط، تاريخ، ج ١، ص ٢٠٦.
(٥) مرو الشاهجان: أشهر مدن خراسان وقصبتها. (ياقوت، معجم البلدان، ج ٥، ص ١١٢).
(٦) الطبري، تاريخ الرسل، ج ٥، ص ٤٧١ ـ ٤٧٣. ابن الأثير، الكامل، ج ٤، ص ٩٦ ـ ٩٧.

وقد غزا سلم الثقفي خوارزم، وكانت معه زوجته فولدت له ابنًا فسماه صغدي، وكذلك غزا سلم سمرقند[١]، وكان ذلك في سنة ٦٢ هـ/ ٦٨١ م[٢]. فاستطاع سلم بن زياد أن يثبت جدارته بولاية خراسان حيث وجه من قبله المهلب بن أبي صفرة إلى مدينة خارزم والتي كان يجتمع بها الكفر، واستطاع دخولها صلحًا بعد أن عرف أهلها جلد وصبر العربي، وقد صحب سلم في حملاته العسكرية زوجته وبالتأكيد كانت تستمد قوتها وعزيمتها من زوجها وهي دلالة على صبر وقوة المرأة العربية.

وعندما تولى الحجاج بن يوسف الثقفي إدارة العراقين سنة (٧٥ ـ ٩٥ هـ/ ٦٩٤ ـ ٧١٣ م) عزم على تصعيد وتائر التعبئة للجهاد، حتى أصبح الالتحاق بالجندية شبه إلزام فتوسعت الفتوحات وامتدت رقعة الدولة العربية الإسلامية وشملت مناطق جديدة. كذلك أصبح الجندي في وضع معاشي جيد، ويتبوأ مركزًا اجتماعيًا مرموقًا[٣].

وقد بقي الحجاج الثقفي طيلة إمارته على العراقين منشغلًا بهذه الزحوف والتجهيزات وإمداد القوات العربية الإسلامية بكل ما تحتاج إليه، كما أنه تابع تحركات جنده منصرفًا إليها بروحه وعقله وفكره[٤].

ويعد الحجاج الثقفي بحق مهندس العمليات العسكرية في الجناح الشرقي للدولة العربية الإسلامية، فقد وجه من العراق الجيوش إلى جبهتين هامتين في الوقت نفسه، وهي بلاد ما وراء النهر، وبلاد السند. وقد تولى قيادة جبهة ما وراء النهر قتيبة بن مسلم الباهلي الذي تولى خراسان سنة ٨٦ هـ/ ٧٠٥ م لأنها القاعدة الأساسية لفتح أواسط آسيا[٥]، أما جبهة بلاد السند التي تعرف ـ حاليًا بشمال الهند وتشمل باكستان وجزءًا من أفغانستان ـ وتولى قيادتها محمد بن القاسم الثقفي[٦]. وقد استطاع الجيش الذي أرسله الحجاج الثقفي أن يحقق انتصارات باهرة في بلاد ما وراء النهر وبلاد السند، والفضل يرجع إلى الحجاج لاختياره هذين الرجلين القديرين علاوة على ذلك

(١) الطبري، تاريخ الرسل، ج ٥، ص ٤٧٣ ـ ٤٧٤.
(٢) خليفة بن خياط، تاريخ، ج ١، ص ٢٣٦.
(٣) الجومرد، الحجاج رجل الدولة، ص ١٦٤.
(٤) شرارة، الحجاج طاغية العرب، ص ١٨٣.
(٥) الطبري، تاريخ الرسل، ج ٦، ص ٤٢٤. العدوي، التاريخ الإسلامي، ص ٢٣٣.
(٦) العدوي، التاريخ الإسلامي، ص ٢٣٤.

فقد منحهما الحجاج التأييد الكامل في حروبهما، وساندهما في كل ما كانا يطلبانه من عدة وعدد[١].

ولكن هذا لا يعني أن الحجاج الثقفي أهمل الأمور الأخرى من إمارته فقد اهتم بالجوانب الاقتصادية والاجتماعية والعمرانية والفكرية.

إن دوافع الحجاج الثقفي في فتوحاته لم تكن مادية بحتة، وكذلك لم تكن إلهاء للعراقيين أن الحالة في شرق الدولة العربية الإسلامية كانت تتطلب توطيد الأمن ونشر الإسلام هناك، بعد أن انتشر اللصوص وقطاع الطرق وأخذوا يعتدون على القوافل التجارية سواء البرية منها أو البحرية. كذلك أن هذه الفتوحات لم يشارك فيها العراقيون وحدهم، بل كان إلى جانبهم الكثير من أبناء أمتهم العربية. لقد استطاع الحجاج بخبرته وشدته وحزمه أن يحمل رايات الإسلام إلى حدود الصين، ويعد عامل التنظيم والخبرة التي امتاز بها الحجاج في إعداد وتجهيز الجيوش من أسباب نجاح هذه الفتوحات[٢].

وكان الحجاج دائم الاتصال مع قواته، وعندما كان ينقطع الاتصال يزداد قلقه عليها، فكان يطلب من الناس إقامة الصلوات والدعوة للجند بالنصر، ويأمر قواده بعدم المخاطرة وأن يكونوا في مقدمة الركب إذا اشتد وطيس المعركة في حين يكونون في مؤخرة الجند إذا رجعوا، وكان يطلب من جنده قراءة وتلاوة القرآن الكريم[٣]. وبالتأكيد أن هذه وصايا رجل حرب خبرها، وخلاصة تجربة قائد وأمير مسؤول. ولهذا نراه حريصًا على متابعة أخبار جنده. وكان لا يهمه ما سينفقه في هذه الحملات لأن همه الأول نشر الإسلام والأمن وبالتالي فإن الغنائم سوف تغطي نفقات هذه الحروب.

وقد سأل الوليد بن عبد الملك (٨٦ ـ ٩٦ هـ/ ٧٠٥ ـ ٧١٤ م) الحجاج الثقفي أن يكتب له سيرته فكتب له «أني أيقظت رأي وأنمت هواي فأدنيت السيد المطاع في قومه ووليت الحرب الحازم في أمره»[٤]. فالحجاج كان يعرف كيف يختار قواده فلم ينتقيهم لخبرتهم العسكرية فقط، ولكن كان اختياره للرجل الذي يتخذ قراره ويكون حازمًا فيه، فلا يتردد مهما كانت الظروف والمعوقات.

---

(١) فلهاوزن، تاريخ الدولة، ص ٢٤٤.

(٢) ذنون، العراق في عهد الحجاج، ص ٢١٩ ـ ٣٢١.

(٣) ن.م، ص ٢٣٢.

(٤) ابن قتيبة، عيون الأخبار، ج ١، ص ١٠.

وهذا الخليفة عبد الملك بن مروان عند وفاته سنة ٨٦ هـ/ ٧٠٥ م يوصي بنيه بالحجاج «أكرموا الحجاج فإنه الذي وطأ لكم المنابر، ودوخ لكم البلاد، وأذل الأعداء»(١). ولا شك أن هذا التصرف والسلوك في القيادة يمكن أن يعد الحجاج الثقفي سيف بني أمية الذي لم يقهر، وذلك لأنه استطاع إخماد الكثير من الحركات الداخلية، وخاض حروبًا واسعة، وبه اتسعت رقعة الدولة العربية الإسلامية.

ففي سنة ٧٨ هـ/ ٦٩٧ م ولّى الحجاج بن يوسف الثقفي عبيد الله بن أبي بكرة سجستان وأمره بالمسير إلى رتبيل ملك الترك فسار إليه سنة ٧٩ هـ/ ٦٩٨ م ودخل عبيد الله الثقفي أرض الترك وحصل على غنائم كثيرة وقد أخذ رتبيل يتقهقر أمام عبيد الله بن أبي بكرة وما زال هذا وراءه حتى وصل إلى مشارف عاصمته كابل، إلا أن الترك ضيقوا الخناق على المسلمين فطلب عبيد الله الصلح مع رتبيل على أن يأخذ منه سبعمائة ألف درهم(٢). ويفتحوا الطريق للمسلمين للعودة، إلا أن شريح بن هانىء ندب الناس إلى القتال وقد استجاب له قسم من المسلمين، وحدثت معركة عنيفة قتل فيها شريح بن هانىء مع عدد كبير من المسلمين(٣).

وكان شريح بن هانىء يرتجز:

أصبحتُ ذا بثَ أقاسي الكَبرا ... قد عِشتُ بين المشركين أعصُرَا
ثـمَّـتَ أدركـتُ الـنـبـي الـمُـنـذِرا ... وبـعـدَه صـديـقَـهُ وعُـمـرَا
ويـا جُـمَـيـرَات مـع الـمُـشَـقَّـرا ... هـيـهاتَ ما أطولَ هـذا عُـمَرَا(٤)

وكان شريح بن هانىء في دعوته للقتال ينطلق من حقيقة أن المال الذي أعطاه عبيد الله بن أبي بكرة إلى ملك الترك سيقطعه الحجاج من عطايا الجند في حين كان عبيد الله بن أبي بكرة ينطلق من دعوته للصلح وإعطاء المال لخوفه على أرواح المسلمين من الهلاك في تلك الأرض المجدبة. وفضلًا عن ذلك أن الترك قد أخذوا

---

(١) ابن الأثير، الكامل، ج ٤، ص ٥١٧ ـ ٥١٨.
(٢) أورد بعضهم أن عبيد الله بن أبي بكرة الثقفي قدم تعهدًا إلى رتبيل أن لا يغزوه ما دام واليًا، وأن يبعث إليه ثلاثة من ولده نهار والحجاج وأبي بكرة وأن يعطيه خمسمائة ألف درهم. (ينظر البلاذري، فتوح البلدان، ص ٣٩٠. قدامة بن جعفر، الخراج، ص ٣٩٧).
(٣) الطبري، تاريخ الرسل، ج ٦، ص ٣٢٢ ـ ٣٢٣. ابن كثير، البداية والنهاية ج ٩، ص ٣١ ـ ٣٢.
(٤) الطبري، تاريخ الرسل، ج ٦، ص ٣٢٣. ابن الأثير، الكامل، ج ٤، ص ٤٥١.

عليهم الطرق فلم يعد بوسع المسلمين الرجوع[١]. بالتأكيد أن أرواح المسلمين أهم بكثير من الأموال وكان عبيد الله بن أبي بكرة حريصًا على ذلك باعتباره القائد الميداني المسؤول أمام الحجاج بن يوسف الثقفي، وبالتالي فإنه رجل مسلم ومؤمن ويدرك بأنه سيكون مسؤولًا أمام الله عز وجل عن هذه الأرواح التي دفعها إلى الموت وكان بمقدوره أن يدفع الموت عنها. وبذلك فإنه رأى أن التضحية بالمال أهون بكثير من التضحية بالنفوس، علاوة على ذلك أن ملك الترك سوف يأتي وقت آخر يستطيع فيه المسلمون دخول أرضه ودك حصونه وقلاعه، وذلك بعد أن يتهيأ المسلمون ويعدوا العدة الكافية لذلك.

وقدر عدد من قتل مع شريح من المسلمين بثلاثين ألفًا، وبلغ سعر الرغيف من الخبز دينارًا[٢].

ولما بلغ الحجاج ذلك كتب إلى الخليفة عبد الملك بن مروان، وأبلغه أن ملك الترك قتل الكثير من المسلمين ممن كانوا بسجستان، وأن العدو قد اغترّ بذلك، وأن الحجاج قد أعد جيشًا كبيرًا لإرساله إلى تلك الجبهة وقد وافق الخليفة على ذلك[٣]. فالحجاج في إرساله لهذه الحملة العسكرية قد أعد كل شيء وقد سمّي هذا الجيش بجيش الطواويس وكان بقيادة عبد الرحمٰن بن محمد بن الأشعث، وبالتأكيد أن الحجاج بن يوسف الثقفي استفاد من استطلاعات الحملة العسكرية التي كانت بقيادة عبيد الله بن أبي بكرة الذي توفي ببست سنة ٧٩ هـ/ ٦٩٨ م[٤].

وقال قدامة بن جعفر أن الحجاج بن يوسف الثقفي ولّى المهلب بن أبي صفرة خراسان سنة ٩٩ هـ/ ٧١٧ م فقام هذا بفتح الختل[٥] مرة أخرى كذلك فتح خجنده[٦] وأدى سكان الصغد للمهلب الجزية، كذلك غزا كش وتوفي بزاغول[٧] في مرو الروذ،

---

(١) الطبري، تاريخ الرسل، ج ٦، ص ٣٢٣. ابن الأثير، الكامل، ج ٤، ص ٤٥٠.
(٢) ابن كثير، البداية والنهاية، ج ٩، ص ٣٢.
(٣) الطبري، تاريخ الرسل، ج ٦، ص ٣٢٣ ـ ٣٢٤. ابن الأثير، الكامل، ج ٤، ص ٤٥٤.
(٤) ابن كثير، البداية والنهاية، ج ٩، ص ٣٣.
(٥) الختل: كورة واسعة كثيرة المدن تقع خلف نهر جيحون وهي على تخوم السند. (ياقوت، معجم البلدان، ج ٢، ص ٣٤٦).
(٦) خجنده: بلدة مشهورة ما وراء النهر على شاطىء سيحون. (ياقوت، معجم البلدان، ج ٢، ص ٣٤٧).
(٧) زاغول: من قرى مرو الروذ: (ياقوت، معجم البلدان، ج ٣، ص ١٢٦).

واستخلف ابنه يزيد من بعده[١]. علمًا أن الحجاج بن يوسف الثقفي توفي سنة ٩٥ هـ/ ٧١٣ م. فكيف ولّى المهلب بن أبي صفرة خراسان سنة ٩٦ هـ/ ٧١٧ م، وكان على خراسان في هذه السنة الجراح بن عبد الله[٢]، وأن المهلب بن أبي صفرة توفي سنة ٨٢ هـ/ ٧٠١ م[٣].

وكان الحجاج قد عزل يزيد بن المهلب عن خراسان وولاها المفضل بن المهلب وذلك في سنة ٨٥ هـ/ ٧٠٤ م وقد غزا المفضل باذغيس ففتحها وأصاب بها مغانم كبيرة، ولم يكن له بيت مال فكان يوزع على الناس كل ما يصل إليه[٤]. والذي اعتقده أن المفضل بن المهلب لم يكن يستقرب بمكان معين فكان دائم الحركة ولهذا لم يكن عنده بيت مال ثابت علاوة على ذلك فإن المفضل بن المهلب استهدف من وراء أجرائه هذا كسب رضا جنده من خلال توزيع الغنائم ولهذا عزله الحجاج بن يوسف الثقفي بعد تسعة أشهر من ولايته[٥].

ويمكننا القول إن منطقة ما وراء النهر شهدت في عهد قتيبة بن مسلم الباهلي فتحًا لم تشهده من قبل، وربما يعود السبب في ذلك إلى التنسيق ما بين قتيبة بن مسلم بوصفه القائد الميداني، والحجاج بن يوسف الثقفي الذي يعد القائد الأعلى للجبهة الشرقية للدولة العربية الإسلامية. فكان الحجاج يجهز قتيبة بكل ما يحتاج إليه.

وقد وصف الطبري قتيبة بن مسلم بأنه «كان شديدًا في سلطانه، سهلًا إذا سوهل، صعبًا إذا عوسر»[٦]. إن هذا الوصف لقائد ميداني يدل بالتأكيد على رجاحة عقله ومقدرته السياسية في المناورة وحسن التدبير سواء كان ذلك في ساحة المعركة أم كان في ساحة التفاوض والمناورة السياسية.

سار قتيبة بن مسلم في سنة ٨٧ هـ/ ٧٠٥ م إلى بيكند[٧] ليفتحها وبيكند أدنى مدن بخارى ويقال لها مدينة التجار. وربما سميت بهذا الاسم لكونها سوقًا تجاريًا.

---

(١) قدامة بن جعفر، الخراج، ص ٤٠٧. (٢) الطبري، تاريخ الرسل، ج ٦، ص ٥٥٤.

(٣) الطبري، تاريخ الرسل، ج ٦، ص ٣٥٤. ابن الأثير، الكامل، ج ٤، ص ٤٧٥.

(٤) الطبري، تاريخ الرسل، ج ٦، ص ٣٩٧. قدامة بن جعفر، الخراج، ص ٤٠٧.

(٥) الطبري، تاريخ الرسل، ج ٦، ص ٣٩٧. (٦) الطبري، تاريخ الرسل، ج ٦، ص ٤٢٩.

(٧) بيكند: بلدة بين بخارى وجيحون وهي بلدة حسنة. (ياقوت، معجم البلدان، ج ١، ص ٥٣٣).

وقد استنصر أهل بيكند بمن حولهم على قتيبة فانقطعت أخباره عن الحجاج بن يوسف لمدة شهرين فأمر الحجاج الناس بالصلاة والدعوة للجند بالنصر، وكتب بذلك إلى الأمصار[1]. وهذا الخبر يدل دلالة واضحة على أن الحجاج كان يتابع أخبار جنده، وكان حريصًا عليهم وإلا ما طلب من سكان الأمصار الدعوة لهم بالعودة والنصر.

وكان لقتيبة عين على العجم وكان يسمى تندر، وقد أعطاه أهل بخارى مالًا على أن يفك عنهم الحصار فوافق، فجاء تندر إلى قتيبة وأخبره بأن الحجاج قد عزل وأن عاملًا جديدًا قدم عليه فلو انصرف بالناس كان أصلح فأمر قتيبة بقتل تندر[1].

ثم طلب قتيبة عدم نشر الخبر إلا بعد الفتح، وقد أقسم للذين علموا الخبر أن خرج عنهم ليقتلنهم لأن نشره يفت في عضد الناس ويضعف قواهم[1]. إن هذه الوشاية التي حاول نشرها تندر في صفوف الجيش العربي الإسلامي تؤكد لنا أن الحجاج بن يوسف الثقفي كان يشكل مركز ثقل للدولة العربية الإسلامية في جناحها الشرقي، فهو لم يكن واليًا على العراقين والمشرق فحسب بل كان قائدًا عسكريًا وسياسيًا وإداريًا ناجحًا من الطراز الأول وإلا ما خاف قتيبة انتشار إشاعة خبر عزله بين الناس لأن ذلك سوف يضعفهم، وهذا يوضح مكانة الحجاج في نفوس المقاتلين، فضلًا عن منزلته بين القادة الميدانيين. إذ إن مجرد خضوع المشرق لإمارة الحجاج الثقفي يجعل سكان تلك المناطق وملوكهم يشعرون بالرهبة والخوف، لأن اسمه بالنسبة لهم يعني العزم والشدة والثبات والقوة.

واستطاع قتيبة بعد قتال شديد دخول بيكند وحصل على غنائم كثيرة، وكتب إلى الحجاج بن يوسف يستأذنه في دفع السلاح الذي حصلوا عليه للجند فوافق الحجاج على ذلك[2]. وهذا يؤكد لنا أن الحجاج كان يشرف بشكل مباشر على العمليات العسكرية في المشرق فالقائد الميداني لا يستطيع التصرف حتى بالغنائم دون الرجوع إليه.

وفي سنة ٨٨ هـ/ ٧٠٦ م غزا قتيبة بن مسلم نومشكت فصالحه أهلها[3].

---

(١) الطبري، تاريخ الرسل، ج ٦، ص ٤٣٠. ابن الأثير، الكامل، ج ٤، ص ٥٢٨.
(٢) الطبري، تاريخ الرسل، ج ٦، ص ٤٣٠ ـ ٤٣٢.
(٣) الطبري، تاريخ الرسل، ج ٦، ص ٤٣٦. ابن الأثير، الكامل، ج ٤، ص ٥٣٣.

وغزا قتيبة بن مسلم الباهلي وردان خذاه ملك بخارى وذلك في سنة ٨٩ هـ/ ٧٠٧ م فلم يظفر ببغيته فرجع إلى مرو، وكتب إلى الحجاج بن يوسف الثقفي بذلك فكتب إليه الحجاج صورها لي فصورها قتيبة له وأرسلها إليه، وقد درس الحجاج بن يوسف خطة بخارى. وأرسل إلى قتيبة الخطة اللازمة لاقتحام المدينة[١]. وهذا يؤكد ما ذهبنا إليه بأن الحجاج بن يوسف كان يتابع سير الحملات العسكرية وإن كانت هناك معوقات فإنه كان يسهم بشكل مباشر في وضع الحلول لها.

وعندما وصل كتاب الحجاج إلى قتيبة بن مسلم الباهلي بشأن بخارى سار هذا إليها سنة ٩٠ هـ/٧٠٨ م. وقد أرسل وردان خذاه ملك بخارى إلى ملوك السغد والترك يطلب منهم المساعدة فلبى هؤلاء طلبه ودارت بين العرب المسلمين وبين أصحاب ملك بخارى معركة قوية انهزم فيها المشركون[٢]، وطلب أهل بخارى الصلح على مبلغ معين يدفعونه مقداره مائتا ألف درهم[٣].

وفي سنة ٩٠ هـ/٧٠٨ م فتح قتيبة بن مسلم الطالقان[٤] بعد أن أوقع بأهلها مقتلة عظيمة[٥].

ويشير الطبري إلى أن نيزك طرخان أسلم، لكنه ما لبث أن غدر بقتيبة وسار إلى طخارستان وجمع الكثير من العسكر ببغلان[٦] وسار إليه قتيبة بن مسلم الباهلي لتأديبه[٧]. ويبدو لي أن سبب غدر نيزك لأنه أحس بسطوة المسلمين وقوتهم في هذه المنطقة فخاف على نفوذه أن ينتهي، ولهذا عندما غدر سانده ملك الطالقان وغيره[٨]. ومهما يكن من أمر، فإن نيزك طرخان ارتحل من بغلان وقطع وادي فرغانة ووجه ثقله وأمواله إلى كابل شاه ومضى حتى نزل الكرز. وقد حاصره قتيبة شهرين واستطاع بدهائه وسعة حيلته إحضار نيزك وأقرب الناس إليه دون قتال وكتب إلى الحجاج يستأذنه بإنزال العقوبة التي يستحقها نيزك، وقد أجابه الحجاج إلى طلبه[٩]. وعلى

---

(١) الطبري، تاريخ الرسل، ج ٦، ص ٤٤٠. (٢) ن.م، ج ٦، ص ٤٤٢ ـ ٤٤٤.
(٣) ابن أعثم الكوفي، الفتوح، ج ٧. ص ٢٢٤.
(٤) الطالقان: أكبر مدينة بطخارستان ولها نهر كبير. (ياقوت، معجم البلدان، ج ٤، ص ٦).
(٥) الطبري، تاريخ الرسل، ج ٦، ص ٤٤٧.
(٦) بغلان: بلدة بنواحي بلخ كثيرة الأنهار والأشجار (ياقوت، معجم البلدان، ج ١، ص ٤٦٨).
(٧) الطبري، تاريخ الرسل، ج ٦، ص ٤٥٥. (٨) ابن الأثير، الكامل، ج ٤، ص ٥٤٤.
(٩) ابن الأثير، الكامل، ج ٤، ص ٥٤٩ ـ ٥٥١.

الرغم من أن نيزك قد غدر بقتيبة فإن هذا لم يستطع أن يفعل شيئًا إلا بعد حصول موافقة الحجاج الثقفي وهذا يقودنا إلى الاعتقاد أن أخبار قتيبة كانت تصل إلى الحجاج الثقفي تباعًا ولهذا فإن قتيبة لا يستطيع أن يتصرف بشيء لأن هناك من يتبع أخباره، ولهذا كان الحجاج يقول عن قتيبة. «بعثت قتيبة فتى نحرًا فما زدته ذراعًا إلا زادني باعًا»[1]. فهي الثقفة المتبادلة ما بين الطرفين.

وفي سنة ٩١ هـ/ ٧٠٩ م قام فيلسنشب (ويقال قيسبنان) ملك شومان بطرد عامل قتيبة ومنع الفدية التي أقرها لقتيبة، وقد أرسل له قتيبة وفدًا لعله يتراجع عن قراره، ولكنه أبى فسار إليه قتيبة ووقعت قذائف المنجنيق على حصنه فهشمه فخرج إليه ملك شومان وحدثت بين الطرفين معركة قتل فيها ملك شومان وقد كتب إلى الحجاج بذلك وكتب الحجاج بن يوسف إلى قتيبة يحثّه على فتح كس[2] ونسف[3] وقد لبى قتيبة طلب الحجاج ففتحهما وغيرهما من المناطق الأخرى[4].

وبإيعاز من الحجاج الثقفي سار القائد قتيبة إلى خوارزم سنة ٩٣ هـ/ ٧١١ م واستطاع دخولها ظافرًا[5]. وكذلك فتح سمرقند في السنة نفسها بعد قتال مرير وحصار دام شهرًا استطاع دخولها وصالح أهلها على ألفي درهم ومائتي مثقال من كل عام، على أن يعطوه في ذلك العام ثلاثين ألف فارس ليس فيهم صبي ولا شيخ، وقد دخل المدينة وبنى فيها المسجد الجامع وصلى فيه وخطب بالناس وتغذى وخرج[6].

وتوجه قتيبة بن مسلم إلى فتح الشاش[7] وفرغانة[8] سنة ٩٤ هـ/ ٧١٢ م بإيعاز من الحجاج الثقفي واستطاع دخولهما، وقد كتب الحجاج الثقفي إلى محمد بن

---

(١) الطبري، تاريخ الرسل، ج ٦، ص ٤٥٩ ـ ٤٦٠.
(٢) كس: مدينة تقارب سمرقند وهي الصغد. ينظر (ياقوت، معجم البلدان، ج ٤، ص ٤٦٠).
(٣) نسف: مدينة كثيرة الأهل والرستاق بين جيحون وسمرقند. ينظر (ياقوت، معجم البلدان، ج ٥، ص ٢٨٥).
(٤) ابن الأثير، الكامل، ج ٤، ص ٥٥٣.
(٥) الطبري، تاريخ الرسل، ج ٦، ص ٤٦٩ ـ ٤٧١.
(٦) ابن الأثير، الكامل، ج ٤، ص ٥٧١ ـ ٥٧٤.
(٧) الشاش: قرية بالري وقيل ما وراء النهر متاخمة لبلاد الترك. (ياقوت، معجم البلدان، ج ٣، ص ٣٠٨).
(٨) فرغانة: مدينة واسعة ما وراء النهر متاخمة لبلاد تركستان. ينظر (ياقوت، معجم البلدان، ج ٤، ص ٢٥٣).

القاسم الثقفي أن يمد قتيبة بالمساعدة فلبى طلبه[١]. كذلك أرسل الحجاج إليه جيشًا من أهل العراق وذلك في سنة ٩٥ هـ/ ٧١٣ م فغزا فلما كان بالشاش أو بكشماهن أتاه موت الحجاج بن يوسف الثقفي[٢] فغم ذلك قتيبة فقفل راجعًا إلى مرو وتمثل قول:

لعَمري لِنعَم المرء من آلِ جَعفَر بَحَوران آمسى اعَلَقته الحبائلُ
فإن تَحْيَ لا أملل حياتي وإن تَمُتْ فما في حَيَاةٍ بعد موتِكَ طائلُ[٢]

كان دور الحجاج بن يوسف الثقفي كبيرًا في فتوحات قتيبة بن مسلم الباهلي. وأنه كان يجد فيه عونًا كبيرًا له في فتوحاته، حيث كان الحجاج يوجهه، ويلبي طلب مساعدته. كذلك كان يسهم في رسم الخطوط العسكرية مع قتيبة. وقد كان الحجاج حريصًا إلى جانب ذلك على حياة الجند فلا يخاطر بهم بالمواضع التي لم يسبق لهم الوصول إليها، فقد أرسل إليه قتيبة[٣] بن مسلم الباهلي بأنه سوف يعبر النهر أي نهر جيحون وأنه ملاقي الترك لا محالة فكان جواب الحجاج إليه «لا تخاطر بالمسلمين حتى تعرف موضع قدمك ومرمى سهامك»[٤]. إنه حرص الحجاج الثقفي على جند الإسلام، وقد تعلم ذلك من تجاربه السابقة، فلم يعد يهمه النصر بقدر اهتمامه بحياة جنده لأنهم أداة نشر الإسلام وإحراز النصر. والذي يحز في نفوسنا أننا لم نعثر في مصادرنا الأولية على إيماءات تشير إلى عدد الثقفيين في الجند الذين أسهموا في فتح بلاد ما وراء النهر. مع ذلك نستطيع أن نقول إن للثقفيين حضورًا في الجيش الذي فتح بلاد ما وراء النهر.

## أثر الثقفيين في فتح السند

ويظهر جليًا أمر الثقفيين في عمليات فتح السند، إذ تشير النصوص إلى أن والي العراق الحجاج الثقفي عين محمد بن القاسم الثقفي واليًا على فارس سنة ٨٣ هـ/

---

(١) الطبري، تاريخ الرسل، ج ٦، ص ٤٨٣ ـ ٤٨٤.
(٢) الطبري، تاريخ الرسل، ج ٦، ص ٤٩٢.
(٣) قتل قتيبة بن مسلم الباهلي سنة ٩٦ هـ. (ينظر الطبري، تاريخ الرسل، ج ٦، ص ٥٠٦) للتفصيل في هذا الحادث. ينظر. غانم هاشم السلطاني، قتيبة بن مسلم الباهلي ودوره في التحرير في خراسان، رسالة ماجستير مكتوبة على الآلة الطابعة، جامعة بغداد، كلية الآداب، ١٩٨٥، ص ١٤١ ـ ١٥٨.
(٤) ابن عبد ربه، العقد الفريد، ج ٤، ص ٣٠٦.

٧٠٢ م وأوكل إليه مهمة ملاحقة معارضي الدولة في تلك الجهات[١]، وكان عمره عندما تولى إقليم فارس سبع عشرة سنة فقال فيه الشاعر:

إن السماحة والمُروءَة والندى لمحمد بن القاسم بن محمد
قادَ الجيوشَ لسبْعَ عشرة حِجّة يا قربَ ذلك سُؤددا من مولد[٢]

وقد أعاد بناء مدينة شيراز أثناء ولايته على فارس[٣]. وهذا العمل وحده كاف لتخليد هذا الرجل الثقفي لأن الأعمال العظيمة تخلد فاعليها.

وبعد أن اخترت فكرة فتح السند في ذهن الحجاج الثقفي، واستوفت كل ما تحتاج إليه من عدة وعدد، وذلك أن الحجاج بن يوسف كان قد أرسل أكثر من حملة إلى هذه المنطقة إلا أنها منيت بالإخفاق[٤].

وتزامنت هذه الفكرة مع تعرض لصوص لسفينة فيها نساء مسلمات ولدن في جزيرة ياقوت بعد أن توفي أباءهن فأرسلهن ملك الجزيرة هدية إلى الحجاج الثقفي. وكان اللصوص من ميد الديبل فأخذوا السفينة ومن فيها، فنادت إحدى النساء وكانت من بني يربوع يا حجاج، وقد بلغ ذلك الحجاج فقال لبيك، فأرسل إلى داهر يسأله فك أسرهن، فكان جوابه بأن اللصوص قد فعلوا ذلك ولا أتمكن منهم[٤]. غير أن الحجاج من جانبه قرر إرسال حملة عسكرية وذلك لعدة أغراض في مقدمتها فك قيد النساء المسلمات ولا سيما تلك المرأة التي استصرخته لكونه عربيًا والعربي لا ينام على ضيم فكيف إذا استجار به شخص وكان هذا الشخص امرأة، وكان بمقدوره أن يساعدها. ولأجل تحقيق هذا الهدف عمل الحجاج على تأمين طرق المواصلات البرية والبحرية بعد انتشار اللصوص، وقد سبب ذلك شيوع الاضطرابات وعدم الاطمئنان بين التجار، فضلًا عن رغبته في نشر الإسلام وإعلاء كلمته.

وقد أرسل الحجاج حملة عسكرية بقيادة عبيد الله بن نبهان إلى الديبل فقتل هذا. وأمام إصراره قرر إرسال حملة ثانية بقيادة بديل بن طهفة البجلي الذي كان على عمان، غير أن قائد الحملة الثانية قتل هو الآخر أيضًا[٥].

---

(١) خليفة بن خياط، تاريخ خليفة، ج ١، ص ٢٨٩.
(٢) ابن قتيبة، عيون الأخبار، ج ٣، ص ٢٢٩.
(٣) ياقوت، معجم البلدان، ج ٣، ص ٣٨٠.
(٤) البلاذري، فتوح البلدان، ص ٤٢٣. (٥) البلاذري، فتوح البلدان، ص ٤٢٣.

وفي خلافة الوليد بن عبد الملك (٨٦ ـ ٩٦ هـ/ ٧٠٥ ـ ٧١٤ م) عين الحجاج بن يوسف الثقفي القائد محمد بن القاسم الثقفي على رأس حملة عسكرية لغزو السند، وكان ذلك على ما يبدو في سنة ٨٩ هـ/ ٧٠٧ م[١].

وقد أشرف الحجاج بنفسه على تجهيزها وكان محمد بن القاسم الثقفي يهم بالمسير إلى الري فرده الحجاج وولاه ثغر السند وضم إليه ستة آلاف من مقاتلي الشام، وجهزه بكل ما يحتاج إليه حتى الخيوط والمال، وأمره أن تكون شيراز قاعدة له حتى تصله الإمدادات. وقد عمد الحجاج إلى القطن فأنقعه بالخل حتى يجف لكي يستفيدوا منه بالسند أثناء الطبخ وذلك لقلة الخل هناك[٢].

وهناك رواية أخرى تشير إلى أن محمد بن القاسم الثقفي هو الذي كتب إلى الحجاج يشكو إليه قلة الخل[٣]. وأظن أن الرواية الأولى أصح لكون الحجاج كان عارفًا بالمنطقة وبكل ما تحتاج إليه ولهذا نراه كان حريصًا على تجهيز هذه الحملة بكل ما تحتاج إليه.

سار محمد بن القاسم الثقفي إلى مكران فأقام بها أيامًا ثم أتى قنزبور ففتحها ثم سار إلى أرمائيل[٤] ففتحها أيضًا[٢]. ويبدو أن محمد الثقفي بقي في هذه المدينة مدة طويلة لأنه قد وافته في أرمائيل إمدادات وعلى رأسها جهم بن زحر الجعفي فتقدم إلى الديبل وكذلك وصلته الإمدادات البحرية التي فيها الرجال والسلاح وقد خندق حين نزل الديبل ونصب منجنيقًا يعرف بالعروس وكان عليه خمسمائة رجل، وكان بالديبل بد عظيم[٣] وهو عبارة عن «صنم كبير مركوز في بناء»[٥] وقيل به عدة أصنام[٢].

وكان الحجاج قد كتب إلى محمد بن القاسم الثقفي أن يمد قتيبة بن مسلم الباهلي بالإمدادات فأمده بجنود وكان على رأسهم جهم بن زحر الجعفي[٦].

وكانت الاتصالات مستمرة بين الحجاج الثقفي، والقائد محمد بن القاسم وذلك في كل ثلاثة أيام فرسم له الحجاج كيفية رمي البد العظيم الذي عليه دقل طويل فالتزم

---

(١) عبد الحميد العباوي، صور من التاريخ الإسلامي، (الإسكندرية، ١٩٤٨)، ص ١٤٩.

(٢) البلاذري، فتوح، ص ٤٢٤. (٣) ن.م، ص ٤٢٤.

(٤) أرمائيل: مدينة كبيرة بين مكران والديبل من أرض السند. (ياقوت، معجم البلدان، ج ١، ص ١٥٩).

(٥) ابن خلدون، العبر، ج ٣، ص ١٣٢. (٦) الطبري، تاريخ الرسل، ج ٦، ص ٤٨٤.

محمد بن القاسم بخطة الحجاج فكسره[١]. وكان الحجاج يتابع قائده محمد بن القاسم الثقفي في هذه الحملة وبالتأكيد أن نصر محمد الثقفي هو نصر للحجاج بوصفه ثقفيًا وبالتالي فهو نصر للإسلام والعروبة.

وبعد كسر الدقل خرج الكفرة إلى محمد بن القاسم فناهضهم وشد عليهم حتى دخلوا حصونهم فأمر محمد بالسلالم فنصبت فصعد عليها الرجال ودخلوا المدينة عنوة وهرب عامل داهر وقتل سادن البيت، وخط محمد بن القاسم الثقفي للمسلمين فيها الخطط وبنى فيها المسجد الجامع وأنزل فيها أربعة آلاف من المسلمين[٢].

لقد كانت خطة محمد بن القاسم الثقفي تتوخى نشر الإسلام وتوطين العرب في هذه المناطق لكي يكونوا سدًا مانعًا من الغدر به.

وسار محمد بن القاسم إلى بيرون وكان أهلها قد بعثوا إلى الحجاج الثقفي فصالحوه، وكان محمد بن القاسم لا يمر بمدينة إلا فتحها حتى عبر نهرًا دون مهران فجاء أهلها فصالحوه فجعل عليهم الخراج[٣].

سار محمد الثقفي إلى وسط مهران وقد علم بذلك داهر فاستعد لمحاربته فبعث محمد بن القاسم الثقفي محمد بن مصعب بن عبد الرحمٰن الثقفي إلى سدوسان، فسار الأخير إليها فطلب أهلها الصلح والأمان فدخلت سدوسان الإسلام، وقد وظف عليهم الخراج فرجع محمد بن مصعب الثقفي إلى قائده محمد الثقفي ومعه أربعة آلاف من الزط[٣]. وبالتأكيد أن انضمام هذه الأعداد من الزط إلى محمد بن مصعب يعود لأنهم لمسوا احترام العربي المسلم لهم بعد أن أمنهم، وبالتالي فإن انضمام هذه القوات إلى قوات محمد بن القاسم سيخلص البقية الباقية من إخوانهم من الظلم والجور.

وقد استطاع محمد بن القاسم من عبور مهران إلى الضفة الشرقية حيث داهر مع جيشه الجرار وداهر على فيل وحوله الفيلة، ودارت معركة قوية قتل من جرائها داهر وكثير من أصحابه[٤].

وقال قاتل داهر:

الخيل تشهد يوم داهر والقنا ومحمد بن القاسم بن محمد

---

(١) البلاذري، فتوح، ص ٤٢٤ ـ ٤٢٥.
(٢) ن.م، ص ٤٢٥.
(٣) البلاذري، فتوح، ص ٤٢٥.
(٤) ن.م، ص ٤٢٦.

أني فرجت الجمع غير معرد حتى علوت عظيمهم بمهند
فتركته تحت العجاج مجدلًا متعفر الخدينِ غير مؤسَّدِ[(١)]

وكان هذا النصر سنة ٩٤ هـ/ ٧١٢ م. وبالتأكيد أن قوة الإيمان لدى المقاتل المسلم وشجاعته جعلت منه إنسانًا قويًا صلبًا لا يخاف على الرغم من بعده عن موطنه. ولكن الإسلام والدفاع عنه يتطلب من العربي المسلم بوصفه حامل لواء الإسلام أن يتحمل المصاعب في سبيل إنقاذ البشرية من ذلك الظلام الذي كانت تعيش فيه.

ودخل محمد بن القاسم الثقفي مدينة راور[(٢)] التذي كانت تضم أسرة ملك السند داهر[(١)]، وحينئذٍ تولى أمر السند سنة ٩٥ هـ/٧١٣ م[(٣)]. وبذلك ضم هذا الإقليم رسميًا إلى الدولة العربية الإسلامية وكان فل الملك المقتول قد انهزم إلى ببرهمناباذ فسار إليهم محمد بن القاسم فقاتلوه ففتحها عنوة وقد قتل منهم عددًا كبيرًا بالغت الروايات في مقداره فإحداها قدرت عدد القتلى بثمانية آلاف، وقيل ستة وعشرون ألفًا. وقد نظم محمد بن القاسم الثقفي المدينة إداريًا وعين عليها واليًا من قبله، وبعدئذٍ سار يريد الرور وبعرور فتلقاه أهالي ساوندري فصالحوه وطلبوا الأمان فوافق على ذلك بشروط، منها أن يضيفوا المسلمين ودلالتهم، وبعد ذلك تقدم إلى بسمد فصالح أهلها على شروط ساوندري نفسها[(١)].

وتقدم محمد بن القاسم إلى الرور وهي مدينة محصنة على جبل فصالح أهلها على أن لا يقاتلهم ولا يعرض (لبدهم) ويعد القائد محمد بن القاسم الثقفي البد من ضمن دور العبادة شأنه في ذلك شأن كنائس النصارى واليهود وبيوت نيران المجوس. ووضع عليهم الخراج وبنى مسجدًا جامعًا[(٤)]. إن هدف محمد بن القاسم الثقفي لم يكن قتل الناس بقدر ما كان يهمه نشر الإسلام. ولهذا نراه يبادر إلى بناء المسجد الجامع فورًا، ولم تكن شروط الصلح ترهق السكان، وهذا دليل واضح يؤكد عظمة العرب المسلمين وتسامحهم مع أعدائهم.

---

(١) البلاذري، فتوح البلدان، ص ٤٢٦. ابن الأثير، الكامل، ج ٤، ص ٥٣٨.
(٢) راور: مدينة كبيرة بالسند. (ياقوت، معجم البلدان، ج ٣، ص ١٩).
(٣) الطبري، تاريخ الرسل، ج ٦، ص ٤٩٩. ابن الأثير، الكامل، ج ٤، ص ٥٣٨.
(٤) البلاذري، فتوح البلدان، ص ٤٢٦ ـ ٤٢٧.

وسار محمد بن القاسم إلى مدينة السكة ففتحها[١]. ولم يبق أمامه إلا الملتان[٢] وهي المدينة الدينية الكبرى لتلك المنطقة في ذلك الوقت عبر محمد نهر بياس الذي يحيل بين المدينة وبين قواته. وكانت قوات المدينة واقفة أمامها تدافع عنها، ودارت معركة عنيفة بين الطرفين، فانهزم المشركون ودخلوا المدينة، فحاصرهم محمد الثقفي مدة طويلة حتى نفدت مؤن المسلمين. ويبدو أن المشركين كانوا مستعدين للحصار، حتى اضطر المسلمون إلى تناول اللحوم المحرمة تحت وطأة الاضطرار. ومع ذلك استطاع محمد بن القاسم أن يدخل المدينة بعد أن قطع عنها مصدر الماء الذي كان يأتي إليها من نهر قريب، وقد دخلت القوات الإسلامية مدينة الملتان ودارت بين الطرفين معركة قوية جدًا حيث قتل سدنة البد الذين قدرت الروايات عددهم بستة آلاف وحصل المسلمون على غنائم كثيرة من الذهب وغيرها من الغنائم[١]. إن هذه المدينة كبيرة والمثير للتساؤل هنا هو هل يعقل أنه كان فيها كل هذا العدد من سدنة البد، بحيث قتلوا جميعًا؟

وكان الحجاج الثقفي قد أنفق على حملة محمد بن القاسم الثقفي ستين ألف ألف درهم، وقد حمل إليه من غنائم السند ١٢٠ ألف ألف درهم[٣].

وقد وصف الحجاج بن يوسف انتصار محمد بن القاسم «شفيا غيظنا وأدركنا ثأرنا وازددنا ستين ألف ألف درهم ورأس داهر»[٤]. فالحجاج بوصفه لهذا النصر يكون قد شفى غليله، لأن تلك المنطقة لم تكن تخضع للدولة العربية الإسلامية من قبل، أما في عهد محمد بن القاسم فأصبحت جزءًا منها، وقد أدركنا ثأرنا الذي حاول العدو أن يستهين به من خلال أسره لمجموعة من النساء المسلمات، كذلك كان ثأرًا للذين سقطوا وهم يدافعون عن قيم الإسلام والعروبة في الحملات التي أرسلت قبل، حملة محمد بن القاسم الثقفي، وبالتأكيد أن هذه الحملة كان لها مردود موالي من خلال الغنائم التي حصل عليها المسلمون.

ويرى بعض الباحثين «أن أغلب محاولات الفتح لبلاد السند لم تحقق النتائج المرجوة لأسباب تتلخص، في مقاومة الأسر الحاكمة، وبعد المسافة عن قواعد

---

(١) البلاذري، فتوح البلدان، ص ٤٢٧.
(٢) الملتان: مدينة من الهند قرب غزنة. (ابن عبد الحق، مراصد الاطلاع، ج ٣، ص ١٣٠٥).
(٣) البلاذري، الفتوح، ص ٤٢٧.
(٤) ن.م، ص ٤٢٧.

الإمداد العربية، ووعورة المناطق التي تحتاج إلى قادة جيوش لا تعرف الملل في أصعب الظروف، فضلًا عن صغر حجم جيش المسلمين في عدته الذاهبة إلى هناك»[١]. إن هذا إنكار لدور القادة المسلمين الذين عرفوا ببسالتهم ونشاطهم العسكري في هذه المناطق حيث قدموا أرواحهم فداء للعقيدة التي آمنوا بها من أمثال: سعيد بن أسلم بن زرعة الكلابي، وبديل بن طهفة البجلي، ومحمد بن ذراع النمري. ومما لا شك فيه أن هؤلاء القادة قد مهدوا الطريق لوالي العراق الحجاج الثقفي بأن يعد العدة، ويوجه محمد بن القاسم الثقفي على رأس الحملة لفتح السند، لأن محمد بن القاسم قد لاقى مقاومة عنيفة، وأن المسافة ظلت بعيدة بين ساحات القتال وقواعد الإمداد العربية حتى على افتراض أن محمدًا الثقفي قد اتخذ من مكران قاعدة له للانطلاق. وكذلك بقيت وعورة الطرق كما هي أن لم تزد في عهد محمد بن القاسم لأن حملته كانت كبيرة جدًا من حيث العدد والعدة، فالمصاعب حتمًا كانت أيضًا كبيرة، ولكن سمو الهدف، ونبل الغاية التي انطلق من أجلها المسلمون، خلقت من الإنسان العربي المسلم نموذجًا فريدًا في التحمل والصبر، فضرب بذلك أروع الأمثلة على استطابة التضحية وحب الشهادة، دفاعًا عن المبادىء والقيم التي آمنوا بها ونذروا أنفسهم للدفاع عنها. إن نجاح محمد بن القاسم في مهمته يعود على قبيلة ثقيف بالفخر والاعتزاز، ولكن بعيدًا عن التعصب القبلي.

بعد وفاة الحجاج الثقفي سنة ٩٥ هـ/ ٧١٣ م. رجع محمد بن القاسم الثقفي إلى الرور وهو مكان حصين[٢] ووجه من الروز جيشين إلى البيلمان[٣]، وسرست، وقد صالحه سكان المدينتين. وسار محمد الثقفي إلى مدينة الكيرج التي قاومت الجيش العربي الإسلامي مقاومة عنيفة وكان على رأس المقاومين ملكها داهر ودارت معركة قوية قتل فيها الملك والذي قال الشاعر في قتله:

نــحــنُ قــتــلــنــا داهــرًا ودوهــرًا        والـخـيـل تردى منسرًا فمنسرا[٤]

(١) السامرائي، إقليم السند، ص ٩٣.

(٢) البلاذري، فتوح، ص ٤٢٧. ابن الأثير، الكامل، ج ٤، ص ٥٨٨.

(٣) البيلمان: من قرى مرو. (ياقوت، معجم البلدان، ج ١، ص ٥٣٤).

(٤) البلاذري، فتوح، ص ٤٢٧ ـ ٤٢٨. ابن الأثير، الكامل، ج ٤، ص ٥٨٨. (منسرا): الخيل ما بين الثلاثة إلى العشرة. (ابن منظور، لسان العرب، مادة (منسر).

ويمكننا القول إن محمد بن القاسم الثقفي قد بسط سلطان الدولة العربية الإسلامية على شمال الهند عام ٩٦ هـ/ ٧١٤ م[١] فيكون بذلك قد أخضع السند وجنوب البنجاب إلى الإسلام. ولا شك أن هذا الإنجاز العسكري الرائع الذي أحرزه محمد الثقفي موضع اعتزاز العرب المسلمين وفخرهم، فضلًا عن بقائه خالدًا يطرز صفحات التاريخ لا يزال يفتخر بمثل أولئك القادة الثقفيون الذين ركبوا الأهوال، ووصلوا إلى أبعد الحدود على ظهور الخيل، وكانوا ينشدون من ذلك نشر الإسلام ومبادئه، ولكن يأبى التاريخ إلا أن يسجل لمثل هؤلاء الرجال بطولاتهم بمداد الفخر والاعتزاز لأنها تجسيد حي لعظمة الأمة التي أنجبتهم.

إن الباحث في إنجازات محمد بن القاسم الثقفي يشعر بقوة هذه الشخصية، واقتدارها، فقد استطاع هذا القائد العربي المسلم أن يجسد الشخصية العربية الإسلامية في عملية فتح السند فقال «أنصفوا الناس في أنفسكم، وإذا كانت قسمة فاقسموا بالسوية وراعوا في فرض الخراج مقدرة الناس على أدائه، ولا تختلفوا ولا تنازعوا فتشقى بكم البلاد»[٢]. فقد جسد محمد بن القاسم الثقفي في هذه الخطبة أبعاد سياسته في بلاد السند التي تستمد أصولها من معين الإسلام الخالد ومبادئه السامية، حيث طلب من المسلمين أن ينصفوا الناس، ليكونوا هم المثل الأعلى للآخرين، فرأى أن تقسم الغنائم كما جاء في سنة الرسول ﷺ، فليس سهم الراجل مثل سهم الفارس فكل منهما له حقه، ويجب على المسلمين أن لا يجهدوا الناس في دفع الخراج، وأن يأخذوا بنظر الاعتبار قدرتهم على الدفع وطاقتهم على الاحتمال، لأنهم جاؤوا فاتحين محررين، وليسوا جامعين للأموال، كما طلب من المسلمين أن يكونوا يدًا واحدة، يتعاونون فيما بينهم فيظهرون للآخرين وحدة المسلمين. ولكن ما يثير الحزن والألم أن تنتهي حياة هذا القائد العربي الفذ بالقتل، ذلك خلال خلافة سليمان بن عبد الملك (٩٦ ـ ٩٩ هـ/ ٧١٤ ـ ٧١٧ م) حيث استعمل صالح بن عبد الرحمٰن على خراج العراق، وولى يزيد بن أبي كبشة السكسكي السند فحمل محمد بن القاسم مقيدًا مع معاوية بن المهلب، فقال محمد متمثلًا قول الشاعر:

أضاعوني وأي فتى أضاعوا ليوم كريهة وسداد ثغر[٣]

---

(١) الطبري، تاريخ الرسل، ج ٦، ص ٤٩٦.
(٢) العبادي، صور من التاريخ، ص ١٥١. المباركبوري، العقد الثمين، ص ١٨٣.
(٣) البلاذري، فتوح، ص ٤٢٨.

ونظرًا لسيرته الحسنة في أهل الهند بكى عليه الناس وصوروه بالكيرج[١]. وقد حبس محمد بواسط. وقال:

فلئن ثويت بواسط وبأرضها ... رهن الحديد مكبلًا مغلولا
فلرب فتية فارس قد رعتها ... ولرب قرن قد تركت قتيلا[٢]

وقال أيضًا:

أتنسى بنو مروان سمعي وطاعتي ... وأني على ما فاتني لصبور
فتحت لهم ما بين سابور بالقنا ... إلى الهند منهم زاحف ومغير
فتحت لهم ما بين جرجان بالقنا ... إلى الصين ألقى مره وأغير
وما وطئت خيل السكاسك عسكري ... ولا كان من عك علي أمير
وما كنت للعبد المزوني تابعًا ... فيا لك جذا بالكرام عثور
ولو كنت أزمعت الفراق لقربت ... إلى أناس للوغى وذكور[٣]

ولما وصل شعره إلى الخليفة سليمان بن عبد الملك أطلق سراحه[٤].

إن ولاء محمد بن القاسم الثقفي للدولة العربية الإسلامية هو الذي قاده إلى مصير السجن، لأنه كان باستطاعته الاستقلال هناك علاوة على احترام جنده له وحب سكان السند والبنجاب لشخصه، لكن هؤلاء هم رجال ثقيف يمشون إلى الموت بأرجلهم ممتثلين لإرادة الدولة العربية الإسلامية ومركزيتها، لأنهم نذروا أنفسهم لخدمة الأمة التي هم جزء منها وللعقيدة التي آمنوا بها.

إن عدم رضا الخليفة سليمان بن عبد الملك على أخيه الوليد بن عبد الملك (٨٦ ـ ٩٦ هـ/ ٧٠٥ ـ ٧١٤ م) الذي حاول البيعة لولده عبد العزيز وخلع سليمان من ولاية العهد وقد أيد الوليد بن عبد الملك في مسعاه هذا عدد من الولاة والقادة وكان منهم محمد بن القاسم الثقفي[٥]. ولكن هذا لا يدفع الخليفة سليمان بن عبد الملك بعد أن اعتلى الخلافة (٩٦ ـ ٩٩ هـ/ ٧١٤ ـ ٧١٧ م) أن يأمر بسجن قائد من قواده

---

(١) البلاذري، فتوح، ص ٤٢٨.
(٢) ن.م، ص ٤٢٨. ابن الأثير، الكامل، ج ٤، ص ٥٨٨.
(٣) المرزباني، معجم الشعراء، ص ٣٤٤. (٤) ن.م، ص ٣٤٤.
(٥) عدنان علي كرموش الفراجي، الخلافة الأموية، دراسة في التاريخ السياسي والإداري، رسالة ماجستير مكتوبة على الآلة الطابعة، جامعة بغداد، كلية الآداب، ١٩٨٧، ص ٢٧.

الذين عرفوا بالحنكة والتجربة والتخطيط العسكري، وإلا بماذا نفسر إطلاق سراحه؟ أنه رجوع عن خطأ ارتكب بحق قائد لعب دورًا في اتساع رقعة الدولة العربية الإسلامية ونشر العقيدة في هذه الأجزاء القضية.

المهم أن حياة هذا القائد الثقفي[١] انتهت على يد صالح بن عبد الرحمٰن وأعوانه[٢]. وبذلك طويت صفحة من صفحات تاريخنا المشرق في تلك المنطقة التي عرفت معنى التسامح لأول مرة في تاريخها.

وقد كان لفتح السند هذا نتائج إيجابية منها انتشار الإسلام في هذه المنطقة بشكل لم تشهده من قبل، كذلك أن الدولة العربية الإسلامية قد سيطرت على مناطق جديدة ظلت لمدة طويلة تشكل مصدر قلق للدولة العربية الإسلامية، وذلك لأنها كانت ملجأ للخارجين والعابثين بأمن الناس والدولة. وبرهن الحجاج بن يوسف الثقفي على أنه الرجل المؤهل إداريًا وسياسيًا وعسكريًا لإدارة الأقاليم الشرقية من الدولة وأن حملة محمد بن القاسم الثقفي[٣] رفعت اسم قبيلة ثقيف[٤] عاليًا، لأن قائدها الميداني كان محمد بن القاسم الثقفي وبالتأكيد كان بمعيته الكثير من الثقفيين وإن لم تكن لدينا إحصائيات دقيقة يركن إليها، فضلًا عن كون المشرف العام على هذه الحملة كان الحجاج بن يوسف الثقفي المعروف بحنكته واقتداره.

## دور الثقفيين العسكري في بلاد الروم البيزنطيين

بعد أن استطاع العرب المسلمون دحر الروم البيزنطيين في معركة اليرموك سنة ١٣ هـ/ ٦٣٤ م، أصبحت الأرض مفتوحة أمام القوات العربية للانسياح وراء الروم البيزنطيين لتحرير الأرض والإنسان العربي وهكذا تم تحرير بلاد الشام وغيرها من المناطق التي كانت خاضعة للنفوذ البيزنطي.

---

(١) حول مقتل محمد بن القاسم الثقفي. ينظر. (السامرائي، إقليم السند، ص ١٢٣ ـ ١٢٧).

(٢) البلاذري، فتوح، ص ٤٢٨.

(٣) بعد مقتل محمد بن القاسم الثقفي لم يتمكن أحد من القادة العرب ممن تولوا السند من تجاوز المناطق التي حررها هذا القائد إلى أيام الغزنويين (٣٦٠ ـ ٤٢١ هـ/ ٩٧٠ م ـ ١٠٣٠ م): ينظر المعاضيدي القائد العربي محمد بن القاسم الثقفي، بحث غير منشور.

(٤) أسهم في تحرير وفتح السند ثقفيون آخرون منهم محمد بن مصعب الثقفي، وصلب بن القاسم الثقفي، وموسى بن يعقوب الثقفي. ينظر (المباركبوري، العقد الثمين، ص ١٩٠ ـ ١٩١ وص ٢١٩. وص ٢٢٤).

وفي العصر الأموي استمرت الحملات العسكرية العربية على أرض الروم البيزنطيين الذين حاولوا استغلال بعض المشاكل والأحداث الداخلية في الدولة العربية الإسلامية وكانت القوات العربية تقوم بغزو أرضهم صيفًا وشتاءً وكانت تسمى تلك الحملات الشواتي والصوافي.

وأسهم الثقفيون بقيادة بعض هذه الحملات العسكرية، ولكن لم نجد تفصيلات شافية لدورهم في هذا الجانب. وعلى الأرجح أن هذه الحملات كان المراد منها إظهار قوة الدولة العربية أمام الروم البيزنطيين وكذلك فإنها ربما أريد منها أن تكون قوة صد أولى إذا ما حاول البيزنطيون التطاول على الأرض العربية. فضلًا عن كونها ترمي إلى إبعاد خطر البيزنطيين عن الأرض العربية.

ففي سنة ٥٢ هـ/ ٦٧٢ م غزا محمد بن عبد الله الثقفي الصائفة من أرض الروم حيث كان على رأس الحملة هذه[١].

وشتى عبد الرحمٰن ابن أم الحكم الثقفي بأرض الروم البيزنطيين وذلك في سنة ٥٣ هـ/ ٦٧٣ م حيث كان قائد هذه الحملة العسكرية[٢]. وعدا هاتين الحملتين لا نكاد نجد للثقفيين نشاطًا عسكريًا في هذه الجبهة ضمن الحقبة الزمنية موضوعة البحث.

## استقرار بعض الثقفيين في المغرب العربي والأندلس ودورهم العسكري

لا تشير مصادرنا إلى اشتراك الثقفيين في الحملات العسكرية في هذه الجبهة بشكل مباشر، وهذا لا يعني أن الثقفيين لم يكن لهم إسهام يذكر في جبهة المغرب العربي. ولكن سكوت المصادر عن دورهم في هذا الجانب لا يمكن الباحث إلا الانصياح والقبول بما هو متوفر بين أيدينا الآن من نصوص وإلا يكون قد حمل النصوص أكثر مما تحتمل. ولكن من المؤكد أن بعض الثقفيين قد استقر هناك ومنهم تمام بن علقمة الثقفي الذي دخل الأندلس بمعية بلج بن بشر، وقد استقر قسم منهم في قرطبة في فترات لاحقة[٣].

---

(١) الطبري، تاريخ الرسل، ج ٥، ص ٢٨٧. (٢) ن.م، ج ٥، ص ٢٨٨.

(٣) ذنون، الفتح والاستقرار العربي والإسلامي في شمال إفريقيا والأندلس، ط ١، دار الرشيد، (بغداد، ١٩٨٢)، ص ٢٥٨.

ودخل الأندلس عاصم بن مسلم الثقفي وأخوه عمران مع بلج بن بشر وسكنا في كورة البيرة وقد برز رجال في وقت لاحق لعبوا دورًا مؤثرًا في نواحي القضاء أو الشرطة وكذلك ظهر منهم محدثون[(١)].

إن التاريخ يسجله الأشخاص الذين لعبوا دورًا في حياة الشعوب، والتاريخ يسجل للرجال أفعالهم ومواقفهم وهو لا يقف عند الناس الآخرين مثل وقفته عند الذين صنعوه ولهذا لم نجد في المغرب العربي والأندلس خلال حقبة الدراسة أشخاصًا ظهروا ولعبوا دورًا يستحق الوقوف عنده باستثناء الوالي الذي تولى الأندلس سنة ٩٨ هـ/٧١٦ م وهو الحر بن عبد الرحمـٰن الثقفي حيث تولى الأندلس لمدة سنتين وثمانية أشهر وبعد ذلك استبدل من قبل الخليفة عمر بن عبد العزيز (٩٩ ـ ١٠١ هـ/٧١٧ ـ ٧١٩ م) بالسمح بن مالك الخولاني[(٢)]. ويشير بعضهم إلى كون الحر بن عبد الرحمـٰن الثقفي أمير الأندلس كان أول من عبر جبال البرانس[(٣)]. وهذه أول إشارة وردت إلى كون أحد الثقفيين قام بهذا العمل العسكري الجريء. وفي اعتقادي أن قيامه بهذا العمل جاء لكونه تولى إمارة الأندلس ولهذا أشارت إليه الروايات التاريخية. وما يدرينا أن ثقفيين آخرين كان لهم إسهام فاعل في هذه الجبهة، لكن المؤرخين الرواد لم ينقلوا لنا روايات عنهم.

## السمات العسكرية للقادة الثقفيين

إن الدارس لتاريخ قبيلة ثقيف والمتابع لمسيرة ولاتها وقادتها يستطيع أن يتلمس بعض الخصائص المشتركة، والسمات المحددة، لا سيما في شؤون الإدارة والقيادة، وقد تميز الثقفيون في الجانب العسكري بسمات واضحة منها:

ـ في بداية الفتوحات في المشرق نرى أن بعض الولاة الثقفيين كانوا يشرفون على العمليات العسكرية التي جرت في هذه المنطقة، حيث كانوا يقومون بإعداد الجيوش، وإمدادها بكل ما تحتاج إليه، فهم والحالة هذه كانوا يمارسون دور القائد الأعلى لهذا الجبهة ـ إن صح التعبير ـ.

---

(١) ن.م، ص ٢٤٤ ـ ٢٤٥.

(٢) ابن الأثير، الكامل، ج ٥، ص ٢٣ وص ٤٤٩. الصوفي، تاريخ العرب، ص ٢٠٧.

(٣) فلهاوزن، تاريخ الدولة العربية، ص ٣٢٩.

- كما أن بعض الولاة الثقفيين عندما كانوا قريبين من ساحات الوغى، كانوا يمارسون دورهم القيادي في قيادة الحملات العسكرية. فهذا عبيد الله بن زياد الثقفي الذي كان على خراسان عبر نهر جيحون إلى بخارى متقدمًا جيشه غير آبه بما يلاقيه من مخاطر.

- تميز بعض الثقفيين باتقانهم تكتيكًا عسكريًا متقدمًا، حيث إذا تطلب الأمر الاستعانة بسكان المناطق المفتوحة لغرض الفتح والتوسع، فإنهم استعانوا بذلك كما فعل عبيد الله بن زياد عندما استعان بالرماة من أهل بخارى إبان عملية الفتح.

- وتعد ولاية الحجاج بن يوسف الثقفي للعراق سنة ٧٥ ـ ٩٥ هـ بداية الفتوحات الواسعة نحو بلاد ما وراء النهر وبلاد السند، وقد ساعده في ذلك بروز قائدين عسكريين كانا يمتثلان لأوامره، وبالتالي كان الحجاج الثقفي ينزل عند رأيهما إذا ما تبين صوابه ووجاهته، وهما قتيبة بن مسلم الباهلي ومحمد بن القاسم الثقفي.

- إن بعض القادة الثقفيين الميدانيين، ومنهم عبد الله بن أبي بكرة الثقفي، كانت أرواح المسلمين عندهم أهم من كل الانتصارات، وهذا المبدأ من مبادىء الإسلام الرئيسة فكان المال بالنسبة لمثل هؤلاء القادة لا يمثل شيئًا أمام حياة الإنسان، وهي سمة عسكرية وإنسانية قلما نجدها عند القادة العسكريين الآخرين الذين يكون شعارهم الرئيس؛ إما النصر أو الموت.

- كان الشغل الشاغل للحجاج بن يوسف الثقفي تهيئة الجيوش وإعدادها وإمدادها بكل ما تحتاج إليه، وأن دوافع الحجاج الرئيسة للحملات إلى ما وراء النهر وبلاد السند كانت لنشر الإسلام. والقضاء على قطاع الطرق، وتأمين طرق المواصلات، وبالتالي تصبح تلك المناطق مناطق استقرار للدولة العربية الإسلامية وليست مناطق عبث واستفزاز لها.

- وكان الحجاج بن يوسف مشرفًا وقائدًا عامًا على كل العمليات الحربية في الجناح الشرقي للدولة، فالقائد الميداني لا يستطيع التصرف بالأمور المهمة دون الرجوع إليه، حتى في موضوع الغنائم نرى قتيبة بن مسلم الباهلي يكتب إليه طالبًا منه الموافقة على توزيع السلاح على الجند. وكان الحجاج يشارك قائده الميداني في وضع الخطط العسكرية أحيانًا كما جرى في فتح مدينة بخارى، وكما حصل لقائده محمد بن القاسم الثقفي حين طلب منه أن يكون تجمع الجيش العربي في مدينة شيراز ويبقى هناك حتى تصله الإمدادات ثم يبدأ بالتحرك.

ـ واستفاد الحجاج بن يوسف الثقفي من إخفاق بعض الحملات العسكرية فأخذ منها دروسًا وعبرًا وظفها في حملات قادمة كي تحقق الغرض الذي تم إرسالها من أجله. كما حصل مع حملة محمد بن القاسم الثقفي.

ـ ومن نماذج تميّز القادة الثقفيين ما قام به محمد بن القاسم الثقفي في فتح السند عندما استخدم أسلحة (ثقيلة) كالمنجنيق والذي كان يشرف عليه ٥٠٠ رجل، وكان يسمى العروس. وبالتأكيد أن مثل هذا السلاح قد أسهم إسهامًا فاعلًا في تحطيم قلاع وحصون العدو، وسهل عملية الفتح.

ـ كذلك نرى محمد بن القاسم الثقفي بعد أن يتم له فتح منطقة معينة يبني فيها المسجد الجامع وكذلك ينزل بها العرب. والغرض من ذلك كما أعتقد هو نشر الإسلام ومبادئه، فضلًا عن أداء فرائض الدين فيها، وبالتالي فإن هذه المناطق ستكون محمية بقواعد عربية تستطيع الدفاع عنها وكذلك تحمي ظهر الجيش العربي المتقدم إذا ما حاول العدو الالتفاف عليه من الوراء.

ـ لقد كانت سياسة محمد بن القاسم الثقفي تتصف بالمرونة مع المناطق التي تفتح صلحًا، ولهذا نرى انضمام عدد من الزط إلى الجيش العربي الإسلامي.

ـ وفي عملية فتح السند نرى حرص القائد محمد بن القاسم الثقفي على عدم نقل الصراعات القبلية إلى هذه المناطق الجديدة، لأن في ذلك أضعافًا للسلطان العربي، وبالتالي فإن الأعداء سيحاولون استغلال ذلك لغرض السيطرة من جديد على المنطقة.

# الفصل الخامس
# إسهامات الثقفيين
# في مجالات الطب والأدب والفقه

١ ـ أطباء ثقيف

٢ ـ شعراء ثقيف ونحويّيها

٣ ـ محدّثو ثقيف ورواتها

٤ ـ الاستنتاجات

# [إسهامات الثقفيين
# في مجالات الطب والأدب والفقه]

قبيلة ثقيف كغيرها من القبائل العربية استطاعت أن تثبت وجودها ومكانتها من خلال مواقفها التي استعرضنا أهمها، والتي أسهمت في خدمة الدولة العربية الإسلامية، وإعلاء صرحها، من خلال خدمات أبنائها الجليلة لنصرة العقيدة، والذود عنها. بوصفها جزءًا من تلك الدولة والأمة التي تشرفت بانتمائها إليها.

وقبيلة ثقيف علاوة على ما تفتخر به من أنها قدمت للأمة رجالات إدارة وسياسة وحرب، سجل التاريخ مكانتهم وفضلهم من خلال أعمالهم التي خلدت آثارهم ومآثرهم، وجعلتهم رموزًا شاخصة، تدلل على جهود هذه القبيلة العربية فقدمت فضلًا عن ذلك رجالات عرفوا بمكانتهم العلمية والفكرية، حيث ظهر منهم الأطباء والمحدثون والشعراء والنحويون واللغويون والبلاغيون.

وسنحاول في هذا الفصل أن نقف عند أشهرهم، مسلطين الضوء على جانب من حياتهم وأثرهم في النواحي التي اشتهروا بها. غير أننا لا نستطيع أن نلم بجوانب الموضوع كافة، لأن هناك قسمًا من أولئك الرجال قد تم بحثهم وتسليط الضوء على دورهم وحياتهم من قبل باحثين، آخرين، وتناولنا لهم هنا بدافع وحدة الموضوع، وبالتالي جمع ما استطعنا جمعه من إنجازات رجالات هذه القبيلة، وحصرهم في دراسة مستقلة لتسهل للباحثين الاستدلال عليهم عند تناول أحدهم في دراسة منفصلة، وربما هناك قسم من رجالات ثقيف الذين اشتهروا بعلمهم وفكرهم ولكنهم لم يزالوا مغمورين لم تصل إليهم يد الباحثين ودراساتهم، حيث ما زالت آثارهم مخطوطة أو مبثوثة في هذا المصدر أو ذاك تنتظر من يحاول أن يتصدى لها ويجمعها ويقدمها للقارىء ويسهل وصولها إلى يد الباحثين ليتناولوها بالبحث والدراسة.

## ١ ـ أطباء ثقيف

### أ ـ النضر بن الحارث بن كلدة الثقفي:

خلف والده في التطبيب، كما جرت العادة في نقل أسرار صنعة الوالد إلى أحد أولاده[١]. ومن هنا، يمكننا أن نستشف أن النضر ربما رافق والده في معالجاته الطبية فأخذ عنه الكثير من أسرار مهنته.

والنضر بن الحارث هو ابن خالة الرسول ﷺ. وكان كثير الترحال، التقى مع كبار العلماء بمكة وغيرها، كما التقى بالأحبار والكهنة، واطلع على علوم الفلسفة والحكمة[٢].

وعلى الرغم من صلته بالرسول ﷺ لكنه كان كثير الأذى له وكان يتكلم فيه بأشياء موبقة محاولًا الحطّ من قدر الرسول ﷺ عند الناس. ولكن في معركة بدر الكبرى سنة ٢ هـ/٦٢٣ م وقع النضر بن الحارث أسيرًا في يد المسلمين بعد أن انهزم المشركون وتركوا قتلاهم في ساحة المعركة، ولاقى النضر حتفه فيما بعد[٣].

وقالت أخته قتيلة بنت الحارث ترثيه:

يا راكبا أن الأثيل مظنة ... من صبح خامسةٍ وأنت موفق

بلغ به ميتًا فإن تحية ... ما أن تزال بها الركائب تخفق

فليسمعن النضر أن ناديته ... إن كان يسمع ميت أو ينطق[٤]

إذن نفهم من هذا أن الرسول ﷺ رفض حتى فديته وذلك نتيجة ما سببه له من ألم قبل انتصار الإسلام.

---

(١) حتي، تاريخ العرب، ج ٢، ص ٣٢٤.

(٢) موفق الدين أبي العباس أحمد بن القاسم المعروف بابن أبي أصيبعة، عيون الأنباء في طبقات الأطباء، تحقيق د. نزار رضا، دار مكتبة الحياة، (بيروت، ١٩٦٥)، ص ١٦٧. محمود شكري الألوسي. بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب، ج ٣، ط ٣، شرحه وصححه محمد بهجة الأثري، مطابع دار الكتاب العربي (بيروت، لا.ت)، ص ٣٣٥.

(٣) ابن أبي أصيبعة، عيون الأنباء، ص ١٦٧ ـ ١٦٩. الألوسي، بلوغ الأرب، ج ٣، ص ٣٣٥.

(٤) ابن أبي أصيبعة، عيون الأنباء، ص ١٧٠. الألوسي، بلوغ الأرب، ج ٣، ص ٣٣٦.

ولكن على الرغم من ذلك فقد أبدى الرسول ﷺ من مشاعر الحنان والعطف عليه[١].

### ب ـ الحارث بن كلدة الثقفي:

كان من أطباء العرب المشهورين والمعروفين[٢]. وقد سافر إلى بلدان كثيرة فازداد معرفة بالطب، وأصبح ملمًا بمتطلبات هذه الصنعة وقصده الناس إبان إقامته بالطائف. والعرب عمومًا كانت تغلب على حياتهم بساطة العيش، وأنهم كانوا يحيطون أنفسهم بمعلومات بسيطة تيسر سبل حياتهم اليومية. وربما ألمّ الحارث بن كلدة الثقفي بالطب من خلال احتكاكه وملازمته لوالده، فضلًا عما اكتسبه من معلومات إبان تنقلاته وأسفاره، حيث أشارت النصوص إلى أنه زار بلاد اليمن وبلاد فارس، وكلا البلدين كان ذا مكانة حضارية جيدة حينذاك[٣].

ومما يؤكد إلمام الحارث بالطب المحاورة التي جرت بينه وبين كسرى أنو شروان، حيث دخل الحارث على كسرى فكان سؤال هذا للحارث ما صنعتك؟ فقال الحارث الطب[٤].

ويرى بعضهم أن الحارث بن كلدة كان أول عربي من الجزيرة العربية عرف الطب علميًا وقد لقب بطبيب العرب[٥]. وأنا أميل إلى هذا الرأي لأن العرب كانت تمارس الطب سابقًا بنقل معلومات شفهية من الأباء إلى الأبناء أو عن طريق المراقبة، أما الحارث فإنه قد ترك لنا كتابًا يصف فيه المحاورة التي جرت بينه وبين كسرى أنو شروان[٦]. والذي أظنه هو ليس كتابًا بالمعنى المعروف بل هو عبارة عن نصائح طبية جاءت عبر أسئلة كان يطرحها كسرى على الحارث بن كلدة وكان جواب هذا عبارة عن فلسفة طبية تجلت فيها كل علومه ومعارضه الطبية. ويمكن الرجوع إلى هذه المحاورة[٧] والاستفادة منها في وقتنا الحاضر. وهي

---

(١) ابن أبي أصيبعة، عيون الأنباء، ص ١٧٠. الألوسي، بلوغ الأرب، ج ٣، ص ٣٣٦.
(٢) ابن قتيبة، المعارف، ص ٢٨٨.
(٣) أبو داود سليمان بن حسان الأندلسي المعروف بابن جلجل، طبقات الأطباء والحكماء، تحقيق فؤاد السيد، مطبعة المعهد العالي الفرنسي للآثار الشرقية (القاهرة، ١٩٥٥)، ص ٥٤.
(٤) ابن عبد ربه، العقد الفريد، ج ٨، ص ٨٧.
(٥) حتي، تاريخ العرب، ج ٢، ص ٣٢٤. (٦) ابن أبي أصيبعة، عيون الأنباء، ص ١٦٧.
(٧) للتفصيل في هذه المحاورة. ينظر (ابن عبد ربه، العقد الفريد، ج ٨، ص ٨٧ ـ ٩٣).

بالتأكيد تشير إلى مدى القيمة العلمية التي وصل إليها الحارث بن كلدة في حقل الطب.

ومن نصائحه الطبية «الدواء هو اللازم»[١]. ويعني هنا الالتزام بالحمية بوصفها دواء لكل داء لأن المعدة بيت الداء، «ولا تدخل الحمام شبعان... واجتنب الدواء ما لزمتك الصحة، فإذا أحسست بحركة الداء فأحسمه بما يردعه فإن البدن بمنزلة الأرض إن أصلحتها عمرت، وإن أفسدتها خربت»[٢]. وقال بشأن الفاكهة «كلها في إقبال دولتها واتركها إذا أدبرت وولت وانقضى زمانها»[٣]. لأن أكل الفاكهة في وقتها فيه فائدة للجسم لما تحويه من مواد غذائية مفيدة، أما إذا تم تناولها في غير أوقاتها فإن طعمها يتبدل علاوة على فقدها بعض خصائصها المفيدة للجسم.

وكان العرب دائمًا بحاجة إلى خدمات الحارث بن كلدة الطبية ولهذا كانوا يأتون إليه لغرض التطبيب[٤]. وهذا سعد بن أبي وقاص تمرض بمكة فزاره الرسول ﷺ فقال ادعوا له الحارث بن كلدة الثقفي، فجاءه هذا ليداويه فلما نظر إليه قال ليس عليه خوف[٥]، فطمأن أهله وذويه.

ويبدو أن الحارث بن كلدة كان يضرب العود وتعلم ذلك ببلاد فارس واليمن[٦]. ويخيل لي أن هذه هواية كان يمارسها وقت فراغه، وربما تعلم الضرب بالعود أثناء مكوثه مدة طويلة في تلك البلاد.

وقد أسلم الحارث بن كلدة الثقفي وتوفي في خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه[٧]. وهناك رواية تشير إلى أنه بقي إلى خلافة معاوية بن أبي سفيان[٦]. ومن المحتمل وضع معرفته الطبية في خدمة الإسلام والمسلمين.

ويرى بعض المؤرخين أن الحارث لا عقب له لأنه كان عقيمًا[٧]. غير أن أكثر الروايات تشير إلى أن له ولدًا وكان اسمه النضر بن الحارث وكان طبيبًا أيضًا[٨]، وقد تناولنا ذكره قبل قليل.

---

(١) ابن قتيبة، عيون الأخبار، ج ٩، ص ٢٧٢.
(٢) ابن عبد ربه، العقد الفريد، ج ٨، ص ٨٩.
(٣) ن.م، ج ٨، ص ٨٩. (٤) ابن أبي أصيبعة، عيون الأنباء، ص ١٦٢.
(٥) ن.م، ص ١٦٢. الألوسي، بلوغ الأرب، ج ٣، ص ٣٢٨.
(٦) ابن جلجل، طبقات الأطباء، ص ٥٤. (٧) ابن قتيبة، المعارف، ص ٢٨٨.
(٨) ابن أبي أصيبعة، عيون الأنباء، ص ١٦٧. حتي، تاريخ العرب، ج ٢، ص ٣٢٤.

## ٢ ـ شعراء ثقيف ونحوييها

### أ ـ أمية بن أبي الصلت الثقفي:

أمية بن أبي الصلت بن أبي ربيعة بن عبد عوف بن قسي وقسي هو ثقيف، أمه رقية بنت عبد شمس بن عبد مناف(١).

قرأ أمية كثيرًا خاصة الكتب ذات المحتوى الديني، وقد ذكر النبي إبراهيم ﷺ وابنه إسماعيل عليه السلام والحنفية في شعره. كذلك حرم الخمر وشكك في عبادة الأوثان(٢). وكان يطمح أن يكون هو نبي تلك الحقبة لأنه قرأ بأنه سوف يبعث في أمة العرب نبيًا، فكان يرى بأنه أحق بذلك من غيره(٣). وكان يقول:

كل دين يوم القيامة ... عند الله إلا دين الحنفية زورُ(٣)

وقال في السماء:

والأرض معقلنا وكانَتْ أمنا ... فيها معاقلَنا وفيها نولد

فيها تلاميذ على قذفاتها ... حبسوا قيامًا فالفرائضُ تُرعدُ

فبنى الإلـٰهُ عليهم مخصوفة ... خلقاء لا تبلى ولا تتأوّدُ

فلو أنه تحد والبرام بمتنها ... زل البرام عن التي لا تقرَدُ(٤)

وعندما بعث النبي محمد ﷺ رسولًا إلى هذه الأمة كفر أمية حسدًا للرسول ﷺ، ولما بلغ الرسول ﷺ شعر أمية قال آمن لسانه وكفر قلبه(٥). وأنشد للنبي ﷺ شعراء أمية:

الحمدُ لله ممسانا ومصبحنا ... بالخير صبحنا ربي ومسانا

رب الحنفية لم تنفذ خزائنها ... مملوءة طبق الآفاق سلطانا

ألا نبي لنا منا فيخبرنا ... ما بعد غايتنا من رأس محيانا

---

(١) ابن قتيبة، الشعر والشعراء، ط ٢، حققه مفيد قميحة، دار الكتب العلمية (بيروت، ١٩٨٥)، ص ٣٠٠.

(٢) أبو الفرج الأصفهاني، الأغاني، ج ٤، ص ١٢٦.

(٣) ن.م، ج ٤، ص ١٢٦.

(٤) الجاحظ، الحيوان، ج ٥، ص ٤٣٧ ـ ٤٣٨. (للتفصيل في حياة أمية بن أبي الصلت وشعره. ينظر (ديوان شعره وحياته، تحقيق د. بهجة عبد الغفور الحديثي).

(٥) ابن قتيبة، الشعر والشعراء، ص ٣٠٠.

وقد علمنا لو أن العلم ينفعنا أن سوف يلحق آخرانا بأولانا(١)

والمتتبع لشعر أمية بن أبي الصلت يرى أنه تغلب عليه النزعة الدينية، وليس هذا فحسب بل أن في شعره الكثير من الألفاظ القرآنية، علمًا أن أمية من الشعراء المخضرمين، حيث عاش مدة من حياته قبل الإسلام وعاصر الرسالة الإسلامية.

ويرى بعضهم أن قسمًا من شعر أمية منحول عليه. فالمدة التي سبقت الإسلام كان ذلك شعره، أما المدة التي عاش فيها أمية في ظل الإسلام فإن بعض الشعر نسب إليه، وذلك واضح من ركاكة لغته وصياغته(٢).

والذي أعتقده أن أمية بن أبي الصلت قد قرأ الكثير من الكتب المقدسة كالتوراة والإنجيل، كذلك أن الحنفية كانت منتشرة في بعض مناطق الجزيرة العربية ومنها الطائف. إذن لا بد أن شعره تأثر بما حملته تلك الكتب من المعاني، وعندما جاء الإسلام احتك أمية به ولو بشكل غير مباشر. وبما أن الإنجيل والتوراة والإسلام كلها أديان سماوية مصدرها واحد فلا غرابة أن نجد في شعر أمية بن أبي الصلت بعض الألفاظ القرآنية. وهذا متأت من كون شاعرنا سبق له أن اطلع على معاني مرادفة لها من كتب سماوية أخرى، علمًا أنه توفي سنة ٨ هـ/ ٦٢٩ م، وقيل سنة ٩ هـ/ ٦٣٠ م.

وقال في قصيدة يمدح فيها الرسول ﷺ:

لك الحمد والمن رب العبا دِ أنت المليك وأنت الحكم
ودن دين ربك حتى التقى واجتنبن الهوى والضجم
محمد أرسله بالهدى فعاش غنيًا ولم يهتضم
عطاء من الله أعطيته وخص به الله أهل الحرم
وقد علموا أنه خيرهم وفي بيتهم ذي الندى والكرم
أطيعوا الرسول عباد الإلٰه تنجون من شر يوم ألم
دعانا النبي به خاتم فمن لم يجبه آسر الندم(٣)

من هذا يتبين لنا أن أمية وإن لم يؤمن بالإسلام فإنه قد آمن برب السمٰوات وكان ذلك قبل أن يبعث الرسول ﷺ إما عدم إيمانه بالإسلام إذ أول الأمر كان يرى

(١) أبو الفرج الأصفهاني، الأغاني، ج ٤، ص ١٣٢ ـ ١٣٣.
(٢) الثقفي، ديوان، ص ١٢٧.
(٣) الألوسي، بلوغ الأرب، ج ٢، ص ٢٥٦.

نفسه بدرجة مقاربة للرسول الكريم ﷺ. ولهذا فإنه لم يؤمن به شخصيًا ولكن ربما آمن بالله رب العالمين. ولهذا قال عندما سمع بظهور النبي ﷺ: «إنما كنت أرجو أن أكونه»[١] وقد نزل قوله تعالى فيه: ﴿وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱلَّذِىٓ ءَاتَيْنَٰهُ ءَايَٰتِنَا فَٱنسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ ٱلشَّيْطَٰنُ فَكَانَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ ﴿١٧٥﴾﴾ [الأعراف: الآية ١٧٥]. حيث قيل إن المعنى في هذه الآية هو أمية بن أبي الصلت[٢].

وقد عني شعر أمية بن أبي الصلت الثقفي بجوانب أخرى، حيث قال ذاكرًا نار الاستمطار حيث كانت تمر على بعض المناطق والمدن العربية فترات من الأزمات والقحط عندما ينقطع المطر عنهم فيجتمعون ويجمعون ما قدروا عليه من البقر ثم يعقدون في أذنابها وبين عراقيبها السلع والعشر ويصعدون بها إلى جبل وعر ويشعلون فيها النيران لأنهم كانوا يعتقدون أنه بهذه الطريقة سوف يسقط المطر وفي ذلك يقول أمية:

سنة أزمة نخيل بالنا ... س ترى للعضاة فيها صريرا
إذ يسفون بالدقيق وكانوا ... قبل لا يأكلون شيئًا قطرا
عاقد النيران في شكر الأذ ... نَابِ عمْدًا كيما تهيجَ البُحورا[٣]

فشعره ضم جوانب أخرى فضلًا عن اهتمامه بالدين ومحاولة توجيه أنظار الناس إلى رب السمٰوات باعتباره منشىء الكون كله، ولكن الذي يثير التساؤل هنا هو لماذا لم يدعي النبوة كما ادعاها غيره هل كونه مات قبل خروج الأنبياء الكذابين؟ ولو كان عاش مدة أطول هل كان سيدعي ذلك طالما كان لديه طموح بأنه سوف يكون نبي هذه الأمة؟.

ولما مرض أمية بن أبي الصلت الثقفي قال:

لبيكما لبيكما ... ها أنا ذا لديكما[٤]

(١) أبو الفرج الأصفهاني، الأغاني، ج ٤، ص ١٢٦.
(٢) الطبري، تفسير الطبري، ج ١٣، حققه وخرج أحاديثه محمود محمد شاكر راجع أحاديثه أحمد محمد شاكر، دار المعارف (مصر، ١٩٥٨)، ص ٢٥٥.
(٣) الجاحظ، الحيوان، ج ٤، ص ٤٦٦ ـ ٤٦٧. أبو الفرج الأصفهاني، الأغاني، ج ٤، ص ١٢٦.
(٤) محمد بن سلام الجمحي، طبقات فحول الشعراء، شرحه محمود محمد شاكر، دار المعارف (مصر، ١٩٥٢)، ص ٢٢٣.

وقال أيضًا:

إن تغفر اللّهم تغفر جمًّا ... وأيَّ عبد لك لَا ألَمَّا[١]

وعندما أغمي عليه ثم فاق قال:

ليتني كنت قبل ما قد بدأ لي ... في قلال الجبال أرعى الوعولا

كل عيش وأن تطاول دهرًا ... قصره مرة إلى أن يزولا[٢]

ثم خفتت أنفاسه فمات وذلك في سنة ٨ هـ/ ٦٢٩ م[٣].

**ب ـ غيلان بن سلمة الثقفي:**

غيلان بن سلمة بن معتب بن مالك بن كعب بن عمرو بن سعد بن عوف الثقفي، وأمه سبعية بنت عبد شمس[٤].

خرج أبو سفيان بن حرب في جمع من قريش وثقيف في تجارة إلى بلاد فارس. وكان غيلان الثقفي مع هذا الركب. وقد خاف أبو سفيان دخول بلاد فارس لأنه لم يسبق له الدخول فيها، وكذلك أن ملك بلاد فارس لم يأذن لهم، فقال أبو سفيان أيكم يذهب بالعير فإنّا لسنا مسؤولين عنه وبراء من دمه أن أصيب، وأن يغنم فله نصف الربح. فخرج غيلان الثقفي وقال أنا لها، فسار بالعير ودخل بلاد فارس وأنشد ملكها:

فلو رآني أبو غيلان إذ خسرت ... عني الأمور بأمر ما له طبق

لقال رعب ورهب أنت بينهما ... حب الحياة وهول النفس والشفق

أما مشف على مجد ومكرمة ... أو أسوة فيمن يهلك الورق

وقد اشترى ملك فارس منه تجارته بأضعاف سعرها[٥].

---

(١) ن.م، ص ٢٢٤.

(٢) محمد بن سلام الجمحي، طبقات فحول الشعراء، شرحه محمود محمد شاكر، دار المعارف، (مصر، ١٩٥٢)، ص ٢٢٤.

(٣) ابن قتيبة، الاختلاف في اللفظ والرد على الجهمية والمشبهة، تحقيق محمد زاهد الكوثري، مطبعة السعادة، (القاهرة، ١٣٤٩ هـ)، ص ٣٦.

(٤) ابن عبد البر، الاستيعاب، ج ٣، ص ١٥٥٦. شهاب الدين أحمد بن علي بن محمد العسقلاني، الإصابة في تمييز الصحابة، ج ٣، المكتبة التجارية الكبرى، (مصر، ١٩٣٩)، ص ١٨٦.

(٥) ابن حجر، الإصابة، ج ٣، ص ١٨٦ ـ ١٨٧.

ومن هذا يتبين لنا قدرة غيلان الثقفي على تمثيل قومه وقيامه بدور تجاري متميز عكس قوة شخصيته وحكمته في ذلك الموقف.

ويبدو أن غيلان الثقفي كان حكيمًا، فضلًا عن شاعريته. فحين وفد على كسرى سأله هذا أي ولدك أحب إليك؟. قال غيلان الثقفي: الصغير حتى يكبر، والمريض حتى يشفى، والغائب حتى يعود. فقال له كسرى إن هذا الكلام لا ينطقه إلا الحكماء[(١)].

وكان عند غيلان الثقفي حين أسلم من النسوة عشر فأمره الرسول ﷺ أن يختار منهن أربعًا ففعل[(٢)].

ولغيلان الثقفي من الولد عامر وعمار ونافع[(٣)].

من شعره:

والشيب أن يحلل فإن وراءه عمرًا يكون خلاله متنفس[(٤)]

وكذلك قوله:

إني بحمد الله لا ثوب فاجر لبست ولا من غدره أتقنع[(٥)]

توفي غيلان الثقفي في آخر خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه[(٤)].

### جـ - أبو محجن الثقفي:

عمرو بن حبيب بن عمرو بن عمير بن عوف بن عقدة بن قسي وهو ثقيف. وهو من المخضرمين الذين عاشوا قبل الإسلام وبعده[(٦)]. أسلم عام ٩ هـ/ ٦٣٠ م[(٧)].

كان أبو محجن مولعًا بشرب الخمر، على الرغم من كونه فارسًا ذا بأس شديد، شجاع لا يهاب الموت، ويندفع في سوح الوغى مدافعًا ومقاتلًا في سبيل المبدأ الذي آمن به.

---

(١) ابن كثير، البداية والنهاية، ج ٧، ص ١٤٨. ابن حجر، الإصابة، ج ٣، ص ١٨٧.
(٢) ابن حبيب، المحبر، ص ٣٥٧. ابن عبد البر، الاستيعاب، ج ٣، ص ١٥٥٦.
(٣) الألوسي، بلوغ الأرب، ج ١، ص ٣١٩. (٤) ابن حجر، الإصابة، ج ٣، ص ١٨٨.
(٥) ن.م، ج ٣، ص ١٨٨.
(٦) أبو الفرج الأصفهاني، الأغاني، ج ١٨، ص ٢٨٩.
(٧) الزركلي، الأعلام، ج ٥، ص ٢٤٣.

وعندما التقى المسلمون والفرس في معركة الجسر سنة ١٣ هـ/ ٦٣٤ م. حيث كسر المسلمون في هذه المعركة وقتل قائدهم أبو عبيدة الثقفي قال أبو محجن يرثيه:

أنى تسدت نحونا أم يوسف ... ومن دون مسراها فياف مجاهلُ

إلى فتية باللطف حلت سراتهم ... وغودر أفراس لهم ورواحلُ

وأضحى أبو جبر خلاءً بيوته ... وقد كان يغشاها الضعاف الأراملُ

مررت على الأنصار وسط رحالهم ... فقلت ألا هل منكم اليوم قافلُ

ألا لعن الله الذينَ يُسرهمْ ... رَدَأيَ وما يدرون ما الله فاعلَ[١]

وعندما لم ينصاع أبو محجن الثقفي لأوامر الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه بترك الخمر نفاه إلى جزيرة في البحر يقال لها حضوضي[٢] فهرب من الحرس الذي كان معه وكان يدعى ابن جهراء ولحق بسعد بن أبي وقاص وقال في ذلك:

الحمد لله نجاني وخلصني ... من ابن جهراء والبوصي قد حبسا

من يجشم البحر والبوصي مركبه ... إلى حضوضي فبئس المركب التمسا[٣]

فقد عصى أمر الخلافة وهرب ولكن إلى أين حيث كانت القادسية سنة ١٤ هـ/ ٦٣٥ م تلك المعركة التي اهتز فيها عرش كسرى وانساح المسلمون في أرض فارس فاتحين ومحررين ذلك الإنسان الذي عاش مدة طويلة تحت نير الظلم والطغيان الفارسي المقيت.

ويأتي الأمر إلى سعد بن أبي وقاص بسجن أبي محجن الثقفي فيفعل امتثالًا لأمر الخلافة، وتشتد المعركة والمسلمون بحاجة إلى كل فارس، وكيف وأبو محجن موثق اليدين رهين السجن، فيطلب المساعدة من زوج سعد ويعطيها عهدًا إن سلمه الله أن يرجع إلى سجنه. ويأخذ البلقاء فرس سعد ويخرج إلى المعركة مدافعًا مشمرًا عن ساعده، يطعن العدو في كل الاتجاهات. ومن أصوات الاستغاثة التي كان يطلقها في سجنه قوله:

كفى حزنًا أن تطعن الخيلَ بالقنا ... وأترك مشدودًا علي وثاقيا

(١) أبو الفرج الأصفهاني، الأغاني، ج ١٨، ص ٢٩٦ - ٢٩٧.

(٢) حضوضي: جزيرة كانت العرب قبل الإسلام تنفي اليها خلعاءها. ينظر (ياقوت، معجم البلدان، ج ٢، ص ٢٧٢).

(٣) أبو الفرج الأصفهاني، الأغاني، ج ١٨، ص ٢٨٩.

إذا قمت عناني الحديدُ وغلقت    مغاليق من دوني تصم المناديا
هـلم سلاحـي لا أبَـا لـك أنـنـي    أرى الحَرب لا تزداد إلا تماديا[١]

وقد تعجب سعد بن أبي وقاص من ذلك الفارس واندفاعه، ولكنه كان يجهله ولو أنه شك بأنه أبو محجن ولكنه كان يعلم أنه في السجن. وعندما انتهت المعركة رجع أبو محجن الثقفي إلى سجنه وقال:

لـقـد عـلـمـت ثـقـيـف غـيـر فـخـرٍ    بـأنـا نـحـنُ أكـرمـهـم سـيـوفَـا
وأكـثـرهـم دروعًـا سـابـغـاتٍ    وأصـبـرهـم إذا كـرهـوا الـوقـوفَـا
وأنـا وفـدهـم فـي كـل يـومٍ    فـإن عـمـوا فـسـل بـهـم عـريـفَـا
فـإن أحـبـس فـذلـكـم بـلائـي    وإن أتـرك أذيـقـهـم الـحـتـوفَـا[٢]

وقد تاب أبو محجن إلى الله تعالى وأكد بأنه لن يعود إلى شرب الخمرة، وفي ذلك يقول:

أتـوب إلـى الله الـرحـيـم فـإنـه    غـفـور لـذنـبِ الـمـرء مـا لـم يـعـاودِ
ولَستُ إلى الصَّهباء ما عشتُ عائدًا    ولا تـابـعًـا قـول الـسـفـيـه الـمـعـانـد
وكـيـف وقـد أعـطـيـتُ ربـي مـواثـقًـا    ألا أعودُ لها والله ذو العرشِ شاهدي[٣]

وقال أيضًا يفاخر بنفسه:

لا تسألي القَوْمَ عن مالي وكَثْرته    وسائِلي القوم ما فِعلي وما خُلقي
قد يَعْلَمُ القوم أني من سَراتهمُ    إذا سَما بَصَرَ الرعد يدةِ الفَرقِ
وَقَد أجُود وما مالي بذي فَنَعِ    وَقَدْ أكبر وراءَ المحجرِ البرقِ[٤]

وقد توفي في أذربيجان أو جرجان سنة ٣٠ هـ/ ٦٥٠ م[٥].

---

(١) ابن قتيبة، الشعر والشعراء، ص ٢٧٢.    (٢) الطبري، تاريخ الرسل، ج ٣، ص ٥٤٩.
(٣) الثقفي، ديوان، ص ٣٥ ـ ٣٦. للتفصيل ينظر (ديوان أبو محجن الثقفي، نشره وقدم د. صلاح الدين المنجد).
(٤) هبة الله بن علي بن حمزة بن الشجري، الحماسة الشجرية، ق ١، ط ١، تحقيق عبد المعين الملوحي وأسماء الحمصي، (دمشق، ١٩٧٠)، ص ٢٣٤ ـ ٢٣٥.
(٥) الزركلي، الأعلام، ج ٥، ص ٢٤٣.

## د ـ المغيرة بن الأخنس الثقفي:

المغيرة بن الأخنس بن شريق (واسم الأخنس) أُبيٌّ بن عمرو بن وهب بن علاج بن أبي سلمة بن عبد العزّى بن غيرة بن عوف الثقفي[١].

صحابي وشاعر[٢]، ويعبر المغيرة الثقفي عن بطولاته ودوره في الملاحم فيقول:

لا عهد لي بغارة مثل السيل لا ينتهي غُثاؤها حتى الليل[١]

وقد وقف المغيرة بن الأخنس من حالة الإحباط التي أصابت المسلمين حين شدد الخارجون الحصار على الخليفة الراشد عثمان بن عفان رضي الله عنه حيث وقف المغيرة بن الأخنس الثقفي مع مسار الدولة وقيادتها الشرعية وخرج المغيرة الثقفي لهؤلاء وهو يرتجز:

قد عَلِمَت جارية عطبول ذات وشاحٍ وَلها جديل

أني بِنَصْلِ السيفِ خَنْشَليلُ لأَمنَعَنَّ منكمَ خليلي

بصارمٍ ليس بذي فُلولِ[٣]

وهو بهذا الفعل أراد أن يفك الحصار عن بيت الخليفة مع من وقف معه مدافعًا عن المبادىء التي آمن بها. ولكنه ارتد مع الآخرين إلى داخل الدار. لأن المحاصرين كانوا كثيرين فلم يستطع مقاومتهم. غير أن قوة إيمانه دفعته مرة أخرى للدفاع عن الأمة ممثلة بخلافة عثمان بن عفان رضي الله عنه فخرج للمقاتلة وهو ينشد:

قد علمَتْ ذات القرونِ الميل والحلى والأنامل الطُفولِ

لتصْدقنَّ بيعتي خَليلي بصارمٍ ذي رَوْنَقٍ مَصْقولِ

لا أستقيل أن أقلت قيلي

فخرج للمغيرة بن الأخنس من أولئك المنافقين رجل وهو يقول:

أضربهم باليابس ضَرْبَ غلامٍ يائس

من الحياةِ آيِس

---

(١) المرزباني، معجم الشعراء، ص ٢٧٢. (٢) الزركلي، الأعلام، ج ٨، ص ١٩٨.

(٣) الطبري، تاريخ الرسل، ج ٤، ص ٣٨٨.

فتمكن هذا من قتل المغيرة بن الأخنس سنة ٤٥ هـ/ ٦٥٥ م. ويروي الطبري أن قاتله رأى في المنام من يبشره بعذاب النار[(١)].

**هـ ـ محمد بن عبد الله بن نمير الثقفي:**

محمد بن عبد الله بن نمير بن خرشة بن ربيعة بن حبيب بن الحارث الثقفي. مولده ومنشؤه بالطائف، من شعراء الدولة الأموية[(٢)].

وهو شاعر الحب والغزل وقد ازدحمت في شعره كل العواطف والأحاسيس وكان في شعره الغزلي عفيفًا حيث هام بحب زينب أخت الحجاج بن يوسف الثقفي[(٣)].

وأول قصيدة قالها في زينب بنت يوسف:

تَضَوع مسكًا بطن نعمان إذا مشت ... بـه زيـنـب فـي نـسـوة عـطـراتِ
له أَرج من مِجمَر الهند ساطعُ ... تَـطـلَّع ريـاه مـن الـكَـفـراتِ
تهادين ما بين المحصَّب من منى ... وأقبلن لا شعثًا ولا غَبراتِ[(٤)]

وقال في زينب أيضًا:

تـشـتـو بـمـكـة نـعـمـة ... ومـصـيـفـهـا بـالـطـائـف
أكـرمْ بـتـلـك مـواقـعًـا ... وبـزيـنـب مـن واقـف[(٥)]

وقد تمتعت زينب بمكانة كبيرة لانحدارها من أسرة كانت معروفة، فضلًا عما كانت تتمتع به هذه العائلة من رفاه اقتصادي مرموق حيث كانت بعض العوائل الثقفية تقضي الشتاء في مكة المعروفة بجوها الحسن الدافىء.

وكان الحجاج بن يوسف الثقفي يتوعده بحذر، وكان مترددًا في ذلك لأنه كان يخاف أن ينتشر حب محمد الثقفي لأخته زينب بين القبائل العربية[(٦)].

---

(١) الطبري، تاريخ الرسل، ج ٤، ص ٣٨٩ ـ ٣٩٠.
(٢) أبو الفرج الأصفهاني، الأغاني، ج ٦، ص ١٨٠.
(٣) أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد، الاشتقاق، تحقيق عبد السلام محمد هارون، مطبعة السنة المحمدية، (بيروت، ١٩٥٨)، ص ٣٠٤. القيسي، شعراء أمويون، ق ٣، ط ١، مطبعة المجمع العلمي العراقي، (بغداد، ١٩٨٥)، ص ١١٣.
(٤) أبو الفرج الأصفهاني، الأغاني، ج ٦، ص ١٨٢.
(٥) المرزباني، معجم الشعراء، ص ٣٤٢. (٦) ابن دريد، الاشتقاق، ص ٣٠٤.

ويبدو أن الحجاج بن يوسف لم يكتف بالتوعد بدليل أن محمد الثقفي هرب إلى الخليفة عبد الملك بن مروان (٦٥ ـ ٨٦ هـ/ ٦٨٤ ـ ٧٠٥ م) طالبًا إجارته. فقال له الخليفة: أنشدني مما قلت في زينب، فقال:

ولما رأت ركب النميري أعرضتْ وكَنَّ من أن يَلقَيْنَه حَذِراتِ

وقد كتب الخليفة عبد الملك إلى الحجاج بأنه لا سبيل له عليه[١].

وعند هروب محمد الثقفي من الحجاج بن يوسف قال:

أتتني عن الحجاج والبحر بيننا عقارب تسري والعيون هواجعُ
فضِقتُ بها ذرعًا واجهشتُ خيفةً ولم آمن الحجاج والأمرُ فاظعُ
ولم أر خيرًا لي من الصبر أنه أعفُ وخيرٌ إذ عرتني الفواجعُ
فلي عن ثقيف أن همتُ بنجوة مهامة تهوي بينهن الهجارعُ
فهأنذا طُوفتُ شرقًا ومغربًا وأبت وقد دوّخت كل مكانِ

وقد عفى عنه الحجاج على أن لا يعود لمثلها[٢].

ويخيل إلي أن زينب بنت يوسف كانت محركًا أساسيًا في شعر محمد الثقفي، وقوة دافعة له من حيث حجمها الوجداني[٣]. وعلى كل حال لقد كان شعره في هذا الجانب شعرًا عذريًا، حيث كان الحب الصادق يربطه إلى من أحب، حيث اندفع بشعره متغزلًا بزينب غير هائب بالعواقب التي يمكن أن يجلبها له شعره.

وقد توفيت زينب بنت يوسف فرثاها محمد الثقفي، في قوله:

لزينبَ طيفٌ تعتريني طوارقه هدوءًا إذا النجم أرجحنت لواحقه
سَيبكيك مرنان العشي يُجيبه لطيفُ بنان الكف درم مرافقه[٤]

وتوفي محمد الثقفي[٥] سنة ٩٠ هـ/٧٠٨ م[٦].

---

(١) أبو الفرج الأصفهاني، الأغاني، ج ٦، ص ١٨٤.
(٢) ن.م، ج ٦، ص ١٨٨.
(٣) القيسي، شعراء أمويون، ق ٣، ص ١١٤.
(٤) أبو الفرج الأصفهاني، الأغاني، ج ٦، ص ١٩٠.
(٥) للتفصيل في حياة محمد الثقفي وشعره. ينظر. (القيسي، شعراء أمويون، ق ٣، ص ١١١ ـ ١٣٤).
(٦) الزركلي، الأعلام، ج ٧، ص ٨٩.

**و ـ يزيد بن الحكم الثقفي:**

يزيد بن الحكم بن أبي العاص الثقفي، وعمه عثمان بن أبي العاص صاحب الرسول ﷺ. وأم يزيد بكرة بنت الزبرقان بن بدر. وهي أول عربية ركبت البحر حيث أخرج بها الحكم وهو بتوج[١].

وتعبر بعض قصائد يزيد عن العلاقة غير الجيدة بينه وبين أخيه وابن عمه عبد الرحمٰن بن عثمان بن أبي العاص.

ومن قوله في أخيه عبد ربه:

أخي يسرُّ لي الشَّحناء يُضمرها ... حتى وَرى جَوفه من غِمرة الداء
حرَّان ذو غُصَّة جُرِعت غصته ... وقد تعرّض دون الغصة الماء
حتى إذا ما أساغ الريق أنزلني ... منه كما يُنزل الأعداء أعداء
أسعى فيكفر سعي ما سعيتَ له ... أني كذاك من الإخوان لَقَّاء[٢]

وقد كانت هذه العلاقة غير المستقرة تحمل طابع التأثر الشديد، وكذلك تكشف عن عمق هذا الخلاف.

وليزيد ولدان أحدهما عنبس وقد مات هذا فجزع عليه أشد الجزع فرثاه في قوله:

ويأمن ذو حِلم العشيرة جهله ... عليه ويخشى جهله جهلاؤها

وقد سأله الحجاج بن يوسف لماذا لم ترث ابني محمدًا كما رثيت ابنك؟ فقال له يزيد: إن ابني أحب إلي من ابنك[٣].

وقال أيضًا يرثي ابنه عنبس:

جزى الله عني عنبسًا كل صالحِ ... إذا كانت الأولاد سيئًا جزاؤها
هو ابني وأمسى أجرُه لي وعزَّني ... على نفسه رب إليه ولاؤها
جهول إذا جهلُ العشيرة يبتغي ... حليم ويرضى حلمه حُلَماؤها[٤]

---

(١) أبو الفرج الأصفهاني، الأغاني، ج ١٢، ص ٢٨٩ ـ ٢٩٠. (توج): مدينة بفارس شديدة الحر لأنها في غور الأرض ذات نخل، ينظر (ياقوت، معجم البلدان، ج ٢، ص ٥٦).
(٢) أبو الفرج الأصفهاني، الأغاني، ج ١٢، ص ٢٩٨.
(٣) أبو الفرج الأصفهاني، الأغاني، ج ١٢، ص ٢٩٢.
(٤) ن.م، ج ١٢، ص ٢٩٢.

أما ولده الثاني فكان اسمه العباس[١].

وقد أقر الفرزدق واعترف بشعر يزيد بن الحكم الثقفي وذلك حين سمعه ينشد شعرًا قال كأنه من أشعارنا فلما تعرف إليه قال أشهد أن عمتي ولدته[٢].

وأراد الحجاج بن يوسف الثقفي والي العراقين (٧٥ ـ ٩٥ هـ/ ٦٩٤ ـ ٧١٣ م) أن يولي يزيد بن الحكم كورة فارس لكنه لم يفعل[٢].

وقد انتخب الجاحظ بعض شعر يزيد ووضعه في نوادر الشعر ومن ذلك قوله:

من كان ذا عضدٍ يُدركِ ظُلَامتهُ إن الذليل الذي لَيست لَهُ عضُد
تنبو يَداه إذا ما قل ناصره ويأنف الضيم أن أثرى له عدد[٣]

وقال يزيد بن الحكم مستذكرًا أن نهاية كل إنسان هو الموت.

تَرى المرْءَ يَخْشى بعضَ ما لا يضيرُه ويأملُ شيئًا دونَهُ الموتُ واقعُ
وما المالُ والأهلَون إلا وَديعة ولا بدَّ يومًا أن تُرَد الوَدائعُ
وفي النَّاس من بعضِ المطامِع راحة ويا رب خيرٍ أدركته المطامعُ
أبى الشيبُ والإسلام أن أتبَع الهدى وفي الشيبِ والإسلام للمرءِ وازعُ[٤]

وقد اتصل يزيد بن الحكم الثقفي بالخليفة سليمان بن عبد الملك (٩٦ ـ ٩٩ هـ/ ٧١٤ ـ ٧١٧ م) وكذلك اتصل بيزيد بن المهلب، وتختفي أخباره بعد ذلك ولا نعرف عنه شيئًا[٥].

وتوفي يزيد بن الحكم الثقفي سنة ١٠٥ هـ/ ٧٢٣ م[٦].

### ز ـ عيسى بن عمر الثقفي:

عيسى بن عمر الثقفي البكري من رجال النحو البارزين في البصرة[٧]، وقيل هو

---

(١) ن.م، ج ١٢، ص ٢٩٥. (٢) ن.م، ج ١٢، ص ٢٩٠.
(٣) الجاحظ، الحيوان، ج ٣، ص ٤٥.
(٤) ابن الشجري، الحماسة، ق ١، ص ٤٨٠ ـ ٤٨١.
(٥) القيسي، شعراء أمويون، ق ٣، ص ٢٥١.
(٦) الزركلي، الأعلام، ج ٩، ص ٢٣٢.
(٧) أبو يوسف الحسن بن عبد الله السيرافي، أخبار النحويين البصريين، اعتنى بنشرة فريتس كرنكر، ط ١، مطبعة بول كستر، (باريس، ١٩٣٦)، ص ٣١ ـ ٣٢.

مولى خالد بن يزيد المخزومي نزل قبيلة ثقيف(١). كان يكنى بأبي سليمان ويقال أبو عمرو(٢).

كان عيسى بن عمر الثقفي كثير الفخر بنفسه، فكان يرى نفسه بأنه أفصح من معد بن عدنان وكان هذا بصريًا ثقة(٣). وقد لقب بالبصري لأن عائلته سكنت البصرة(٤).

وينحدر عيسى بن عمر من أسرة اهتمت بأمور الدين حيث عنت هذه الأسرة بالحديث الشريف(٥). فشب عيسى وأخذ هذا الاتجاه، حيث روى عن عمه الحكم بن الأعرج وعبد الله بن إسحٰق والحسن البصري(٦).

أخذ عيسى عن عائلته الاهتمام بالقرآن الكريم ثم جد في طلب القراءات وسافر إلى الكثير من الأماكن(٧).

كما اهتم عيسى بالأنساب ورواية الأخبار، وكان في شعره ولغته فصيحًا، وتلقى ذلك في أول الأمر من أبناء قومه الثقفيين الذين سكنوا البصرة، كذلك تردد إلى سوق المربد في البصرة وأسهم بما كان يدور فيه من مناظرات ومقارعات شعرية، الأمر الذي أدى إلى تنمية فصاحته وتعميقها، كما كان لشيوخه أثر في هذه الفصاحة(٨).

---

(١) أبو بكر محمد بن الحسن الزبيدي، طبقات النحويين واللغويين، ط ١، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، (مصر، ١٩٥٤)، ص ٣٥. ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج ٣، ص ٤٨٦. جلال الدين عبد الرحمٰن السيوطي، بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، ط ١، عني بتصحيحه محمد أمين خانجي، مطبعة السعادة، (مصر، ١٣٢٦ هـ) ص ٣٧٠. عبد القادر بن عمر البغدادي، خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب، ج ١، تحقيق عبد السلام محمد هارون، دار الكتاب العربي (القاهرة، ١٩٦٧)، ص ١١٦.

(٢) أبو البركات كمال الدين بن الأنباري، نزهة الألباء في طبقات الأدباء، ط ١، تحقيق د. إبراهيم السامرائي، مطبعة المعارف، (بغداد، ١٩٥٩) ص ١٢.

(٣) الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج ٧، ص ٢٠٠.

(٤) صباح عباس السالم، عيسى بن عمر الثقفي، ط ١، دار التربية، (بغداد، ١٩٧٥)، ص ١٧.

(٥) السالم، عيسى بن عمر، ص ١٦.

(٦) ابن حجر، تهذيب التهذيب، ج ٨، مطبعة مجلس دائرة المعارف النظامية، (الهند، ١٣٢٥ هـ)، ص ٢٢٣.

(٧) السالم، عيسى بن عمر، ص ٢٠.

(٨) السالم، عيسى بن عمر، ص ٣٤ ـ ٣٦.

وأخبار عيسى مهمة جدًا لأنها جمعت التاريخ واللغة ونوادر الأدب، وهذه الأخبار لها ميزة خاصة لأنه حضر وقائعها، فضلًا عن كون هذه الأخبار شملت نوادر مهمة لكبار الشيوخ في تلك الحقبة الذين ترجم لهم. ولكن هذه الأخبار والنوادر أهملت، فجاءت أخبار عيسى ونوادره لتحفظ لأولئك الشيوخ والعلماء تلك الأمور المهمة[١].

ومن المؤكد أن العلماء في تلك الحقبة الزمنية كانوا موسوعين، فجمعوا إضافة إلى التخصص أنواعًا أخرى من العلوم.

ويعد عيسى بن عمر الثقفي من طبقة أبي عمرو بن العلاء، ومن شيوخه عبد الله بن أبي إسحٰق[٢]. وروى عيسى القراءات عن أحمد بن موسى اللؤلؤي وهارون بن موسى النحوي[٣]، وكذلك شجاع البلخي، وعبيد بن عقيل، والعباس بن بكار[٤].

وبلغ عيسى بن عمر الثقفي منزلة كبيرة في المسائل اللغوية حتى حسده أقرب الناس إليه، واشتدت المنافسة بينه وبين أبي عمرو بن العلاء[٥]. وإذا اجتمع الاثنان معًا في مجلس واحد فإن أبا عمرو بن العلاء لا يتحدث وينصت لعيسى بن عمر الثقفي وذلك لحسن إنشاده وفصاحته[٦].

ومن طلاب عيسى بن عمر الثقفي في النحو الخليل بن أحمد الفراهيدي[٧] كما أخذ عنه سيبويه[٨]، والكسائي[٩]، وروى عنه ابن كثير[١٠].

---

(١) ن.م، ص ٤٥.
(٢) السيرافي، أخبار النحويين، ص ٣١. البغدادي، خزانة الأدب، ج ١، ص ١١٦.
(٣) ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج ٣، ص ٤٨٦.
(٤) الذهبي، سير أعلام، ج ٧، ص ٢٠٠. (٥) السالم، عيسى بن عمر، ص ٣٨.
(٦) أبو القاسم عبد الرحمٰن بن إسحٰق الزجاجي، مجالس العلماء، ط ٢، تحقيق عبد السلام محمد هارون، مطبعة المدني، (مصر، ١٩٨٣)، ص ٣.
(٧) السيرافي، أخبار النحويين، ص ٣١. أبو الفرج محمد بن أبي يعقوب إسحٰق المعروف بابن النديم، الفهرست، تحقيق رضا تجدد بن علي بن زين العابدين الحائري، (طهران، ١٩٧١)، ص ٤٧.
(٨) السيرافي، أخبار النحويين، ص ٤٧. (٩) ن.م، ص ٥٦.
(١٠) شمس الدين أبي الخير محمد بن محمد بن الجزري، غاية النهاية في طبقات القراء، ج ١، اعتنى بنشره، ج برجستراسر، مكتبة الخانجي، (مصر ١٩٣٢)، ص ٦١٣.

وتعرض عيسى بن عمر الثقفي إلى مضايقة كبيرة من والي العراق يوسف بن عمر الثقفي عندما تولى هذا العراقين سنة (١٢٠ ـ ١٢٦ هـ/ ٧٣٧ ـ ٧٤٣ م) لأن وصل إلى مسامع الوالي أن بعض أصحاب خالد بن عبد الله القسري الذي تولى إدارة العراق سنة (١٠٥ ـ ١٢٠ هـ/ ٧٢٣ ـ ٧٣٧ م) استودعوه مالًا فأرسل يوسف بن عمر إلى واليه على البصرة طالبًا منه أن يحمل عيسى بن عمر الثقفي إليه مقيدًا فلما حضر بين يديه سأله عن المال فأنكر، فأمر بجلده. فاعترف بأنه لم يكن مالًا وإنما كانت أثوابًا فرفع عنه الضرب على أن يسلمها إليه[١]. وقد توفي عيسى بن عمر الثقفي سنة ١٤٩ هـ/ ٧٦٦ م[٢] وقيل سنة ١٥٠ هـ/ ٧٦٧ م[٣].

ومن مؤلفاته التي تركها كتابان في النحو أحدهما الجامع والآخر المكمل[٤].

ويقال إن سيبويه أخذ كتاب الجامع لعيسى بن عمر الثقفي وشرحه وأضاف عليه ولما أكمله نسبه إلى شخصه، والذي يدل على ذلك أن سيبويه عندما فارق عيسى بن عمر الثقفي ولازم الخليل بن أحمد الفراهيدي سأله هذا عن مصنفات عيسى بن عمر الثقفي فقال له سيبويه أنها بلغت نيفًا وسبعين مصنفًا في النحو ولم يبق منها إلا كتابان أحدهما اسمه الإكمال وهو في بلاد فارس عند فلان، والآخر الجامع وهو الذي اشتغل فيه فأخذه الخليل وتصفح محتوياته وقال:

ذهبَ النحو جميعًا كله ... غير ما حدث عيسى بن عمر
ذاك إكمال وهذا جامع ... وهما للناس شمس وقمر[٥]

وهذا يدل على أن الخليل بن أحمد الفراهيدي كان قد اطلع على كتاب الإكمال والجامع وإلا ما نشد هذه الأبيات بحق مؤلفهما.

وقال أيضًا في نحويي البصرة:

يا طالب النحو فابكه ... بعد أبي عمرو وحمادِ
عيسى وأشباه لعيسى وهل ... يأتي لهم دهر بأندادِ

(١) السيرافي، أخبار النحويين، ص ٣٢. الزبيدي، طبقات النحويين، ص ٤٠.
(٢) الزبيدي، طبقات النحويين، ص ٤١. (٣) السيوطي، بغية الوعاء، ص ٣٧٠.
(٤) الزبيدي، طبقات النحويين، ص ١٥. شهاب الملة والدين أحمد بن علي الدلجي، الفلاكة والمفلوكون، مطبعة الآداب (النجف، ١٣٨٥ هـ)، ص ١٦٣.
(٥) ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج ٣، ص ٤٨٦ ـ ٤٨٧.

هـيـهـات إلا قـائـلًا عـنـهـم    أرسـوا لـه الأصـل بـأوتـادِ[١]

وقال شاعر آخر بحق عيسى بن عمر:

ذهـبَ الـنـحـو جـمـيـعًـا كـلـه    غير ما أحدث عيسى بن عمر
وهـمـا بـابـان صـارا حـكـمـة    وأراحا مـن قـيـاسـي ونـظـر[٢]

## حـ ـ طريح بن إسماعيل الثقفي:

طريح بن إسماعيل بن عبيد بن أسيد بن علاج بن أبي سلمة بن عوف بن قسي الثقفي، وأم طريح بنت عبد الله بن سباع بن عبد العزّى بن نضلة من خزاعة، وكان طريح يكنى بأبي الصلت وفيه يقول:

يـا صـلـت إن أبـاك رهـن مـنـيـةٍ    مـكـتـوبـة لا بـد أن يـلـقـاهـا
سلفت سوالفها بأنفس من مضى    وكـذاك يـتـبـع بـاقـيـا أُخـراهـا[٣]

وقد ماتت زوجة طريح وابنه ما زال صغيرًا فرحل به إلى أخواله وكان بين مدة وأخرى يزوره فيقول:

باتَ الخيالُ من الصُلَيْت مؤرّقي    يُقْري السَراة مع الرَّباب المُلْثقِ
مـا راعَـنـي إلا بَـيَـاضُ وُجَـيْـهِـه    تَحْتَ الدُجُنه كالسَراج المشرقِ[٤]

نشأ طريح في رحاب الدولة الأموية وجعل جل شعره في الوليد بن يزيد (١٢٥ ـ ١٢٦ هـ/ ٧٤٢/٧٤٣ م) وكان هذا يكرمه، فضلًا عن صلة القربى التي كانت تربطهما. فكان يجلسه بجانبه. وكان أول داخل عليه وآخر خارج منه[٥].

وقال طريح في الوليد بن يزيد:

سعيتُ ابتغاء الشكر فيما صنعت بي    فـقـصـرت مـخـلـوبًـا وأنـي لـشـاكـرُ
لأنـك تـعـطـيـنـي الـجـزيـل بـداهـة    وأنت لما استكثرت من ذاك حاقر
وقد قلتُ شعرًا فيك لكن تقوله    مـكـارم مـمـا تـبـتـنـي ومـفـاخـر[٦]

(١) السيرافي، أخبار النحويين، ص ٤٠ ـ ٤١.
(٢) الزبيدي، طبقات النحويين، ص ٣٧.
(٣) أبو الفرج الأصفهاني، الأغاني، ج ٤، ص ٣٠٤ ـ ٣١٠.
(٤) القيسي، شعراء أمويون، ق ٣، ص ٢٨١.
(٥) أبو الفرج الأصفهاني، الأغاني، ج ٤، ص ٣١١ ـ ٣١٣.
(٦) الجاحظ، البيان والتبيين، ج ٢، ص ٣٦٣.

وقال أيضًا في الوليد بن يزيد:

لو قلت للسيل دع طريقك والـ ـموج عليه كالهضب يعتلج
لارتد أوساخ أو لكان له في سائر الأرض عنك منعرج
طوبى لفرعيك من هنا وهنا طوبى لأعراقك التي تشج[١]

وتطورت العلاقة بين طريح الثقفي والخليفة الوليد بن يزيد حتى كاد الحساد بينهما، فتشير بعض الروايات التاريخية إلى أن بعضهم علم شخصًا كان يقوم على رأس الخليفة بإنشاد شعر أمامه على أن ينسبه إلى طريح ففعل ذلك وأعطي عشرة آلاف درهم فأنشد هذا الوليد بن يزيد:

سيري ركابي إلى من تسعدين به فقد أقمت بدار الهونِ ما صلحا
سيري إلى سيد سمِح خلائفه ضخم الدسيعة قرم يحمل المدحا

وعندما استفسر الخليفة عن ناظم الشعر قيل له طريح فغضب وقال إنه يعني هشام بن عبد الملك أيحمل هذا المدح ولا أحمله أنا فطلب عدم دخول طريح عليه منذ تلك الحادثة[٢].

وهناك رواية أخرى تشير إلى أن العلاقة بين طريح والخليفة الوليد بن يزيد قد بلغت أوجها وكان طريح دائم الشرب للبن أو العسل وقد صرح بذلك إلى الخليفة، وجاء يومًا طريح فدخل على مجلس الخليفة وكان يضم كبار الأمويين فجلس طريح الثقفي إلى جانب الخليفة ثم أتى بالشراب فناول الخليفة طريحًا قدحًا فقال هذا للخليفة قد أعلمتك رأيي في الشراب فقال الخليفة له أنه ليس لك ولكن دفعته لك لتناوله للغلام فغضب طريح فخرج من مجلس الخليفة وقد أمر هذا حاجبه بعدم دخوله عليه مرة أخرى[٣].

وأعتقد أن الرواية الأولى بعيدة عن الحقيقة التاريخية لأن بمقدور الخليفة أن يستفسر عن مصدر الشعر وقائله وبذلك يستطيع الوصول إلى حقيقة الأمر، أما الرواية الثانية فهي أقرب إلى الصواب لأن طريحًا شعر بأن الخليفة يحاول أن يستصغره أمام مجلسه وهو ذلك الشاعر الذي وصل إلى ما وصل إليه من مكانة حتى أن الخليفة كان

(١) ابن قتيبة، الشعر والشعراء، ص ٤٥١.
(٢) أبو الفرج الأصفهاني، الأغاني، ج ٤، ص ٣١٤.
(٣) ابن بدران، تهذيب تاريخ دمشق، ج ٧، ص ٥٧.

يدعوه بخالي. فقد انتفض طريح لأنه شعر بأن كرامته قد أستهين بها، فلم يكن أمامه إلا رفض طلب الخليفة.

وظلت العلاقة بينهما مقطوعة قرابة سنة ثم احتال طريح الثقفي ودخل على مجلس الخليفة الوليد بن يزيد فأنشده:

نام الخلي من الهموم وبات لي ليل أكابده وهم مضلع
وسهرت لا أسرى ولا في لذة أرقي وأغفل ما لقيت الهجع
يابن الخلائف أن سخطك لأمري أمسيت عصمته بلا مفظع[١]

وقال أيضًا:

ما لي أذاد وأرمي حين أقصدكم كما توقي من ذي العرة الجرب
كأنني لم يكن بيني وبينكم إل ولا خلة ترعى ولا نسب
لو كان بالود يدنى منك أزلفني بقربك الود والإشفاق والحدب[٢]

فقال له الخليفة عفونا عنك وإياك أن تعاود.

ومما قاله طريح في الخليفة الوليد بن يزيد، قوله:

إنّي عجبتُ لصَوبِ غيثٍ مُرسَلٍ يَغْشى البريَّة وهْوَ عنيْ مُقْلعُ
ولَمَعشر لم يَبْلغُوا من وُدّكم ما قَدْ بَلَغت يُقَدمون وادفَعُ
وكَأنكُمْ فيمَا مضى من عيشتيَ لَمْ تعلموا وَتَروا هَوايَ وتَسمَعُوا[٣]

وعندما استخلف مروان بن محمد سنة (١٢٦ ـ ١٣٢ هـ/ ٧٤٣ ـ ٧٤٩ م) دخل عليه طريح الثقفي مهنئًا بالخلافة وأنشده:

تسوء عداك في سداد ونعمة خلافتنا تسعين عامًا وأشهرا

فأمر له الخليفة بمائة ألف درهم[٤].

وتشير النصوص إلى أن طريحًا الثقفي كان فضلًا عن ذلك يتمتع بمواهب أخرى غير موهبته الشعرية ومما يذكر عنه أنه كان حكيمًا ومن أقواله تلك «عقول الرجال

(١) أبو الفرج الأصفهاني، الأغاني، ج ٤، ص ٣١٥.
(٢) ابن بدران، تهذيب تاريخ دمشق، ج ٧، ص ٥٧ ـ ٥٨.
(٣) ابن الشجري، الحماسة، ق ١، ص ٢٦٨.
(٤) ابن عبد ربه، العقد الفريد، ج ١، ص ٢٤٨.

تحت أسنان أقلامها»[١]. وهذا صحيح لأنك إذا أردت أن تعرف وتميز عقول الرجال فيكون ذلك من خلال ما تصدح به تلك العقول من أفكار بحيث تتحول تلك الأفكار إلى كتابات في شتى المجالات وعند ذلك نستطيع أن نحكم على نمط تفكير الإنسان وقابليته.

وتنقطع أخبار طريح الثقفي خلال العصر العباسي ولم تعد كما كانت في خلافة الوليد بن يزيد حيث يبدو أنه فرغ شعره في الخليفة الوليد وربما كانت لصلة القربى بينهما واختصاص طريح بالمديح قد جعلت أخباره قليلة جدًا[٢].

وقد توفي طريح الثقفي سنة ١٦٥ هـ/ ٧٨١ م[٣].

## ٣ ـ محدثو ثقيف ورواتها

على الرغم من أن إسلام قبيلة ثقيف جاء متأخرًا بعض الشيء، ولكنها أخلصت للإسلام عقيدة وموقفًا، ولهذا نرى اندفاع رجالاتها في الذود عن الإسلام وحياض الأمة التي هم جزء منها.

لقد حاولنا في الفصول السابقة أن نسلط الضوء، بالقدر الذي مكنتنا منه المصادر، على دور رجال هذه القبيلة وإسهاماتهم في شتى ميادين الدولة حيث ظهر منها الإداريون والسياسيون والقادة البارزون إلى جانب رجالات آخرين أسهموا بدور ثانوي حيث رفعوا بتلك المواقف والإسهامات اسم ثقيف عاليًا، فافتخرت ثقيف بمثل هؤلاء الرجال وافتخروا هم بانتمائهم إلى هذه القبيلة العريقة.

ويأبى رجالات ثقيف إلا أن يكون لهم دور في الجانب الديني وبهذا تكون ثقيف قد أسهمت في أنشطة وفعاليات الدولة العربية الإسلامية كافة.

وقد اشتهرت ثقيف منذ عصر ما قبل الإسلام بوجود المعلمين فيها منهم عمر بن زرارة وغيلان بن سلمة وفي عصر الإسلام ظهر منها معلمون أمثال يوسف بن الحكم الثقفي وابنه الحجاج بن يوسف[٤].

---

(١) ابن النديم، الفهرست، ص ١٢.
(٢) القيسي، شعراء أمويون، ق ٣، ص ٢٨٤. للتفصيل ينظر (القيسي، شعراء أمويون، ق ٣، ص ٢٨١ ـ ٣١٥).
(٣) الزركلي، الأعلام، ج ٣، ص ٣٢٥.
(٤) ناصر الدين الأسد، مصادر الشعر الجاهلي وقيمتها التاريخية، ط ٣، دار المعارف (مصر، =

إن شهرة ثقيف بالكتابة دعت الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه أن يجعل كتبة المصحف الكريم من قريش وثقيف، والشهرة نفسها دعت الخليفة عثمان بن عفان رضي الله عنه عند كتابة المصحف الكريم إلى أن يقول اجعلوا المِمْلي من هذيل والكتاب من ثقيف[١]. ويمكننا أن نضيف أن قبيلة ثقيف متمثلة برجالاتها قد عرفوا بالتاريخ بإتقانهم للأعمال التي كانوا يكلفون بها فلا يعرفون التساهل أو المهادنة في كافة جوانب الحياة. ولهذا يمكن الاعتماد عليهم وإناطة الأعمال الكبيرة بهم ومن هنا جاء اختيار الخليفة عثمان بن عفان رضي الله عنه لرجالات ثقيف لكتابة المصحف الكريم لأنهم رجال ثقة وبالتالي يمكنهم القيام بهذا العمل بأحسن صورة.

وقد برز من ثقيف رواة للحديث النبوي الشريف رأيت أن أقف عند بعضهم مسلطًا الضوء عليهم من خلال هذا الجانب ومنهم:

### أ ـ المغيرة بن شعبة الثقفي:

المغيرة بن شعبة بن أبي عامر بن مسعود بن معتب الثقفي كان من أصحاب الرسول ﷺ[٢]. يكنى بأبي عيسى وقيل أبو محمد[٣]، وقيل أبو عبد الله[٤]. روي عن النبي ﷺ[٥]، وكان الرسول ﷺ يكنيه بأبي عيسى[٦].

وأمه أمامة بنت الأفقم بن أبي عمر، أسلم عام الخندق وشهد الحديبية[٧].

روى عنه من الصحابة أبو أمامة الباهلي والمسور بن مخرمة وقرة المزني[٨].

---

= ١٩٦٦)، ص ٥٠.

(١) الأسد، مصادر الشعر، ص ٥٠.

(٢) خليفة بن خياط، طبقات خليفة، ط ١، حققه أكرم ضياء العمري، مطبعة العاني، (بغداد، ١٩٦٧)، ص ١٣١.

(٣) ابن حجر، تهذيب التهذيب، ج ١٠، ص ٢٦٢.

(٤) الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج ٣، ص ١٥.

(٥) ابن حجر، تهذيب التهذيب، ج ١٠، ص ٢٦٢.

(٦) ابن حجر، الإصابة، ج ٣، ص ٤٣٢.

(٧) ابن الأثير، أسد الغابة في معرفة الصحابة، ج ٤، المطبعة الإسلامية، (طهران، ١٣٤٢ هـ)، ص ٤٠٦.

(٨) ابن الأثير، أسد الغابة، ص ٤٠٦.

ومن التابعين روى عنه بنوه عروة وحمزة وغفار[١]، كذلك حدث عنه مولاه مسروق وقيس بن أبي حازم وأبو وائل وغيرهم[٢].

روى المغيرة ١٣٦ حديثًا للرسول ﷺ[٣].

وتوفي المغيرة بن شعبة الثقفي سنة ٥٠ هـ/ ٦٧٠ م[٤].

## ب ـ عثمان بن أبي العاص الثقفي:

عثمان بن أبي العاص بن بشر بن عبد دهمان الثقفي قدم على الرسول ﷺ مع وفد ثقيف فأسلم وكان يكنى بأبي عبد الله[٥].

كان عثمان بن أبي العاص الثقفي من أصحاب الرسول ﷺ[٦]. وكان عابدًا ناسكًا متقشفًا، سكن البصرة[٧].

روى عن النبي ﷺ مجموعة من الأحاديث النبوية ومما يروي عن أمه أنها قالت شهدت آمنة لما ولدت رسول الله ﷺ.

روى عنه ابن أخيه يزيد بن الحكم وسعيد بن المسيب ونافع بن جبير وموسى بن طلحة والحسن البصري ومحمد بن سيرين[٨].

له أحاديث في صحيح مسلم والسنن[٩].

قال عثمان سمعت الرسول ﷺ يقول: «إذا انتصف الليل أمر الله تعالى مناديًا ينادي هل من مستغفر فاغفر له هل من داع أجبه هل من سائل أعطيه فما ترد دعوة داع إلا زانية بفرجها أو عشار»[١٠].

---

(١) الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج ٣، ص ١٥.
(٢) ابن الأثير، أسد الغابة، ج ٤، ص ٤٠٧. (٣) الزركلي، الأعلام، ج ٨، ص ١٩٩.
(٤) الطبري، تاريخ الرسل، ج ٥، ص ٢٣٤.
(٥) ابن سعد، الطبقات، ج ٥، ص ٥٠٨ ـ ٥٠٩.
(٦) خليفة بن خياط، طبقات، ص ١٨٣.
(٧) محمد بن حبان البستي، مشاهير علماء الأمصار، اعتنى به.. فلايشهر، (القاهرة، ١٩٥٩)، ص ٣٨.
(٨) ابن حجر، تهذيب التهذيب، ج ٧، ص ١٢٨.
(٩) ابن حجر، الإصابة، ج ٢، ص ٤٥٣.
(١٠) ابن الأثير، أسد الغابة، ج ٣، ص ٣٧٣ ـ ٣٧٤.

«كان الناس يهرولون في الجنائز فلما توفي عثمان بن أبي العاص الثقفي مشى في جنازته فهو أول من مشى في جنازته»(١). وهذا ربما يعود إلى فضله ومكانته بين الناس بحيث عند وفاته خرجوا بأعداد كبيرة فتعذر عليهم الهرولة فأخذوا يمشون وراء جنازته.

توفي عثمان بن أبي العاص الثقفي سنة ٥١ هـ/ ٦٧١ م(٢).

### جـ ـ عثمان بن عثمان الثقفي:

عثمان بن عثمان الثقفي كان من أصحاب الرسول ﷺ كان أميرًا على صنعاء، نزل حمص وحدث عن الرسول ﷺ بعض الأحاديث منها «أن الله يقبل التوبة عن عبده قبل موته ـ ثم قال ـ بشهر ـ ثم قال ـ بيوم ـ ثم قال ـ قبل أن يغرغر»(٣).

### د ـ نفيع أبو بكرة الثقفي:

واسمه نفيع بن مسروق، وقيل اسمه مسروح، وأمه سمية وهو أخو زياد بن عبيد الثقفي لأمه، وكان نفيع عبدًا بالطائف وأبان حصارها من قبل الرسول ﷺ قال ﷺ أيما عبد نزل إلينا فهو حر فنزل قسم منهم وكان من بينهم نفيع حيث تدلى في بكرة فكنوه أبا بكرة فقال الرسول ﷺ إن أبا بكرة طليق الله وطليق رسوله، وكان يقول أنا مولى رسول الله ﷺ(٤). وهكذا فقد أصبح أبو بكرة حرًا. وقد صدق في إيمانه بالإسلام.

روى عن الرسول ﷺ جملة من الأحاديث(٥). وحدث عنه بنوه عبيد الله وعبد الرحمٰن وعبد العزيز ومسلم، وأبو عثمان النهدي والحسن البصري ومحمد بن سيرين والأحنف بن قيس(٦).

نزل البصرة وكان أحد فضلاء الصحابة وله عقب بالبصرة(٧). له ١٣٢ حديثًا(٨).

---

(١) المباركبوري، العقد الثمين، ص ٥٩.
(٢) الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج ٢، ص ٤٥١. ابن حجر، الإصابة، ج ٢، ص ٤٥٣.
(٣) ابن سعد، الطبقات، ج ٧، ص ٤١٩. ابن حجر، الإصابة، ج ٢، ص ٤٥٤.
(٤) ابن سعد، الطبقات، ج ٧، ص ١٥.
(٥) الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج ٣، ص ٥.
(٦) ن.م، ج ٣، ص ٥.
(٧) ابن عبد البر، الاستيعاب، ج ٤، ص ١٥٣١.
(٨) الزركلي، الأعلام، ج ٩، ص ١٧.

توفي أبو بكرة الثقفي سنة ٥٢ هـ/ ٦٧٢ م[١]. وقد صلى عليه أبو برزة الأسلمي[٢].

### هـ - أوس بن أبي أوس الثقفي:

أوس بن أبي أوس. واسم أبي أوس حذيفة الثقفي[٣]. قدم على الرسول ﷺ في وفد ثقيف[٤].

روى عن النبي ﷺ وعلي بن أبي طالب رضي الله عنه وعن أوس روى ابنه عمرو وابن ابنه وعثمان بن عبد الله والنعمان بن سالم[٥].

ومن الأحاديث التي رواها عن الرسول ﷺ أنه قال: «من غسل يوم الجمعة واغتسل ثم بكر وابتكر ومشى ولم يركب ودنا من الإمام فاستمع ولم يلغ كان له بكل خطوة عمل سنة أجر صيامها وقيامها»[٦].

وتوفي سنة ٥٩ هـ/ ٦٧٨ م[٧].

### و - عبيد الله بن أبي بكرة الثقفي:

ولد عبيد الله بن أبي بكرة سنة ١٤ هـ/ ٦٣٥ م. وكان جوادًا شجاعًا ذا قدر عال بين أصحابه روى عن أبيه وعلي بن أبي طالب رضي الله عنه ولي قضاء البصرة وكذلك تولى إمارة سجستان ومن الدلائل التي تذكرها الروايات التاريخية والتي تؤكد كرمه وإنفاقه في وجوه الخير أنه كان ينفق على مائة وستين دارًا من جيران داره وكان في كل عيد يعتق مائة مملوك[٨]. ويبدو من هذه الرواية أن كرم عبيد الله الثقفي مبالغ فيه بحيث أن صفة الكرم هذه شكلت عامل تساؤل واستغراب؟ لأنه مهما بلغت موارده وأمواله لا يمكن أن ينفقها بهذا الشكل!

---

(١) ابن الأثير، أسد الغابة، ج ٥، ص ١٥١.
(٢) ابن كثير، البداية والنهاية، ج ٨، ص ٥٩.
(٣) خليفة بن خياط، طبقات، ص ٢٨٥. (٤) ابن سعد، الطبقات، ج ٥، ص ٥١٠.
(٥) ابن حجر، تهذيب التهذيب، ج ١، ص ٣٨١.
(٦) ابن الأثير، أسد الغابة، ج ١، ص ١٤٠.
(٧) ن.م، ج ١، ص ١٤٣. ابن حجر، تهذيب التهذيب، ج ١، ص ٣٨١.
(٨) الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج ٤، ص ١٣٨.

وعبيد الله بن أبي بكرة أول من قرأ بالألحان، وكانت قراءته حزنًا ليست على شيء من ألحان الغناء[١].

وهو أول من توضأ بالماء بالبصرة[٢]. ولكن كيف كان المسلمون يتوضؤون قبل ذلك إذا أرادوا الصلاة؟ إن الرسول ﷺ أباح التيمم بالتراب إذا لم يكن الماء موجودًا، ولكن الماء متوفر في منطقة البصرة علمًا أن عبيد الله توفي سنة ٧٦ هـ/ ٦٩٥ م[٣].

## ز ـ عبد الرحمٰن بن أبي بكرة الثقفي:

عبد الرحمٰن بن أبي بكرة وكنيته أبو بحر، أمه هالة بنت غليظ من بني عجل وإخوته مسلم وعبيد الله ورواد ويزيد وعبد العزيز بنو أبي بكرة، وهو من الطبقة الثانية من أهل البصرة ممن حفظ الحديث بعد أصحاب رسول الله ﷺ[٤].

وهو أول مولود ولد بالبصرة من المسلمين[٥].

سمع أباه وعلي بن أبي طالب رضي الله عنه وروى عنه ابن سيرين وأبو بشر[٦] وابن ابنه بحر بن مرار بن عبد الرحمٰن، قال عنه العجلي تابعي ثقة[٧].

وكان ثقة كبير القدر مقرئًا عالمًا وكان أقرأ أهل البصرة، وكان يقول أنا أنعم الناس، أنا أبو أربعين، وعم أربعين وخال أربعين، وعمي زياد الأمير[٨].

وتوفي سنة ٩٦ هـ/ ٧١٤ م[٩].

## حـ ـ بن أبي نجيح الثقفي:

عبد الله بن أبي نجيح الثقفي كنيته أبو يسار مولى ثقيف وهو من الطبقة الثالثة من أهل مكة روى عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان يقول بالقدر[١٠]. وروى كذلك عن أبيه وعطاء بن السائب[١١].

---

(١) ابن قتيبة، المعارف، ص ٥٣٣. (٢) ن.م، ص ٥٥٧.
(٣) الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج ٤، ص ١٣٨.
(٤) خليفة بن خياط، طبقات، ص ٢٠٣. (٥) البستي، مشاهير علماء، ص ٩٨.
(٦) الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج ٤، ص ٣٢٠.
(٧) ابن حجر، تهذيب التهذيب، ج ٦، ص ١٤٨.
(٨) الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج ٤، ص ٣٢٠.
(٩) ن.م، ج ٤، ص ٣٢٠. (١٠) ابن سعد، الطبقات، ج ٥، ص ٤٨٣.
(١١) ابن حجر، تهذيب التهذيب، ج ٦، ص ٥٤.

سكن عبد الله بن أبي نجيح المدينة المنورة مدة ثم استقر بمكة المكرمة[١].

وعنه روى محمد بن مسلم الطائفي وإبراهيم بن نافع، قال عنه الإمام أحمد أنه ثقة، وكذلك قال عنه النسائي وأبو زرعة، وكان أبوه من خيار عباد الله، وقال عنه العجلي[٢] مكي ثقة، ولما مات عمرو بن دينار كان يفتي بعده ابن أبي نجيح[٣].

توفي عبد الله بن أبي نجيح الثقفي سنة ١٣١ هـ/ ٧٤٨ م[١]، وقيل سنة ١٣٢ هـ/ ٧٤٩ م[٤].

**ط ـ منصور بن زاذان الثقفي:**

منصور بن زاذان الثقفي مولى عبد الرحمٰن بن أبي عقيل الثقفي، رجل صالح متقشف تفرغ للعبادة ولبس لباس الزهاد، اعتزل الناس ما كانوا فيه يتمتعون إلا من الكسرة والخرقة[٥]. كنيته أبو المغيرة[٦].

روى عن أنس بن مالك وأبي العالية الرياحي ومحمد بن عطاء، وروى عنه شعبة وأبو عوانة كانَ ثقة، ويصلي من طلوع الشمس إلى أن يصلي العصر، ثم يسبّح إلى المغرب[٧].

رُوِيَ عنه أنه قال: الهم والحزن يزيد في الحسنات والأشر والبطر يزيد في السيئات قيل كان يختم القرآن الكريم بين الصلاة الأولى والعصر[٨].

وكان منصور الثقفي من أتباع التابعين بواسط، توفي سنة ١٣١ هـ/ ٧٤٨ م في الطاعون وقد خرج في جنازته المسلمون واليهود والنصارى والمجوس يتوجعون له

---

(١) البستي، مشاهير علماء الأمصار، ص ١٤٥.
(٢) العجلي: عبد الرحمٰن بن أحمد بن الحسن العجلي الزاهد كان فاضلًا كثير التصنيف. ينظر (السيوطي، بغية الوعاء، ص ٢٩٦).
(٣) ابن حجر، تهذيب التهذيب، ج ٦، ص ٥٤.
(٤) ابن سعد، الطبقات، ج ٥، ص ٤٨٣. البستي، مشاهير علماء الأمصار، ص ١٤٥.
(٥) البستي، مشاهير علماء الأمصار، ص ١٧٦.
(٦) الذهبي، تذكرة الحفاظ، ج ١، ط ٣، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية (الهند، ١٩٥٥)، ص ١٤٢.
(٧) ن.م، ج ١، ص ١٤١ ـ ١٤٢.
(٨) ابن حجر، تهذيب التهذيب، ج ١٠، ص ٣٠٦.

ويبكون عليه[١]. فقد كان ذا منزلة كبيرة في مجتمعه، واعتقد أنه لم يبغض الذين كانوا على غير دينه بل كان يجلهم ويحترمهم ولهذا خرجوا في جنازته.

### ي ـ عطاء بن السائب الثقفي:

عطاء بن السائب الثقفي، مولى ثقيف كنيته أبو محمد[٢]، وقيل أبو زيد[٣]. أحد التابعين. روى عن عبد الله بن أبي أوفى وأنس، وحدث عنه سفيان الثوري وجماعة، قال عنه البخاري أحاديثه القديمة صحيحة. وكان من القراء الذين يقرأون القرآن الكريم تجويدًا[٤]. وكان يختم كل ليلة[٥].

حدث عطاء الثقفي عن أنس بن مالك عن الرسول ﷺ قال: «تراصوا في الصف الشيطان يقوم في الخلل»[٦].

قال عنه العجلي كان شيخًا ثقة وأبوه تابعي، روى عنه البخاري حديثًا متابعة[٧].

قال أحمد بن حنبل عنه رجل صالح من خيار عباد الله[٨].

وقد أدرك عطاء بن السائب علي بن أبي طالب ﷺ فمسح رأسه ودعا له بالبركة[٩].

توفي عطاء بن السائب الثقفي سنة ١٣٦ هـ/ ٧٥٣ م[١٠].

### ك ـ عباد بن كثير الثقفي:

عباد بن كثير الثقفي البصري العابد، روى عن ثابت البناني، وأبي عمران الجوني، وعبد الله بن دينار، وعنه روى إبراهيم بن أدهم، وأبو نعيم، وعبد الله بن

---

(١) البستي، مشاهير علماء الأمصار، ص ١٧٦.
(٢) خليفة بن خياط، طبقات، ص ١٦٤.
(٣) البستي، مشاهير علماء الأمصار، ص ١٦٧.
(٤) الذهبي، ميزان الاعتدال في نقد الرجال، ج ٣، ط ١، تحقيق علي محمد البجاوي، دار إحياء الكتب العربية، (مصر، ١٩٦٣)، ص ٧٠ ـ ٧١.
(٥) ابن العماد، شذرات الذهب، ج ١، ص ١٩٤.
(٦) الذهبي، ميزان الاعتدال، ج ٣، ص ٧١.
(٧) ابن حجر، تهذيب التهذيب، ج ٧، ص ٢٠٥.
(٨) السيوطي، طبقات الحفاظ، ط ١، تحقيق علي محمد عمر، مطبعة الاستقلال الكبرى، (مصر، ١٩٧٣)، ص ٦٠.
(٩) ابن الجزري، غاية النهاية، ج ١، ص ٥١٣.
(١٠) خليفة بن خياط، طبقات، ص ١٦٤.

واقد الهروي[١]. ويبدو أن عبادًا قد ولد أو عاش مدة من حياته في البصرة لأنه لقب بالبصري.

وكان رجلًا صالحًا، وقال النسائي عنه كان متروك الحديث[٢].

روى بإسناده مجموعة من أحاديث الرسول ﷺ منها عن عائشة قالت كانت أحب الفاكهة للرسول ﷺ الرطب والبطيخ وكان يأكل القثاء بالملح ويأكل التمر بالجوز»[٣] وروى كذلك أن الرسول ﷺ: «بروا أباءكم تبركم أبناؤكم وعفوا تعف نساؤكم»[٤]. وفضلًا عن ذلك روى بإسناده عن الرسول ﷺ قال: «الغيبة أشد من الزنا لأن المغتاب لا يغفر له حتى يغفر له صاحبه»[٤]. كذلك حدث عن الرسول ﷺ أنه نهى عن الصلاة في مسجد تجاه حمام أو مقبرة[٥]، توفي عباد بن كثير الثقفي بمكة سنة بضع وخمسين ومائة عام[٦].

## ل ـ زائدة بن قدامة الثقفي:

زائدة بن قدامة الثقفي، كنيته أبو الصلت، وكان لا يعد السماع حتى يسمعه ثلاث مرات، وكان لا يحدث أحدًا حتى يشهد له عدلان[٧]. فهو رجل ثقة وكان يعد الحديث النبوي أمانة في عنقه ولهذا نراه كان يجد في سماعه لأكثر من مرة.

حدث عن زياد بن علاقة، وعبد الملك بن عمير، وموسى بن أبي عائشة، وعنه ابن عيينة وحسين الجعفي[٨].

قال عنه أبو داود الطيالسي كان لا يحدث صاحب بدعة، وقال أبو حاتم الرازي ثقة صاحب سنة، وقال أحمد بن حنبل عنه كان وكيع لا يقدم على زائدة في الحفظ أحدًا[٩]. وهذا يعود إلى منزلته ومكانته العلمية بين أقرانه.

---

(١) الذهبي، ميزان الاعتدال، ج ٢، ص ٣٧١.
(٢) ابن حجر، تهذيب التهذيب، ج ٥، ص ١٠١.
(٣) الذهبي، ميزان الاعتدال، ج ٢، ص ٣٧٢.
(٤) ن.م، ج ٢، ص ٣٧٢.
(٥) ن.م، ج ٢، ص ٣٧٤.
(٦) ن.م، ج ٢، ص ٣٧٥.
(٧) البستي، مشاهير علماء الأمصار، ص ١٧١.
(٨) الذهبي، تذكرة الحفاظ، ج ١، ص ٢١٥.
(٩) ن.م، ج ١، ص ٢١٥.

روى بإسناده عن الرسول ﷺ قال جاء رجل إلى الرسول ﷺ: «فقال يا رسول الله لقي رجل امرأة فصنع بها ما يصنع الرجل بامرأته إلا أنه لم يجامعها فقال له الرسول ﷺ توضأ وصلي، فقال يا رسول الله هذا له خاصة أو للناس عامة؟ قال للناس أو للمسلمين عامة»(١).

جاء عثمان بن زائدة إلى الكوفة وسأل الثوري(٢) ممن يسمع؟ فقال له هذا عليك بزائدة بن قدامة(٣).

وكان زائدة بن قدامة لا يحدث أحدًا حتى يمتحنه(٤).

كان زائدة بن قدامة الثقفي ثقة حجة كبيرًا وكان صاحب مسند صحيح(٥). وقال عنه أبو حاتم الرازي هو أحب إليّ من أبي عوانة(٦).

له من الكتب كتاب السنن، كتاب القراءات، كتاب التفسير، كتاب الزهد، كتاب المناقب(٧).

توفي غازيًا بأرض الروم سنة ١٦١ هـ/ ٧٧٧ م(٨).

### م ـ أبو بكر بن علي بن عطاء بن مقدم الثقفي(*):

أبو بكر بن علي بن عطاء بن مقدم الثقفي مولاهم، روى عن الحجاج بن أرطأة، وحبيب بن أبي عمرو، ويونس بن عبيد، وعنه أبو سعيد جعفر بن مسلمة الوراق مولى خزاعة، توفي سنة ١٦٧ هـ/ ٧٨٣ م(٩).

وهناك عدد من النساء الثقفيات ممن حفظن الحديث عن الرسول ﷺ منهن زينب الثقفية يقال إنها ابنة حباب بن الحارث مولى. ورقية امرأة من ثقيف روت أن

---

(١) ن.م، ج ١، ص ٢١٥.
(٢) الثوري: أبو عبد الله سفيان بن سعيد الثوري كان إمامًا في علم الحديث. ينظر (ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج ٢، ص ٣٨٦ ـ ٣٩١).
(٣) ابن حجر، تهذيب التهذيب، ج ٣، ص ٣٠٦.
(٤) ن.م، ج ٣، ص ٣٠٧.
(٥) ابن الجزري، غاية النهاية، ج ١، ص ٢٨٨.
(٦) السيوطي، طبقات الحفاظ، ص ٦١.
(٧) ابن النديم، الفهرست، ص ٢٨٢.
(٨) البستي، مشاهير علماء الأمصار، ص ١٧١.
(*) للتفصيل في محدثي ورواة ثقيف ينظر ملحق رقم (١).
(٩) ابن حجر، تهذيب التهذيب، ج ١٢، ص ٣٣.

النبي ﷺ دخل عليها بالطائف فسقته سويقًا وقال لها لا تعبدي طاغيتهم وإذا صليت فوله ظهرك[١]. ويعني هذا أنها قد أسلمت عندما دخل عليها الرسول ﷺ بالطائف وربما كانت مسلمة قبل ذلك.

وليلى بنت قانف الثقفية حيث شهدت غسل أم كلثوم بنت الرسول ﷺ[٢]، وقد أخرج حديثها أحمد وأبو داود[٣].

وهناك نساء لم يروين عن الرسول ﷺ بل روين عن أزواجه وغيرهن منهن أم سلمة بنت أبو عبيد بن مسعود الثقفي واسمها صفية امرأة عبد الله بن عمر[٤] تزوجها عبد الله بن عمر فولدت له عمر بن عبد الله[٥].

## ٤ ـ الاستنتاجات

وتوضّح إلينا من خلال هذا الفصل ما يأتي:

ـ أن قبيلة ثقيف قد أسهمت في كافة أنشطة وفعاليات الدولة العربية الإسلامية خلال حقبة البحث ـ ثقيف ودورها في التاريخ العربي الإسلامي حتى أواخر العصر الأموي ـ وهذه الدراسة امتدت قرابة قرن ونصف، فظهر من ثقيف الأطباء، والشعراء، والمحدثون، واللغويون والبلاغيون والنحويون.

ـ وتبيّن لنا أن أطباء ثقيف كانوا محترفين لهذه المهنة، فقد مارسوها حبًّا بها ولهذا نراهم قد أبدعوا في مزاولتها، وما زالت بعض نصائح الحارث بن كلدة الثقفي معمولًا بها حتى الوقت الحاضر.

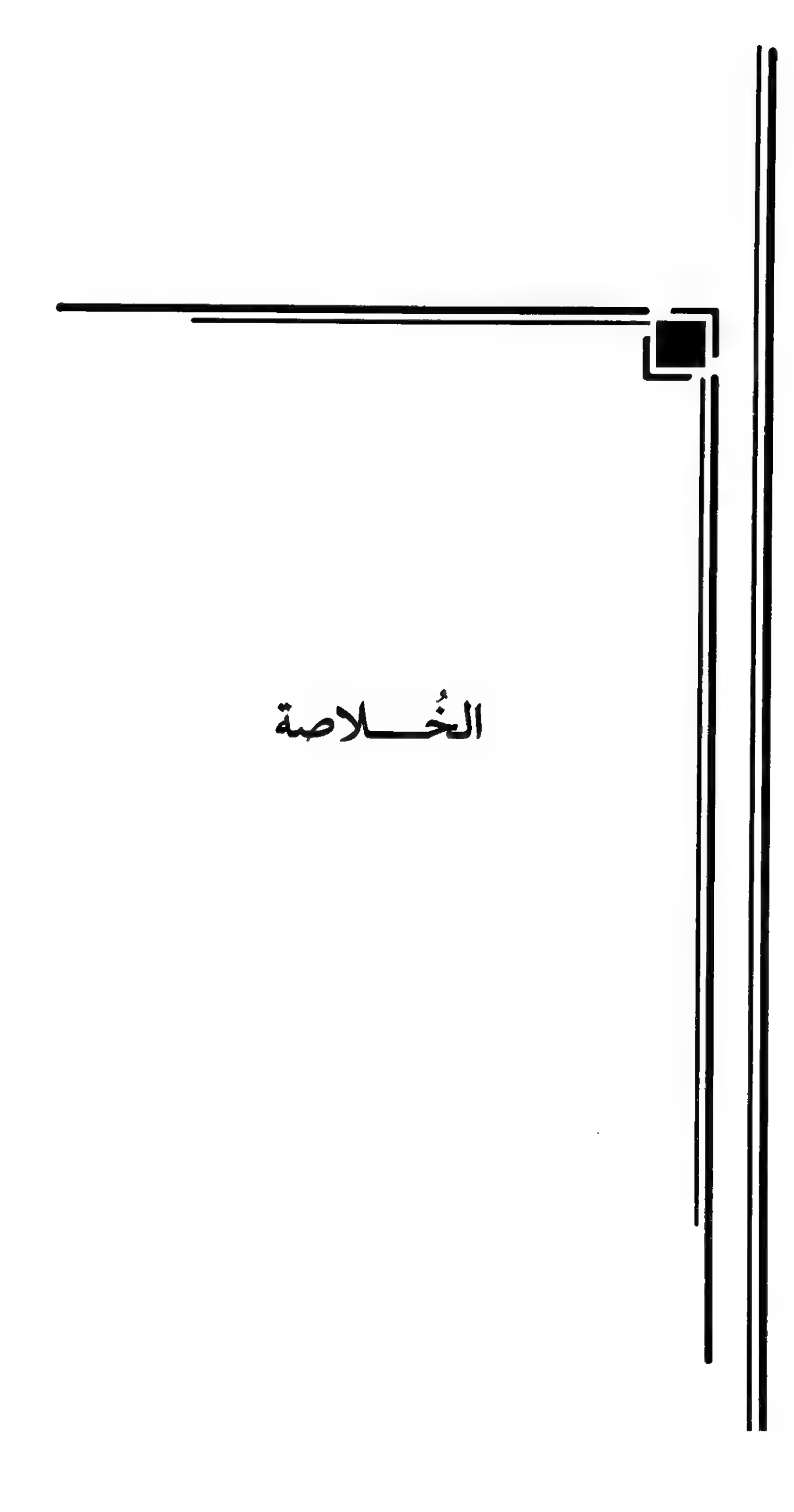
ـ وظهر كذلك في ثقيف شعراء لهم منزلة كبيرة، ولا شك في ذلك لأنهم أبناء أمة عرفت الشعر منذ القدم ولا أغالي إذا قلت أن الشعر ولد مع وجود الأمة العربية، فضلًا عن بيئة الطائف التي ساعدت على الإبداع بالشعر. وإن شعراء ثقيف قد تناولوا في شعرهم كافة أغراضه مثل الغزل والمديح والوصف وغيرها من الأغراض الأخرى. وظهر لنا أن أمية بن أبي الصلت كان يتناول في شعره بعض ألفاظ القرآن الكريم قبل

(١) خليفة بن خياط، طبقات، ص ٣٣٧.
(٢) ن.م، ص ٣٣٧. ابن الأثير، أسد الغابة، ج ٥، ص ٥٤٣.
(٣) ابن حجر، الإصابة، ج ٤، ص ٣٨٩.
(٤) ابن سعد، الطبقات، ج ٨، ص ٤٧٣. ابن الأثير، أسد الغابة، ج ٥، ص ٢٤٨.
(٥) ابن سعد، الطبقات، ج ٨، ص ٤٧٣.

الإسلام وبعده مما يوحي إلينا أن التوحيد وبعض الأديان السماوية الأخرى ربما كانت منتشرة في الطائف.

ـ كذلك أسهمت ثقيف في إمداد لغة الأمة برجال حافظوا على قواعدها الأصلية فكان عيسى بن عمر الثقفي أحد هؤلاء الأفذاذ في هذا الجانب.

ـ ويأبى رجال ثقيف إلا أن يكون لهم مشاركة في الجانب الديني، فظهر منهم المحدثون الأفذاذ، حيث كانوا أمينين في روايتهم لأحاديث الرسول ﷺ كذلك ظهرت في ثقيف نساء محدثات روين الحديث بصورة جيدة.



# الخُــــلاصة



# الخلاصة

لقد كرّس هذا البحث لدراسة قبيلة ثقيف، ودورها في التاريخ العربي الإسلامي حتى أواخر العصر الأموي. وهي دراسة انصبت على دور هذه القبيلة في ظل دولة الإسلام، حيث استعرضنا دورها في المجالات الإدارية، والسياسية، والعسكرية، والعلمية، وقد توصلنا إلى مجموعة من الحقائق رأينا أن نستعرضها هنا وهي:

- إن إسلام قبيلة ثقيف جاء عن قناعة وإيمان صادقين بالعقيدة الإسلامية، ولذلك ثبتت على المبدأ الذي آمنت به، على الرغم من كل الظروف المحيطة بالدولة العربية الإسلامية. وقد تجسد موقفها هذا بالوقوف مع قيادة الدولة المركزية في التصدي للعناصر التي حاولت طعن الإسلام من خلال الردة، فثبتت على إيمانها بالإسلام، وشارك رجالاتها وأبناؤها في القضاء على الردة وعناصرها.

- كذلك أسهم رجالاتها في صدر الإسلام في عمليات التحرير والفتوح التي خاضتها جيوش الدولة العربية الإسلامية في كافة جبهات الإيمان ضد الشرك والظلم، فظهر منها قادة عسكريون متميزون، وكذلك كان لأبنائها شرف الذود عن العقيدة، والدفاع عنها ضمن الجيش العربي الإسلامي.

- وكانت قبيلة ثقيف بعيدة كل البعد عن كل المؤثرات التي أفرزتها تلك الحقبة الزمنية بحيث حافظت على مسارها العام، فكانت في خدمة الإسلام والعروبة، فلم تشارك كقبيلة في عملية الصراع الذي نشأ في تلك الحقبة لا سيما بعد استشهاد الخليفة الراشد عثمان بن عفان رضي الله عنه.

- وقد أمدّت قبيلة ثقيف الدولة العربية بقادة إداريين وسياسيين بارزين أسهموا في إدارة الأمصار، وقد كتب لبعضهم أن يكون شعلة تتوهج في سبيل الإسلام والعروبة، فانطلقوا يدافعون عنها كقادة إداريين وعسكريين بارزين، حملوا رايات

العروبة والإسلام إلى أقصى حدود الدنيا، فنشروا الإسلام في تلك الأصقاع والبقاع، وساروا بالناس سيرة حسنة حتى تولعوا بهم.

- وأسهم رجالات ثقيف من موقعهم في إخماد الكثير من الحركات الداخلية التي حاولت شق صفوف المسلمين، وتمزيق كيان الدولة العربية الإسلامية.

- وظهر لنا جليًا أن زياد بن عبيد الثقفي كان فعلًا ينتمي إلى هذه القبيلة باعتباره من نسلهم، وكذلك لأنه نشأ وترعرع وتربى في أحضان هذه القبيلة فأخذ عنها الكثير من الصفات والسمات التي كان يتمتع بها رجالاتها.

- وقبيلة ثقيف كغيرها من القبائل العربية، أبت إلا أن تمد الدولة العربية الإسلامية برجال أفذاذ، عرفوا بعلمهم وفكرهم النير، فظهر منهم الأطباء والشعراء والمحدثون، وبذلك تكون قبيلة ثقيف قد أسهمت بنشاطها في أكثر جوانب الحياة العامة.

- وظهر من بين صفوف هذه القبيلة التي خدمت العروبة والإسلام من أراد أن يطعن مسمار هذه القبيلة، ويجرفها عن مسارها الصحيح، فظهر المختار بن أبي عبيد الثقفي الذي استغل مسألة آل البيت، وحماسة الناس لهم، فأراد أن يشكل حركة مضادة لمسار الدولة الصحيح، فأخفق لأنه عارض منطق التاريخ. وكذلك ظهر مطرف بن المغيرة الثقفي الذي كان رجلًا ناسكًا متدينًا فأراد أن (يصلح) مسار الدولة ويعود بها إلى أيام خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه، ولكن كيف لفرد أن يغير مسار دولة خطت طريقها وسط الكثير من الصراعات والتناقضات إذا لم يكن يستند إلى تنظيم سياسي صلب، فانتهى مطرف دون أن يحقق شيئًا من أهدافه. إن (المختارية) و(المطرفية) هما حركتان فرديتان تخصان بعض أفراد قبيلة ثقيف، ولا يمكن تعميم ذلك على أفراد القبيلة.

- وكاستنتاج لكل الحقائق أعلاه فإن قبيلة ثقيف بقيت مساندة للنهج الذي خطته الدولة العربية الإسلامية، بغض النظر عن رموز هذه الدولة، وقادتها، لأن الثقفيين يرون أنفسهم أنهم حماة للدولة والإسلام، وليسوا حماة لأشخاص معينين.

# ملحـق(1)

لقد تطرقنا إلى أهم محدثي ثقيف ورواتها ورأيت أن أجعل للآخرين ملحقًا بأسمائهم لتوكيد دور رجال هذه القبيلة وأهميتهم في خدمة مسيرة الإسلام والأمة من خلال ما قاموا به من أعمال جليلة وخدمات متميزة في شتى مجالات العلم والمعرفة وهم:

١ ـ أبو سلامة الثقفي.
٢ ـ أبو مليح بن عروة بن مسعود الثقفي.
٣ ـ الحارث بن أوس الثقفي.
٤ ـ الحكم بن أبي العاص الثقفي.
٥ ـ الحكم بن سفيان الثقفي.
٦ ـ الحكم بن عمرو الثقفي.
٧ ـ حوشب بن مسلم الثقفي.
٨ ـ زيد بن يزيد الثقفي.
٩ ـ سعيد بن السائب الثقفي.
١٠ ـ سعيد بن عبد الله الثقفي.
١١ ـ سفيان بن عطية الثقفي.
١٢ ـ عاصم بن سفيان الثقفي.
١٣ ـ عبد الله بن يحيىٰ الثقفي.
١٤ ـ عبد الوهاب بن عبد المجيد الثقفي.

---

(1) مصادر هذا الملحق:
١ ـ ابن سعد، الطبقات، ج ٥، ج ٦، ج ٧.
٢ ـ خليفة بن خياط، الطبقات.
٣ ـ ابن عبد البر، الاستيعاب، ج ٢، ج ٣، ج ٤.
٤ ـ الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج ٥.
٥ ـ ابن الأثير، أسد الغابة، ج ١، ج ٢، ج ٣.
٦ ـ ابن الأثير، الألباب في تهذيب الأنساب، مطبعة السعادة، (القاهرة، ١٩٣٨)، ج ١، ج ٢.
٧ ـ ابن حجر، الإصابة في تمييز الصحابة.
٨ ـ ابن حجر، تهذيب التهذيب.

١٥ ـ عبدة بن هلال الثقفي.
١٦ ـ عرفجة بن عبد الله الثقفي.
١٧ ـ عمر بن سويد الثقفي.
١٨ ـ عمر بن شعبة الثقفي.
١٩ ـ محمد بن جهنم الثقفي.
٢٠ ـ محمد بن عبد الله الثقفي.
٢١ ـ هاشم بن مخلد الثقفي.
٢٢ ـ هوذة بن خليفة الثقفي.
٢٣ ـ وهب بن خويلد الثقفي.
٢٤ ـ يعلى بن الحكم الثقفي.

# المصادر والمراجع

# المصادر والمراجع

**القرآن الكريم.**

**أولًا: المخطوطات:**

**ابن الجوزي ـ جمال الدين أبي الفرج عبد الرحمـٰن بن علي (ت ٥٩٧ هـ/ ١٢٠٠ م)**

ـ المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، مخطوط مصور، محفوظ بمكتبة المجمع العلمي العراقي، تحت رقم (١١٢٨).

**الأزكوي ـ سرحان بن سعيد (مجهول الوفاة)**

ـ كشف الغمة الجامع لأخبار الأمة، مخطوط مصور محفوظ بمكتبة الدراسات العليا، جامعة بغداد، كلية الأداب، تحت رقم (٢٠٠٥).

**الدويهي ـ البطريك أسطيفان الماروي (ت ١٨٤٢ م)**

ـ تاريخ المسلمين، مخطوط محفوظ بمكتبة الدراسات العليا، جامعة بغداد، كلية الآداب، تحت رقم (١٣).

**العامري ـ عماد الدين يحيىٰ بن أبي بكر (ت ٨٩٣ هـ/ ١٤٨٩ م)**

ـ غربال الزمان، مخطوط محفوظ بمكتبة المجمع العلمي العراقي، تحت رقم (١١٤٢).

**العجيمي ـ حسن بن علي بن يحيىٰ (ت ١١١٣ هـ/ ١٦٩٤ م)**

ـ رسالة في فضل وج الطائف، مخطوط محفوظ بمكتبة وزارة الأوقاف تحت رقم (٤٧٩٦).

**علي بن عيسى ـ (مجهول الوفاة)**

ـ كتاب عجائب البلدان والجبال والأحجار، مخطوط محفوظ بمكتبة الدراسات العليا، جامعة بغداد، كلية الآداب، تحت رقم (١٤).

**مؤلف مجهول ـ من أهل القرن الرابع الهجري**

ـ غرر السير، مخطوط مصور من مكتبة البودليان في أكسفورد، نسخة الدكتور عبد الأمير دكسن.

**الميورقي ـ أحمد بن علي بن أبي بكر بن عيسى العبدري (ت ٦٧٨ هـ/ ١٢٧٩ م)**

ـ بهجة المهج في بعض فضائل الطائف ووج، مخطوط محفوظ بمكتبة وزارة الأوقاف، تحت رقم (٤٧٩٦).

**ثانيًا: المصادر الأولية المطبوعة:**

**ابن أبي أصيبعة ـ موفق الدين أبي العباس أحمد بن القاسم بن خليفة (ت ٦٦٨/ ١٢٦٩ م).**

ـ عيون الأنباء في طبقات الأطباء، تحقيق د. نزار رضا، دار مكتبة الحياة (بيروت: ١٩٦٥).

**ابن الأثير ـ عز الدين أبي الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم (ت ٦٣٠ هـ/ ١٢٣٢ م).**

ـ أسد الغابة في معرفة الصحابة، (٥) أجزاء، المطبعة الإسلامية (طهران: ١٩٥٧ م).

ـ اللباب في تهذيب الأنساب، (٣) أجزاء، مطبعة السعادة، (القاهرة ١٩٣٨ م).

ـ الكامل في التاريخ، (١٣) جزء، دار بيروت ودار صادر، (بيروت: ١٩٦٥ م).

**ابن آدم ـ يحيىٰ القرشي (ت ٢٠٣ هـ/ ٨١٨ م).**

ـ كتاب الخراج، صححه أحمد محمد شاكر، المطبعة السلفية، (القاهرة: ١٣٤٧ هـ).

**ابن أعثم الكوفي ـ أبو محمد أحمد (ت ٣١٤ هـ/ ٩٢٦ م).**

ـ كتاب الفتوح، (٨) أجزاء، ط ١، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية (حيدر أباد الدكن: ١٩٦٩ م).

**ابن الأنباري ـ أبو البركات كمال الدين عبد الرحمٰن بن محمد (ت ٥٧٧ هـ/ ١١٨١ م).**

ـ نزهة الألباء في طبقات الأدباء، ط ١، تحقيق إبراهيم السامرائي، مطبعة المعارف (بغداد: ١٩٥٩ م).

**ابن بدران ـ عبد القادر بن أحمد بن مصطفى بن عبد الرحيم (ت ١٣٤٦ هـ).**

ـ تهذيب تاريخ دمشق الكبير، (٧) أجزاء، ط ٢، دار المسيرة، (بيروت: ١٩٧٩ م).

**ابن تغري بردي ـ جمال الدين أبو المحاسن يوسف (ت ٨٧٤ هـ/ ١٤٦٩ م).**
ـ النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، ط ١، مطبعة دار الكتب المصرية، (القاهرة: ١٩٢٩).
**ابن الجزري ـ شمس الدين أبو الخير محمد بن محمد (ت ٨٣٣ هـ/ ١٤٢٩ م).**
ـ غاية النهاية في طبقات القراء، جزءان، ط ١، عُنِيَ بنشره ج برجستر سر، مكتبة الخانجي، (مصر: ١٩٣٢).
**ابن جلجل ـ أبو داود سليمان بن حسان الأندلسي (ت ٣٧٧ هـ/ ٩٨٧ م).**
ـ طبقات الأطباء والحكماء، تحقيق فؤاد السيد، مطبعة المعهد العلمي. للآثار الشرقية، (القاهرة: ١٩٥٥).
**ابن حبيب ـ أبو جعفر محمد بن أمية بن عمرو الهاشمي البغدادي (ت ٢٤٥ هـ/ ٨٥٩ م).**
ـ كتاب المحبر، عنت بتصحيحه د. إيلزه ليحتن شتيتر، جمعية دائرة المعارف العثمانية (حيدر أباد الدكن: ١٩٤٢ م).
**ابن حجر ـ شهاب الدين أبو الفضل أحمد بن علي العسقلاني (٨٢٥ هـ/ ١٤٤٩ م).**
ـ الإصابة في تمييز الصحابة، (٤) أجزاء، المكتبة التجارية الكبرى، (مصر: ١٩٣٩ م).
ـ تهذيب التهذيب، (١٢) جزء، ط ١، مطبعة دائرة المعارف النظامية، (حيدر أباد: ١٣٢٥ هـ).
**ابن حزم ـ أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد (ت ٤٥٦ هـ/ ١٠٦٣ م).**
ـ جمهرة أنساب العرب، ط ١، تحقيق عبد السلام محمد هارون، دار المعارف (مصر: ١٩٦٢).
**ابن حنبل ـ أبو عبد الله أحمد (ت ٢٤١ هـ/ ٨٥٥ م).**
ـ المسند ـ (٦) أجزاء، (القاهرة: ١٣١٣ هـ).
**ابن حوقل ـ أبو القاسم محمد بن علي النصيبي (ت ٣٦٧ هـ/ ٩٧٧ م).**
ـ صورة الأرض، قسمان، ط ٢، بريل (ليدن: ١٩٣٩).
**ابن خرداذبه ـ أبو القاسم عبيد الله بن عبد الله (٣٠٠ هـ/ ٩١٢ م).**
ـ المسالك والممالك، بريل، (ليدن: ١٨٨٩).
**ابن خلدون ـ عبد الرحمٰن بن محمد (ت ٨٠٨ هـ/ ١٤٠٦ م).**
ـ العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، (٧) أجزاء، المطبعة الباسيلية، (لبنان: ١٩٥٦).

**ابن خلكان ـ أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر (ت ٦٨١ هـ/ ١٢٥٨ م).**

ـ وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، (٨) أجزاء، حققه د. إحسان عباس، دار الثقافة، (بيروت: ١٩٦٨).

**ابن دريد ـ أبو بكر محمد بن الحسن (ت ٣٢١ هـ/ ٩٣٣ م).**

ـ الاشتقاق، تحقيق عبد السلام محمد هارون، المطبعة السنية المحمدية، (بيروت: ١٩٥٨).

**ابن سعد ـ محمد الكاتب (ت ٢٣٠ هـ/ ٨٤٤ م).**

ـ الطبقات الكبرى، (٨) أجزاء، دار صادر، دار بيروت (بيروت: ١٩٥٧).

**ابن سلام ـ أبو عبيد القاسم بن سلام (ت ٢٢٤ هـ/ ٨٣٨ م).**

ـ كتاب الأموال، ط ٢، تحقيق محمد هراس، دار الفكر، (القاهرة: ١٩٧٥).

**ابن شاكر الكتبي ـ محمد بن شاكر بن أحمد بن عبد الرحمٰن (ت ٧٦٤ هـ/ ١٣٦٢ م).**

ـ فوات الوفيات، حققه محمد محيي الدين عبد الحميد، مطبعة السعادة، (مصر: ١٩٥١).

**ابن الشجري ـ هبة الله بن علي بن حمزة (ت ٥٤٢ هـ/ ١١٤٧ م).**

ـ الحماسة الشجرية، قسمان، تحقيق عبد المعين الملوخي وأسماء الحمصي، (دمشق: ١٩٧٠).

**ابن الصمة ـ دريد (ت ٨ هـ/ ٦٢٩ م).**

ـ ديوان، جمع وتحقيق محمد خير البقاعي، دار قتيبة، (دمشق: ١٩٨١).

**ابن الطقطقي ـ محمد بن علي بن طباطبا (ت ٧٠٩ هـ/ ١٣٠٩ م).**

ـ الفخري في الآداب السلطانية والدول الإسلامية، دار صادر، دار بيروت، (بيروت: ١٩٦٠ م).

**ابن عبد البر ـ أبو عمرو بن يوسف بن عبد الله بن محمد (ت ٤٦٣ هـ/ ١٠٧٠ م).**

ـ الاستيعاب في معرفة الأصحاب، (٤) أجزاء، تحقيق علي محمد البجاوي، مطبعة نهضة (مصر، القاهرة، لا.ت).

**ابن عبد الحق ـ صفي الدين عبد المؤمن (ت ٧٣٩ هـ/ ١٣٣٨ م).**

ـ مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع، (٣) أجزاء، ط ١، تحقيق علي محمد البجاوي، دار احياء الكتب العربية، (القاهرة، ١٣٧٣ هـ/ ١٩٥٤ م).

**ابن عبد الحكم ـ عبد الرحمٰن بن عبد الله بن عبد الحكم بن أعين بن ليث المصري (ت ٢٥٧ هـ/ ٨٧٠ م).**
ـ فتوح مصر والمغرب، تحقيق عبد المنعم ماجد، لجنة البيان العربي، (القاهرة: ١٩٦١).
**ابن عبد ربه ـ أحمد بن محمد بن عبد ربه الأندلسي (ت ٣٢٨ هـ/ ٩٤٠ م).**
ـ العقد الفريد، (٨) أجزاء، ط ١، تحقيق محمد سعيد العريان، مطبعة الاستقامة (القاهرة: ١٣٥٩ هـ ـ ١٩٤٠ م).
**ابن عذاري ـ أبو العباس محمد بن عذاري المراكشي (ت في نهاية القرن السابع الهجري/ ١٢٩٥ م).**
ـ البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، ط ١، تحقيق ألفي بروفنسال وج.س. كولان، دار الثقافة، (بيروت: ١٩٦٧).
**ابن العماد الحنبلي ـ أبو الفلاح عبد الحي بن أحمد (ت ١٠٨٩ هـ/ ١٦٨٧ م).**
ـ شذرات الذهب في أخبار من ذهب، (٨) أجزاء، المكتبة التجارية للطباعة، (لبنان: ١٩٣١).
**ابن الفقيه الهمداني ـ أبو بكر أحمد بن محمد (ت ٢٩٠ هـ/ ٩٠٢ م).**
ـ مختصر كتاب البلدان، تحقيق M.J.DE. GOEJE، مطبعة بريل (ليدن: ١٣٠٣ هـ).
**ابن قتيبة الدينوري ـ أبو عبد الله محمد بن مسلم (ت ٢٧٦ هـ/ ٨٨٩ م).**
ـ الاختلاف في اللفظ والرد على الجهمية والمشبهة، تحقيق محمد زاهد الكوثري، مطبعة السعادة (القاهرة: ١٣٤٩).
ـ الإمامة والسياسة، ط ٢، مطبعة مصطفى البابي، (مصر: ١٣٧٧ هـ/ ١٩٥٧ م) (منسوب).
ـ الشعر والشعراء، ط ٢، تحقيق د. مفيد قميحة، دار الكتب العلمية، (بيروت: ١٩٨٥).
ـ عيون الأخبار، مطبعة دار الكتب المصرية، (القاهرة: ١٩٢٥).
ـ المعارف، تحقيق ثروت عكاشة، مطبعة دار الكتب، (القاهرة: ١٩٦٠).
**ابن كثير ـ أبو الفداء إسماعيل بن عمر (ت ٧٧٤ هـ/ ١٣٧٣ م).**
ـ البداية والنهاية في التاريخ، (٤) أجزاء، ط ٣، تحقيق د. أحمد أبو ملحم ود. علي نجيب عطوي وفؤاد السيد ومهدي ناصر الأسد وعلي عبد الساتر، دار الكتب العلمية، (بيروت: ١٩٨٧).

ـ السيرة النبوية، (٤) أجزاء، تحقيق مصطفى عبد الواحد، مطبعة عيسى البابي، (القاهرة: ١٩٦٤ ـ ١٩٦٦).

**ابن الكلبي ـ أبو المنذر بن هشام بن محمد بن السائب، (ت ٢٠٤ هـ/ ٨١٩ م).**

ـ كتاب الأصنام، ط ٢، تحقيق أحمد زكي باشا، مطبعة دار الكتب (مصر: ١٣٤٣ هـ/ ١٩٢٤ م).

**ابن مرداس ـ العباس (توفي في خلافة الخليفة عثمان بن عفان رضي الله عنه).**

ـ ديوان، ط ١، تحقيق د. يحيى الجبوري، دار الجمهورية (بغداد: ١٩٦٨).

**ابن منظور ـ أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم (ت ٧١١ هـ/ ١٢٨٧ م).**

ـ لسان العرب، دار صادر، دار بيروت، (بيروت: ١٩٥٥ ـ ١٩٥٦).

**ابن النديم ـ أبو الفرج محمد بن إسحـٰق (ت ٣٨٣ هـ/ ٩٩٣ م).**

ـ الفهرست، تحقيق رضا تجدد بن علي بن زين العابدين الحائري (طهران: ١٩٧١).

**ابن هشام ـ أبو محمد عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري (ت ٢١٨ هـ/ ٨٣٣ م).**

ـ السيرة النبوية، قسمان، تحقيق مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري وعبد الحفيظ شلبي، مطبعة منير، مصورة بالأوفسيت (بغداد: ١٩٨٦).

**ابن الوردي ـ زين الدين عمر بن مظفر (ت ٧٤٩ هـ/ ١٣٤٨ م).**

ـ تاريخ ابن الوردي: جزءان، ط ٢، المطبعة الحيدرية، (النجف: ١٩٦٩).

**أبو حيان التوحيدي ـ علي بن محمد بن عباس (٣٨٧ هـ/ ٩٩٧ م).**

ـ البصائر والذخائر، ط ١، تحقيق أحمد أمين وأحمد صقر، مطبعة لجنة التأليف والترجمة، (القاهرة: ١٩٥٣).

**أبو الفداء ـ عماد الدين إسماعيل بن الملك الأفضل نور الدين علي (ت ٧٣٢ هـ/ ١٣٣١ م).**

ـ تقويم البلدان، اعتنى به رينود والبارون ماك كوكين ديسلان، دار الطباعة السلطانية (باريس: ١٨٤٠).

**أبو الفرج الأصفهاني ـ علي بن الحسين بن محمد بن أحمد بن الهيثم بن عبد الرحمـٰن الأموي (ت ٣٥٦ هـ/ ٩٦٦ م).**

ـ الأغاني، ٢٥ جزء، ط ٣، تحقيق عبد الستار أحمد فراج، دار الثقافة (بيروت: ١٩٧١).

**أبو يوسف ـ يعقوب بن إبراهيم (ت ١٨٢ هـ/ ٧٩٨ م).**

ـ كتاب الخراج، ط ٢، المطبعة السلفية، (القاهرة: ١٣٥٢ هـ).

**الإصطخري ـ أبو إسحٰق إبراهيم بن محمد (ت ٣٤٦ هـ/ ٩٥٧ م).**

ـ مسالك الممالك، تحقيق د. محمد جابر عبد العال الحسيني، دار مطابع القلم، (مصر: ١٩٦١).

**الأنصاري ـ كعب بن مالك (ت ٥٠ هـ/ ٦٧٠ م).**

ـ ديوان، ط ١، تحقيق د. سامي مكي العاني، مطبعة المعارف، (بغداد: ١٩٦٦).

**البخاري ـ أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة (ت ٢٥٦ هـ/ ٨٦٩ م).**

ـ صحيح البخاري، دار الطباعة العامرة (القاهرة: ١٢٥٧ م).

**البستي ـ محمد بن حيان (ت ٣٥٤ هـ/ ٩٦٥ م).**

ـ مشاهير علماء الأمصار، اعتنى به ـ فلا يشهر، مطبعة لجنة التأليف والترجمة، (مصر: ١٩٥٩).

**بخشل ـ أسلم بن سهل الرزاز (ت ٢٩٢ هـ/ ٩٠٤ م).**

ـ تاريخ واسط، تحقيق كوركيس عواد، مطبعة المعارف، (بغداد: ١٩٦٧).

**البغدادي ـ عبد القادر بن عمر (ت ١٠٩٣ هـ/ ١٦٨٢ م).**

ـ خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب، تحقيق عبد السلام محمد هارون، دار الكتاب العربي (القاهرة: ١٩٦٧).

**البلاذري ـ أبو الحسن أحمد بن يحيىٰ بن جابر (ت ٢٧٩ هـ/ ٨٩٢ م).**

ـ أنساب الأشراف، ج ١، تحقيق د. محمد حميد الله، دار المعارف، (مصر: ١٩٥٩).

ـ أنساب الأشراف، ق ٢، ج ٤، تحقيق Max Schloessinger (باريس: ١٩٣٨).

ـ أنساب الأشراف، ج ٥، تحقيق S.D.F. Goitein، (باريس: ١٩٣٦).

ـ أنساب الأشراف، جزء ١١، مطبعة يولس آبل، (مدينة غريفزولد: ١٨٨٣).

ـ فتوح البلدان، ط ١، اعتنى به رضوان محمد رضوان، المطبعة المصرية بالأزهر (مصر: ١٣٥٠ هـ/ ١٩٣٢ م).

**الثعالبي ـ أبو منصور عبد الملك بن محمد بن إسماعيل (ت ٤٢٩ هـ/ ١٠٣٧ م).**

ـ لطائف المعارف، تحقيق إبراهيم الأبياري وحسن كامل الصيرفي، دار احياء الكتب العربية، (مصر: ١٩٦٠).

**الثقفي ـ أمية بن أبي الصلت (ت ٨ هـ/ ٦٢٩ م).**

ـ ديوان، ط ١، تحقيق د. بهجة عبد الغفور الحديثي، مطبعة العاني، (بغداد: ١٩٧٥).

**الثقفي ـ عمرو بن حسيب بن عمرو بن عوف أبو محجن (ت ٣٠ هـ/ ٦٥٠ م).**

ـ ديوان، ط ١، صنعة، أبو هلال بن عبد الله العسكري، نشرة د. صلاح الدين المنجد، دار الكتب (بيروت: ١٩٧٠).

**الجاحظ ـ أبو عثمان عمرو بن بحر (ت ٢٥٥ هـ/ ٨٦٨ م).**

ـ البخلاء، تحقيق طه الحاجري، دار الكتاب المصري، (مصر: ١٩٤٨).

ـ البيان والتبيين، (٤) أجزاء، ط ٥، تحقيق عبد السلام محمد هارون مطبعة المدني، (مصر: ١٩٨٥).

ـ الحيوان، (٧) أجزاء، ط ١، تحقيق عبد السلام محمد هارون، مطبعة مصطفى البابي، (مصر: ١٩٣٨).

**الجمحي ـ محمد بن سلام (ت ٢٣١ هـ/ ٨٤٥ م).**

ـ طبقات فحول الشعراء، شرحه محمود محمد شاكر، دار المعارف للطباعة، (مصر: ١٩٥٢).

**الجهشياري ـ أبو عبد الله محمد بن عبدوس (ت ٣٣١ هـ/ ٩٤٢ م).**

ـ الوزراء والكتاب، ط ١، تحقيق مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري وعبد الحفيظ شلبي، (القاهرة: ١٩٣٨).

**خليفة بن خياط ـ أبو عمرو خليفة بن خياط بن أبي هبيرة (ت ٢٤٠ هـ/ ٨٥٤ م).**

ـ تاريخ خليفة بن خياط، جزءان، تحقيق أكرم ضياء العمري، مطبعة الآداب، (النجف: ١٩٦٧).

ـ كتاب الطبقات، ط ١، تحقيق أكرم ضياء العمري، مطبعة العاني، (بغداد: ١٩٦٧).

**الخوارزمي ـ أبو عبد الله محمد بن أحمد بن يوسف (ت ٣٨٧ هـ/ ٩٩٧ م).**

ـ مفاتيح العلوم، دار الكتب العلمية، (لبنان: ت).

**الدلجي ـ شهاب الملة والدين أحمد بن علي (ت ٨٣٨ هـ/ ١٤٣٤ م).**

ـ الفلاكه والمفلوكون، مطبعة الآداب (النجف: ١٣٨٥ هـ).

**الدينوري ـ أحمد بن داود (ت ٢٨٢ هـ/ ٨٩٥ م).**

ـ الأخبار الطوال، ط ١، تحقيق عبد المنعم عامر، (القاهرة: ١٩٦٠).

**الذهبي ـ أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان (ت ٧٤٨ هـ/ ١٣٤٧ م).**
ـ تاريخ الإسلام وطبقات المشاهير والأعلام، مكتبة القدسي، (مصر: ١٩٤٧).
ـ تذكرة الحفاظ، (٤) أجزاء، ط ٣، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية (حيدر آباد: ١٩٥٥).
ـ دول الإسلام، جزءان، تحقيق فهيم محمد شلتوت ومحمد مصطفى إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب (مصر: ١٩٧٤).
ـ سير أعلام النبلاء، ج ٢، تحقيق إبراهيم الأبياري، دار المعارف، (مصر: ١٩٥٧).
ـ سير أعلام النبلاء، ج ٣، تحقيق د. محمد أسعد طلس، دار المعارف (مصر: ١٩٦٢).
ـ سير أعلام النبلاء، ج ٤، ط ١، تحقيق شعيب الأرنؤوط ومأمون الصاغرجي مؤسسة الرسالة، (السعودية: ١٩٨١).
ـ سير أعلام النبلاء، ج ٥، ط ١، تحقيق شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة (السعودية: ١٩٨١).
ـ سير أعلام النبلاء، ج ٧، ط ١، تحقيق شعيب الأرنؤوط وعلي أبو زيد، مؤسسة الرسالة، (السعودية: ١٩٨١).
ـ ميزان الاعتدال في نقد الرجال، (٤) أجزاء، ط ١، تحقيق علي محمد البجاوي، دار احياء الكتب العربية، (مصر: ١٩٦٣).
**الزبيدي ـ أبو بكر محمد بن الحسن (ت ٣٧٩ هـ/ ٩٨٩ م).**
ـ طبقات النحويين واللغويين، ط ١، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، (مصر: ١٩٥٤).
**الزجاجي ـ أبو القاسم عبد الرحمٰن بن إسحٰق (ت ٣٤٠ هـ/ ٩٥١ م).**
ـ مجالس العلماء، ط ٢، تحقيق عبد السلام محمد هارون، مطبعة المدني، (القاهرة: ١٩٥٤).
**السمعاني ـ أبو سعد عبد الكريم بن محمد بن منصور التميمي، (ت ٥٦٢ هـ/ ١١٦٦ م).**
ـ الأنساب، ط ٢، تحقيق عبد الرحمٰن بن يحيىٰ المعلمي، (بيروت: ١٩٨٠).
**السهيلي ـ أبو القاسم عبد الرحمٰن بن عبد الله بن أحمد بن أبي الحسن الخثعمي (ت ٥٨١ هـ/ ١١٨٥ م).**
ـ الروض الأنف، مطبعة الجمالية، (مصر: ١٩١٤).

**السيرافي ـ أبو سعيد الحسن بن عبد الله (ت ٣٦٨ هـ/ ٩٧٨ م).**
ـ أخبار النحويين البصريين، ط ١، اعتنى بنشره فريتس كرنكو، مطبعة بول كستنر، (باريس: ١٩٣٦).
**السيوطي ـ جلال الدين عبد الحسن (ت ٩١١ هـ/ ١٥٠٥ م).**
ـ بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، ط ١، اعتنى به محمد أمين الخانجي، مطبعة السعادة (مصر، ١٣٢٦ هـ).
ـ طبقات الحفاظ، ط ١، تحقيق علي محمد عمر، مطبعة الاستقلال، (مصر: ١٩٧٣).
**الطبري ـ أبو جعفر محمد بن جرير (ت ٣١٠ هـ/ ٩٢٢ م).**
ـ تاريخ الرسل والملوك، (١٠) أجزاء، ط ٤، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، (مصر: ١٩٦٩).
ـ تفسير الطبري، تحقيق محمود محمد شاكر، دار المعارف (مصر: ١٩٥٨).
**قدامة بن جعفر ـ أبو الفرج قدامة بن جعفر بن قدامة بن زياد (ت ٣٣٧ هـ/ ٩٤٨ م).**
ـ الخراج وصناعة الكتابة، ط ١، تحقيق د. محمد حسين الزبيدي، دار الرشيد (بغداد: ١٩٨١).
**القلقشندي ـ أحمد بن علي (ت ٨٢١ هـ/ ١٤١٨ م).**
ـ صبح الأعشى في صناعة الإنشا، (٤) أجزاء، ط ١، شرحه محمد حسين شمس الدين، دار الكتب (بيروت: ١٩٨٧).
**الماوردي ـ أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب البصري البغدادي (ت ٤٥٠ هـ/ ١٠٥٨ م).**
ـ الأحكام السلطانية والولايات الدينية، المطبعة المحمودية، (مصر: لا.ت).
**المبرد ـ أبو عباس محمد بن يزيد (ت ٢٨٥ هـ/ ٨٩٨ م).**
ـ الكامل في اللغة والأدب، علق عليه محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر العربي (مصر: لا.ت).
**المرزباني ـ أبو عبيد الله محمد بن عمران بن موسى (ت ٣٨٤ هـ/ ٩٩٤ م).**
ـ معجم الشعراء، ط ١، تحقيق عبد الستار أحمد فراج، دار احياء الكتب العربية، (القاهرة: ١٩٦٠).
**المسعوي ـ أبو الحسن علي بن الحسين بن علي (ت ٣٤٦ هـ/ ٩٥٧ م).**
ـ التنبيه والأشراف، مكتب خياط، (بيروت، لا.ت).

ـ مروج الذهب ومعادن الجوهر، (٤) أجزاء، ط ٤، دققه يوسف أسعد داغر، دار الأندلس، (بيروت: ١٩٨١).

**مسلم ـ أبو الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري (ت ٢٦١ هـ/ ٨٧٤ م).**

ـ صحيح مسلم، (٥) أجزاء، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار احياء الكتب العربية، (مصر: ١٩٥٥).

**المقدسي ـ أبو عبد الله محمد بن أحمد (ت ٣٧٥ هـ/ ٩٨٥ م).**

ـ أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، ط ٢، مطبعة بريل (ليدن: ١٩٠٦ م).

**المقريزي ـ تقي الدين أحمد بن علي بن عبد القادر بن محمد (ت ٨٤٥ هـ/ ١٤٤١ م).**

ـ الخطط المقريزية، ٤ أجزاء، مطبعة النيل، (مصر: ١٣٢٤ هـ).

ـ شذور العقود في ذكر النقود، ط ١، المطبعة الحيدرية، (النجف: ١٩٦٧).

**النمري ـ أبو عمر بن عبد البر (ت ٤٦٣ هـ/ ١٠٧٠ م).**

ـ الأنباه على قبائل الرواة، المطبعة الحيدرية، (النجف: ١٩٦٦).

**النويري ـ شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب (ت ٧٣٣ هـ/ ١٣٣٢ م).**

ـ نهاية الأرب في فنون الأدب، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، (مصر: لا.ت).

**الهمداني ـ أبو محمد الحسن بن أحمد بن يعقوب (ت ٣٣٤ هـ/ ٩٤٥ م).**

ـ صفة جزيرة العرب، تحقيق محمد بن علي الأكوع، دار الشؤون الثقافية العامة، (بغداد: ١٩٨٩).

**الواقدي ـ أبو عبد الله محمد بن عمر (ت ٢٠٧ هـ/ ٨٢٢ م).**

ـ المغازي، (٣) أجزاء، تحقيق د. مارسدن جونس، طبعة جامعة أكسفورد، (لندن: ١٩٦٦).

**اليافعي ـ أبو محمد عبد الله بن سعد بن علي بن سليمان (ت ٧٦٨ هـ/ ١٣٦٦ م).**

ـ مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان، ط ٢، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، (لبنان: ١٩٧٠ م).

**ياقوت ـ شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي البغدادي، (ت ٦٢٦ هـ/ ١٢٢٨ م).**

ـ معجم البلدان، (٥) أجزاء، دار صادر، دار بيروت، (بيروت: ١٩٥٧).

**اليعقوبي ـ أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر بن وهب بن واضح (ت ٢٩٠ هـ/ ٩٠٢ م).**

ـ البلدان، ط ٣، المطبعة الحيدرية، (النجف: ١٩٥٧).

- تاريخ اليعقوبي، جزءان، دار بيروت، (بيروت: ١٩٨٠).

**ثالثًا: المراجع المطبوعة:**

**ابن الغملاس ـ (ت ١٣٣٣ هـ/ ١٩١٤ م).**

- ولاة البصرة ومتسلموها، ط ١، مطبعة دار البصري، (بصرة: ١٩٦٢).

**الأسد ـ ناصر الدين (الدكتور).**

- مصادر الشعر الجاهلي وقيمتها التاريخية، ط ٣، دار المعارف، (مصر: ١٩٦٦).

**الألوسي ـ محمود شكري.**

- بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب، ط ٣، اعتنى به محمد بهجة الأثري، مطابع دار الكتاب العربي، (مصر: لا.ت).

**بروكلمان ـ كارل.**

- تاريخ الشعوب الإسلامية، ط ٢، نقله إلى العربية د. نبيه أمين فارس ومنير البعلبكي، دار العلم للملايين (بيروت: ١٩٥٣).

**البري ـ عبد الله خورشيد.**

- القبائل العربية في مصر في القرون الثلاثة الأولى للهجرة، ط ١، دار الكتاب للطباعة، (القاهرة: ١٩٦٧).

**البشبيشي ـ محمود.**

- الفرق الإسلامية، ط ١، المطبعة الرحمانية، (مصر: ١٣٥٠ هـ/ ١٩٣٢ م).

**بلات. شارل (الدكتور).**

- الجاحظ في البصرة وبغداد وسامراء، ترجمة د. إبراهيم الكيلاني، دار اليقظة العربية للتأليف والترجمة، (دمشق: ١٩٦١).

**الجنابي ـ خالد جاسم (الدكتور).**

- تنظيمات الجيش العربي الإسلامي في العصر الأموي، ط ٢، وزارة الأعلام (بغداد: ١٩٨٦).

**الجومرد ـ محمود.**

- الحجاج رجل الدولة المفترى عليه، ط ١، مطبعة الأديب، (بغداد: ١٩٨٥).

**حتي ـ فيليب (الدكتور).**

- تاريخ العرب مطول، (٣) أجزاء، ط ٢، دار الكشاف، (بيروت: ١٩٥٢).

**الحديثي ـ نزار عبد اللطيف (الدكتور).**
ـ محاضرات في تاريخ العرب، ط ١، مطبعة الزمان، (بغداد: ١٩٧٨).
**حسن ـ علي إبراهيم (الدكتور).**
ـ التاريخ الإسلامي العام، ط ٢، مكتبة الأنجلو المصرية، (القاهرة: ١٩٥٩).
**حسن ـ ناجي (الدكتور).**
ـ القبائل العربية في المشرق خلال العصر الأموي، ط ١، منشورات اتحاد المؤرخين العرب، (بغداد: ١٩٨٠).
**حسين ـ طه (الدكتور).**
ـ الفتنة الكبرى، جزءان، ط ٩، دار المعارف، (مصر: ١٩٧٦).
**الحيدر آبادي ـ محمد حميد الله (الدكتور).**
ـ مجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوي والخلافة الراشدة، ط ٢، مطبعة لجنة التأليف والترجمة، (مصر، ١٣٧٦ هـ/ ١٩٥٦ م).
**خان ـ محمد عبد المعيد.**
ـ الأساطير العربية قبل الإسلام، (القاهرة، ١٩٣٧).
**خميس ـ عبد الله بن محمد.**
ـ المجاز بين اليمامة والحجاز، ط ١، دار اليمامة، (الرياض: ١٩٧٠).
**الخيرو ـ رمزية عبد الوهاب (الدكتورة).**
ـ إدارة العراق في صدر الإسلام، ط ١، دار الحرية للطباعة، (بغداد: ١٩٧٨).
**دكسن ـ عبد الأمير حسين (الدكتور).**
ـ الخلافة الأموية ٦٥ ـ ٨٦ هـ، دراسة سياسية، ط ١، دار النهضة العربية، (بيروت: ١٩٧٣).
**دينيه ـ أتيين وسليمان إبراهيم.**
ـ محمد رسول الله، ط ١، ترجمة د. عبد الحليم محمود ومحمد عبد الحليم محمود، مطبعة نهضة مصر، (القاهرة: ١٩٥٨).
**ذنون ـ عبد الواحد طه (الدكتور).**
ـ العراق في عهد الحجاج بن يوسف الثقفي، ط ١، مطبعة جامعة الموصل (العراق: ١٩٨٥).
ـ الفتح والاستقرار العربي الإسلامي في شمال إفريقيا والأندلس، ط ١، دار الرشيد، (بغداد: ١٩٨٢).

**الراوي ـ ثابت إسماعيل.**
ـ تاريخ الدولة العربية، ط ١، مطبعة الرشاد، (بغداد: ١٩٧٦).
**الريس ـ محمد ضياء الدين (الدكتور).**
ـ الخراج والنظم المالية للدولة الإسلامية، ط ٢، مطبعة لجنة البيان العربي، (القاهرة: ١٩٦١).
**الزركلي ـ خير الدين.**
ـ الأعلام، (١٠) أجزاء، ط ٢، مطبعة ستاتوماس، (القاهرة: ١٩٥٤).
**السالم ـ صباح عباس.**
ـ عيسى بن عمر الثقفي نحوه من خلال قراءته، ط ١، مؤسسة الأعلمي، (بيروت: ١٩٧٥ م).
**سعداوي ـ نظير حسان (الدكتور).**
ـ الدولة العربية الإسلامية، ط ١، دار النهضة العربية، (القاهرة: ١٩٦٧).
**شرارة ـ عبد اللطيف.**
ـ الحجاج طاغية العرب، ط ١، دار المكشوف، (لبنان: ١٩٥٠).
**شريف ـ أحمد إبراهيم (الدكتور).**
ـ دور الحجاز في الحياة السياسية العامة في القرنين الأول والثاني الهجري، ط ١، دار الفكر العربي، (القاهرة: ١٩٦٨).
**شعبان ـ محمد عبد الحي (الدكتور).**
ـ الثورة العباسية، ط ١، ترجمة عبد المجيد حسيب القيسي، دار الدراسات الخليجية، (أبو ظبي: ١٩٧٧).
**الصالح ـ صبحي (الدكتور).**
ـ النظم الإسلامية نشأتها وتطورها، ط ٤، دار العلم للملايين، (بيروت: ١٩٧٨).
**الصوفي ـ خالد (الدكتور).**
ـ تاريخ العرب في الأندلس، الفتح وعصر الولاة، ط ١، دار النجاح، (بيروت: ١٩٧١).
**عاقل ـ نبيه (الدكتور).**
ـ تاريخ العرب القديم وعصر الرسول، (دمشق: ١٩٦٨).
**العبادي ـ عبد الحميد بك.**
ـ صور من التاريخ الإسلامي، مكتبة الآداب، (الإسكندرية: ١٩٤٨).

**العدوي ـ إبراهيم أحمد (الدكتور).**
ـ التاريخ الإسلامي آفاقه السياسية وأبعاده الحضارية، مكتبة الأنجلو المصري، (القاهرة: ١٩٧٦).

**علي ـ جواد (الدكتور).**
ـ المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، دار العلم للملايين، (بيروت: ١٩٧٠).

**العلي ـ صالح أحمد (الدكتور).**
ـ التنظيمات الاجتماعية والاقتصادية في البصرة في القرن الأول الهجري، ط ١، دار المعارف (بغداد: ١٩٥٣).
ـ محاضرات في تاريخ العرب، ط ٤، مطبعة الإرشاد (بغداد: ١٩٦٨).

**فاروق عمر ـ (الدكتور).**
ـ التاريخ الإسلامي وفكر القرن العشرين، ط ١، مؤسسة المطبوعات العربية (بيروت: ١٩٨٠).
ـ عصر النبوة والخلافة الراشدة، ط ١، دار الحكمة، (بغداد: ١٩٨٦).
ـ النظم الإسلامية، دراسة تاريخية، ط ١، دار الحكمة، (بغداد: ١٩٨٧).

**فرح ـ إلياس (الدكتور).**
ـ مقدمة في دراسة المجتمع العربي والحضارة العربية، دار الحرية، (بغداد: ١٩٧٩).

**فروخ ـ عمر (الدكتور).**
ـ تاريخ صدر الإسلام والدولة الأموية، ط ٤، دار العلم للملايين، (بيروت: ١٩٧٩).

**فلهاوزن ـ يوليوس.**
ـ تاريخ الدولة العربية من ظهور الإسلام إلى نهاية الدولة الأموية، ترجمة د. محمد عبد الهادي أبو ريدة، لجنة التأليف والترجمة، (القاهرة: ١٩٥٨).

**فصيل ـ شكري (الدكتور).**
ـ حركة الفتح الإسلامي في القرن الأول، ط ١، دار العلم للملايين، (بيروت: ١٩٥٢).

**القيسي ـ نوري حمودي (الدكتور).**
ـ شعراء إسلاميون، ق ٢، عالم الكتب، (بيروت: ١٩٨٤).
ـ شعراء أمويون، ق ٣، ط ١، مطبعة المجمع العلمي العراقي (بغداد: ١٩٨٢).

**الكبيسي ـ حمدان عبد المجيد (الدكتور) ود. عواد الأعظمي.**

ـ دراسات في تاريخ الاقتصاد العربي الإسلامي، ط ١، مطبعة التعليم العالي، (بغداد: ١٩٨٨).

**كحالة ـ عمر رضا.**

ـ جغرافية شبه جزيرة العرب، المطبعة الهاشمية، (دمشق: ١٩٤٤).

ـ معجم قبائل العرب القديمة والحديثة، (٣) أجزاء، ط ٢، دار العلم للملايين، (بيروت: ١٩٦٨).

**كمال ـ أحمد عادل.**

ـ الطريق إلى المدائن، ط ٣، دار النفائس، (بيروت: ١٩٧٧).

ـ فتوح الشرق بعد القادسية، ط ١، دار الفكر، (القاهرة: ١٩٧٤).

**ماجد ـ عبد المنعم (الدكتور).**

ـ التاريخ السياسي للدولة العربية، جزءان، ط ٢، مكتبة الأنجلو المصرية، (مصر: ١٩٦٠).

**المباركبوري ـ أبو المعالي أطهر.**

ـ العقد الثمين، المطبعة الحميدية، (الهند: ١٩٦٨).

**المعاضيدي ـ عبد القادر سلمان (الدكتور).**

ـ واسط في العصر الأموي، ٨١ هـ ـ ١٣٢ هـ، ط ١، دار الحرية، (بغداد: ١٩٧٦).

**المنجد ـ صلاح الدين (الدكتور).**

ـ معجم بني أمية، ط ١، دار الكتاب الجديد، (بيروت: ١٩٧٠).

**الندوى ـ أبو الحسن علي الحسني.**

ـ السيرة النبوية، ط ١، المطبعة العصرية، (بيروت: ١٩٧٩).

**النص ـ إحسان (الدكتور).**

ـ العصبية القبلية وأثرها في الشعر الأموي، دار اليقظة العربية (القاهرة: ١٩٦٣).

**النقشبندي ـ ناصر السيد محمود.**

ـ الدرهم الإسلامي المضروب على الطراز الساساني، مطبعة الحكومة (بغداد: ١٩٦٩).

**وات ـ مونتجمري.**

ـ محمد في مكة، تعريب شعبان البركات، المطبعة العصرية، (بيروت: ١٩٥٢).

**رابعًا: الرسائل الجامعية غير المطبوعة:**

**السامرائي ـ عبد الرزاق أحمد وادي.**

ـ إقليم السند والبنجاب في العصر الأموي، رسالة ماجستير مطبوعة على الآلة الطابعة، جامعة بغداد، كلية الآداب، (بغداد: ١٩٨٧).

**السلطاني ـ غانم هاشم خضير.**

ـ قتيبة بن مسلم الباهلي ودوره في حروب التحرير في خراسان/ رسالة ماجستير مطبوعة على الآلة الطابعة، جامعة بغداد، (بغداد: ١٩٨٥).

**العبيدي ـ عبد الجبار منسي (الدكتور).**

ـ مدينة الطائف ودور قبيلة ثقيف من العصر الجاهلي الأخير حتى قيام الدولة الأموية، رسالة ماجستير مطبوعة على الآلة الطابعة، جامعة الكويت، كلية الآداب، (الكويت: ١٩٧٥).

**كرموش ـ عدنان علي.**

ـ الخلافة الأموية دراسة في التاريخ السياسي والإداري، رسالة ماجستير مطبوعة على الآلة الطابعة، جامعة بغداد، كلية الآداب (بغداد: ١٩٨٧).

**المكي ـ جار الله محمد بن عبد العزيز بن عمر بن محمد بن فهد (ت ٩٥٤ هـ/ ١٥٤٧ م).**

ـ تحفة الطائف في فضائل الحبر عبد الله بن عباس ووج الطائف، تحقيق فاروق عبد الرزاق حسين، رسالة ماجستير مطبوعة على الآلة الطابعة، جامعة بغداد، كلية التربية الأولى، (بغداد: ١٩٨٩).

**خامسًا: الدوريات:**

**العبيدي ـ عبد الجبار منسي (الدكتور).**

ـ إدارة الأمصار الإسلامية ودور الثقفيين فيها، **المؤرخ العربي**، العدد السابع عشر، (بغداد: ١٩٨١).

**العلي ـ صالح أحمد (الدكتور).**

ـ خطط البصرة دراسة أولية مستمدة من المصادر الأولية، **مجلة سومر**، ج ٢، م ٨، مديرية الآثار القديمة، (بغداد: ١٩٥٢).

**لامنس.**

ـ «مادة ثقيف»، **دائرة المعارف الإسلامية**، ترجمها إلى العربية، أحمد الشناوي وإبراهيم خورشيد وعبد الحميد يونس، دار الفكر، (القاهرة، ١٩٣٣).

- «مادة الحجاج»، **دائرة المعارف الإسلامية**، ترجمها إلى العربية، أحمد الشناوي وإبراهيم خورشيد وعبد الحميد يونس، دار الفكر، (القاهرة، ١٩٣٣).
- «مادة زياد»، **دائرة المعارف الإسلامية**، ترجمها إلى العربية، أحمد الشناوي وإبراهيم خورشيد وعبد الحميد يونس، دار الفكر، (القاهرة، ١٩٣٣).
- «مادة الطائف»، **دائرة المعارف الإسلامية**، ترجمها إلى العربية، أحمد الشناوي وإبراهيم خورشيد وعبد الحميد يونس، دار الفكر، (القاهرة، ١٩٣٣).

**المعاضيدي ـ عبد القادر سلمان (الدكتور).**
- القائد العربي محمد بن القاسم الثقفي، بحث غير منشور.

**سادسًا: مراجع غير عربية:**

**Berier- Jean.**
- D'al- Hadjdjadj Ibn Yousif, (Paris: 1904).

**Bosworth- Glifford Edmund.**
- Sistan under the Arabs From the Islamic conquest to the rise of saffarids 30-250- 661- 864, (Rome: 1968).

**Lammens- S.J.**
- La cite Arabe de taif Alaville de l'hegire, (Beyrout: 1922).

**Muir- Sir William.**
- The Galiphate Its Rise, Decline and Fall, (Beirut: 1963).

**Watt- W.Montgomery.**
- Muhammad At Medina, The University press Oxford. (London: 1956).

**Goldziher- Ignaz.**
- Muslim studies, volume one (London: 1967).

# ABSTRACT

## Thaqif and its Role in Arab-Islamic History until The end of the Omayyad Period


The research consists of ten introduction and five chapters. The introduction treats the name of A'l-Thagif and ist main products, its rolation with thaqif, Mecca and other areas with a glimpse on the religion of Thaqif.

The first chapter covers the role of Thaqif in early Islam, its onversion to Islam, its role in fighting the a postates and the conquests. It studied also the stand of Thaqif from Caliph Othman's murder with the geneology of Ziad son of Ubaid A'l-Thaqif whose character has been highly praised.

The second chapter deals with the effects of the Thaqifites and their adminstrative and political role during the Omayyad period and how this tribe provided well-lonown adminstrators and politicians who well served the Omayyad state.

The third chapter probes into the movements in which the Haqifites participated against the Omayyad state and concluded that they were limited movements never included all fo Thaqif.

The fourth chapter threw a light upon the military role of the Thaqifites during the Omayyad period, the important governers who played political roles and the important military le dors of Thaqif during the conquets and wars of libenation.

The fifth chapter examined the medical, literary and juristical contributions of the Thaqifites and of the many physicians, poets, Grammerians and jurists from the thaqif. The following conclusions were arrived at: The conversion of Thaqif to Islam was of true belief which could be seen through the tribe's stand during the wars of liberation and Apostasy. Thaqif tribe stood gloof from the political offects during early Islam and thus it kept its general line and served both state and religion.

The tribe of Thaqif provided the Arab-Islamic state with famous adminstrators and politicians who participeted as governors of provinces and crushed pany internal revolts.

It is clear now that Ziad son of Ubaid Al-Thaqafi was from Thaqif tribe and was raised among their men. Some of the tribe's men tried to stab its principles and have it devieted from its main path such as A'l-Mu'ditar son of Ubaid A'l-Thaqafi and Mitrif son of Mughira son of Shu'ba and their movoments were individualistic and cannot imply the tribe as a Whole for Thaqif was true to the principles of Islam and A'rabism.

# فهرس المحتويات



## التمهيد نبذة عامّة عن الطائف



## الفصل الأول
## دَور الثقفيين في صدر الإسلام

## الفصل الثاني
## أثر الثقفيين الإداري والسياسي في العصر الأموي



## الفصل الثالث
## إسهام بعض الثقفيين في مُعَارَضة الدَّولة الأَمويَّة



## الفصل الرابع
## الجُهد العَسكرِي للثقفيين

## الفصل الخامس
## إسهامات الثقفيين في مجالات الطب والأدب والفقه

## الخلاصة



## المصادر والمراجع